٣٠١٠٢٠٠٠٠٤١٧٦

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة -
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

٤١٧٦

النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام
- دراسة تاريخية وحضارية -

إعداد الطالبة
نجوى محمد محمد جميل إكرام

إشراف الأستاذ الدكتور
أحمد محمود حسين صابون

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم

ملخص الرسالة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:-

فعنوان هذه الرسالة: "النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام. دراسة تاريخية وحضارية".

وهي رسالة علمية مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية لنيل درجة الماجستير، إشتملت هذه الرسالة على مقدمة، وتمهيد، وفصول أربعة وثم تلا ذلك الخاتمة التي تضمنت النتائج التي خرجت بها الدراسة.

أولاً: المقدمة: اشتملت على: شكر وتقدير، وتحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب إختياره، وخطة البحث، والمنهج الذي سأسير عليه في الدراسة.

ثانياً: التمهيد: اشتمل على أربع مباحث:

المبحث الأول: نبذة جغرافية مبسطة لجغرافية شمال غرب شبه الجزيرة العربية.

المبحث الثاني: القبائل العربية القاطنة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية.

المبحث الثالث: نظرة العرب للتجارة.

المبحث الرابع: المنتجات التجارية.

ثالثاً: الفصل الأول: النشاط التجاري البري: واشتمل على أربع مباحث وهي على الترتيب: الطرق التجارية، المراكز التجارية، القوافل التجارية، أسواق المنطقة (عكاظ ـ ملجنه ـ ذي المجاز).

الفصل الثاني: النشاط التجاري البحري: واشتمل على ملجنان وهم على الترتيب:

موانئ البحر الأحمر على ساحل شمال غرب شبه الجزيرة العربية، مدى أهمية تجارة البحر الأحمر والصراع حوله.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في شمال غرب شبه الجزيرة العربية والتجارة الدولية: واشتمل على ثلاث مباحث: قبيلة قريش ونشاطها، النشاط التجاري لدول شمال غرب شبه الجزيرة العربية، حملة إيليوس جاللوس عام ٢٤ق.م.

الفصل الرابع: النشاط التجاري وأثره على المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية: واشتمل على ثلاث مباحث: معرفة الكتابة، الإيلاف، المعاملات التجارية.

رابعاً: الخاتمة واشتملت على النتائج والتوصيات. ويمكن أن أجمل أهمها في النقاط التالية:

١) اتضح أن النشاط التجاري في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ممتد في جذوره في فترات تاريخية إلى الألف الأول قبل الميلاد.
٢) ساعد الموقع الجغرافي والقبائل العربية القاطنة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، والتي اتضح وكأنها ولايات ترتبط بشيء من المركزية مع مكة المكرمة، حيث استطاعت في خضم الصراع الدولي على شبه الجزيرة العربية أن تجمع كلمتها وتلزم الحياد.
٣) ومن ثم نالت حرفة التجارة مكانة مرموقة عند العرب القدامى، فنظروا إليها نظرة كريمة.
٤) ومن ثم خلص إلى أن منتجات جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كانت الأشهر والأكثر رواجاً في الأسواق التجارية الداخلية والخارجية.
٥) لعبت الطرق والقوافل التجارية دوراً بارزاً في النشاط التجاري والتفاعل الحضاري بين مراكز الحضارات القديمة.
٦) كما سيطر العرب على الطرق التجارية والتي كانت من أهم المحاور لنشاطهم التجاري وعلاقاتهم مع المناطق المجاورة لهم.
٧) إحتلت مكة المكرمة موقعاً على إحدى أهم الطرق التجارية بشبه الجزيرة العربية لتجارة الشرق وتنبه لها التجار وقادة القوافل وفطنت لخطورة موقعها الدول منذ أزمنة قديمة.
٨) لم يكن مرور التجارة ممكناً لولا موافقة المكيين الذين طافوا في البلاد وأقاموا الاتصال السياسي والتجاري بمسؤولي البلاد المجاورة، والذي عرف بالإيلاف.
٩) توصلت إلى الرأي الراجح حول الهجرة الحقيقية لليهود إلى يثرب وغيرها في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، أنها كانت بعد أن قام الرومان مرتان الأولى عام ٧٠م على يد تيتوس والثانية عام ١٣٥م، حيث قام هادريان بمذبحة ختمت مصير اليهود في فلسطين.
١٠) توصلت إلى أكثرية الآراء التي تثبت الأل العربي البدوي للأحابيش مع ما لا يمنع أن يكون لدى عدد من تجار مكة عبيد من أصل أفريقي.
١١) وبعد عرض الآراء التي تحدد موقع سوق عكاظ خرجت برأي عبدالله بن خميس في تحديد موقعه.
١٢) ومن دراسة موانئ شمال غرب شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر وناقشت محاولة تحديد ميناء لويكي كومي، الذي جاء ذكره عند استرابون في حديثه عن حملة إيليوس جاللوسي، فتوصلت إلى الرأي الأرجح الذي يرى أن ميناء الوجه الحالي هو في الغالب الميناء المسمى لويكي كومي.
١٣) كما أن البحر الأحمر كان وما زال محط أنظار العالم، فكل ما دار ويدور حوله من صراع من أجل السيطرة وفرض النفوذ.
١٤) كانت للمعينيون والسينويون علاقات على وجه الخصوص مع العراق القديم ابتداء من أواخر النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد.
١٥) كما توصلت إلى أن التأثيرات الحضارية تنتقل عن طريق الاتصالات التجارية وخاصة بين اللحيانيين وفلسطين.
١٦) سيطر الأنباط على الطرق التجارية والنشاط التجاري وذلك من خلال الآثار النبطية على طول المنطقة الممتدة من ينبع البحر وحتى خليج العقبة وفي غيرها.
١٧) ومن عرض حملة ايليوس جاللوس وتقريره الرسمي لخديعة سلي، فهو ليس مسؤولا عن ذلك، وإنما المسؤول هو الامبراطورية الرومانية ذاتها.
١٨) أدرك العرب أهمية الكتابة بالنسبة إلى حياتهم وأن هذا الاهتمام يمتد إلى مرحلة تاريخية عميقة ولكن برزت أخيرا من خلال النشاط التجاري.
١٩) وبعد الدراسة المستفيضة للإيلاف وخلصت إلى الآثار الاجتماعية والسياسية.
٢٠) أخيرا أكدت معظم الدراسات أن تجار شمال غرب شبه الجزيرة العربية وخصوصا بمكة المكرمة كانوا يتميزون بخبرة كبيرة في مجال التعامل التجاري.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه القادر على ذلك وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالبة
نجوى محمد محمد اكرام

المشرف
أ.د. أحمد محمود حسين صابون

رئيس قسم الدراسات العليا
أ.د. يوسف بن علي الثقفي

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
أ.د. محمد بن علي العقلا

ومادي لتسهيل دراستي في جميع المراحل بها حتى كتبت هذا الشـــكر والتقديـــر فـــي رسالتي للماجستير ..

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأجعل اللهم دراســـــتي وحيـــاتي التعليميـــة خالصة لوجهك الكريم ، ووفقني اللهم لكل خير هو لك رضا ولي فيه صـــلاح ، إنـــك أنت السميع المجيب ..

الباحثة

المقدمة ..

الحمد لله العلي الكبير العليم القدير العزيز الغفور القادر ، فكل عسير عليه يسير ، وهو المولى النصير فنعم المولى ونعم النصير . يسبح له ما في السماوات وما في الأرض وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جلّ عن الشبيه والنظير ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وأنصحهم لأمته وأقربهم إليه وسيلة وأوسعهم عنده شفاعة ، وجعله أخر دعوى أهل ثوابه الذين هداهم علي يديه ، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع المؤمنين عليه وسلم تسليماً كثيراً ..

عاش العرب في شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام ، بصفة عامة ، وفي شمال غربها بصفة خاصة ، في قبائل متفرقة ومجتمعات متباينة ، فهناك المجتمع الرعوي ، وهناك المجتمع الزراعي ، وهناك المجتمع التجاري ، ولقد شهدت مجتمعات شمال غرب شبه الجزيرة العربية نشاطاً تجارياً مزدهراً ، عبر الفترة الزمنية - بوجه الخصوص - من بدايات الألف الأول قبل الميلاد حتى ظهور الإسلام ، وقد تعددت وتنوعت مظاهر هذا النشاط ، وذلك فيما بين اتصالات تجارية داخلية تمت بين مناطقها ومجتمعاتها ، عبر شبكة واسعة من الطرق والقوافل التجارية . هذا بجانب نشاط تجاري آخر خارجي .

ومما لا شك فيه أن مثل تلك الاتصالات التجارية أدت إلى التأثير والتأثر بين الحضارات .

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو النشاط التجاري الذي مارسته المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة في عصر ما قبل الإسلام ومدى نجاحهم في هذا المجال ، وما صاحب ذلك من أعراف تجارية وازدهار ورخاء اقتصادي ، وعادات في البيع والشراء وغير ذلك من الأمور المرتبطة بهذا النشاط وأثرها على هذه المجتمعات ، والتي ظلت التجارة تلعب هذا الدور الرئيسي والهام في حياتهم في تلك الفترة التاريخية .

والواقع أن دراسة النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في عصر ما قبل الإسلام له من الأهمية التاريخية والفكرية والمادية الشيء الكثير ، حيث ستحاول الدراسة الوقوف على الأنشطة التجارية ومدى أثرها الفكري والمادي المختلف على المجتمعات التي عاشت في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام، بالإضافة إلى الدول والمناطق المجاورة لهما ، أكدت الدراسات التاريخية والحضارية المختلفة .

وتعد منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية بموقعها الجغرافي المميز ، لها مكانة عالية وعالمية في مجال النشاط التجاري في تلك الفترة التاريخية ، حيث كان للمراكز التجارية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية علاقات تجارية متبادلة مع المراكز التجارية الأخرى في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

وكما واكب تلك العلاقات التجارية تبادل السلع المتنوعة ، التي لاقت رواجا ملحوظاً ، وكما واكب ، أيضاً ، انتقال عناصر الحضارات ، التي تنتمي إليها تلك المراكز ، مما ساعد على تطور مجتمعاتها وازدهارها .

حظيت بمرور أهم الطرق والمسالك التجارية البرية وكذلك المراكز التجارية المعروفة آنذاك ، والذي استمرت تلك الأهمية حتى العصر الإسلامي المضيء ، فجاء القرآن الكريم مذكراً (قريشا) بتلك الميزة العظمى التي وردت في سورة قريش .

والمعروف بالإيلاف ، الذي تطور على صعيدين : أولهما ، صعيد خارجي يختص بتسلم العرب أزمَّة الطرق التجارية والمارة عبر ديارهم واستعادة العرب لدور الوساطة التجارية . وثانيهما ، صعيد داخلي يختص بالتطور السياسي والثقافي والفكري والاجتماعي .

ومن ثم تسلمت قريش ومدينتها مكة المكرمة ، أزمَّة تنظيم التجارة الدولية بين الجنوب والشرق وبين الشمال والمغرب ، وكانت تحتاج من أجل بلوغ غايتها هذه إلى جمع جهة القبائل العربية الراغبة في استثمار أموالها في هذه التجارة ، وإلى تحييد القبائل التي قد ترغب في الإغارة على القوافل التجارية ، كذلك كانت تحتاج إلى دعم زعامتها السياسية والاقتصادية بالوسائل المتاحة .

بالإضافة إلى أنها حظيت بموقع تجاري ممتاز جعلها حلقة وصل بين مناطق بين مناطق آسيا وأوروبا وأفريقيا القريبة منها ، فكانت معبرا وجسرا للتجارة الدولية من ذلك الزمن ، ففي شمالها ترتبط بالدولتين الكبرتين ، الفرس والروم ، وجنوبها تقع بين الحبشة والهند .

فضلا عن ما قام في شمال ووسط وجنوب شبه الجزيرة العربية من دول ومراكز ومحطات تجارية تربط بحارها بعضها ببعض وشمالها بجنوبها .

إن التجارة الدولية ظهرت لدى العرب قبل الإسلام وأهلهم لهذه المهمة موقع بلادهم وخصائص الجمل ونوع السلع ، التي كان يحتاج إليها عالم البحر المتوسط ، وبذلك شهدت شبه الجزيرة العربية بصفة عامة وشمالها الغربي ، بصفة خاصة ، نهضة ونشاطا تجاريا كبيرا عندما كانت هي المنطقة الوحيدة والعالمية الموصلة بين أقطار الشرق والغرب ، وكانت قوافلها البرية هي الوسيلة الأولى لنقل السلع والبضائع التجارية إلى تلك الأقطار .

كما كان البحر الأحمر من أهم الطرق التجارية وأقدمها ، ولوحظ قيام مناطق حضارية وثغور تجارية وازدهارها على ساحل البحر الأحمر ، في شبه الجزيرة العربية أدت إلى صراع دولي بين الدول الكبرى ذات المصلحة في تجارة المنتجات من البخور والعطور وخلافه ، والتي عدت مواد استراتيجية بمقاييس عصرها .

كذلك لوحظ أنه في الفترات التي يدور فيها صراعات بين الإمبراطوريات والقوى الكبرى يتأثر بذلك النشاط التجاري للأسوأ والأصلح ، والواقع أن منطقة دراستنا تأثرت من تلك الصراعات والأزمات التاريخية ، مما يتوجب علينا أن نربط بين مراحل الازدهار الحضاري في شبه الجزيرة العربية ومراحل الصراع الدولي من أجل السيطرة على البحر الأحمر . فحملة ايليوس جاللوس التي كانت عام ٢٤ ق.م . كان هدفها الظاهري إخضاع العرب لنفوذ الرومان أو التوصل إلى اتفاق معهم ، في حين أن الهدف الحقيقي كان ضمان أمن الطرق التجارية مع شبه الجزيرة العربية مصدر السلع الثمينة التي عرفتها روما عن طريق مصر والإسكندرية .

ولما كان النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية يعتمد إلى حد كبير على وجود قوى كبرى خارجية مهتمة بحركة التجارة ، وقادرة على فرض السلام فيه ،

والسيطرة على مداخله ومخارجه ، فإن تاريخ شبه الجزيرة العربية كان يتأثر دائما بالصراع الدولي من قبل القوى الكبرى الخارجية ، ومن ثم فقد تأثر النشاط التجاري بالمنطقة - موضوع دراستنا - مع التجارة الدولية بالعديد من العوامل .

ولما أدركت الدارسة أن النشاط التجاري ، السابق الذكر ، يحتاج إلى دراسة تتبع الأسلوب العلمي ومنهج البحث التاريخي السليم والذي يعتمد أساسا على المصادر التاريخية بالدرجة الأولى لاستكمال جانب هام من جوانب الدراسات التاريخية والحضارية للمنطقة ، على الرغم من أن الحقبة التاريخية موضوع الرسالة تشح فيها المصادر ، خاصة في العقود الأولى من الألف الأول قبل الميلاد ، ومع ذلك فهي حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العرب القديم .

ومع ذلك ما هو إلا محاولة لدراسة جزء بسيط من تاريخ وحضارة شمال غرب شبه الجزيرة العربية بخاصة ، وشبه الجزيرة العربية بعامة ، ومن ثم كان اختيار هذا الموضوع عن : (**النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام - دراسة تاريخية وحضارية** -) .

ولقد اتبعت الدارسة منهجا بحثيا يقوم على أساس من تقسيم الرسالة إلى فصول أربعة يسبقها مقدمة وتمهيد وثم تلا ذلك الخاتمة التي تضمنت النتائج التي خرجت بها الدارسة .

مقدمة تناولت أهمية الموضوع وأسباب اختياره مع عرض لأهم المصادر والمراجع .

أما التمهيد فقد عرضت الدارسة نقاط بحث التمهيد حيث عرضت (أولا) نبذة جغرافية مبسطة لجغرافية شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

ثم (ثانيا) القبائل العربية القاطنة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث عرضت وناقشت مسميات ومواضع انتشار هذه القبائل ، التي تمثلت فيها مجتمعات شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وبالتالي رأت الدارسة الاستغناء عن موضوع الانتشار القبلي في الفصل الرابع حسب خطة البحث ، لأن في ذلك تكرار .

كما أن (ثالثا) نظرة العرب للتجارة ، عرضت وجهة النظر للعرب القدامى

نحـــو النشـــاط التجاري والتي اعتبرتها من أشرف المهن ، بالإضافة إلى (رابعـــاً) المنتجات التجاريـــة ، حيث قمت بعرض دراسي للمنتجات والسلع المهمة .

في الفصل الأول ، تناولت الدارسة : النشاط التجاري البري وذلك في النقـــاط التالية :

أولاً : الطرق التجارية .

ثانياً : المراكز التجارية .

ثالثاً : القوافل التجارية .

رابعاً : الأسواق التجارية : عكاظ - مجنة - ذو المجاز .

أما في الفصل الثاني الذي يتمثل في : النشاط التجاري البحري .

قامت الدارسة (أولاً) بعرض لموانئ البحر الأحمر على ساحل شمال غـــرب شبه الجزيرة العربية .

كما ناقشت موقع ميناء لويكي كومي ، الذي ذكره سترابو في حديثه عن حملـــة ايليوس جاللوس .

ثم (ثانيا) ناقشت مدى أهمية تجارة البحر الأحمر والصراع حوله .

أما في الفصل الثالث : النشاط التجاري في شمال غرب شبه الجزيرة العربيـــة والتجارة الدولية .

فقد جمعت الدارسة ما بين (أولا) التجارة العربية قبـــل قريـــش ، و(ثالثـــا) النشـــاط التجـــاري لـــدول شمـــال غـــرب شبـــه الجزيـــرة العربية ، وبالإضافة إلى (خامسا) من الفصل الرابع ، وذلك لتستقيم دراسة موضوع البحث من حيـــث عـــدم التعارض والتكرار في هذه النقاط الثلاث ، والتي اكتفت الدارسة بالحديث عنـــهم فـــي النقطة الثالثة .

أما في الفصل الثالث – كما سيأتي – .

أما (ثانيا) قبيلة قريش ونشاطها التجاري .

فقد قمت بعرض لمسمى قريش ووضعـــها الاجتمـــاعي والسياســـي ونشـــاطها التجاري .

وكما أوضحت ، سابقا ، أن (ثالثا) : النشاط التجاري لدول شمال غرب شـــبه

الجزيرة العربية ، فقد قمت بعرض لتواجد المعينيين والسبئيين من خلال النشاط التجاري في منطقة موضوع الرسالة وكذلك الأنباط واللحيانيون والغساسنة .

ثم أخيراً (رابعاً) : حملة ايليوس جاللوس عام ٢٤ ق.م .

فقد عرضت - من خلال مصدر جغرافية سترابو ، حيث ذكر هذه الحملة - موقع نزولها شبه الجزيرة العربية واعتمادها على الوزير النبطي ثم خط سيرها وفشلها وعودتها إلى مصر والنتائج المترتبة على هذه الحملة . كما عرضت سبقا لها الحملات التي شنها البطالمة على شبه الجزيرة العربية ، ثم ما تلاها من حملة أخرى .

أما الفصل الرابع : النشاط التجاري وأثره على المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

فقد ذكرت (أولاً) معرفة الكتابة .

ولما كانت الكتابة بوجه عام أعظم الإنجازات الإنسانية الفكرية والتشكيلية عبر العصور ، ولما كان العرب القدامى قد عرفوا الكتابة فان ذلك يرجع بالضرورة إلى نشاطهم التجاري ، الذي أثر في التطور الفكري من حيث معرفة الكتابة ، وتطورها .

أما (ثانياً) الإيلاف .

فقد ناقشت الدراسة مسمى الإيلاف ، ومتى قام الإيلاف ، وظاهرة وسياسة الإيلاف . ومنه يتضح أن الإيلاف قد اعتمد بالدرجة الأولى على خبرة القرشيين بالطبائع البدوية وتأليفها ، بأساليب تحمل البدوي على التخلي عن كثير من الطبائع المكتسبة .

ثم أخيراً (ثالثاً) : المعاملات التجارية .

لقد مهر العرب ، خصوصا القرشيون ، بالأعمال التجارية ، وعرفوا أساليب الوساطة والمضاربة والسمسرة والمقايضة والتأمين وتداينوا بالربا الفاحش . ولقد عرض أنواع البيوع والمعاملات التجارية .

أما الخاتمة ، فقد تضمنت النتائج التي توصلت إليها الدارسة من خلال موضوع الرسالة .

عرض لأهم المصادر والمراجع :

فلقد اعتمدت الدارسة على منهج البحث التاريخي ، الذي يقوم على استقصاء الحقائق والوقائع التاريخية وتحليلها لاستخلاص النتائج المرجوة ، وعلى أسلوب العرض والمقارنة ونقد المصادر واستخدام المصادر العربية الإسلامية والأثرية والأجنبية المختلفة . إذ أن لتلك المصادر أهمية بارزة في دعم موضوع الرسالة ، لأنها تعد من الحقائق التاريخية المحايدة ، مما يجعل منها مرتكزا هاما لاستخلاص النتائج ، بالقدر الذي تيسر لها .

وفيما يلي عرض لأهم المصادر والمراجع :

تضمنت المصادر العربية الإسلامية ، والتي يأتي في طليعتها القرآن الكريم . ويحفز الباحثين على اتخاذ القرآن الكريم مصدرا في هذا الصدد ، يليه الحديث الشريف. كما أن التفاسير تعد مستودع ما تجمع لدى المسلمين في العصور الأولى من تفسيرات تاريخية ومن أسباب نزول الآيات ، وكذلك سيرة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لابن هشام ، الذي استطاع تدقيق وتحقيق بعض ما وصله عن ابن إسحاق ، وإظهاره في صورة أفضل .

وفيما عدا ذلك تتفاوت قيمة المصادر العربية الإسلامية ، ويتصدرها كتابا محمد بن حبيب البغدادي : " المحبر " و " المنمق " ، و " أخبار مكة " للأزرقي ، وكتاب الطبري المعروف بـ " تاريخ الرسل والملوك " ، والذي يعتبر حجة في التاريخ الإسلامي بشكل عام ، وبتعرضه للأحداث التاريخية السابقة للإسلام ، وكذلك ابن الأثير وكتابه " الكامل في التاريخ " ، الذي يرى فيه الكثير من الباحثين ، أنه جاء مكملا وملحقا لكتاب الطبري السابق ذكره .

وكذا تاريخ ابن خلدون ، الذي نقد في مقدمته الشهيرة معظم ما دونه الاخباريون المسلمون ، والذي يعد بحق رائدا في مجال النقد التاريخي .

والهمداني ، الذي يعتبر رائد المتخصصين العرب في تدوين تاريخ العرب قبل الإسلام ، ومن أشهر كتبه " صفة جزيرة العرب " ، والذي يعتبر أشمل كتاب تاريخي وجغرافي لمدن ومواقع شبه الجزيرة العربية ، وكذلك كتابه الإكليل . أما المسعودي

وكتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر " ، الذي يعتبر من المصـــادر الأساســية فـــي التاريخ العربي القديم ، ويتميز المسعودي بروح المشاهد ، التي كانت تبرز في معظـــم ما دونه من أخبار . كما أن ابن حزم الأندلسي وكتابه " جمهرة أنساب العـــــرب " ، وكذلك القلقشندي وكتابه " نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب " ويتميز هذان الكتابان في معرفة إبراز الخصائص المتميزة لبلاد شبه الجزيرة العربية فيما يتعلـــق بأســماء ومواقع القبائل العربية المختلفة . هذا بالإضافة إلى بعض المصادر العربية الإســـلامية الأخرى . وينبغي الإشارة إلى مدى الاستفادة من المعاجم اللغوية مثل لســـان العـــرب لابن منظور ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، وتاج العروس للزبيدي ، وكما يعتـــبر الشعر الجاهلي من أهم مصادر التاريخ العربي القديم .

لقد استخف بعض الباحثين هذه المصادر لما وجدوا في روايـــات الإخبـــاريين الإسلاميين من تناقضات واضطراب في التواريخ ، فجنح بعضهم إلى لفـــظ كـــل مـــا جاءت به المصادر العربية الإسلامية ، وكأنها جميعا غير ذات قيمة . إلا أن جهودا فذة في مسار الأبحاث ، أثبتت بعد طول عناء ، أن المصادر العربية الإســـــلامية ، مثـــل غيرها ، متفاوتة القيمة والدقة ، فمنها ما يستحق أن يؤخذ به ، ومنـــها مـــا يســـتوجب الحذر .

وقـــد أمكن لعدد من ذوي العلم والإنصاف والجلد أن يصلوا إلى نتـــائج مفيـــدة جدا ، من خلال نقـــد المصادر العربية الإسلامية واصطفاء الجيد منها ، وهو وافـــر ، ومقارنته بالمصادر الأخرى الجديرة بالثقة . وقد أمكن بذلك استكمال ملامح الكثير مـــن الحوادث التاريخية ، على نحو لم يكن ممكنا لو اكتفى بقطاع وأهمل قطاع .

وبالنسبة للمصادر الأثرية ، فهي لا تقل أهمية عن المصادر العربية الإسلامية ، نظرا لقيمتها التاريخية ، ومعاصرتها ، ودقة تفصيلاتها في وصف الأحـــداث ، ومـــن أهمها ما عثر عليه الأثريون من دلائل أثرية ونصية ، تشكل في معظمها شواهد حيـــة على تلك الفترات الحضارية ، في تاريخ أي شعب من الشعوب القديمة ، ومن ضمنـــها مجتمعات شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وتعد ذات قيمة تاريخية متقدمـــــة لكـــل باحث في تاريخ شبه الجزيرة العربية.

اعتمدت الدارسة على العديد من نتائج التنقيبات العلمية الأثرية ، التي أظـــهرت نتائجها في حولية الآثار العربية السعودية " الأطلال " كما اعتمدت الدارسة فـــي هـــذا الصدد إلى عدة مصادر متفرقة منها :

Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyira and Babylonia, 2Vols., Chicago, 1926-1927 .

والذي جمع فيه الكثير من النصوص الآشورية والبابلية الكلدية ، والتي تخـــص ملوك تلك الدولتين . ومن الجدير بالذكر ، أن معظم تلـــك النصـــوص ، التـــي قـــام Luckenbill بترجمتها ، تفتقر إلى الشروح والإيضاحات إلا القليل ، وقد جعلها فـــي صور ومقاطع منفصلة مرقمة ، كما يلاحظ اهتمامه بالعصر الآشوري علـــى البـــابلي الكلدي ، حتى أنه لم يشر إلى الملك البابلي الكلدي نبونيـــد ، (لوفاتـــه قبـــل إكمـــال ترجمـــة النصوص) ، ويلاحظ أنه قد تفرد في ترجمة بعض النصـــوص ، أو إعـــادة ترجمتها مرة أخرى ، وأضاف إليها ، كما يتضح ذلك من المصدر الثاني الذي اعتمدت عليه الدارسة وهو ترجمة

Oppenheim, A.L., " Babylonian and Assyrian Historical Texts ", ANET .

والتي وجدت فيها الدارسة دراسة جادة لنصوص أحداث تلك الفترة ، موضـــوع الرسالة . وتأتي أهمية هذا المصدر لكونه الأحدث إصـــدارا ، حيـــث ضـــم معظـــم النصوص التاريخية للعراق القديم وما يتعلق بشبه الجزيرة العربية القديمة ، بالإضافـــة إلى تذييل النصوص بهوامش تضمنت شروحا لتحديد بعض المواقع والأسماء الغريبـــة والشاذة وتفسير للكلمات الغامضة ، وأحال القارئ إلى المصادر والمراجع والمقـــالات المتخصصة لتفسير بعض الشروح الغامضة أو للإطلاع على مزيـــدا مـــن الأبحـــاث المتخصصة .

كمـــا تعد الأبحاث التي تضمنتها دراسات عن تاريخ الجزيـــرة العربيـــة قبـــل الإسلام ، بجزأين ، تحت إشراف أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، وكان للأبحاث هذه أهميتها خلال فترة الرسالة .

بالإضافة إلى العديد من الأبحاث والمراجع العربيـــة المترجمـــة والأجنبيـــة ، وأخص بالذكر كتاب : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإســـلام " ، لجـــواد علـــي ، بأجزائه ، والتي تعد منهلا لمقدار كبير من المعلومات الضرورية للبحث ، فأرشـــدت إلى عدد من المصادر والمراجع والأبحاث والمقالات ، ومن ثم يعد على قمة المراجـــع العربية المتخصصة في تاريخ العرب قبل الإسلام .

هذا بجانب كتاب : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، لسعيد الأفغاني يعـــد من المراجع الرئيسية ، التي أظهرت اهتماما ملحوظا بشبه الجزيرة العربية ، ولا سيما أجزائها الشمالية الغربية فيما يتعلق بالعديد مـــن المواضيـــع المتنوعـــة ، كالمنتجـــات والنشاطات والأسواق التجارية .

التمهيد

أولا : جغرافية شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

ثانيا : القبائل العربية القاطنة شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

ثالثا : نظرة العرب للتجارة .

رابعا : المنتجات التجارية العربية .

أولاً : جغرافية شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

- تهامة .
- الحجاز .

جغرافية شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

تقع شبه الجزيرة العربية في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا ، بين خطي عرض ١٢ً ، ٣٢ْ شمالاً ، ٣٠ً ، ١٢ْ جنوباً ، أي أنها تمتد عشرين درجة من درجات العرض ، كما أنها تمتد بين خطي الطول ٤٠ً ، ٣٤ْ ، ٤٠ً ، ٥٨ْ شرقاً ، وبذا يصبح امتدادها من الغرب إلى الشرق أربعاً وعشرين درجة ، ومن ثم فهي تستحق بسبب الوحدة الجغرافية الواضحة التي تشكلها أن نسميها قارة [١] ، ليس في خريطة الأرض شبه جزيرة تضاهيها حجماً فهي أكبر من شبه جزيرة الهند[٢] ، إذ يبلغ متوسط عرض الجزيرة (١١٢٠كيلومتر) ومنتهى طولها (١٩٢٠كيلومتر)[٣] .

ويحد شبه الجزيرة العربية من الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب البحر العربي ، ومن الشرق خليج عمان والخليج العربي [٤]، وهكذا يبدو واضحا أن المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة فقط ، ومن ثم فقد تجاوز مؤرخو العرب وجغرافيهم المصطلح الجغرافي حين أطلقوا عليها اسم " جزيرة العرب " ، وربما كان ذلك لأن مياه البحار تحيط بها من ثلاث جهات[٥] ، ولكن عذرهم أن بادية الشام تحدها من ناحية الشمال وهي مساحة صحراوية ضخمة فاعتبروها بحرا رابعا من الرمال .

ولكن العلماء مختلفون في تعيين حدودها الشمالية فبعضهم يجعل حدها الشمالي خطا وهميا يتجه شرقا من رأس خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي ، فيكون النفوذ الشمالي من الحدود التي تفصل الهلال الخصيب عن شبه الجزيرة ، أما من الناحية الجيولوجية فإن باطن الهلال وحده لا نستطيع فصله عن شبه الجزيرة ،

---

(١) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٥٦م ، الجزء الأول ، ص٥-٧ .

(٢) فيليب حتي : تاريخ العرب ، الجزء الأول (مطول) ، ترجمة إدورد جرجي وجبرائيل جبور ، بيروت١٩٦٥، ص١٥

(٣) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة١٩٤٦ ، ص١ .

(٤) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٦٨ ، ص٣٤٦ .

(٥) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت١٩٦٤ ، ص٢٦ .

وهو جزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر شبه الجزيرة العربية [١].

وهذا الاختلاف في تعيين الحدود الشمالية لبلاد العرب وقع فيه الجغرافيون اليونانيون الأقدمون ، كما وقع فيه جغرافيو العرب أنفسهم ، وهذا راجع إلى اختلاف المناطق التي يسكنها العرب باختلاف الدول والعصور [٢].

وكما عرف العرب بلادهم باسم جزيرة العرب على الرغم من أن الماء لا يحيطها من جميع الجهات ويعلل الجغرافيون العرب – أيضا – لهذه التسمية بأن الماء يكاد يحيط بهذه البلاد ، إذا تذكرنا أن مياه الفرات تكاد تحدق تماما ببادية الشام وأن نهري الفرات ودجلة ثم شط العرب ثم الخليج العربي والمحيط الهندي ثم البحر الأحمر وخليج العقبة ثم النيل والبحر الأبيض المتوسط كل هذه تحيط بها من سائر الجهات فتجعلها أشبه بالجزيرة [٣].

ومن ناحية التضاريس فإن شبه الجزيرة العربية هضبة صحراوية واسعة مرتفعة لا يقل ارتفاع أي جزء فيها عن ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر [٤] .

سنقوم الدارسة بعرض موجز لجغرافية مناطق موضوع الدراسة .

لقد قسم الجغرافيون شمال غرب شبه الجزيرة العربية إلى قسمين :

---

(١) فيليب حتي : المرجع السابق ، ص١٦ .

(٢) منذر البكر : " بحث تأريخي في جغرافية شبه جزيرة العرب " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد التاسع ، السنة السابعة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص٣٤ .

(٣) البكري (أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، الجزء الأول ، حققه مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٧ ، وكذا .

الهمذاني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، الطبعة الثالثة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٧٤ .

(٤) حافظ وهبه : المرجع السابق ، ص٢ .

تهامة :

ورد اسم تهامة في النصوص العربية الجنوبية "تهمت " (تـــهمتم) [١] ، وقـد حاول بعض الباحثين إيجاد صلة بين هذه اللفظة وكلمة Tiamtu البابليـــة ، ومعناهـا البحر ، وكلمة تيهوم Tehom العبرية ، بينما يتجه جواد علي إلى أن الكلمة إنما ترجع إلى أصل سامي قديم له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر ، ومن ثم فهي شـــديدة الرطوبة والحرارة في الصيف ، ومن هنا سميت " تهامة " من التهم ، وهو شدة الحـــر وركود الريح[٢] ، إلا أن هناك من يرى أن السبب إنما هو تغير هوائها[٣] ، وأن التهمـة هي الأرض المتصوبة نحـــو البحـــر[٤] . وهي الأرض الممتدة من غـــــرب جبـــال السراة [٥] أو المحصورة بينها وبين البحـــر الأحمر أو الحجاز ، ويطلق عليـــها لفـظ تهامة ، وهي تبدأ من العقبة شمالا إلى عدن جنوبا ، ويقال أن تهامـــــة هـــي الناحيـــة الجنوبية من الحجاز[٦] .

---

(1) Encyclopaedia of Islam , 4 , P . 1155.

(٢) جواد علي : ١/١٧٠ وكذا .

Schrader , E . , Die Keilin Chrften und des Alte Testament , Berlin , 1903 , P . 492 .

(٣) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) : معجم البلدان الجزء الثاني ، بيروت ، ص٦٣-٦٤ وكذا .

محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعـــة الثانيـــة ، الرياض١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م ، ص١٠١ .

(٤) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب – عصر ما قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٥٢م ، ص٢١ .

(٥) السراة : قيل إن السراة الجبل الذي فيه طرف الطائف إلى أرمينيه ، السراة الجبال والأرض الحاجزة ، بيـــن تهامة واليمن ولها سعة ، وهي باليمن أقصى (أي السعه) ، وهـــو أعظـــم جبـــال العـــرب وأذكرها ؛ أقبل من ثغره اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فسمته العرب حجـــازا لأنـــه حاجز بين الغور وبين نجد ، أنظر : معجم البلدان ٣/٢٠٤-٢٠٥ .

(٦) أبو الفداء : (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل) : تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه ماك كوكين دســـلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس١٨٩٠، ص٧٨ . وكذا

الحربي (إبراهيم بن إسحاق) : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاســـر ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ١٤٠١هـــ/١٩٨١م ، ص٥٣٣ .

غير أن الأغلب هو أن يطلق لفظ تهامة على الجزء منه الواقع في حدود اليمن ، فيقال تهامة اليمن ، ويغلب إطلاق لفظ الغور[١] و " السافلة " على الجزء الشمالي منه الواقع شمال الجحفة [٢] ، وأساس التخصيص في هذه التسمية هو الارتباط بجبال السراة ، فسلسلة السراة التي تنتهي عند ذات عرق حيث تختفي النهاية الشمالية لسراة تقيف أو السراة الثالثة ، ومن ثم تنتهي معها تهامة حيث يلتقي طرفا نجد وتهامة بعد أن يختفي الحجاز الأسود الفاصل بينهما [٣].

وفي النقطة التي يختفي عندها الحجاز الأسود تبدأ سلسلة حرات الحجاز التي تتجه إلى الشمال مكونة حجاز المدينة الذي يعلو منطقة الجلس [٤] ابتداء من حد الجحفة ، ويسير ساحل تهامة موازيا لهذا الحجاز حتى إذا صادف الجحفة يلتقي هناك بحجاز المدينة (أو إقليم الحرة) وتهامة (أو الغور) أو إقليم الجلس ، وهذه النقطة التي تلتقي عندها هذه الأقاليم الثلاثة تعرف بالعرج[٥] " على طول الحجاز من حد العرج إلى السراة " [٦] .

---

(١) الغور : المنخفض من الأرض : وقال الزجاج :الغور أصله ما تداخل وما هبط ، فمن ذلك غور تهامة ، يقال للرجل قد أغار إذا دخل تهامة . أنظر : معجم البلدان ٤/٢١٦-٢١٧ .

(٢) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا على المدينة كان ميقاتهم ذو الحليفة ، وسميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، وهي الآن خراب ، وبينها وبين ساحل الجار نحو ثلاث مراحل ، وبينها وبين المدينة ست مراحل ، ، و الجحفة أول الغور من مكة في طريق المدينة ، وأول الثغر من طريق المدينة أيضا ، الجحفة . أنظر : معجم البلدان ٢/١١١ .

(٣) معجم ما استعجم ، ١/٩ .

(٤) الجلس : هو علم لكل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد ، قال ابن السكيت : جلس القوم إذا أتوا نجدا ، أنظر : معجم البلدان ٢/١٥٢ .

(٥) العرج : هي قرية جامعة في واد من نواحي الطائف إليها ينسب عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهي أول تهامة ، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً ، والعرج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، أنظر : معجم البلدان ٤/٩٨-٩٩ .

(٦) ابن الفقيه (أحمد بن محمد) : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ ، ص٢٧ .

والمنطقة التي تقع جنوب الجحفة الغور أو تهامة ، والمنطقة التي تقع إلى شمال الجحفة على ساحل البحر هي الغور فقط أي غور الجلس ، ومن ثم فقد صار ما خلف هذا الجبل في غربية إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين [١] ، وعك وكنانة إلى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وما غار من أرضها الغور ، يعرف بـ" غور تهامة " . وتهامة تجمع ذلك كله [٢] .

ولما كان الجزء الجنوبي من ساحل البحر يعرف بتهامة وكان الجزء الشمالي منه يعرف بالغور فإن الجزء الأوسط بين الاسمين فسمي تهامة وسمي الغور أيضاً [٣].

ومن هناك حدد مفهوم لفظ الحجاز فقصره على الحجاز الأسود أي جبال السراة حيث اعتبر مكة من تهامة ، فهي دون هذا الجبل ، محصورة بينه وبين البحر . وأن لفظ الحجاز الحجازيين : الأسود ، وحجاز المدينة ، حيث مكة عنده من الحجاز لأنها تقع في الهضبة المرتفعة التي ترتكز عليها جبال السراة أو الحجاز الأسود . وكذلك شأن المدينة فهي من تهامة أو الغور عند من قصر معنى الحجاز على الحجاز الأسود فقط ، وهي من الحجاز على المعنى الثاني فهي تقع فوق الهضبة الحجازية ، التي ترتكز عليها سلسلة السراة . ومن لا يعترف إلا بالحجاز الأسود قد يعتبرها كذلك من نجد لأنه قد يعتبر إقليم الجلس من نجد [٤] .

ونصوص الجغرافيين في رسم الحدود الحاجزة لجغرافية شمال غرب شبه الجزيرة العربية تكشف لنا – عن طريق تحليلها واستعراض اوجه الخلاف بينها – عن بعض من مراحل التطور في حياة شبه الجزيرة العربية ، فقد كانت هذه المراحل

---

(١) بلاد الأشعريين : الأشعر جبلان معروفان بالحجاز ، قال أبو هريرة ، رضي الله عنه ، : خيرُ الجبال أحدُ والأشعر ورقان ، وهي بين مكة والمدينة ، وقيل الأشعر جبل جُهينة ينحدر على ينبع من أعلاه بين المدينة والشام ، أنظر : معجم البلدان ، ١٩٨/١ .

(٢) معجم ما استعجم ٩/١ .

(٣) عبد المحسن الحسيني : " الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب كما تصورها المصادر العربية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلدان السادس والسابع ، ١٩٥٣/١٩٥٢ ، ص١٣٦ .

(٤) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩ ، ص٢١ .

تنعكس في أغلب الأحيان على الأعلام الجغرافية والعناصر الثابتة في حياة شبه الجزيرة العربية [١].

الحجاز :

وهو منطقة جبلية تقع غرب تهامة ، وتحاذيها من الشمال إلى الجنوب ، الحجاز ومعناه الفاصل أو الحاجز بين أقسام الجزيرة العربية ويفصل بينها . وأكد هذا الفصل والتقسيم ، حيث قال الخليل " يسمى حجازا لأنه فصل بين الغور وبين الشام ، وبين تهامة ونجد " [٢] . وقال الزبير بن بكار : سأل سليمان بن عياش السعدي لم سمي الحجاز حجازا ؟ فقال : " لأنه حجز بين تهامة ونجد " [٣] ، قال ابن الكلبي : " الحجاز ما يحجز بين تهامة والعروض وفيما بين اليمن ونجد " [٤] ، فالحجاز هو الذي يفصل بين الشام وبين الغور ، ويفصل بين تهامة والعروض ، وبين اليمن ونجد . فهو الذي فصل بين هذه الأقسام جميعا وحدد لكل منها حيزه الخاص .

غير أن البعض لم يفهم من مدلول التسمية معنى الحجز ، بل فهم منها شيئا آخر وهو الاحتجاز بمعنى شد الوسط بالحجزة أو بالحجازة ، وإلى هذا ذهب بعض من روى عنهم البكري فقال : " سمي حجازا لأنه احتجز بالجبال " [٥].

---

(١) عبد المحسن الحسيني : المرجع السابق ، ص١٣٧ .

(٢) معجم ما استعجم : ١٢/١ وكذا .

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩١٣هـ ، ص ٢٤٦ .

(٣) معجم ما استعجم : ١١/١ .

(٤) مختصر البلدان ، ص٢٧ .

(٥) معجم ما استعجم : ١١/١ .

فبلاد الحجاز قد احتجزت بالجبال أو بالبحار فسميت حجازا ، أو قد حجزت جبالها وحرارها بين نجد والسراة أو بين نجد واليمن أو بين نجد وتهامة أو بين الشام والغور فسميت لذلك حجازا [١] .

والحجاز حجازان : الحجاز الأسود ، وحجاز المدينة[٢] . وربما قصد بذلك التفريق بين الحجاز الجنوبي (جبال السراة الجنوبية) وبين (جبال الحجاز الشمالية) أما الحجاز الأسود فهو سراة ثقيف أو السراة الثالثة ، تبدأ بعد انتهاء السراتين الجنوبيتين سراة الأزد في قعر اليمن ، وسراة فهم وعدوان فيما يليها [٣].

فإذا انتهت هذه السراة الثانية عند جبل تثليث بدأت السراة الثالثة واستمرت حتى الطائف ، وعند ذلك يبدأ الحجاز الثاني حجاز المدينة . وهو سلسة من الحرات تتابع من الجنوب إلى الشمال حتى منطقة تبوك ، ولكن في منتصف المسافة بين مكة والمدينة أو ما يقرب من ذلك عند نقطة يقال لها العرج [٤] (عرض ٢٣) يبلغ ذلك الحجاز نهايته أيضا وبانتهائه ينتهي الحجازان " طول الحجاز من حد العرج إلى السراة " [٥].

وإذا انتهى الحجاز يبدأ قسم ثالث من إقليم الحجاز وإن كان يتخذ تسمية مخالفة فيعرف بالجلس ويبدأ عند عقبة العرج ويتجه إلى الشمال حتى إقليم الجناب وتبوك ،

---

(١) عبد المحسن الحسيني : المرجع السابق ، ص١١٥ .

(٢) معجم ما استعجم ١٣/١ وكذا .

عبد الله يوسف الغنيم : " إقليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة " ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م ، ص٣٦ .

(٣) مختصر البلدان ، ص٣١ .

(٤) العرج : هي قرية في واد من نواحي الطائف ، وهي أول تهامة وبينها وبين المدينة ما يقرب من مائة وأربع وعشرين كيلو متر . أنظر : معجم البلدان ٩٨/٤-٩٩ .

(٥) مختصر البلدان ، ص٢٧ .

والقسم الساحلي منه تحفه جبال هي امتداد الجبال الشـــمالية المعروفـــة ، بالشـــراة[١] والحسمة والمتصلة بجبال الشام [٢] .

أما حد الحجاز الجنوبي فيتكون من ثلاث مناطق متجاورة تمتد من الشمال إلـــى الجنوب في موازاة الساحل وهـــذه المناطق الثلاث هي : المنطقة النجدية الداخليـــة ، جبال السراة المتوسطة ، تهامة أو منطقة الساحل الخارجية .

أما بالنسبة لحد الحجاز الشمالي فقد بذلت العديد من المحاولات الحديثة لتخطيـط الحد الفاصل بين شمال الحجاز وجنوب الشام وكانت النصوص العربية القديمة عنصرا أساسيا في هذا التخطيط .

وأول هذه المحاولات قام بها Lammens وانتهى فيها إلى وضع الحدود بيـــن سوريا والحجاز في المنطقة الواقعة قريبا من واحة العلا في جنوبها [٣] .

وهذه الفكرة يراها صاحب المحاولة الثانية وهو Alois Musil فكرة لامعة لمن ينظر إليها نظرة سطحية ، ولكنها إذا بحثت على ضوء التفاصيل وجدت غير صحيحـة من وجهة النظر العلمية ، فصاحبها لم يميز بين الحدود السياسية والحدود الجغرافيـــة كما أنه لم يعر النصوص اللاتينية واليونانية أي اهتمام كما أنه لم يشـــرح النصـــوص العربية بأمانة . ويذهب Musil بعد ذلك إلى وضع الحدود الشمالية للحجاز عند السفح الجنوبي لجبال الشراة ، حيث وضع بطليموس الجغرافي الحد الشمالي لبـــلاد العـــرب السعيدة . وأن النصوص العربية رغم ما بينها من اختلافات نتجت عن تغيير الحـــدود

---

(١) الشراة : هو جبل شامخ مرتفع من دون عسفان وهو عن يسار عسفان وبه عقبة تذهب إلى ناحية الحجـــاز لمن سلك عسفان ، وهي النصف الجنوبي من المنطقة المعروفة باسم سعير الواردة ذكرها في التوراة ، والتي تقع في الجنوب والجنوب الشرقي من البحر الميت جنوب فلسطين وتمتد إلـــى البتراء ، ويرى حمد الجاسر أن الشراة هي السراة وأن الكلمة امتداد لها لفظـــا ومعنـــى وأن السين كثير ما تنطق شينا معجمة وخاصة في العبرية ، أنظر : معجم البلدان، ص٣/٣٣١ .

(٢) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ١٤٠١هـ ، ص٦٦ .

(3)Lammens , H . ; " L'Ancienne Frontiere Entre la Syria et le Hidjaz ", BIFAO, Vol . Xv, 1902,PP.69-71 .

السياسية في بعض العصور ومن ثم فإنه يستخلص منها جميعاً أن الحد الجغرافي للحجاز من ناحية الشمال هو المنحدر الجنوبي لسفح جبل الشراة كما حدده بطليموس قبل ذلك [1] . وفيما يبدو أنه قد كان للحجاز أكثر من حد واحداً ، وبعبارة أخرى أن حدود الحجاز كانت ثلاث نقاط ، تقع كل واحدة منها على رأس شعبة من الشعب الثلاثة التي تصل بين الحجاز والشام ، وأولى هذه الشعب تمتد على ساحل البحر وهي الشعبة الغربية ، والثانية ، تسير في المنخفض الرئيسي بين المدينة والعلا إلى تبوك . ومعان – وهذه الشعبة هي الشعبة الوسطى ، والشعبة الثالثة ، تسير مع الطريق الواصل بين سلسلة الواحات التي تكونها مثل خيبر وفدك وتيماء ، وهذه الشعبة هي الشعبة الشرقية .

والسبب الذي من أجله صارت الحدود الشمالية للحجاز على هذه الصورة نستطيع أن ندركه إذا تنبهنا إلى بعض الاعتبارات .

فجبال الحسمي [2] وجبال الشراة تقسم الجزء الشمالي من الحجاز إلى ثلاث مناطق تكاد تكون منفصلة ، يستقل بعضها عن بعض ، والاعتبارات المختلفة من جغرافية وسياسية واقتصادية قد دفعت نقطة الحدود في كل منطقة منها إلى مدى يختلف في كل واحدة منها عنه في الأخرى [3] .

أما عن الحد بين الحجاز ونجد فيتكون الحد الشرقي لإقليم الحجاز من سلسلة مناطق متتابعة يتلو بعضها بعضاً من الشمال إلى الجنوب وتأخذ كلما هبطنا نحو الجنوب في الاتساع والانبعاج نحو الشرق حتى يبلغ ذلك أقصاه عند الوسط تقريباً ثم يعود بعد ذلك فتضيق ويأخذ طرفاها في التجمع والالتصاق الواحد منهما إلى الآخر

---

(1) Musil , Alois.,The Northern Hegaz , New York . 1926 , P . 257 .

(٢) الحِسمْي : بالكسر ثم السكون هو أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القُرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حسمي في غربيهم ، وبين وادي القُرى والمدينة ست ليال ، أنظر : معجم البلدان ٢/٢٥٨-٢٥٩ .

(٣) عبد المحسن الحسيني : المرجع السابق ، ص١٢٣ .

حتى تبلغ أقصى الجنوب فتكون هناك أضيق ما نجدها ، وهذه السلسلة من المناطق التي تؤكد أسماؤها وأعلامها وجودها المستقل المتميز- ترسم لنا بواسطة حدودها الشرقية أو الغربية خط الحدود بين الحجاز ونجد - وذلك تبعاً للاختلاف من حيث اعتبارها في إقليم نجد أو إقليم الحجاز [1]. والفاصل ما بين الحجاز ونجد هو الحرات فما مال منها نحو الشرق والشمال الشرقي فهو من نجد وما مال منها نحو الغرب فهو من الحجاز[2] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص١٢٨ .

(٢) معجم ما استعجم ١٤/١ .

ثانياً : القبائل العربية القاطنة في شمال غـــرب شـــبه الجزيرة العربية .

القبائل العربية القاطنة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية :

يعتبر شمال غرب شبه الجزيرة العربية، من المناطق الهامة في شبه الجزيرة العربية، من الناحيتين الدينية والاقتصادية، منها على وجه الخصوص التجارة، واحتكار حركة النقل والسيطرة على الطرق الرئيسية والفرعية ، وليس من شك في أن مكة المكرمة، – ستأتي عنها دراسة مفصلة فيما بعد – أهم مواضع الحضر في الحجاز على الإطلاق، كما أنه على الرغم من وجود " بيوت العبادة "[1] في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، فإن واحدا منها لم يجتمع له ما اجتمع للحرم في مكة ، ذلك لأن مكة ملتقى القوافل التجارية، كما لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل في باديتها أو في رحلاتها، فليست في مكة دولة كدولة التبابعة في اليمن، أو المناذرة في الحيرة، أو الغساسنة في الشام، وليس من وراء أصحاب الرئاسة فيها سلطان أو ملك كسلطان الروم أو الفرس أو الأحباش. أو الإمارات والدويلات العربية المتفرقة على الشواطئ أو بين بوادي الصحراء، وإنما كانت مكة بمثابة مركز عبادة وزعامة تجارية[2]، ولا شك أن مدن الحجاز، وخاصة مكة المكرمة، كانت كجزء من شبه الجزيرة العربية، استقبلت هجرات سابقة تعدد فيها أنواع المهاجرين من عناصر بشرية تعددا لا نستطيع تعيينه، وتاريخ مكة بدءا من بني إسماعيل وحتى عهد قصي بن كلاب[3]،

---

(١) أنظر عن هذه البيوت : معجم البلدان ٢٣٨/١ ، ٤٢٧/٣ ، ٣٩٤/٤ – ٣٩٥ ، ٢٦٨/٥-٢٦٩ ، وكذا .
الكلبي : (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب) : كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م ، ص٣٨ .

(٢) عباس محمود العقاد : مطلع النور– أو طوالع البعثة المحمدية ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص١٣٤– ١٣٥ ، وكذا .
محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٩١-٤١٦ .

(٣) ابن كثير (عز الدين أبو الحسن على الشيباني) : الكامل في التاريخ ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٦٥ ، ص٢٢ ، وكذا .

غامض غموضا شديدا ، ولا يعرف حتى المؤرخين العرب كيف يملئون فـــراغ هـــذه القرون الطويلة [١] .

ولقد تركت لنا مصادر التاريخ أخبار لا تخلو من الغموض والاضطراب عـــن القبائل التي سكنت مكة وبقية بلاد الحجاز .

وعلى الرغم من أن الحجاز وخصوصا المناطق الشمالية ، قد أدى دورا تجاريـا ملحوظا ، منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، استنادا إلى دراسات بيتربار على فخـــار قرية (في أقصى الشمال الغربي للحجاز) المطلي والعائد إلى الألف الثاني قبل الميـــلاد ، والتي تظهر وجود تأثيرات مصرية ، إلا أن استمرارية الاســـتيطان البشـــري غـــير واضحة ، فقد أثبتت الدراسات أن الاستمرار السكاني الدائم والمستقر في بداية الألـــف الأول قبل الميلاد وحتى بداية التدخل الأشوري في المنطقة ، في القرن الســـابع قبـــل الميلاد (أي القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى من الألف الأول قبـــل الميـــلاد) غـــير موجـــود كليا . والواقـــع أنـــه من تلك الفتـــرة بـــــدأت القبـــائل العربيـــة بـــالتدفق والاندفاع إلى الاستقـــرار في هـــذه المناطق [٢]. **أنظر الخريطـــة رقم (١)** ، ولعـــل أقدم هـــذه القبائل ، تلك المعروفة بالعماليـــق [٣] ، حيـــث ينسبهـــم الإخباريـــون إلـــى

---

(١) أحمد محمود صابون : مكة المكرمة ، أسماؤها وتأريخها ، الإسكندرية ١٩٩٥ م ، ص٥٩-٨٤ .

(٢) سليمان بن عبد الرحمن الذييب : " الموطن الأصلي للأنباط " ، الدارة ، العـــدد الثـــاني ، الســـنة الحاديـــة والعشرون ، ١٤١٦هـــ ، ص٧٠ ، وكذا

أوفر ، روبرت ، البراهيم ، محمد ، بار ، بيتر ، المغنم ، على : " الاستكشاف الأثـــري المملكـــة العربيـــة السعودية ١٩٧٦م ، تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل " ، الأطلال ، العدد الأول ، ١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م ، ص٤١-٤٢ ، وكذا

Parr, P., L' Arabie Preislamique et son Environnement Historical et Culturel, 1989, P.42

(٣) يبالغ الإخباريون في أهمية العماليق وسعة انتشارهم بدرجة لا يمكن أن يقبلها منطـــق أو يقرهـــا عقـــل ، فيجعلونهم أمما كثيرة تفرقت في البلاد فكان منهم أهل عمان والحجاز والشام ومصر ، فضـــلا عن أهل المدينة وبنو هف وبنو مطر وبنو الزرق وسعد بن زهران ، وأهـــل نجـــد وبديـــل وراحل وغفار وتيماء ، هذا إلى جانب شعبة منهم ذهبت إلى صنعاء قبل أن تحمل الأخـــيرة اسمها هذا ، وأخيرا فقد كان منهم الجبابرة في الشام ، وهم الكنعانيون- والفراعين بمصـــر ، والأرقم ملك الحجاز بتيماء ، أنظر الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بـــن يعقـــوب) :=

" عمليق بن لاوز بن إرم بن سام بن نوح " [1] ، ويبدو أن العماليق دفعت بموجات من القبائل ، التي امتدت في بلاد الحجاز ، دون أن تقتصر على مكة فقط ، بل يثرب (المدينة المنورة) وباقي مدن الحجاز ، وأنهم قد عاثوا في الأرض فسادا [2].

ولقد تسامعت جرهم[3] بخبر تفجر بئر زمزم ، ولزوم الطير للوادي ، حيث رأت الماء ، ولما كانت جرهم تسكن على مسافة قصيرة من مكة ، فقد استأذنت لتنقل بيوتها حول البئر، وبعد ذلك تولى مضاض الجرهمي أمر الحرم بعد ذلك ، وأبناء إسماعيل مع أخوالهم لا يرون أن ينازعوهم الأمر ، لخؤولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة ألا يكون بها بغي أو قتال ، إلى أن قدمت قبائل الأزد مهاجرة من جنوب غربي شبه الجزيرة العربية ، في فترة لا نستطيع تحديدها على وجه اليقين ونازعت واحدة من هذه القبائل (خزاعة) جرهم أمر البيت في مكة[4] ، حيث انتهى أمر مكة بعد فترة إلى عمرو بن لحي الخزاعي[1] .

=الإكليل ، الجزء الأول ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص٧٤-٧٧ ، وكذا .

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الأول ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص٢٠٧ ، وكذا القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص١٤٤ ، وكذا . جواد علي : ٣٤٦/١ ، وكذا ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٧٦-١٧٧.

(١) الإكليل : ٤١٠/٢ ، وكذا . تاريخ الطبري : ٢٠٧/١ ، وكذا .

ابن قتيبه (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) : المعارف ، حققه وقدم له د . ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف القاهرة ١٩٨١م ، ص٢٧ .

(٢) ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الأعلاق النفيسة ، ليدين ١٨٩٢م ، ص٦٠-٦١ .

(٣) ينظر : الإخباريون إلى جرهم على أنهم طبقتان واحدة من العرب البائدة وكانت في مكة المكرمة ، على عهد عاد وثمود والعماليق ، ثم أبيدت بأيدي القحطانيين ، والأخرى من جرهم بن قحطان بن هود ، وقد كانوا أصهارا لإسماعيل عليه السلام ، أنظر : الإكليل ٧٨/١ ، ١٦٦ وكذا . نهاية الأرب ، ص١٩٦ ، وكذا ، المعارف ، ص٣٤ ، وكذا ، تاريخ الطبري ٢٥٦/١-٣١٤ ، وكذا ، سعد زغلول ، عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص١٢٧-١٤٩ ، وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٧٦ .

(٤) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص١٨-١٩ ، أنظر : عن خزاعة وأصولها : الفاسي (أبو الطيب=

من هذا المنطلق يتضح لنا أن مكة ، كانت هدفا رئيسيا لهجمات القبائل ، وذلك لما تتمتع به من موقع جغرافي كان سببا في أن يجعل من المدينة المقدسة عقدة تتجمع فيها القوافل ، فضلا عن السيطرة على الطرق التجارية [٢] .

ظل أمر مكة في يد عمرو بن لحي وولده مدة حكمهم حتى آل أمر مكة إلى قصي بن كلاب ، وإليه يرجع الفضل في جمع أفراد قريش المبعثرين في نواحي متعددة إلى وادي مكة، وجعل بكل بطن منهم حيا على مقربة من الكعبة ، فاستحق بذلك لقب " المجمع "[٣] . ولقد كان لهذه الهجرات البشرية أثرها في المجتمع المكي فإن قريشا [٤] في انتقالها من البداوة وحياة الظعن إلى الاستقرار والتحضر في مدينة لم تتحول بعد إلى مجتمع مدني ، بل حافظت على نظامها القبلي ، التي لم تكن سوى مرحلة أكثر نضجا في مكة ، والتي كان للجراهمة والخزاعيين دور كبير في تحضيرها وتطوير أنظمتها السياسية والاقتصادية . ولقد كان للخزاعيين دور بارز في محور التطور لزعامة مكة في بلاد الحجاز ، فقد مثلت الحقبة الخزاعية – التي كانت من أطول عهود مكة قبل الإسلام[٥] – الدور التأسيسي الأول في

= تقي الدين محمد بن أحمد) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، الجزء الثاني ، بيروت ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ، ص٧١-٨١ ، وكذا ، حسين مؤنس : تاريخ قريش ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٧٥-٧٦ .

(١) ابن الكلبي : الأصنام ، ص٨ ، وكذا . ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري) : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص٧٨ ، وكذا ، اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر) : تاريخ اليعقوبي ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٦٠م ، ص٢١١ ، وكذا المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٧٣م ، ص٢٩-٣٠ ، وكذا أحمد السباعي : المرجع السابق ، ص٢٣ ، وكذا . أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٧٧-٧٨ .

(2) Watt , W.M. , Muhammad at Mecca , Oxford , 1953 , p . 3.

(٣) محمد الطيب النجار : " أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام " مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين ، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، القاهرة ، ٢٣-٢٥ ، ربيع الأول ١٤٠٨هـ / ١٥-١٧ ، نوفمبر ، ١٩٨٧ ، ص٦٣ .

(٤) أنظر عن قريش : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص٦٩-٧٣ .

(٥) يقدرها المسعودي بثلاثمائة سنة ، أنظر : مروج الذهب ، ٣٢/٢ .

شخصية هذه الأخيرة التي تبلورت إبان الحقبة القرشية . وعلى الرغم من اشتداد المنافسة على النفوذ في مكة ، فقد صمدت خزاعة طويلا واحتفظت بالزعامة المطلقة[١] .

ولقد كان السبب في زيادة أهمية مكة وقيمتها التجارية ، إن اليمن – بعد الاحتلال الحبشي سنة ٥٢٥م – لم تنجح في سد الفراغ الذي تركته البحرية الرومية ، ربما انتقالها إلى قريش ، بعد أن قادها قصي بن كلاب إلى السلطة بصعوبة تمهيدا لذلك بالزواج من أبنة حليل بن حبشية . وحليل كان آخر من ولي البيت من خزاعة ، فرغب فيه حليل فزوجه ابنته فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، عبد العزى وعبدا[٢].

فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه ، مات حليل ، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وزعامة مكة حيث انتقلت إليه الزعامة بصورة شبه وراثية ، ومن ثم فقد عمل على جمع قومه وأذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا ، وأن يسكنوها بعد أن كانوا يسكنون أعالي الجبال ولذا أطلق عليهم الأخباريون قريش العوالي وقال لهم : " إنكم إن سكنتم الحرم وحول البيت هابتكم العرب ، ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد إخراجكم ، فقالوا له أنت سيدنا ورأينا تابع لرأيك ، فجمعهم حول البيت ولذا سمي مجمعا ، وابتدأ هو فبنى دار الندوة " [٣].

أما الطائف - المدينة القريبة من مكة – فقد كان تاريخها غامضا[٤] قبل ارتباطها بثقيف[٥] المعاصرة لقريش في مكة ، ولكن أخبارا قد لا يرقى كثيرها إلى الموضوعية ،

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت١٩٧٩ ، ، ص٣١٤.

(٢) الكامل في التاريخ ٢٢/٢.

(٣) الأزرقي (أبو الوليد أحمد بن عبد الله) : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحس، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ص١٠٩ وكذا ، شفاء الغرام ، ١١٠/٢-١١٣ ، وكذا ، عبد الكريم بن محب الدين القطبي : إعلام العلماء والأعلام ببناء المسجد الحرام ، علق عليه محمد أحمد جمال وعبد العزيز أحمد الرفاعي ، و د . عبد الله الجبوري ، الطبعة الأولى، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٤٨.

(٤) عثر الباحثون على كتابات مدونة على الصخور بالمدينة ، وفي جوامع ليست بعيدة عنها بعضها بالنبطية وبعضها بالثمودية ، وبعضها الثالث بعربية القرآن الكريم ، كما عثر على كتابات تشبه اليونانية وأخرى تشبه الخط الكوفي ، أنظر : جواد علي : ١٣٤/٤ ، وكذا

Osaman, R , Rock Inscriptions in the Hijaz , Cairo , 1948 , p . 11

(٥) المعارف ، ص ٩١ .

تشير إلى ظهورهـــا في زمن العمالقة وهناك من الإخباريين من يذهب إلى أن أسمها القديـــم " وج " نسبة إلى " وج " أخو " أجا " الذي سمي به أحد جبلي طئ ، وهما من العماليق[١].

على أن هذه المدينة ، التي استمدت قوتها المعنوية من توحيد الثقفيين لها[٢]، بعد جهود مستميته ، قدر لها أن تشغل دوراً غير ثانوي في تاريخ الحجاز ، حيـــث كـــانت منذ البدء حليفة لقريش ، على الرغم من أنه قد كان بين أهل مكـــة ، وأهـــل الطـــائف تنافس وتحاسد ، حيث حاول أهل الطائف جلب القوافل إليهم وجعل مدينتـــهم مركـــزاً للتجار يستريحون فيه ، وقد نجحوا في مشروعهم هذا بعض النجاح يوم استولى الفرس على اليمن ، وتمكنوا فيه من طرد الحبش عن العربية الجنوبية في الربع الأخير مـــن القرن السادس الميلادي[٣] ، فصارت قوافل الفرس التجارية ، ولطائم ملـــوك الحـــيرة تذهب إلى اليمن وتعود منها من طريق الطائف ، وبذلك نغصت عيـــش أهـــل مكـــة ، الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب الفجار[٤] ، التي كانت في مضمونها تهديداً للتجـــار الذين سلكوا هذا الطريق ، كما أن أهل مكة تمكنوا من التغلغل إلى الطائف ومن بســـط

---

(١) معجم البلدان ، ٤/٩-١٢ ، وكذا . الزبيدي (أبو الفيض مرتضى بن محمد) : تـــاج العـــروس الجـــزء الأول ، الكويت (بدون) ، ص١٨٤ ، وكذا معجم ما استعجم ٣/٨٨٦ .

(٢) يشير الإخباريون : إلى أن أول من سكن الطائف إنما هم العماليق ، ثم غلبهم عليها قيس بـــن عيـــلان بـــن مضر، ثم بنو عامر بن صعصعه بن معاوية بن بكر هوازن ثم أخذتها منهم ثقيـــف ، أنظـــر المعارف ، ص٩١ ، وكذا تاج العروس ، ٢/١١٠ . بينما يزعم آخرون إن الذيـــن ســـكنوا الطائف بعد العماليق ، إنما هو قوم ثمود قبل ارتحالهم إلى الحجر ووادي القرى ، فيما بيـــن الحجاز والشام ، ومن ثم فقد ربط أصحاب هذه الرواية نسب الثقفيين إلى الثموديين ، الـــذي نسبهم إلى جد أعلى هو " قيس بن منبه " الذي يجعله بعضهم من " اياد " بينما يجعله البعـــض الآخر من " هوازن " أنظر : ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : تـــاريخ ابـــن خلـــدون ، المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار الفكـــر ، بيروت ١٤٠١هـــ /١٩٨١م ، ص٢٤ وكذا ، نهاية الأرب ، ص١٨٧ ، وكذا .
Montgomery , J, A , Arabia and the Bible , Philadelphia , 1934 , p . 137.

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٨٥-٣٨٩ .

(٤) عن حرب الفجار أنظر : اليعقوبي ٢/١٥-١٦ ، وكذا شفاء الغرام ٢/١٤٨-١٥٠، ١٥٥ وكذا دراسة حديثـــة أنظر : عبد الجبار منسي العبيدي : " حروب الفجار: أسبابها ونتائجها " ، المؤرخ العربـــي ، العدد العاشر ، بغداد ١٩٧٩م ، ص١٣٤-١٤٦ .

سلطانهم عليها بإقراض سادتها أموالاً وبشراء الأراضي فبسطوا بذلك سلطانهم عليها ، وأقاموا بها أعمالاً اقتصادية خاصة ومشتركة .

وهكذا استغل أذكياء مكة هذا الوضع المهم وحولوه إلى مكان صار في حكم التابع لسادات قريش ، أو بمعنى أن ثقيف لا تلبث أن تعود إلى الاعتراف بصدارة منافستها قريش ، كحليفة لها[1] ، كما أن أسمها يقترن عادة بمكة المكرمة ، فيقال مكة من الطائف والطائف من مكة ، ومن ثم فقد تسميتا " بالقريتين " مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [2].

ويبدو أن وحدة المصالح بين القبيلتين المتحالفتين ، قد انتهت بهم إلى اقتسام النفوذ عشية الدعوة إلى الإسلام ، فكانت لقريش السيطرة المطلقة على تجارة الشام ، بينما كانت للطائف تجارة اليمن ، تتولى مراقبتها والإشراف عليها وذلك في ظل هيمنة عامة للأولى ، لم تقتصر على الطائف فقط ولكنها امتدت حينذاك إلى مختلف الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية ، ولعل الطائف كانت تتوق إلى الحد من هذه التبعية والارتباط المباشر بالاقتصاد المكي ، حيث الطبيعة هيأت لها أسباب المزاحمة مع أندادها القرشيين ، ولكن الدهاء الذي تفوقت به الشخصية الثقفية ، سقط أمام خبرة القرشين وتراثهم القديم في التجارة [3].

أما يثرب [4] ، فهي ثالث مدن الحجاز ، – ستأتي عنها دراسة مفصلة فيما بعد – ذات الأهمية ، بالإضافة إلى المراكز الثانوية المنتشرة حولها ، فأقبلت جماعات يهودية ، فاستقرت في مواضع عيون للماء ، كانت صغيرة ولكنها نمت مع الزمن بفضل من استقر فيها من اليهود وما قامت به من جهد في الزراعة والصناعة ،ومن

---

(١) جواد علي : ١٥٣/٤ ، وكذا

Lammens, H. , La Ville Arabia. Taif ' a la ville de L' Hegire , Beyrouth . 1922, p. 119

(٢) سورة الزخرف : آية : ٣١ .

(٣) رشاد محمود بغدادي : " أثر الطرق التجارية على الانتشار القبلي بالحجاز في عصر ما قبل الإسلام "، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد السابع والأربعون ، العام الجامعي ١٩٩٨/٩٧م، ص١٣٠ .

(٤) عبد المحسن الحسيني : المرجع السابق ، ص١٠١-١٠٢ .

هنا نشأت مراكز عمرانية في خيبر ووادي القرى ، ثم في فدك إلى الشمال الشرقي من خيبر في مداخل نجد[1] .

وعلى الرغم من وقوع يثرب في دائرة طرق التجارة القديمة إلى الشام فإن حظها من التجارة الخارجية كان محدودا ، إذا ما قورنت بمكة ، حيث كان يخالجها عدم الرضا إزاء احتكار الأخيرة لها ، ذلك الشعور التنافسي الذي سيطبع العلاقات المستقبلية بين المدينتين مكة ويثرب .

ويرى أحد الإخباريين [2] أن هناك قبائل يمنية هاجرت إلى الحجاز منها فخذان من جذام استقرت بعد تهودها في يثرب عند جبلين يحمل كلا من القبيلتين – النضير وقريظة – اسما لأحدهما ، وذلك دون أن يتعرض صاحب هذا الرأي للقبيلة الثالثة (القينقاع) ، التي افتتح الرسول صلى الله عليه وسلم ، معها الصراع بين الدولة الإسلامية وبني إسرائيل القاطنين في الحجاز في أعقاب معركة بدر الكبرى (٢هـ)[3]، وثمة من يذهب[4] إلى أن القبيلة الأخيرة هي نواة اليهود في يثرب "وذلك لما أسنده لأبي المنذر الشرفي قال : سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيد الله بن حنظلة العسلي ، قال : وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر ، قال : فجمعت حديثه لكثرة اتفاقه وقلة اختلافها ، قالا : بلغنا أنه لما حج موسى [5]، عليه السلام ، حج معه أناس من بني إسرائيل ، فلما كان في انصرافهم أتوا على المدينة ، فرأوا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص٨٠-٨١ .

(٢) اليعقوبي : ٢/٤٩-٥٢ .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/٨٠-٩٦ .

(٤) الأعلاق النفسية ، ص٦٠-٦١ ، وكذا ، السمهودي (نور الدين علي) : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٢٦هـ ، ص١٥٧،١٦٢ .

(٥) اختلف المؤرخون في تأريخ زمان موسى عليه السلام ، وخروج بني إسرائيل بين أن يكون على عهد أحمس الأول أو ولده أمنتحب الأول أو توت عنخ أمون أورعمسيس أومرنبتاح أو في أخريات الأسرة التاسعة عشرة أو أوائل الأسرة العشرين ، أنظر : محمد بيومي مهران : إسرائيل ، الكتاب الأول ، التاريخ ، الإسكندرية١٩٧٨م، ص٣٥١-٤٣٩ .

التوراة بأنه خاتم النبيين فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع ، ثم نزلت بعض قبائل العرب عليهم . ورأى ثالث [١] يرى أن يهود يثرب يمثلون هجرة لها خلفية سياسية ، وليست دينية ، عندما هربوا من الاضطهاد في فلسطين ، الذي بلغ ذروته في العصر الروماني في القرنين الأول والثاني الميلادي وهو الرأي الراجح .

وأياً كانت العلاقة مع الهجرة اليمنية إلى الشمال – خاصة بعد اشتداد صراع العقائد في الدولة الحميرية والاضطهاد المتبادل بين أصحابها – يستثني O'Leary بني القينقاع ، بإرجاعهم إلى اصل عربي [٢] ، كما يعتقد Lammens أن بعض اليهود في الحجاز ، لا سيما " جالية الطائف " كانت نتيجة تلك الحروب الدينية ، التي اتخذت مسرحها آنذاك في اليمن[٣] ، بعد أن فشل الملك الحميري ذي نواس[٤] في تهويد هذه الأخيرة ، الذي كان من نتائجه ما اشتهرت به نجران من الحادثة التي وقعت فيها ، حادثة تعذيب النصارى ، والمعروفة باسم " أصحاب الأخدود " [٥] وما جرت إليه من احتلال الحبشة لليمن ، مما أدى إلى إفراغ اليمن من اليهود وربما كان الاتجاه نحو الشمال ، هو الخيار الأفضل والطريق الآمن لهؤلاء الهاربين من الاضطهاد .

أما عن العلاقة بين يهود الحجاز واليمن ، فإن التساؤل يبدو شائكاً إلى حد ما ، حيث المعطيات التاريخية لا تتوفر بصورة كافية ، ولكن الفصل بين الإقليمين في تلك المرحلة من التجاذب البشري والسياسي والعقائدي ، قد لا يتفق وطبيعة تلك التطورات، التي شهدتها المنطقة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية ، منذ بدايات القرن

---

(١) تاريخ الطبري ، ٢٨٩/١ ، وكذا وفاء الوفا ١٦٠/١ .

(2) O ' Leary , De Lacy , D , Arabia Before Muhammad, London , 1927 , p . 173.

(3) Lammens , H . L, " Arabie Occidental avant Hegire, Beyrouth, 1928. p . 54.

(٤) يذهب البعض أن الملك ذو النواس ، هو البادئ بهذه الحرب ، أنظر :

Winckler, H., " Zur Alten Geschichte Yemen's und Abessiniens " , AOF , IV , 1896 , P 327 .

(٥) أنظر : دراسة عن أصحاب الأخدود : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) في بلاد العرب ، الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص٣٥٥-٣٦٩ .

السادس الميلادي [١] ، ولعل أبرز مؤشرات هذه العلاقة ، ما ورد في المحبر[٢] ، من هجرة يهودية من أرض الحجاز إلى اليمن في فترة سابقة على حملة الحبشة التي يفترض أنها اضطهدت اليهود والمتهودين ودفعت بقسم منهم ، على الأرجح ، نحو الحجاز ، حيث نزلوا في أحياء خاصة بهم في يثرب وبعض المراكز الأخرى ، أو في نطاق " جاليات " تجارية في المدن المزدهرة كالطائف ، وتجمعات زراعية في الواحات الخصبة في هذا الإقليم [٣] .

ومما يلاحظ أحد وجوه هذه العلاقة في فقدان الموقف اليهودي بعض تماسكه في يثرب من طبيعة أية جماعات مهاجرة من أوطانها بسبب ضائقات اقتصادية كالأوس والخزرج أن تتودد وتتقرب إلى يهود يثرب [٤] ، إلا أن اليهود بعد أن قطعوا التحالف فإن الوئام والائتلاف بين الطرفين بدأ يتغير ويتبدل نحو الأسوأ [٥] ، حيث يقرر البعض[٦] أن بطون الأوس والخزرج لم تصارح اليهود بالعداوة إلا بعد النكبة التي حلت باليهود في اليمن ، إذ لا يتصور أن يضطهد اليهود في الحجاز في العصر الذي كان فيه ملوك متهودون يسيطرون على اليمن ويتعصبون لدينهم ويناهضون كل من يناهضهم أو يتعدى عليهم ويؤيد ذلك أن الحجاز " الشمالية " كانت في شبه تبعية لليمن في عصر وجود حمير المتهودة وأن واحداً من الأسرة المالكة في اليمن كان يشرف على شئون الطوائف المختلفة في شمال الحجاز ومن ثم فقد بقيت البطون العربية

---

(١) رشاد محمود بغدادي : المرجع السابق ، ص١٣٣ .

(٢) ابن حبيب : (أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي) : كتاب المحبر ، حيدر أباد الدكن ١٩٤٢م ، ص٣٨٦ .

(٣) وفاء الوفا ، ١٦٢/١ ، وكذا Lammens , H . , op. cit . , p.p . 67,96

(٤) رشاد محمود بغدادي : المرجع السابق ، ص١٣٥ .

(٥) محمد رشيد العقيلي : اليهود في شبه الجزيرة العربية ، عمان ، ١٤٠١هـ /١٩٨٠م ، ص٦٠٤ .

(٦) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، القاهرة ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م ، ص٦١ ، وكذا .

Greatez , H . , The History of the Jews , 111 , Philadelphia , 1956 , p . p 67. 91 . 410 .

عصورا طويلة على موالاة ومناصرة اليهود دون أن يظهر عليهم شيء يدل على أنهم يتربصون لهم الغوائل إلى أن أخذت غسان[١] تنصب لليهود المكائد وتحرض عليهم زعماء الأوس والخزرج ليفتكوا بهم ، مما أدى إلى اختلاف الوضع الداخلي لمصلحة العرب وإفساح المجال أمامهم لتدعيم نفوذهم كقوة سياسية منافسة لهم في المدينة[٢] .

وكان من البديهي أن تنعكس سلبيات الهجرة العربية بدورها إلى موقع اليهود في الحجاز ، حيث كان لهذا الإقليم نصيب غير قليل منها ، فأسهم ذلك في ازدياد الشعور بالعزلة لدى هؤلاء والخوف على مصيرهم القلق ، والتي دفعتهم بالتالي إلى الشقاق والاقتتال[٣] .

ولذا يبدو الترجيح أن يهود اليمن ، الذين وفدوا إلى يثرب والمراكز المجاورة لها لا يؤدي حكما إلى وضوح انتمائهم الأساسي ، الذي يبقى مجرد فرضية ، بأنهم ينحدرون من خارج المنطقة ، حيث ظلوا خلافا للنصارى ، جسما غريبا عنها ، غير متطبعين بحياتها إلا بمقدار ما تفرضه المصلحة الخاصة ، كمحور لعلاقاتهم مع القبائل العربية في الحجاز [٤] ، ولعل تجربة اليهود في يثرب تعزز هذا الاتجاه ، حول انعدام التأثر أو التأثير مع الآخرين ، بحيث أدى هذا إلى افتقاد احتمالات التعايش في المجتمع الواحد فقد ظل عرب المدينة من الأوس والخزرج وثني العقيدة ، شأن القبائل العربية

---

(١) أنظر : عن الغساسنه : محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٥٦١ -٥٧٥ .

(٢) وفاء الوفا ١٦٦/١ .

(٣) لا شك في أن اليهود لم يكونوا متحدين في ميولهم السياسية والاجتماعية ، فقد كانوا في شقاق دائم ولم تظهر بينهم الألفة إلا في أيام البؤس والشدة ، كما أتحد بنو النضير وبنو قريظه في يوم بعاث ضد عدوهم من بني الخزرج ، وفي يوم بعاث كان بنو قينقاع يحاربون إلى جانب صفوف الخزرج ضد أبناء جلدتهم ، وقد بالغ اليهود في قتلهم ، ، لأن عداوة بني قينقاع لبقية اليهود قديمة ، أنظر : محمد رشيد العقيلي : المرجع السابق ، ص٦٧-٧٠ .

(4) Lammens , H . , op . cit ., p . 54 .

في الحجاز ، على الرغم من التفوق السكاني ، الذي كان لوقت غير قصير معقوداً لهؤلاء اليهود[١] .

هكذا عاش اليهود في يثرب عبر مجموعات ثلاث[٢] ، عرفت في التاريخ بالقبائل حيث كان بينها من التنافر ما شابه الصراعات القبلية لدى العرب ، ولا شك أن اختلاف نفوذهم في يثرب ، كان نتيجة حتمية لوحدتهم المضطربة واتفاقهم في تكوين جبهة سياسية متماسكة ، فهم في أكثر أمورهم كالعرب ، حيث لبسوا لباسهم وتصاهروا معهم ، فتزوج اليهود عربيات وتزوج العرب يهوديات ، ولعل كون بعض اليهود من أصل عربي ، هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات والعكس ، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود عند ظهور الإسلام هو الاختلاف في الدين ، وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد[٣] .

وكما أن يهود يثرب وبقية الحجاز الذين أقاموا بين ظهراني العرب لم يعرفوا سوى اللغة العربية لغة يتكلمونها ، لهذا كان من الضروري أن يتعلموا هذه اللغة ، وأن يعتمدوها لغة التخاطب[٤] ، حتى يمكنهم التعايش مع السكان الأصليين للمنطقة ، التي اتخذوها دار مقام لهم .

---

(١) وفاء الوفا ١٦٦/١ .

(٢) قريظه والنضير وقينقاع ، ولكن Watt يضيف إليهم قبيلة رابعة وهي ثعلبة التي لا تعدو أن تكون فرعاً من المجموعة الأولى (قريظة) ، أنظر : Watt , W.M., Muhammad at Madina ,Oxford, 1956 . , p . 96

(٣) جواد علي ٦٣٢/٦ ، وكذا

Greatz ., H ., op.cit ., p.p. 58-60 ; Watt , W.M., op . cit . p . 297 .

(٤) من المرجح أن هذه اللغة لم تنحل من رطانة عبرية ، لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تَركاً تاماً ، حيث أن اللغة العبرانية كانت لغة كتبهم وطقوسهم ومدارسهم وتخاطبهم ؛ أنظر : إسرائيل ولفنسون: المرجع السابق ، ص٢٠ ؛ وكذا . محمد عزة دروزه : تاريخ بني إسرائيل في أسفارهم ، بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص٥٠ ، ٤٣٦ .

وعلى أية حال ، فقد جاءت هذه المحاولة على هامش قضيتين أساسيتين في حياة اليهود في الحجاز : الأولى ، مرتبطة بالولاء المصلحي المطلق ، الذي ألغى دور القبيلة كنظام يتعارض والنزعة الفردية المتحكمة في سلوكه الاجتماعي والاقتصادي ، والثانية يحركها الشعور الدائم بالخطر ، حيث يعيش في محيط عربي ، للقبيلة فيه نظامها الجماعي ، وقرارها الإلزامي من حيث المبدأ ولعل ذلك كان وراء النمط الحياتي الخاص الذي فرضه اليهود على أنفسهم ، وفي الحجاز بصفة عامة ويثرب بصفة خاصة وانعكس على مظاهر التحصين في أحيائهم المغلقة والمعروفة بالأطام[١].

إن صورة الوضع السكاني خارج المدن أقل وضوحاً ، حيث خضعت للتحرك القبلي المتذبذب حيناً ، والمتدافع حيناً آخر ، فضلاً عن أخباره المضطربة في كتب الأنساب ، التي تجعل من التتبع لمراكز هذه القبائل وبطونها وأفخاذها وعمائرها ودوائر نفوذها أمراً في غاية الصعوبة ، ولا بد أن يعيدنا ذلك إلى المنظومة التقليدية عن التصنيف المتبع في حصر أنساب العرب كلها في أصلين أساسيين قحطان ، وعدنان ، فإننا نرى القبائل كما يفهم من روايات الإخباريين كتلاً ترجع كل كتلة منها نسبها إلى جد قديم تزعم إن قبائلها انحدرت من صلبه[٢] .

ومن الواضح أن هذه الأخيرة تمثل ما يسميه علماء الأنساب بالشجرة العدنانية مقتصراً في الغالب على ذكر القبائل الكبرى الممثلة لقبائل الحجاز البدوية منها والمتحضرة على السواء [٣].

---

(١) رشاد محمود بغدادي : المرجع السابق ، ص١٣٧ .

(٢) جواد علي : ٤/٤١٤-٤٥٠ .

(٣) لعل هذا الفرز القبلي وما يتضمنه من تحديد عرقي ، لا يتوافق والنظريات السكانية الحديثة ، التي ترفض هذا الانتماء التسلسلي في وقت لم تتوقف فيه هجرة القبائل عند حد في التحرك أو النماذج مع بعضها البعض أو مع الآخرين ، ولعل الخلفية السياسية تتخذ دوراً أكثر أهمية في الانتماء القبلي ، ذلك الذي تبلور بشكل خاص في العصر الأموي ، حيث تكرس الانقسام إلى جزأين كبيرين ، الأمر الذي صرح به بعض النسابين المعروفين إن العرب ثلاثة : نزار واليمن وقضاعة ، على بعد المسافة الزمنية ، التي تجعل من هذه المسألة أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد ، أنظر : جواد علي ٤/٤٢٠ ، وكذا محمد عبد الغني سعودي : الجغرافية والمشكلات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت (بدون) ، ص٥-٥١ .

ومن ثم فإن مكة المكرمة ، استنادا إلى ذلك منطلق الحزب المنحدر من عدنان[1]، من سلسلة تنتهي بإسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ومنه كان نزار بن معد سيد بني أبيه وعظيمهم ، ومقامة بمكة ، وكان له من الولد أربعة : مضر وإياد وربيعة وأنمار[2] ، وكانت مضر محور القبائل العدنانية في الحجاز ، حيث طغت على بقية الفروع حتى اندماجها في فرع قيس بن عيلان [3] فحملت اسمه ، الذي أصبح مرادفا لهذه القبائل ومماثلا لها[4] .

إن الهدف من هذه الدراسة عن السكان في هذه اللمحة الجغرافية هو عرض فقط للمسميات القبلية ومراكز استقرارها الثابتة والمتحركة في الحجاز ، ومن ثم البحث في علاقتها مع المدن الحجازية والمصالح المشتركة بينها ، لا سيما مكة المكرمة ، فالشجرة العدنانية التي يزعم النسابون أنها ملتقى العرب الحجازيين وفروعهم ، ويكاد امتدادها التسلسلي يقتصر على مكة المكرمة ، ربما نتيجة للدور الجذري ، الذي تبوأت به كمنطلق للإسلام .

وإذا صح التكوين القبلي بتفاصيله المضطربة في مكة المكرمة فثمة تكوينات[5] ، خارج هذه المدينة لا تخضع لقانون ثابت ولا تزال موضع خلاف لدى

---

(١) يقول بعض النسابين أن عشرين آبا بين إسماعيل عليه السلام ، وحفيده عدنان وآخر يجعلهم أربعين ، أنظر: اليعقوبي ٢٢٢/١-٢٢٣ ، وكذا تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٨/٢ .

(٢) اليعقوبي ٢٢٣/١ .

(٣) يتمدد من مضر حسب رواية النسابين : إلياس المعروف بـ عيلان ، ويرى اليعقوبي أن عيلان هو ابن آخر لمضر ، أنظر : اليعقوبي ٢٢٧/١ ، أنظر عن فرع قيس عيلان بن مضر : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص٥٨-٦٦ .

(٤) يتصل إلياس بقصي زعيم قريش عبر مدركة وخزيمة وكنانة والنضر ومالك وغالب ولؤي وكعب ومره وكلاب ، أنظر: اليعقوبي ٢٢٧/١-٢٢٨، وكذا . تاريخ الطبري ٢٦٨/٢-٢٧٠ ، وكذا . جواد علي ٤٧٦/٤-٤٨١ ، وأنظر : من فرع إلياس بن مضر ، حسين مؤنس :المرجع السابق، ص٦٦-٦٩ .

(٥) ذكر البكري في معجم ما استعجم : ونزل الحجاز من العرب أسد وعبس وغطفان وفزاره ومزينة ومنهم عدوان وهذيل وخثعم ومسلول وكلاب بن ربيعه وطي وأسد ، أنظر : ١٢/١ .

المؤرخين ولعل قضاعة[١] ، والتي تنتسب إلى قضاعة بين عدنان [٢]، في رأي ، أما الآخر فيرى أن قضاعة مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير[٣] .

وعلى أية حال ، فهي من القبائل الكبيرة في الحجاز التي تجسد عملية التماوج القبلي في هذه المنطقة ، تحت ضغط المتغيرات السياسية والاقتصادية ، التي تعرضت لها في ذلك الوقت ، ويبدو أن قضاعة كانت إحدى الهجرات اليمنية المرتزقة من التجارة والدائرة في فلكها ، حيث انتشرت على طريق القوافل[٤] ، واتخذت أول مراكز نفوذها في ميناء الشعيبة حيث يستخدم أهل مكة المكرمة هذا الميناء والموانى القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال ومصر أيضا ، ومن المعروف أن قريشا لم تكن تملك سفنا في البحر الأحمر والأرجح أنهم استخدموا سفنا كانت تعمل لحسابهم[٥] ، وهذا قبل أن تمتد قضاعة شرقا إلى الحجاز ونجد وشمالا نحو الشام ، وذلك أن بعض القبائل قضاعية الأصل ، أوردها النسابون بين القبائل الحجازية وفي طليعتها بلى[٦] ، التي أقامت بجوار تيماء وجهينة[٧] .

إلى الشرق منها فقد كانت منازلها في نجد ، في الأصل ، وعند ظهور الإسلام كانت تقيم في الحجاز على مقربة من المدينة بين ساحل البحر الأحمر ووادي القرى[٨].

---

(١) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) : جمهرة أنساب العرب ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص٤٤٠-٤٦٣ ، هناك مشكلة قضاعة وحيرة النسابين في نسبتها إلى عدنان أو قحطان ربما كانت دليلا على صحة ما يقوله ابن حزم من أن قضاعة قوم من العرب متضررون بأنفسهم لا في قحطان أو عدنان ، أنظر : حسين مؤنس : المرجع السابق، ص٣٨-٤٣ .

(٢) البلاذري (أحمد بن يحي) : أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص١٥ ، وكذا . نهاية الأرب ، ص٣٥٨-٣٥٩ .

(٣) اليعقوبي ٢٠١/٢ ، وكذا جمهرة أنساب العرب ، ٤٤٠/٢ .

(٤) صورة الأرض ، ص٣٩ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل الإسلام ، الإسكندرية ١٩٦٧م ، ص٣٦٣-٣٦٤ .

(٦) بلى بن عمرو بن الحافي بن قضاعة ، أنظر : صبح الأعشى ٣١٦/١ .

(٧) جهينة بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة أنظر : صبح الأعشى ، ٣١٦/١ .

(٨) جواد علي ٤٢٥/٤-٤٣٠ .

أما الثالثة فهي عذرة [1]وتقع منازل بني عذرة في أعالي الحجاز في جوار عدد من القبائل المنتمية إلى مجموعة قضاعة ، وتقع أرضها إلى جوار غطفان ، ومن مواضعها : وادي القرى وتبوك حتى إيله ، أي أنها إقامة على الطريق التجاري البري الجنوبي – الشمالي ، حيث نجد أن عذرة لها علاقات ودية مع مكة[2] على غرار القبائل المقيمة على امتداد هذا الطريق أو بجواره ، بعد أن أصبح ذلك مصدر ارتزاقهم الرئيسي وثمة قبيلة رابعة ، وتنسب أيضا إلى قضاعة وهي كلب[3] ، التي انتشرت في جنوب الشام حتى أعالي الحجاز ، وذلك بتأثير الدوافع النفسية للتحركات القبلية ، في المنطقة، ومع الطموح إلى القيام بدور أشد خطورة ، وهو التحكم في نهاية الطريق التجاري وسوقه الكبرى في بصرى[4] ، التي يلتقي عندها خطا الحجاز والخليج[5] ، وكانت دومة الجندل[6] ، حيث مركز هذه القبيلة من أهم الأسواق التجارية بعد بصرى

---

(١) عذره بن هزيم بن زيد بن ليث بن سعود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة ، أنظر : صبح الأعشى ٣١٦/١-٣١٧ .

(٢) جواد علي ٤٣١/٤-٤٣٢ .

(٣) كلب بن وبره بن ثعلبه بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة ، أنظر : صبح الأعشى ٣١٦/١ ، وكذا نهاية الأرب ، ص٣٦٥ .

(٤) تردد ذكر بُصري في كثير من أشعار العرب في الجاهلية ، وكانت بُصري مدينة شديدة الحصانة والمنعة ، لتقود بوظيفتها كمراقب وحارس لبلاد الشام ، وكانت تؤلف المحطة التجارية الأخيرة لقوافل قريش والسوق الكبرى للغلال بالنسبة للحجاز ، كما كانت تشتهر بأسلحتها ودروعها، وكانت أسواق (بُصري) تعقد خارج أسوارها وقد قصدها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وهو صغير مع عمه أبو طالب ، أيام اشتغاله بالتجارة إلى الشام ، أنظر : ابن هشام ١٩٢/١، وكذا. السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص٣٥٨-٣٥٩ .

(٥) لويس أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ومراجعة محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص١٦ .

(٦) أدوماتو ، وفي التوراة دومة ، وفي جغرافية بطليموس Adomatho (Dumatha) أما في المصادر العربية فهي دومة الجندل ، نسبة إلى دوم (أو دومان أو دومة أو دوماء) ابن إسماعيل بن إبراهيم الخليل – عليهما السلام – وهي الآن في الجوف ، أنظر : معجم البلدان ٤٦٨/٢-٤٨٧ ، وكذا، معجم ما استعجم ٥٦٥/٢ ، وكذا ، ألويس موسل : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ١٩٥٢م ، ص٦٧.

وتميزت بأنها سوق موسمي كان يؤمها التجار للتبادل ، حيث كان التجار ينزلونها أول يوم من شهر ربيع الأول ، يتجمعون في أسواقها للبيع والشراء والتبادل[1] .

تفرعت من قضاعة قبائل سته ، هي : نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وعذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن قضاعة ، وسليم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكلب بن وبره بن تغلب بن حلوان ، وتنوخ وهو مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبره بن تغلب بن حلوان فهذه جماهير قضاعة[2] .

إن أكثرها شهرة تلك التي مر ذكرها حيث تعايش بعضها مع اليهود في وادي القرى كبني جهينة ، والأخرى امتدت على طريق الشام ، فضلاً عن مجاورته للاثنين معاً ، كبني عذرة ، والذين توغلوا في أعالي الحجاز حتى جنوبي الشام ، كبني كلب ، وهذه التكوينات القبلية سواء كانت هجرة يمنية[3] ، غير بعيدة العهد ، حيث تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم من ديارهم بسبب سيل العرم[4] ، أو أنها انتسبت إلى الشجرة العدنانية ، فيما يزعم النسابون ، ابن نزار بن معد بن عدنان ، وكان نزار يكنى أبا قضاعة [5].

وبذا يتضح أن مواقع نزول القبائل ، ربما أدى إلى كشف نمط حياتها الذي كان أقرب إلى الاستقرار منه إلى التنقل من مكان لآخر ، وهذا يعني أن مصادر عيشها ارتبط عضوياً بأنظمة مستقرة من الناحية الاقتصادية سواء في محطات ثابتة على

---

(١) جواد علي ٣٣١/٧ .

(٢) اليعقوبي : ٢٠٢/١-٢٠٣ ، وردت عند القلقشندي مع شيء من الاختلاف : بلى ، جهينة ، كلب ، عذره ، بهراء ، نهد ، جرم ، أنظر : نهاية الأرب ، ص١٧٠-١٧٢ ، ١٩٤-١٩٦ ، ٢٠٤-٢٠٦ ، ٣٢٦-٣٥٦ ، ٣٨٥-٣٨٦ .

(٣) اليعقوبي : ٢٠١/١، ٢٠٣ .

(٤) أنظر : عن سيل العرم: محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٤٧-٣٥٢ .

(٥) اليعقوبي : ٢٠٢/١ .

الطريق التجاري التقليدي ، أو في المناطق الزراعية التي أقامها اليهود في يثرب ومجاورتها[١] .

كما تعد قبيلة جذام ، التي تنسب إلى عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة ، وكانت ديارهم حوالي أيله من أول أعمال الحجاز إلى ينبع من أطراف يثرب ، وكانت لهم رياسة في معان وما حولها من أرض الشام[٢] ، وهي من القبائل اليمنية والتي كان لها تأثير في الحياة السياسية والاقتصادية بالحجاز .

أما عن القبائل العدنانية[٣] ، في الحجاز ، فهي مضر بن نزار وقيس بن عيلان[٤] ، وتتصدر بني مضر قبيلة كنانة ، التي تنسب إلى مدركة بن إياس بن مضر[٥] ، وإليها انتسبت قريش ، وتليها هذيل ، والتي تنتسب إلى مدركة بن إياس بن مضر[٦] ، والتي كانت ديارها بجبال السروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ، ولهم أماكن مياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة[٧] .

أما التي تتصدر قيس ، فهي قبيلة غطفان[٨] ، والتي تنتسب إلى سعد بن قيس بن عيلان والتي تفرعت بدورها إلى ثلاثة قبائل : أشجع وعبس وذبيان [٩] ، وتقع منازلهم شرقي خيبر وحدود الحجاز إلى جبل طيء[١٠] ، ثم انتشرت بعد تفرعها ، حيث أشجع ،

---

(١) رشاد محمود بغدادي : المرجع السابق ، ص٢٠ .

(٢) اليعقوبي : ٢٠٢/١ ، وكذا . نهاية الأرب ، ص١٩١-١٩٢ ، وكذا ، جواد علي ٤٦٢/٤-٤٦٣ .

(٣) أنظر عن نسب عدنان : المعارف ، ص٦٣ .

(٤) يرى بعض النسابين أنه ابن أخي مضر ، وآخر يجعله حفيدا له ، أنظر : اليعقوبي ٢٢٦/١-٢٢٧ ، وكذا أنساب الأشراف ٢٣/١ ، وكذا ، نهاية الأرب ، ص٣٦٦ .

(٥) تاريخ الطبري ، ٢٦٦/٢ .

(٦) نهاية الأرب ، ص٣٦٦، ٣٨٧ .

(٧) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٢٦٨ .

(٨) هي قبيلة كبيرة ومعروفة ، وهي قبيلة أخرى تسمى بـ (غطفان) كذلك ، وهي يمانية ، تنسب إلى غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام ، أنظر : جواد علي ٥٠٨/٤ .

(٩) أنساب الأشراف ٤٢/١ ، وكذا . نهاية الأرب ، ص٣٤٨ .

(١٠) جواد علي ٤٧٦/٤ .

ما بين ضواحي يثرب ، أما عبس فقد كانت إلى الشمال الغربي من أشجع ، أما القبيلة الأخيرة ، ذبيان ، فقد كانت في وادي القرى ونجد[١] ، ومنها تفرعت فزاره ، التي كانت على عداوة تقليدية مع عبس[٢] ، وتقع مواطن فزاره بنجد وبوادي القرى ثم انتشروا بعد ذلك في مواطن أخرى [٣].

وهناك من القبائل التي تنتسب إلى قيس بن عيلان ، قبيلة بنو سليم ، وهو بنو سليم بن مضر بن عكرمة بن حفصه بن قيس ، وقد كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ، حيث منازلهم حرة سليم وحرة النار ، ووادي القرى وتيماء ، وهي أرض شديدة الخصوبة ، كثيرة المعادن نظرا لطبيعتها الجيولوجية فهي عبارة عن ترسبات بركانية ، وكانوا على صلات حسنة باليهود ، كما كانوا على صلات وثيقة بقريش ، وقد تحالف معهم أشراف مكة وكبارها لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة [٤]، وينسب إلى هذه القبيلة بنو زغبة (زغب) ، وهي بطن من بهته من بنو سليم العدنانية ، وهم بنو زغب بن مالك بن بهته ، وكانت ديارهم بين الحرمين ، مكة ويثرب ، ثم انتقلوا إلى المغرب فسكنوا شمال أفريقية[٥] ، عند خروجهم مع جيوش الفتح الإسلامي . أما الثانية فقد كانت قبيلة بني هوازن ، وهي بطن من قيس عيلان العدنانية وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصه بن قيس عيلان[٦] .

---

(١) السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله) : الروض الأنف ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧١م ، ص١٢٣ .

(٢) قامت بينهما الحروب الشهيرة بـ " داحس والغبراء " ، أنظر : نهاية الأرب ، ص٤٠٥ (٣) ، وكذا جواد علي ٥١١/٤ ، وكذا . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٢٤٨ .

(٣) تشعبت فزارة إلى خمسة فروع هي : عدي ، ظالم ، شمخ ، مازن ، سعد ، وهذه الأخيرة يشير إليها جواد علي بـ مرة ، التي ينسبها القلقشندي إلى هذه القبيلة ، أنظر : نهاية الأرب ، ص٢٦١-٢٦٨، ٢٨١، ٢٩٨ ، ٣٢٢-٣٢٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٧١-٢٧٢ ، وكذا ، وفاء الوفا ، ١٩٨/١ ، وكذا ، صبح الأعشى ٣٤٥/١-٣٤٦ ، وكذا جواد علي ٥١٨/٤ .

(٥) نهاية الأرب ، ص٢٥١ ، وكذا . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٢٦٦ .

(٦) نهاية الأرب ، ص٣٩١ .

وقد تفوقت على الأولى من حيث الشهرة والكثافة في عددها ومدى انتشارها حيث أقامت في نقاط عدة متفاوتة الأهمية على تخوم نجد واليمن ، فضلا عن مركزها الرئيسي في نواحي الطائف ، ولقد أعطاها هذا الموقع الوسط على مقربة من قبائل ذات نفوذ كبير مثل قريش و ثقيف وكنانة دورا غير هامشي في الأحداث التي مرت بالحجاز ، التي سبقت الإسلام أو التي عاصرت بداياته الأولى ، فثمة أخبار عن حروب ثقيف ، حيث نجد ثقيفا تهاجم فيها في الطائف ، فتضطر عندئذ للدفاع عنها[١] ، ربما كان محورها الصراع على النفوذ في هذه المنطقة الحساسة التي وصفت بأنها قلب شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، ولكن محاولات قبيلة هوازن آلت إلى فشل وهزيمة ، وإلى اعتراف بسيادة قريش وتحالفها مع ثقيف ، ومن ثم إلى ارتباط بشبكة المصالح القرشية ، الثقفية المشتركة[٢] .

أما الأخيرة ، فقد كانت قبيلة بني عامر ، التي تنتسب إلى عامر بن هلال بن صعصعة وهم بطن من هوازن العدنانية[٣] ، ولقد ذهب رأي [٤] إلى احتمال كون بنو عامر هم (Hamirei) و (Hamirou) و (Hamirinod) وتقع منازلهم بين منازل قبائل هوزان وثقيف ، ولهم مع القبائل الأخرى حروب عديدة[٥] .

بالإضافة إلى ما سبق ، فهناك ثمة قبائل أخرى عدنانية قد لا يكون تتبعها في مراكزها المتحركة على جانب من السهولة خاصة ، وأن فروعها الرئيسية الثلاثة وهي : مضر وقيس وربيعه ، المتشعبة بدورها إلى مجموعات متداخلة حينا ومتباعدة حينا آخر وربما أفقدت القبيلة وحدتها بعد أن نأى العهد بين الأصل والفروع منها .

---

(١) الكامل في التاريخ ٥٨٨/١، وكذا ، ٢١٠/١ ، وكذا . صبح الأعشى ، ٣٤٦/١ ، وكذا . جواد علي ٥١٧/٤ .

(2) Lammens , H. , La Mecque' a la veille de l ' Hegire , Beyrouth , 1924 , p . 177 .

(٣) نهاية الأرب ، ص٣٠١ .

(٤) جواد علي ٥٢٠/٤ .

(5) Ency ., of Islam ` 1 ` 329 .

وهناك تجمعات قبلية أخرى ، اقل أهمية ، حيث كانت لها إقامة كاملة أو متفرقة على طول الحجاز وعرضه ، وعلى تخومه ، ومن هذه القبائل كانت عذره[١] ، والتي تعد من القبائل العربية الكبيرة ، ولها بطون عديدة في الحجاز ، حيث استقر نفوذها إلى جهات خيبر[٢] ، أما قبيلة عبد القيس[٣] ، فقد امتدت ما بين تهامة والبحرين عبر اليمامه ، حيث اتصلت على الأرجح بتجارة الخليج ، التي كانت تنتقل عن هذا الطريق إلى مكة الكرمة[٤].

ومن هذه القبائل كانت بكر بن وائل[٥] ، والتي انتقلت من تهامة إلى شرقي شبه الجزيرة العربية وغربي الفرات في العراق[٦] ، أما الأخرى فقد كانت بنو حنيفة[٧] ، وهي من بكر بن وائل من العدنانية ، وكانت منازلهم اليمامة التي كان من الصعب فصلها جغرافياً أو قبلياً عن إقليم الحجاز[٨] ، ولا سيما في تلك المرحلة التي يمكن تسميتها بالعصر الذهبي الأول للحجاز ، فقد توثقت عرى الاتصال وتداخلت المصالح بين مكة المكرمة ، النقطة المركزية في شبه الجزيرة العربية وبين هذه الأطراف المتشابكة معها ، سواء تهامة في الغرب ، أو اليمامة في الشرق ، ولعل ذلك يتفق مع عبارة البعض : " وديار العرب هي الحجاز التي تشتمل على مكة والمدينة واليمامة

---

(١) عذرة بن أسد بن ربيعه ، أنظر : أنساب الأشراف ١/ ٢٠ ، وكذا . جواد علي ٤٨٢/٤ .

(٢) نهاية الأرب ، ص٣٤١ .

(٣) عبد القيس بن قصي بن دعمي بن حديله بن أسد بن ربيعه بن نزار المشهورة ، أنظر : جمهرة أنساب العرب ٤٦٩/٢٠ .

(٤) نهاية الأرب ، ص٣٠٧ .

(٥) ابن قاسط بن هدب بن أقصي بن دعمي بن حديله بن أسد بن ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان ، أنظر : نهاية الأرب ، ص١٦٩ .

(٦) جواد علي ٤٨٤/٤-٤٨٧ .

(٧) ابن كليم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، أنظر : نهاية الأرب ، ص٢٢٣ .

(٨) صورة الأرض ، ص٣٨٠ .

ومخاليفها وبنجد والحجاز المتصلة بالبحرين "[١] ، وبالنسبة لقبيلة بني حنيفة ، فقد سيطرت على مرافق اليمامة الحضرية منها والبدوية ، حيث يرى فيها أحد الباحثين[٢]، أنها كانت دولة عربية أو مملكة[٣] ، وأيا ما كان الأمر ، فإن الموقع الذي نزلت به بنو حنيفة كان على جانب كبير من الأهمية ، يؤهلها لدور تجاري بارز قد لا يختلف كثيرا عن الدور الذي شغلته تدمر ، فهي من جهة تطل على تجارة الخليج العربي ، حيث يبدأ الطريق من الحجر[٤] ، ثم اليمامة مارا بمكة المكرمة[٥] .

ولقد كانت الحجر تتصل شرقا بالبحرين حيث بني تميم ، وجنوبا بأطراف اليمن والحجاز شرقا وبأرض نجد ، كما أنها كانت كلها بلاد نخل وزرع ، الأمر الذي أعطاها ذلك الطابع المتجاذب بين البداوة والاستقرار[٦] .

كما أن قبيلة بنوقيدا ، والتي بدأت في الظهور منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد ، عندما هزمهم نبوخذ نصر الثاني ، وفيما بعد أشوربانيبال ، وقد إمتدت

---

(١) ابن المجاور (يوسف بن يعقوب) : تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ، الجزء الأول ، مطبعة بريل ، لندن ١٩٥١م ، ص٣٩ .

(٢) رضوان السيد : الأمة والجماعة والسلطة ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ١٩٨٤م ، ص٢٥.

(٣) يرى البعض أنها كانت على غرار دول الأطراف (الغساسنة ، والمناذرة) وكانت لها علاقاتها بالفرس وبإمارة الحيرة اللخمية ، أنظر : سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٢٦٤ ، وكذا محمد بيومي مهراني : المرجع السابق ، ص٥٥٦-٥٩٧ .

(٤) مدائن صالح ، تقع على مبعدة ١٥ كيلو متر شمال مدينة العلا الحالية ، أنظر : عبد الرحمن الأنصاري ، " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية " ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، الرياض ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص٨١ .

(٥) جواد علي ٣٤٤/٧ .

(٦) زكريا محمد القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، تصنيف زكريا محمد القزويني ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ص١٣١ ، وكذا . خليل إسماعيل محمد : " تطور الفكر الجغرافي عند المسلمين " مجلة البلاغ ، العدد السادس ، ١٩٦٦م ، ص٤٠ ، وكذا . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص٢٦٤ .

مناطقهم من دومة الجندل شرقا حتى سواحل البحر الأحمر غربا وشمالا حتى غزه ثم داخل سيناء [١] .

وهكذا تصبح قبائل شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وكأنها ولايات ترتبط بشيء من المركزية مع مكة المكرمة ، عاصمة بلاد الحجاز المزدهرة ، دون أن تكون معزولة في خيامها البائسة ، أو على ارتحال دائم بحثا عن الكلأ والماء في الصحراء المجدبة ، لقد كانت خلافا لذلك تعيش على أبواب حضارات قديمة ، تطل عليها من نقاط وجودها شبه الدائمة والمستقرة ، أما علاقاتها بمكة المكرمة ، فلم تكن ذات مضمون احتكاري حسب اعتقاد Lammens [٢]، ولكنها ارتبطت معها بمواثيق ومعاهدات تجارية وأمنية[٣] التي كانت تعبيرا ملما عن الحاجة المتبادلة بين الطرفين ، فجميع هذه المؤشرات حبت دون ريب في أهمية الدور الذي مثلته القبائل البدوية في الحجاز وتوابعه ، ذلك الدور الذي تبلور مع حركة الفتوح الإسلامية ، حيث هؤلاء البدو ، مادة الأكثرية من الجند ، التي رافقت الطلائع المبكرة لهذه الجيوش من مسلمي المدن الحجازية[٤] .

---

(١) سليمان بن عبد الرحمن الذييب : المرجع السابق ، ص٧٧ (٢٦) .

(2) Lammens , H . , La Republique Marchande De La Mecque , Beyrouth ,1910, p.p . 52, 54 .

(٣) فقد عقدت قريش معاهدات مع أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية مع شيوخ قيس وأقيال اليمن وأمراء اليمامة وملوك غسان والحيرة ، وكانت هذه المعاهدات تسجل في صحف أو على الأديم ، أنظر : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص٣٥٩ .

(٤) خالد طه الهاشمي : " خالد بن الوليد " ، مجلة الرسالة ، العدد ٦٦ ، ١٣٣٤هـ ، ص١٦٥٤، وكذا صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٩م ، ص١٢٣ ، وكذا رشاد محمود بغدادي : المرجع السابق ، ص١٤٧ .

ثالثا : نظرة العرب للتجارة .

نظرة العرب للتجارة :

مما يجب أن يقف عليه النظر والتأمل ، أن العرب القدامى – شأنهم في ذلك شأن كثير من الشعوب التجارية ، نشيطون في عالم التجارة ، فإن المتأمل بالإشارات العارضة في صدد جدل القرآن الكريم لمشركي مكة ، ليجد فيها دلالات بعيدة على عظم ما شغلت أمور التجارة من أفكارهم وخواطرهم ، وذلك عند مثل قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]

فالمفسرون يذكرون في سبب نزول الآية أن المشركين قالوا : " لم لا يوحي إليه ربه بأثمان السلع فنشتريها حين ترخص ونبيعها حين تغلوا فتزداد أموالنا " .

لقد عبَّر العرب في الجاهلية بنشاطهم التجاري ، وقدراتهم المتواصلة في الاستمرار ، والمتابعة والمعاملة عن تمرسهم وعرافتهم في هذه الصنعة ، وقد نالت حرفة التجارة مكانة مرموقة عند العرب ، فنظروا إليها نظرة كريمة ، وتكاد تكون هي الحرفة الوحيدة ، التي لم ينظر العرب إليها أو إلى المشتغلين بها نظرة استهجان وازدراء ، بل اعتبرت عندهم من أشرف الحرف قدراً ومنزلة ، وقدموها في المراتب والمقادير على الرغم من نظرتهم المعروفة إلى بعض الحرف ، بل ونظروا إلى التاجر نظرة تقدير وإحترام ، مع أنها حرفة مثل سائر الحرف فيها من الحيل والخداع ما في أية حرفة أخرى ، كما أن فيها عملاً وجهداً ، على نحو ما في الزراعة والصناعة ، ولكنها الظروف الطبيعية التي جعلت العرب تجاراً في الغالب ، فشرفوا التجارة على غيرها من الحرف[2] .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٨٨ .

(٢) نوري حمودي علي القيسي : " الكتابة العربية وأدواتها ومجالاتها واستخدامها في العصر الجاهلي " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢٧ ، ١٩٧٩ ، ص١٦ .

وتكاد الأخبار تجمع على جعل التجارة ، محلية كانت أو خارجيـــة – هـــي الحرفـــة الرئيسية التي كان يقبل عليها المكيون ، حتى قام في الأذهان أن من لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم بشيء[١] ، ولعل ذلك ينتج عن سرعة الإثراء عن طريق التجارة بالنسبة لغيرها من الحرف .

وهكذا كان الملوك تجارا يبيعون ويشترون ، وكـــان رؤســـاء المعـــابد تجـــارا يتاجرون باسم معبدهم[٢] .

وكما أشير إلى شرف التجارة وسموا منزلتها في الحديث النبوي ، مما يدل على ما كان للتجارة من منزلة في نفوس الناس[٣] ، وبلا ريب فإن احتواء اللغة العربية على تلك المفردات الخاصة ، بالتجارة لهو دليل واضح على ممارسة العرب لهذه الحرفـــة وخدمتهم فيها ، وافتتانهم بـــها، وهو والحالة هذه ، يؤكد وجود عقلية تجارية لديهم[٤] .

ويـــورد ابن عبد ربه[٥] ، أقوالا كثيرة للعرب ، تحث على جمع المـــال ، وأن هـــذه الأقوال وغيرها تؤكد لنا شغف الناس بحب المال ، الأمر الذي يدفع إلى امتهان التجارة مـــن أجل تحقيق السعة في العيش ، والمكانة الرفيعة بين الناس ، لذا قال الشاعر[٦] :

إلى كل من يلقى من الناس فذنب ... فكل فعل حـين يغـدو لحاجـة

فلما رأوني مقـــترا مـــات حب ... وكان بنوعمي يقولون مرحبـا

---

(١) إحسان عباس : " العلاقات التجارية بين مكة والشام حتى بدايات الفتح الإسلامي " مجلة الأبحاث ، الســـنة ، ٣٨ ، ١٩٩٠م ، ص٢٦ .

(٢) جواد علي : ٧/٢٢٧-٢٢٨ .

(٣) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد أحمد) : إحياء علوم الدين ، الجزء الثاني ، مصر ١٣٠٩هـــ ، ص٥٢.

(٤) حمدان عبد المجيد الكبيسي : " أسواق العرب قبل الإسلام " ،مجلة آداب المستنصرية ، العدد الرابع ، بغـــداد ١٣٩٩هـــ / ١٩٧٩م ، ص٨٨ .

(٥) ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد بن محمد المرواني الأندلسي) العقد الفريد ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانيـة ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٢هـــ / ١٩٥٣م ، ص٣٠٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٣١٣ .

وقول الشاعر[1] :

وعلـــى الدنيـــــا رداروا	أظهـــروا للنـاس دينـــــا
ولـــــه حجـــــوا وزاروا	ولـــه صامـوا وصلـــوا
ولهـــم ريـــش لطـــاروا	لـــو بـــد أفـــوت الـــثريا

ومعلوم أن الإسلام ظهر بمكة التي كانت مركزا لتجارة نشـــطة ســـاهم فيـــها الرسول ﷺ ، ومعظم المسلمين الأوائل ، وقد قضى النبي عليه السلام ، فترة من حياته تاجرا [2]، وكان أبو بكر رضي الله عنه بزازا [3] ، وفي إحدى الروايات إنه سافر فـــي رحلة تجارية مع الرسول ﷺ ، قبل البعثة[4] ، فكسبت له تجارته ثروة تمكنه من التكفـــل بتحمل الديات في الجاهلية ، ثم تسعفه على خدمة الإسلام .

وقـــد جـــاء الإســـلام ومعـــه أربعـــون ألـــف أنفـــق أكثرها فـــــي سبيل الله وظلـــت التجارة حرفـــة له بعد إسلامـــه ، حتى إنـــه حيـــن تولـــى الخلافـــة لم ينقطـــع عن مزاولتهـــا بل كان يذهب كل يوم إلى الســـوق فيبيـــع ويبتاع[5] ثم وجد أن التجارة تمنعه من التفرغ للنظر في أمور المسلمين فترك التجـــارة واكتفى بما يعينه على العيش هو وعياله من الرواتب البسيطة التي يتقاضاها من بيت المال .

---

(١) نفسه ، الجزء الثالث ، ص١٠١ .

(٢) الجاحظ (أبو عثمان بن عمرو بن بحر) : رسائل الجاحظ ، مطبعة التقدم ، مصر ١٣٢٤هـــ ، ص١٥٧ ، وكذا . تاريخ الطبري ، ٢/١٧٧-٢٧٨ ، ٢٨٠ ،وكذا . الكامل في التاريخ ٢/٢٤-٢٥ .

(٣) بائع الحرير .

(٤) الجاحظ (أبو عثمان بن عمرو بن بحر) : البخلاء ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص١٩٣ ، وكـــذا . الثعالبي (عبد الملك بن محمد) لطائـــف المعـــارف ، دار إحياء الكتب العربيـــة ، مصـــر ١٣٧٩هـــ / ١٩٦٠م ، ص١٢٧-١٢٩ .

(٥) البيهقي (إبراهيم بن محمد) : المحاسن والمساوئ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصـــر ومطبعتها ، القاهرة ١٣٨٠هـــ/١٩٦١م ،ص١٠٣ ، وكذا . الأدب المفرد للبخـــاري : البـــاب ٤٩٢ ، المطبعة السلفية ، سنة ١٣٧٥هـــ ، ص٢٧٤ ، وكذا . المسالك والممالك لابن حوقل ، طبع ليدن ، ص١١٣.

ومن الصحابة كذلك الذين عملوا بالتجارة ، بل من الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وكانت حرفته الاتجار بالبز ومن أجل ذلك كان يتردد على الشام ، وقبيل إسلامه بفترة وجيزة نجده عائداً من الشام إلى مكة[١] ، ومنهم كذلك طلحة بن عبد الله بن التميمي وعبد الرحمن بن عوف ، وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل ، والزبير بن العوام خياطاً ، وعمرو بن العاص جزاراً[٢] . وكان الزبير بن العوام كثير المتاجر والأموال : قيل : كان له ألف مملوك يؤدون الخراج ، فربما تصدق بذلك في مجلسه ، وقد خلف أملاكاً يبعث أربعين ألف درهم[٣] . فهذا دون شك غنى واسع ، ودنيا عريضة ، وتوفيق عجيب أتيح لهؤلاء التجار وقال عبد الرحمن بن عوف " لو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً " .

وينقل البخاري حديثاً عن ابن عباس قال : " كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام تأثموا[٤] من التجارة فأنزل الله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [٥].

وهكذا استمر النشاط التجاري في هذه الأسواق ، وربما زاد عما كان عليه ، سابقاً بحكم توافد المسلمين في موسم الحج ، إلى الحجاز ، أما عن موقف الرسول -ﷺ- من التجارة التي كان يحث أصحابه على احترافها إذا قال : " عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق " ، وكذا إشارته فيما يخص التجار : " التاجر الصدوق

---

(١) ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهوي) : الطبقات الكبرى ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ ، ص٥٥ .

(٢) البخلاء ، ص١٩٣ ، وكذا . المعارف ، ص٢٤٩ ، وكذا . لطائف المعارف ، ص١٢٧-١٢٩ .

(٣) سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص١٤٢ .

(٤) تأثموا : أي تحرجوا من الأثم ، أنظر ، العيني (بدر الدين أبو أحمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد): عمدة القارئ لشرح صحيح البخاري ، طبعة دار الطباعة العامرة ، القاهرة ١٠٣٨هـ ، ص٤٥٢.

(٥) البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) : الجامع الصحيح ، الجزء الثاني ، مطبعة بريل ليدن ١٨٦٤م ، ص٥-١٦

يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء " [1] ، وبذا لم يخفف الإسلام كثيرا من شغف العرب بالتجارة ، بل حثهم عليها ، فقد نظمت الشريعة الإسلامية السمحاء المعاملات المالية والتجارية ، وتواترت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة[2] ، التي أكدت على ضرورة التعامل العادي بين التجار .

على أن هناك اتجاها أخر ، يذهب أصحابه إلى أن حياة العرب في الجاهلية إنما كانت حياة قبلية ، تشب فيها الحروب ، وتقوم الغارات ، وعلى مغانمها كان يعيش بعض العرب ، ومن ثم فهم يرون أن أشرف ما يقوم به العربي ، إنما هو الدفاع عن الذمار والأخذ بالثأر ، ولذلك فهم لا يرون في حرفة التجارة شرفا مؤثلا ، بل إنهم إنما كانوا يعيرون بعض القبائل – خاصة قريش – بأنها قبيلة تجار ، لا يعرفون الحروب ولا يخوضوها ، وإن تجارتهم شغلتهم عن أمور الحرب ، ولعل احتقار التجارة من طبع البدوي الذي يعيش على سيفه ورمحه[3] .

ومصداقا لذلك ما يرويه الطبري في معرض حديثه عن فتوحات سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في بلاد فارس ، أن النعمان بن قبيصه الطائي " وكان على مرابطة كسرى ، سأل عن سعد فقيل له : رجل من قريش ، فقال أما إذا كان قرشيا فليس بشيء ، والله لأجاهدنه القتال ، إنما قريش عبيد من غلب والله ما يمنعون ، خفيرا ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير " [4] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، المجلد الثاني ، ص٥٢-٥٣ .

(٢) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) تلبيس إبليس ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٠هـ ، ص١٩٢ ، وكذا . أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباسي) : الامتاع والمؤانسة ، الجزء الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٣٩هـ/١٩٤٤م ، ص٩٣ .

(٣) ناصر بن سعد الرشيد : " تعامل العرب التجاري ، وكيفيته في العصر الجاهلي " ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٢٢٠ .

(٤) تاريخ الطبري ، ٢٣٥٠/٥ .

وعقد ابن خلدون في مقدمته فصلين عنوان أحدهما " الفصل الحادي عشر " أن خلق التجار نازله عن خلق الأشراف والملوك " ثم قال : وذلك أن التجار في غالب أحوالهم إنما يعانون البيع والشراء ، ولابد فيه من المكاية ضرورة فإن اقتصر عليها اقتصرت به على خلقتها ، وهي أعني خلق المكاية بعيدة عن المروءة التي تخلق بها الملوك والأشراف[1] . وأما إن استرذل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم ، من المماحكة والغش والهلابة ، وتعاهد الإيمان الكاذبة على الأثمان ردا وقبولا ، فأجدر بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة وقد يوجد فيهم من يسلم من هذا الخلق ، ويتحامله لشرف نفسه ، وكرم جلاله إلا أنه من النادر بين الوجود " .

وثانيهما بعنوان : " الفصل الخامس عشر " في أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة عن المروءة " [2].

ويأتي ابن الأزرق بعد ابن خلدون فيرى رأيه في التجار ، لا يشذ عنه فيقول[3]: إن خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة عن المروءة ، ذلك لأن التاجر لابد له من محاولة التجارة من عوارض حرفتها الناقصة عن المروءة والمكاية ، والمضايقة وممارسات الخصومات وذلك ما ينطبع في النفس من آثارها المذمومة ، إذ أفعال الخير تعود بآثار الخير ، وأفعال الشر والسفه تعود بضد ذلك .

ويقول ابن الزبعري في قومه[4] :

إلهي قريشا عن المجد الأساطير وقولها رحلت عير أتت عير

---

(١) مقدمة أبن خلدون ، ص٣٩٥-٣٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٩٩ .

(٣) ابن الأزرق (محمد بن علي) : بدائع السالك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق علي سامي النشار ، وزارة الإعلام ، بغداد ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص٣٢١ .

(٤) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٢٦ .

وفي محاوره بين معاوية بن أبي سفيان وزيد بن صرحان بن معاوية[1] ، بأن العـــرب ما زالت تأكل من قوائم سيوفها .

على أن الأمر غير ذلك تماماً ، فالتجارة كغيرها من الحرف ، وأهلها كغـــيرهم من أصحاب الحرف الأخرى ، فيهم الصالح والطالح ، ويمكن أن تكون مـــــورد رزق شريف ويمكن أن تكون غير ذلك . ومن ثم جاء الإسلام ، فجعل من التجارة حرفة من أشرف الحرف وأعلاها قدراً ؛ إذا ما التزم التاجر بتعاليم الإسلام وآدابه [2] .

---

(١) يذهب محب الدين الخطيب : إنه أخوة صعصعه هو القائل ذلك لمعاوية ، أنظر : العواصم مـــن القواصـــم ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٤٠٥هـــ ، ص١٢٧ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٨٦ .

رابعا : المنتجات العربية .

- ❖ البخور .
- ❖ الطيوب والتوابل .
- ❖ الأدم .
- ❖ الأصباغ .
- ❖ الأحجار الكريمة .
- ❖ الذهب والفضة .
- ❖ الزيوت .
- ❖ المنسوجات .

شكلت التجارة ، جانبا مهما وأساسيا في اقتصاد الدول والممالك القديمة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، و امتدت إلى شمال غرب شبه الجزيرة العربية[١].

وتميز بين المواد التي كان يتم الاتجار بها البخور أو اللبان ، الذي ازدهرت تجارته منذ الألف الأول قبل الميلاد ، حيث بدأت تظهر في مطلعه مزارع مستقلة لأشجار اللبان ، تقوم على أساس تصنيف أنواع الأشجار[٢] .

البخور :

يُعد البخور أخطر عناصر التجارة الشرقية أثراً في مهمة الوساطة العربية التي اضطلعت بها القوافل العربية الصحراوية وذلك لسببين أساسيين ، الأول : هو أن البخور وبالتحديد ما يعرف بـ الكندر أو اللبان كان أفضل أنواع البخور على الإطلاق وأغلاها ثمناً ، وأفضل اللبان هو ما تنتجه منطقة (ظفار) في وسط الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وهو يفوق اللبان الهندي ، والصومالي جودة وثمناً[٣] ، وذهب هيردوتس إلى أن جزيرة العرب وحدها تنتج اللبان[٤] .

ويرى ميلر[٥] أن أفضل أنواع اللبان هو الحضرمي والسقطري ولشدة الطلب على هذه المادة التي كانت تستخدم في المواسم الدينية ، فكانت سلعة ذات رواج كبير في العصور القديمة ، بدرجة لا تقارن بما هي عليه اليوم من انزواء ، وذلك نتيجة لارتباط عقائدهم الدينية (الوثنية) بالسحر ، وبالتالي اعتقادهم أن للبخور قوة سحرية

---

(١) أحمد حسين شرف الدين : " مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٢٥١ .

(٢) باوير ، ج.م ولونديين . تاريخ اليمن القديم ، جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور ، ترجمة أسامه أحمد ، سلسلة أفاق المعرفة ، رقم (١٣) ، عدن ١٩٨٤م ، ص١٦ .

(3)Pliny : Natural History , translated by H., Rackham , London and Combridge , 1969 , vol . II . p . 455 ;
Abercrombie Thomas , J . , " Arabia's Frankincense Trail ", National Geographic , vol . 168 , Nr . 4 , 1985 , pp . 482-484 .

(4)Heodotus : The Histories, translated by Aubreyde Selincourt , The penguing Classics Edinburgh , 1963 , p . 21 g >

(5)Miller , J . I , The Spice Trade of the Roman Empire 29 B . C . to A . D . 641 , Oxford Clarendom Press , 1969 , p . 103 .

عند حرقها ، وتتمثل القوة السحرية للبخور في جذب الإلهة إلى معابدهم من أماكنها في الفضاء[١] .

وكانوا عندما يشاهدون حلقات البخور المتصاعدة وهي تدور وتتلوى في الفضاء في شكل دوائر وحلقات حلزونية يتصورون أن هذه الأشكال ، ما هي إلا درجات سلم حلزوني تستخدمه المعبودات في النزول[٢] .

ونظرا لإحتكار جنوب الجزيرة العربية إنتاج أفضل أنواعه استطاعت القبائل العربية على مر العصور أن تتمرس في تجارة القوافل الصحراوية وتجهز نفسها بما يلزم لهذه التجارة ، فتجارة البخور كانت عاملا أساسيا في حماية القوافل الصحراوية من الإندثار ، لأن هذه التجارة ظلت مجدية على الدوام [٣].

كما أن الحروب والتغيرات السياسية لم تستطع أن تغير الوضع الجغرافي في تجارة البخور ، حيث كان يمكن للسلام أن يفتح طريق التجارة الشرقية عبر الفرات للبضائع الآتية من الهند ، وكان يمكن – أيضا – للحرب أن تقفل هذه الطريق فتتحول التجارة الشرقية إلى طريق البحر الأحمر أو طريق القوافل الصحراوية ، وكان يمكن للحروب الحميرية – الحبشية أن تعرقل النقل عبر البحر الأحمر . ولما كان البخور مصدره الأول ، في جنوب جزيرة العرب ، فإنه جعل طريق القوافل الصحراوية شبه إلزامية لنقل هذا الجزء المهم من بضاعة التجارة الشرقية ، حتى إذا ما اضطربت طرق التجارة الأخرى بسبب الحرب الساسانية البيزنطية أو بسبب خمول النقل البحري عبر البحر الأحمر كانت طريق القوافل الصحراوية جاهزة[٤] .

وقد ذكرنا سابقا أهمية البخور الدينية ، لدرجة أضفت عليه نوعا من التقديس تتطور إلى التحريم ، وامتد هذا التحريم إلى مناطق إنتاج البخور نفسها ، فقد كان

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم السيد : " البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة " ، للبحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣م ، ص٥٦٥ ، وكذا . فكتور سحاب : إيلاف قريش ، رحلة الشتاء والصيف ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، آيار / مايو ١٩٩٢م ، ص٢٤٠ ، وكذا . دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية محمد ثابت الأفندي ، أحمد الشناوي ، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس ، المجلد الحادي عشر ، طهران ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ، ص١٨٣ .

(٢) عبد المنعم الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٥٦٥ ، وكذا فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٤٠ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه ، ص٢٤١ .

الرجال الذين يجمعون محصول البخور في جنوب الجزيرة العربية يخضعون لإجراءات صارمة ، ومنها عدم اقترابهم من النساء طوال موسم جمع المحصول وعدم اشتراكهم في جنازة ميت [١] .

وكان قدماء المصريين من أكثر الشعوب احتياجا لكميات ضخمة من البخور ، وإلى مدد مستمر منه ، لاعتقادهم بأن الروح تسكن الجثه بعد الموت كما كانت تسكن الجسم في الحياة الدنيا . ومن هنا كان لابد في نظرهم المحافظة على هذا المسكن من الفناء ، فابتكروا التحنيط وبرعوا فيه ، والذي احتاجوا له كميات كبيرة من البخور لتعقيم الجثة ، فهم من أقدم الشعوب التي خرجت للبحر الأحمر بحثا عن هذه السلعة وعن مناطق إنتاجها [٢].

وأقدم إشارة إلى البخور ، جاءت في نقش يرجع إلى عهد الملك ساحورع (٢٥٥٣-٢٥٣٩ق.م)[٣] جاء فيه أن هذا الملك حصل على ٨٠,٠٠٠ مكيال من بخور البحر الأحمر[٤] كذلك ذكر اللبان على جدران معبد الملكة حتشبسوت (١٤٩٠-١٤٦٨ ق.م) في الدير البحري [٥]وذكر هيرودتوس الطيوب العربية وقال: إن بلاد العرب كلها تفوح بهذه الطيوب ذات الرائحة الزكية [٦] .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص١٤٢ ، وكذا .
Pliny , Natural History , Book XII , 54 .

(٢) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٥٦٦ .

(٣) يعتبر ثاني فراعنة الأسرة الخامسة التي حكمت فيما بين (٢٥٥٣-٢٥٣٩ ق.م) وكثرت في عهده علاقات مصر ببلاد بونت أو (بونيه) التي تمثل الصومال وأرتيريا ، وما يقابلها من الجنوب الغربي لبلاد اليمن ، لاستيراد البخور ، واللبان ، والمر ، والصموغ لطقوس المعابد ، وضرورات التحنيط وغيرها ، أنظر : أحمد فخري : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص١٣١ ، وكذا . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص١٣٤ .

(4) Breasted , J . H . , Ancient Records of Egypt : Historical Documents , I , Chicago , 1906 , Chap . 161 .

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٠٨ وكذا .
Naville , E . , The Temple of Dier El-Bahari , vol II , London , 1898 , pls . 69 –76 , Steindroff ,G,and Seele, K.C., When Egypt Ruled The East , Chicago , 1963 , pp . 201 – 203

(6) Herodotus, p. 221 .

كذلك جاء ذكر البخور كثيرا في النقوش العربية الجنوبية حيث وردت لفظه (لبني) على أحد محارق البخور والعائدة في تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد على الرغم من أن استخدام الكلمة يسبق هذا التاريخ بكثير ، حيث وردت في السجلات اليونانية القديمة ، والتي تعود إلى بداية القرن السادس قبل الميلاد[١] .

في الحقيقة هناك أنواع متعددة من البخور ، ولكن النوع الذي كان القدماء يفضلون استخدامه هو النوع المعروف حاليا باسم " الكندر " ويستخرج من أشجار تنمو بريا في بعض المناطق الواقعة على جانبي خليج عدن وفي منطقة ظفار في جنوب غرب عمان وشرق حضرموت[٢] .

والبخور هو المحصول الاحتكاري الذي يرتبط بالأهمية التي ينالها البترول العربي اليوم . ويتألف البخور من اللبان والمر ، وينمو في المناخ الحار الرطب[٣] .

والممالك الرئيسية الأربعة المنتجة للبخور هي حضرموت وقعطبة وسبأ ومعين[٤] .

هذا وتبدو بلاد اليمن وحضرموت بلاد مليئة بخيرات البلاد المدارية ، فهي عند استرابو (٢٠م) تنتج المرو البخور والقرفة والبلسم ، وهذه نباتات مدارية وطبية.

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم السيد : المرجع السابق ، ص١٤٧ .

(٢) نيقولا زيادة : " دليل البحر الأريتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٢٦٠ ، وكذا. عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٦٦ ، وكذا . إبراهيم بيضون : " الإيلاف القرشي " الحلقة الأولى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٤٢ ، ١٩٨٢م ، ص٢٣ ، وكذا. محمد السيد غلاب : " التجارة في عصر ما قبل الإسلام ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص١٩٣ ، وكذا . مصطفى كمال عبد العليم : " تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني " دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص٢٠١.

(٣) إليزابيث مونرو : " الجزيرة العربية بين البخور والبترول " ترجمة محمود محمود ، مجلة الدارة ، العدد الأول السنة الثانية ، ربيع الأول ، ١٣٩٦هـ / مارس ١٩٧٦م ، ص٣٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٣٤ .

ووصفت بلاد حضرموت بأنها كانت شديدة الرطوبة ومرتفعة الحرارة ولكنها غنية بنباتات مدارية رطبة أهمها البخور ، وكانت المصدر الرئيسي للبخور في العالم القديم[١].

والكندر هو عصارة شجرة تنتمي للعائلة النباتية المسامة Burseraecae ثم للجنس Genus المسمى علمياً Bouswellia وتتفرع من هذا الجنس عدة أنواع Species أكثرها إنتشاراً في المناطق التي ذكرناها ثلاثة أنواع هي Boswellia Carteri وينمو في كل من شمال الصومال وفي ظفار .

ثم Boswellia Ferteana ويكاد نموه يقتصر على شمال الصومال ثم Boswellias Sacra ويقتصر نموه على منطقة ظفار[٢] .

والكندر في الحقيقة ليس إلا " اللبان " المألوف لنا ، وأجود أنواعه المفضلة في التبخير هو ذلك النوع الذي يطلق عليه في اللغة الدارجة اسم " اللبان الذكر " [٣].

واللبان هو صمغ يحرق فتصدر عنه دخان كثيف ذات رائحة طيبة ويستخرج من نوع شجره تعرف بشجرة اللبان ، واسمه باليونانية Libanos وبالإنجليزية Frankincnce وبالألمانية Weihrsuch وبالهندية و الفارسية كندر ، كما عُرف في المصادر العربية ، أيضاً بالكندر نقلاً عن الفارسية ، أما في اليمن فإسمه دوماً اللُّبان أو

---

(١) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص١٩٤ .

(2)Hepper , F . , Nigel , "Arabian and Frankincnse Trees " , J E A , Vol . 55 , 1969 , p . 66 – 67.

يذكر البعض أن النوع السائد في ظفار هو : Boswellia Carteri ولكن Hepper أثبت خطأ ذلك أنظر :

Schoff , W . H . , The Periplus of the Erythrean Sea, Translated form The Greek, New York and London , 1912 , p . 218 .

Phillips , W . , Unknown Oman , New York . 1966 , p . 183 ,

Hepper , F. , op .cit . , p.p 66 . 69-70 .

(٣) أنظر عن ذلك تفصيلياً :

(3) Pirenne , J . ," Deax Pyrees Cubiques a Pleds du l' Universite de Pennsylvania" Antiqaites Sud – Arabes , Tame I Section 2 , Louvain , 1977 , pp . 1 . 275- 1.278 and p. p. 1.291-1.292 .

اللِبان ، وتضاف إليه نعوت مختلفة مثل لبان الذكر ولبان شحري ولبان مستكا ... الخ[١] .

وتوجد في ظفار ثلاثة أنواع من الكندر تختلف باختلاف المناطق ومدى ارتفاعها وابتعادها عن الساحل ، فالنوع الذي تنمو أشجاره قرب ساحل ظفار يسمى " شعبي " وهو أقل الأنواع جودة ، يليه النوع الذي ينمو على جبال القراء الممتدة وراء الساحل المسمى " شذري " وهو نوع جيد ، ثم النوع الذي ينمو فوق المرتفعات وراء الجبال ويسمى " نجدي " وهو نوع جيد أيضاً [٢] . ومن ثم فإن الكندر يجود إذا نمت أشجاره فوق مناطق مرتفعة شحيحة المطر ، لكن في بيئة ملبدة بالسحب ، وهذه الظروف كلها تتوفر في ظفار[٣] .

وشجرة اللبان صغيرة لا يزيد ارتفاعها عن عشرة أقدام[٤] ، ويزهر في أيلول (سبتمبر) من كل سنة ، ولكن إستخلاص اللبان ممكن في كل فصول السنة[٥] .

وتفرز أشجار اللبان أو ما عُرف بالكندر ، أيضاً ، مادة تشبه الصمغ في طبيعتها ، فالبخور يتقطر منها على لحائها[٦].

وهناك من يرى أنه يقطع جزعها في فصل الصيف فيسيل صمغ الشجرة ، ويكون حبيبات متصلبة بعد أن تجف وذلك هو اللبان[٧] ، تختلف هذه العصارة عن

---

(١) يوسف محمد عبد الله : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ، بحوث ومقالات ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٢٢٣ ، وكذا . عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٥٦٧ .

(2)Phillips . W . , op . cit . , p p : 182-183 .

(3)Brian , D. , Southern Arabia , London , 1977 , p. 20 .

(٤) يوسف محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص٢٢٤ ، وكذا . نيقولا زياد : المرجع السابق ، ص٢٦٦ ,

(٥) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٤٢ .

(٦) نيقولا زيادة : المرجع السابق ، ص٢٦٦ .

(٧) يوسف محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص٢٢٤ .

عصارة الصمغ في أن عصارة اللبان لا تذوب في الماء لأنها ليست صمغا ، بل هي راتنج صمغي [١].

أما عن طريقة جمع اللبان (الكندر) ففي ظفار يبدأ بشق الشجرة في السنة الثالثة أو الرابعة من عمرها ، ويبدأ موسم الشق من شهر مارس وطوال شهري إبريل ومايو أي أثناء الفصل الحار عندما تكون الشجرة في أقصى حالات امتلائها بالعصارة [٢] . فتخرج بذلك العصارة على هيئة قطرات بيضاء في شكل حبات اللؤلؤ تتحول بعد قليل إلى اللون الأصفر الباهت وبعد الشق تترك الشجرة لمدة ثلاثة أسابيع تكون العصارة خلالها قد تجمعت وتصلبت فوق اللحاء فتكشط وتجمع في سلال[٣] . ويقوم بجمع اللبان عبيد الملك وأولئك الذين يبعثون لهذا العمل عقوبة لهم إذ أن هذه الأماكن ليست صحية ، كما أنها موبوءة وتكاد تكون قاتلة ، حيث يقضى عليهم أيضا بسبب نقص الطعام أيضا[٤] .

ويلاحظ أن الكتاب الكلاسيكيون قد ميزو بين كندر الجزيرة العربية وكندر الصومال ، حيث أطلقوا على كندر الصومال اسم " كندر الشاطئ البعيد " ، بينما أطلقوا على كندر ظفار اسم " الكندر السخاليتي "[٥] نسبة إلى الاسم الذي أطلقه هؤلاء الكتاب على خليج القمر ، في جنوب ظفار وهو ، Chalites Sinus . وهذا الاسم يرجع في أصله إلى اسم عربي جنوبي قديم ، كان يطلق على نقوش المسند على منطقة ظفار

---

(١) ألفريد لوكاس : المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكي إسكندر ومحمد زكريا غنيم ، ومراجعة عبد الحميد أحمد ، القاهرة ١٩٤٥م ، ص١٥١ .

(2)Phillips , W . op. Cit . , p . 183 .

ويختلف " Hepper " أيضا مع " Phillips " في هذا الصدد إذ يقول أن الشق يجرى مرتين إحداهما في شهر مايو والأخرى شهر ديسمبر ، أنظر : Hepper . F . , op . cit , p . 71

(٣) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٥٦٧ .

(٤) نيقولا زيادة : المرجع السابق ، ص٢٦٦ .

(5) Schoff , W . H . , op . cit . , p . 126 .

وهو " سأكل " أو " سأكلن " ، ويلاحظ أن بقايا هذا الاسم ظلت حتى اليوم في اسم منطقة " الشحر " ، وإن كانت منطقة الشحر تقع إلى الغرب من خليج القمر[١] .

وقد أطلق الكتاب أسماً أكثر تحديداً على منطقة نمو أشجار الكندر في ظفار هو Libanot ophoros و معناه المنطقة المنتجة للكندر (اللبان)[٢] .

وقد وردت كلمة لبان أو لبناي أو لبنى أو لباني أو لباناي لأن اللغة العربية الجنوبية القديمة لا توجد بها حروف متحركة شأن اللغة العربية الحالية ، ووردت على محارق البخور اليمنية القديمة ، حيث ترجع إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ، والتي توجد فيها حالياً في متحف صنعاء[٣] . إلا أن استخدام الكلمة في نقوش المسند يرجع إلى ما قبل ذلك بكثير ، لأنها ظهرت في السجلات اليونانية القديمة ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد[٤] .

وكان محصول البخور من اللبان ينقل بالقوافل من مناطق نمو أشجاره في الداخل[٥] ، ويجمع في ثلاثة مراكز هي ظفار وشبوه وقنا[٦] .

وقيل إنه ينقل من مناطق أشجاره في الداخل إلى ساحل البحر ويتم تجميعه في مينائي " موسكا " ومكانه الآن " خوروري " ، وكان يسمى في نقوش المسند (سمهرم أو سمرم) ثم " سياجروس " ، ومن هذين الميناءين كان ينقل بالبحر نحو الغرب إلى ميناء " قنا " Cana إما في قوارب أو فوق أطواف خشبية تحملها قرب منفوخة[٧] .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٥٦٩ .

(2) Hunting ford , G . W . B . , The Periplus of the Erythraean Sea , London , 1980 , Chap , 29 and Map . No . 8 .

(3) Pirenne , . J . , op . cit . , p . 1 . 275 .

(4) Muller , W , " Arabian Frankincense in Antiquity According to Classical Sources " First International Symposium on Studies in the History of Arabia , University of Riyadh , 1977 Still Unpublished , p.2 .

(٥) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٥٧٠ .

(٦) نيقولا زيادة : المرجع السابق ، ص٢٧٢ .

(٧) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٦ ، وكذا

Hunting Ford , G , W , B, op. cit , p. 27 .

وكان هذا النقل يتم خلال فصل الشتاء ، ومن الواضح أن سبب هـــذا التوقيـت هـو الاستفادة من الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التي تدفع هذه القوارب والأطواف مـن الشرق إلى الغرب[١] .

ومن قنا تسير التجارة في الطريق البري .. أو تذهب مباشرة عن طريـق وادي حضرموت لمكان تخزن فيه عند شبوه Shabwa ثم تواصل التجارة سيرها ويضـــاف إليها المر من قعطبة ويتجه أولا ناحية الغرب ثم شمالا عبر الممالك الأخرى[٢] .

ومن هذا نرى أن تجارة اللبان (الكندر) كانت تمر بعواصم الـــدول العربيـة القديمة . والحقيقة أن كل دولة من هذه الدول كانت تحرص أشد الحرص على مـرور هذه التجارة الثمينة في أراضيها ، وأنه على الرغم مما كان ينشب بين هذه الدول مـن حروب ، فإن تجارة اللبان لم تكن تتوقف في أغلب الأحيان فقد كانت هذه الدول تقـدر مدى ما يحيق بها من خسارة لو توقفت هذه التجارة [٣].

إلا أن دولة حضرموت كان يقع عليها العبء الأكبر في تأمين تجـــارة اللبـان (الكندر) لوقوع منطقة نمو أشجاره . الرئيسية (منطقة ظفـار) فـي أراضيـها[٤] . وكذلك الميناء الرئيسي لتصديره (ميناء خوروري) فشيد ملكها القلاع والحصون فـي هذه المناطق لهذا الغرض ، ودليل ذلك العثور على اسم أحد هؤلاء الملوك هو المسمى في نقوش المسند (إيل – عز) محفورا على أطلال قلعة قديمة في ميناء خوروري [٥]. وقد عاش هذا الملك في القرن الأول الميلادي وكان معروفا لدى الكتاب الكلاســيكين باسم (اليازوس) Eleazos وقد وصفوه بأنه كان ملك " بلاد البخور "[٦] .

---

(1) Van Beek , G . Ancient Frankincense – Producing Areas " , in Bowen , R. – le Baron and Albright , F. p , Archaeological Discoveries in South Arabia , Baltimore , 1958 , pp . 139 –1401 .

(٢) النيرابيث مونور : المرجع السابق ، ص٣٥ ، وكذا . عبد المنعم عبـد الحليـم سـيد : المرجـع السـابق ، ص٥٧٠.

(٣) نفس المرجع السابق ، ص٥٧٠ .

(4) Phillips , W . op . cit . , p . 187 .

(5) Ibid.

(6) Hunting Ford , G . W . B . , op . cit . , Chap . 27 .

كما عثر في منطقة " هانون " التي كانت تسمى " سأنن " في نقوش المسند على أطلال مباني ، رجح الباحثون إنها كانت مخازن ، لشدة التشابه بينها وبين المخازن القديمة ، التي وجدت في ميناء خورروري[1] ، وتقع هانون على بعد ستين كيلوا مترا إلى الشمال من خورروري فهي بذلك في منطقة تجميع محصول الكندر لتخزينه ، هذا وقد وجد في هانون نقش مكتوب بالمسند يذكر الاسم (سأنن) ، الذي أشرنا إليه ، ويصف النص (سأنن) هذه بأنها في أرض " سأكلن " أي في بلاد ظفار ، كما يشير النص إلى "مكرب" [2]حضرموت[3] .

وهذه إشارة على امتداد سلطة ملوك حضرموت القدماء على مناطق تجميع الكندر والطرق المؤدية إليها[4] .

المر : ذكرنا سابقا أن البخور يصنف إلى نوعين اللبان والمر ، بالنسبة للمر يعد من المواد الطبية ، التي أنتجتها بلاد اليمن جنوب الجزيرة العربية ، بل والجزيرة العربية عموما[5] .

وكان المر من أهم المواد الطبية ، وقد ذكر ضمن الهدايا التي حملها الملوك المجوس إلى السيد المسيح في مهده ، وكانت تعطر به موميات الفراعنة ويصنع منه

---

(1) Phillips , W ; . op . cit . , pp . 196-197 .

(٢) مكرب : لقب تغلب عليه الصبغة الدينية ، وتقابله في العربية الفصحى " مقرب " وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للمعبودات ، كما كان يقوم كذلك بدور الوساطة بين المعبودات و الناس أنظر : محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ٢٧١ .

(3) Phillips , W. , op . cit . , pp. 196 –197 .

(٤) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٥٧١ .

(٥) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٦٦٦– –٣٢٩ ، وكذا . إبراهيم بيضون : الحجاز والدولة الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٧٠ ، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر ، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٥م ، ص١٥٧ ، وكذا . عرفان محمد حمور : أسواق العرب ، دار الشورى ، بيروت ١٩٧٩م ، ص١٥–٣٧ ، وكذا . صالح درادكه : "إيلاف قريش ملاحظات حول عوامل السيادة المكية قبل الإسلام " ، دراسات تاريخية لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، العددان السابع عشر والثامن عشر ١٩٨٤م ، ص٦٢–٦٣ ، وكذا ، جواد علي : ٢٢٤/٤ ، ٣٠٧/٧ .

الزيت المقدس عند اليهود وقد استخدم للدواء ويقال إنه كان يعطي للنساء على الخصوص . وشجرته توجد منها عدة أنواع ، وتعد هذه المادة أهم ما تنتجه الجزيرة العربية بعد اللبان في تجارة الشرق[١] .

والمر نوع من الصمغ تجده تحت قشور الأشجار ، وينمو في المناخ الحار الرطب[٢].

وهكذا لقد كانت سلعة البخور بالنسبة لتاريخ الصلات بين شعوب البحر الأحمر تشكل عنصر جذب للشعوب المطلة على البحر الأحمر ، ثم للشعوب الأخرى من خارج هذا البحر كالفينيقين والعبرانيين ثم اليونان والرومان فيما بعد ، ولا شك أن أشد هذه الشعوب حماسا للحصول على هذه السلعة هم أكثرهم احتياجا إليها واستهلاكا لها ، وهنا يظهر المصريون القدماء في مقدمة هذه الشعوب كما تدل على ذلك آثارهم .

وكان المصريون القدماء يميزون ذلك النوع من البخور الذي كانوا يجلبونه بطريق البحر الأحمر بإطلاق إسم خاص عليه هو " عنتي " أو " عنتيو " في صيغة الجمع في اللغة المصرية القديمة ، كما كانوا يطلقون على البلاد التي يحصلون منها على هذا البخور اسم " بونت " والدليل على أن بلاد بونت [٣] ، هذه كانت تقع على ساحل البحر الأحمر وأن المصريين يصلون إليها بطريق البحر هو العثور على آثار

---

(١) يوسف محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص٣١٧ وكذا .
Crone , P . , Meccan Trade and the Rise of Islam , Princeton University Press , 1987 , pp . 13 . 67.

(٢) إليزابيث مونور : المرجع السابق ، ص٣٣ .

(٣) أنظر عن " بونت " والأراء التي دارت حولها : محمد بيومي مهران : " العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة " ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس ، الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ٣٠٧-٣٠٩ ، وكذا عاطف عوض الله : موقع بلاد " بونت " وتجارة اللبان في ظفار " دراسات في علم الأثار والتراث ، العدد الأول ، الرياض ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص٩-٤٠ .

فرعونية تسجل أخبار بعثة بحرية أرسلها أحد الفراعنة حوالي عام ١٩٥٠ق.م إلى بلاد بونت هذه[١] .

الطيوب والتوابل :

من أهم السلع التي كانت ضمن الصادرات السبئية التجارية الطيوب والعطور ، حيث تاجروا بها مع بلاد الشام ومصر والعراق ، وفي داخل الجزيرة العربية أيضا ، وقد وردت الطيوب ، في النقوش العربية الجنوبية باسم "طب " أو " طيب "[٢] كما ورد ذكرها في التوراة[٣] .

لم يكن البخور هو السلعة الوحيدة الهامة في تجارة الطيوب والبخور العربية إذ كانت ثمة أنواع أخرى من الطيوب ، مثل المقل : وهي مادة صمغية مقطرة ، تنتجها الجزيرة العربية ، وكذا الغار اليمني الطيب الرائحة ، والطيوب منها الكمكام وهو سائل يستخلص من لحاء شجرة ، في الجزيرة العربية ، والضروادا والضرو ، واللادن وهو من إنتاج جنوب الجزيرة العربية[٤] . وكذا الأذخر أو الحمض وهو عطر يكثر نباته في مكة المكرمة وجوارها ، والوج وهو نبات عطري الجذور ، والبلسان وهو نبات

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشر الفرعونية في منطقة وادي جواسيس على ساحل البحر الأحمر ، (تقرير عن حفائر بعثة قسم التاريخ لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية في ١٩٧٦م - ١٩٧٧م) ، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٧٨م ، ص٥٦-٦٦، وكذا

Sayed . Abdel Monem, A . H . , " The Recently Discovered Port the Red Sea shore "J E A , vol . 64 . 1978 . p p . 69 -70 .

Sayed , Abdel Monem A . H . , " Observations on the Gawasis Discoverics ' , J E A, vol . 66 . 1980 , pp . 154 - 155 .

(٢) جواد علي : ٢٣٧/٧ .

(٣) حزقيال ، الإصحاح ، ٢٧ ، ص٨٢١٩ فقره ٢٢ .

(٤) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٦٦-٣٢٩ ، وكذا ، إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص٦٩-٧٠، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٢٠٥-٢٠٦ .وكذا . عرفان محمد حمور: المرجع السابق ، ص١٥-٣٧ ، وكذا . صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٦-٦٣ وكذا . فكتور سحاب: المرجع السابق ، ص٢٢١، وكذا .جواد علي: ٢٢٤/٤ ، ٣٠٧/٧

يستخلص منه عطر ثمين ، وفيه نوع في الجزيرة العربية يسمى البشام[١] ، وكان من أنواع العطور الجميلة ، ما كان معروفا باسم الغالية[٢] ، والعنبر ، ودهن الكادي[٣] .

ولقد اكتسب العطر اليمني شهرة واسعة فقيل : " من سوق عدن تشتري اللطائم وأنواع الطيوب ولم يكن في الأرض أكثر طيبا ولا أحذق صناعا للطيب من عدن "[٤]

وهكذا فقد احتلت جنوب الجزيرة العربية مكانة خاصة في العالم القديم في إنتاج المواد العطرية [٥].

ومن النباتات الطبية التي أنتجتها الجزيرة العربية وبالتحديد الجنوب منها ، ما عرف بالبلسم لدرجة أنه من شدة انتشاره أصبح أسما لكل دواء[٦] ، ومن التوابل القرنفل[٧] ، اليمني والقرفة العربية[٨] .

وقد أشارت النصوص المصرية المدونة فوق منظر شحن السفن لسلع (بونت) إلى أن بعثة حتشبسوت جلبت القرفة (تشبس) من بونت[٩] . إلا أن من ينكر تحديد موقع بونت الدير البحري في شمال شرق الصومال حيث يبدو أن القرفة لا تنمو في هذه المنطقة وذلك لعدم توفر الظروف الطبيعية الملائمة لها ، ولكن الأدلة تشير إلى

---

(١) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٦-٦٣ ، وكذا . عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص٢٤، ٣٦

(٢) أخلاط من الطيب والمسك والعنبر ، أنظر : مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، الجزء الثاني ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص٦٦٠ .

(٣) دهن عطري ، طيب الرائحة ، يصنع من زهر الكاذي ، وشجره له فروع ورقية على رأس الشجرة ، وأوراقها مستطيلة كالسيف ، لها أسنان شوكية على حديها ، وتنمو لكل فرع من فروعها ، في أيام محددة ، زهره سنبلية بيضاء لها أغلفة كثيرة من الأوراق المسننة ، وعندما تتفتح الأزهار تحمل الريح أريجها العطر إلى مسافات بعيدة ، أنظر : المعجم الوسيط ،٧٨١/٢ .

(٤) الامتاع والمؤانسة ١/ ٨٤ .

(٥) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص٢٠١ .

(٦) عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص٢٤ ، وكذا . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص١٩٤ .

(٧) عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص٢٤ .

(٨) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص١٩٤ ، وكذا . عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص٢٤ ، وكذا Crone , p . , op.cit . , p . 37

(9)Naville , E ; op . cit . , vol . III . p . 74 .

وجود القرفة في شمال شرق الصومال ليس كمنطقة إنتاج ، بل كسلعة تجارية اشتهرت بها منطقة شمال شرق الصومال في هذه العصور ، إلى حد جعل الكتاب يطلقون على منطقة رأس جودفوي اسم منطقة القرفة .. Cinnamone Feraregio [١]

وقد أشار بعض هؤلاء الكتاب إلى طريقة جلب القرفة إلى هذه المنطقة فيقول بليني أن السفن كانت تأتي بالقرفة إلى منطقة رأس جودفوي ، حيث يعاد تصديرها[٢] ، وجاء في (الطواف حول البحر) أن ميناء موسيللون (رأس عمتره) اشتهر بتصدير كميات كبيرة من القرفة ، مما كان يستدعي تخصيص سفن ذات حجم كبير لهذه العملية[٣]. ويذكر أن القرفة كانت في العصر الإغريقي الروماني تجلب من مناطق إنتاجها إلى منطقة الساحل الشمالي الشرقي للصومال حيث تخلط بعلف شجرة الغار(Laurel) الذي يتوفر في هذه المنطقة ثم تشحن إلى شبه الجزيرة العربية ومصر[٤] .

الأدم :

هو الجلد الذي قد تم دباغته ، وقيل الجلد أجمده ومدبوغه ، وقيل بعد الأفيق ، وذلك إذ أتم وأحمر [٥].

وهو نوع من الجلود يستخدم في صناعة الملابس وغيرها وكان من أعجب ما يأتي النجاشي من مكة الأدم[٦] . حيث اشتهرت الطائف بالجلود ودباغتها ، ويذكر أحد

---

(1) C.F: Mullero , A . C arolo , Georaphi Gaeci Minores . Parisis, (1855) , Vol P I . X I I A . .

(2) Pliny , N H , VI , 29 .

(3) Casson , L . Periplus , Mari , Erytheaei , Princeton , 1989 , p.p. 8 , 15 . 12,13 .

(4) Ibid . , 8 , 10 . 11 , 12 .

(٥) تاج العروس ٨/٨١ وكذا

فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٣٣ .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٨ .

المؤرخين وصفا للطائف : " مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة " [١]. والإهاب هو جلد البقر والغنم والوحش ، أو هو ما لم يدبغ[٢].

والدباغة حرفة تابعة لصناعة الجلود ، يدبغ الإهاب بما يدبغ[٣] به . وقد اشتهرت جمله من المواضع بالدباغة منها : مدينة (جرش) وهي من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقد نسبت إليها الأدم المعروف بـ (أدم جرش) .

ويدخل هذا الأدم في الجلود التي تحول إلى سلع مثل الأحذية ، وصنع القباب ، التي تضرب للملوك وللسادة والأشراف ، وكانت غالية الثمن لذلك لم يستعملها إلا أصحاب الجاه والمال ، وكان حكام عكاظ والسادات الذين يحضرون لسوق عكاظ يضربون لهم قبابا[٤] .

هذا واشتهرت اليمن بدباغة الجلود ، والإستفادة من هذه الجلود في أغراض مختلفة ، وتصديرها لأماكن أخرى من الجزيرة العربية ، وقد ذكر أن الأدم قوله يدبغ في جميع إقليم اليمن والحجاز ، وقد اشتهرت مكة كذلك بدبغ الجلود ، وخصوصا جلود الجمال والبقر والغزلان [٥]، وقد استعانوا بعدد من المواد لاستخدامها في الدباغة منها (القرظ) ، ومن (العقيق) ، يجلب القرظ إلى مكة لاستعماله في الدباغة[٦] ، واستعمل أيضا (الغرف) في الدباغة ، وعرفت الجلود التي تدبغ به بالجلود الغرفية ، واستعملت كذلك (الدهناء) وهي عشبة حمراء لها ورق عريض يدبغ به[٧] وأيضا (القرضم) ، وهو قشر الرمان[٨] .

---

(١) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٧ .

(٢) تاج العروص ١٥١/١ .

(٣) تاج العروس ، ٨/٦ .

(٤) جواد علي : ٥٣٨/٧ .

(٥) جواد علي : ٥٣٨/٧ .

(٦) تاج العروس ٢٥٨/٥ .

(٧) تاج العروس ٢٠٥/٩ .

(٨) تاج العروس ، ٢٤/٩ .

الأصباغ :

كما عرف ، أيضا ، جنوب الجزيرة العربية بصناعة الأصباغ ومن الـــورس : وهو نوع من الأصباغ أصفر اللون ، يستخرج من نبات يشبه السمسم ، ويتخذ أيضـــا من الزعفران[١] ومن الأصبغة كذلك (الحظر) اليمني[٢] .

وقيل : " أربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا في اليمن : " الورس و الكنـــدر و الحظر و العقيق " [٣].

الأحجار الكريمة :

واشتهر كذلك جنوب الجزيرة العربية وخاصة بـــلاد اليمـــن بإنتـــاج الأحجـــار الكريمة[٤] ، وتستعمل للتبرج والتزويق ، وكان اليمنيون يصدرون نوعا من الأحجـــار الكريمة يدعى (البقران) ، والنوع المثلث منه كان ثمينا جدا ، وهو ذو وجـــه أحمـــر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود[٥] .

---

(1) Crone , p . , op . cit . , p . 60 .

(٢) عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص٣٦ .

(٣) ثمار القلوب ، ص٥٣٥ ، وكذا . ناصر سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢١٦ ، وكذا . سعيد الأفغـــاني : المرجع السابق ، ص٢٦ .

(٤) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٦٦-٣٢٩ ، وكذا . إبراهيم بيضون : المرجـــع الســـابق ، ص٦٩ ، وكذا ، أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٢٠٦ ، وكذا . صالح درادكة : المرجـــع السابق ، ص٥٦-٦٣ ، وكذا . عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص١٥-٣٧ ، وكذا . جواد علي : ٢٢٤/٤ ، ٣٠٧/٧ .

(٥) عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص٢٤ ، وكذا . أحمد حسين شـــرف الديـــن : المرجـــع الســـابق ، ص٢٥١ .

وكما عرفت اليمن بالعقيق ، وتتخذ منه الفصوص ويؤتي به من اليمن من معدن له على مرحلة من صنعاء يقال له مقرأ ، أو مقري ، وهو أجود من عقيق غيرهـا[١] ، ويوجد عقيق آخر يستورد من الشحر[٢] .

ومن الأحجار الكريمة الأخرى التي عـرف بـها جنـوب الجزيـرة العربيـة الفصوص السعوانية ، وهي من سعوان ، وهو وادي يقع بالقرب من صنعاء ، وهـو عبارة عن فص أسود فيه عرق أبيض[٣] ويوجد كذلك الزمرد – الزبرجرد ، والشذر .

كذلك الملح من المواد التي تاجر بها الجاهليون ، وتوجد في مواضع متعددة مـن الجزيرة العربية ، وقد كان بعضهم يستحضره من المياه المالحة ، ومنـهم مـن كـان يستخرجه من مناجم تحفر فيستخرج منها[٤] ، وقد أشير في المسند إلى الملـح وإلـى الاتجار به وإلى وجود كيالين كانوا يكيلونه ويرسلونه إلى الأسواق لبيعه فيها[٥] .

ومن أشهر مواضع الملح في اليمن : جبل الملح في بلاد مأرب ، وهـو ملـح صاف كالبلور ، وقد استغل التجار (مكر) في العربية الجنوبية تجارة الملح ، فـأخذوا يستغلون مناجمه ، ويحملون منها قوافل إلى الأسواق[٦] . ونظرا إلى سعة هذه التجـارة وكثرة الملح المستخرج ظهرت جماعة عرفت بـ (زلا) أو (سلا) في لغة المسـند ، أي تخصصت بكيل الملح وتعبئته في الجوالق لإرساله إلى الأسواق[٧] .

---

(١) تاج العروس ، ١٠٣/١ .
(٢) تاج العروس ، ١٥/٧ .
(٣) تاج العروس ١٣٥/٣ .
(٤) صفة جزيرة العرب ، ص٣٢٠ .
(٥) جواد علي : ٥٢٢/٧ .
(٦) جواد علي : ٥٢٣/٧ .
(٧) جواد علي : ٥٢٣/٧ .

الذهب والفضة :

من المعادن الثمينة التي استخرجها العرب من الجزيرة العربية الذهب والفضة ، والذهب هو (ذهبن) في لغة المسند ويقال له التبر أيضاً .

وذكر أن التبر الذي في المعدن ، والذي لم يضرب ولم يصنع[١] ، ومن أسمائه أيضاً (العسجد) وقيل العسجد اسم جامع يطلق على الجوهر كله[٢] ، وذهب أبريز بمعنى خالص و " العقيان " أيضاً الذهب الخالص ، أو الذهب الذي لا يستذاب من الحجارة وإنما هو ذهب ينبت نباتاً [٣] . مما يدل على أنهم يقصدون وجود حبيبات منه خالصة في معادنه ، ويجمعونها فيحصلون عليه من غير نار ولا إذابة حجر ، وكانوا يطحنون أحجار الذهب ، ويذورون تراب المعدن لاستخلاص الذهب منه ، ويقال : " ذريت تراب المعدن ، طلبت ذهبه " [٤]. وقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب فيها ، مثل موضع (بيشه) أو (بيش) وقد كان الناس يجمعون التبر منه ويستخلصون منه الذهب[٥] .

ويظهر أن منجم (مهد الذهب) هو المنجم الذي كان لبني سُليم فعرف باسمهم وقيل له (معدن بني سليم) وقد اقطعه الرسول -ﷺ- (لبلال بن الحارث)[٦] . وكان الذهب والفضة من البضاعة الفاخرة التي نقلتها قوافل قريش إلى

---

(١) تاج العروس ، ٢٥٨/١ .

(٢) تاج العروس ، ٤٢٢/٢ .

(٣) تاج العلوس ، ٢٤٩/١٠ .

(٤) تاج العروس ، ١٣٦/١٠ (ذ . و) .

(٥) معجم البلدان ، ٥٢٩/٢ ، وكذا . صفة جزيرة العرب ، ص٢٦٧ .

(٦) البلاذري (أحمد بن يحيى) : فتوح البلدان ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٢٦-٢٧ .

أسواق الغرب ، على الخصوص ، وإن كان هذا النوع مطلوبا في كل مكان[١] ، وقيل أن عسير أمدت الملك سليمان بالذهب فيما غبر من الزمان[٢] .

وقد عثر في منجم مهد الذهب على أدوات استعملها الأولون قبل الإسلام في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه ، مثل رحى وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح ، وعرف بـ فران أو قران ، وقد نسب إلى (فران بن بلى) ويأخذ عليه طريق الكوفة إلى مكة[٣] .

أما الفضة فتعرف في نصوص المسند بـ (صرفن) الصرف والفضة من المعادن المشهورة في اليمن ، والصريف الفضه الخالصة [٤] . وقد ورد أن بقرية المعدن ، معدن الفضة ، فضة لا نظير لها في الغزر ، وبقرية معدن السرخراض ، وهو معدن فضه كذلك لا نظير له[٥] .

و(اللجين) وهي الفضة[٦]، و(الوذيله) القطعة من الفضة وقيل السبيكة منها، وقيل القطعة من الفضة المجلوة ، وقد كانت السلطات الحاكمة تأخذ الخمس من معادن الفرع ، ونجران ، وذي المروة ، ووادي القرى ، مما يدل على أن الناس كانوا يستغلون مناجم هذه الأرضين في الإسلام ، ويظهر أن ما كان يستخرجه أهل الجاهلية من الذهب ، والفضة من معادنهما لم يكن بمقياس واسع وبكميات كبيرة تصلح للتصدير إلى الخارج ، بدليل أنه لم يعثر على خبر عنه لا في كتاب المسند ولا في روايات أهل الأخبار ، ثم أنهم لو كانوا يستخرجون المعدنين المذكورين بكميات وافرة ، لإستمروا

---

(١) عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص٢٤ .

(2)Crone , P . , op . cit . , p . 78 .

(٣) تاج العروس ، ٣٠٠/٩ .

(٤) تاج العروس ١٦٣/٦ .

(٥) صفة جزيرة العرب ، ص١٥٤ .

(٦) تاج العروس ، ٣٣٠/٩ .

في استخراجها ولحسنوا كيفية استخلاص المعدنين المذكورين من معدنهما إلى ظـــهور الإسلام[١] .

الزيوت :

يستعمل الحضر الزيت في أكلهم وفي تزييت شعرهم ، وفي أمور أخرى ، وهم يحصلون عليه من النبات بعصر لب الثمر المتشبع بالزيت ، واليمن هـــي علـــى رأس الأمصار العربية في إنتاج الزيت وكانت تصدره للحجاز وإلى مواضع أخـــرى مـــن جزيرة العرب[٢] .

(السليط) هو الزيت عند عامة العرب وعند أهل اليمن دهن السمســـم ، وقـــد ذهب بعضهم إلى العكس ، وقيل هو كل دهن عصر من حب ، وذكر أن دهن السمســم هو السيرج والحل[٣] .

وهناك أنواع أخرى من الزيوت منها الشوع ، و استخرج كذلك من موم العســل شمع[٤] .

المنسوجات :

اشتهرت الجزيرة العربية بصناعة المنسوجات و بالأخص بـــلاد اليمـــن ، بـــل وأصبحت بعض المنسوجات تنسب إلى مواطن صنعها في اليمن ، وتـــدل نصـــوص

---

(١) جواد علي : ٥١٥/٧ .

(٢) جواد علي : ٥٣٢/٧ .

(٣) تاج العروس ، ١٥٨/٥ .

(٤) للمزيد من التفاصيل أنظر : جواد علي : ٥٣٣/٧ .

المسند إلى أن الملوك في الجزيرة العربية قد أسسوا دورا للنسيج يباع ما تنتجه في الأسواق[1] .

وقد ترك لنا مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتري وصفا مجملا لسوق موزا وهي سوق (مخا) اليوم إذ قال : كان يردها من البضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية ناعمها وخشنها ، وألبسة خيطت على الزي العربي ذات ألوان قد تكون بسيطة أو عادية أو مطرزه أو موشاة بالذهب والزعفران[2] .

كما قال ابن الأزرق قال عن الجزيرة العربية : " وأما اليمن والبحرين والحجاز والجزيرة العربية وإن ملكها العرب إلا أنهم تداولو ملكها آلافا من السنين ، وأختطوا أمصارها ومدنها وبلغوا المبالغ من الحضارة والترف ، كعاد وثمود والعمالقة وتبع والأدواء ، فطال أمد الملك والحضارة ورسخت الصناعة فلم تبل بلاء الدولة ، فبقيت مستجدة حتى الآن ، واختصت بذلك كصناعة الوشي والعصب وما يستجاد من حوك الثياب والحرير والله وارث الأرض ومن عليها "[3] .

وقد جاءت في الشعر الجاهلي أسماء لأدوات الحياكة والنسيج ، ومن ذلك الوشيعة[4] ، في شعر ذي الرمة في قوله :

به ملعب من معصفات تنسجنه

كنسيج اليماني برده بالوشائع

---

(١) يحي وهيب الجبوري : " المنسوجات العربية في الشعر الجاهلي " ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر – العدد السابع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٢٩٦ .

(٢) جواد علي : ١/٦٠-٦٣ ، وكذا . Schoff, W. H., op. cit., p. 20

(٣) بدائع السالك في طبائع الملك ، الجزء الثاني ، ص٣٢٨ .

(٤) الوشيعة : ما وشع منها أو من الغزل والوشيعة ، كبه الغزل ، والوشيع خشبة ، الحائك التي يسميها الناس الحف ، أنظر : ابن منظور ، (جمال الدين محمد ابن مكرم) : لسان العرب ، الجزء الثامن، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ ، ص٣٩٤ .

والصوف من المواد المنتشرة في جزيرة العرب والتي تصنع منه الملابس نظرا لكثرة الأغنام في المدن ، وأكثر صوف الجزيرة العربية من النوع الخشن ، الذي يصلح لصنع السجاد[١] .

وقد أنشد الأزهري[٢] :

يظل في الشاء يرعاها ويحلبها

وتعمت الدهر الاريث تهبدُ

قال يعمت يغزل ، من العميته وهي القطعة من الصوف واستعملت اللفظة في اللهجات العربية الجنوبية لدلالتها على دور النسيج وعرفت بـ (تعمت) ، أي دور النسيج[٣] .

وكانت الثياب إحدى السلع التي تحملها اللطيمة المرسلة من اليمن إلى بلاد فارس سنوياً ، واشتهرت أنواع من الثياب اليمنية منها :

١ - الأتحمية[٤] : وهي من برود اليمن الملونة ومعناها الموشاة ، وقالوا : الأتحمي ضرب من البرود يقال : تحمت الثوب إذا وشيته ، وفرس متحم اللون إلى الشقرة ، وكأنه شبه بالأتحمي من البرود وهو الأحمر .

٢ - الجيشانية[٥] : برود يمانية منسوبة إلى جيشان[٦] .

---

(١) يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣٠٣ .

(٢) عمت : الصوف و الوبر تعمته عتماً ، لف بعضه على بعض مستطيلاً ومستديراً ، أنظر : لسان العرب ٦٠/٢ .

(٣) جواد علي : ٥٩٨/٧ .

(٤) يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣١٢ .

(٥) يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣١٢ .

(٦) جيشان : مخلاف باليمن كان ينزلها جيشان بن غيلان بن حجر بن ذي رعين ، فسميت به ، وهي مدينة وكوره ينسب إليها الحُمُر السود ، أنظر : نفس المرجع السابق ، ص٣١٤ .

٣ – الحِبره[١] : والحَبَرة (بكسر الحاء وفتحها) وهي ضرب من البرود الموشاة المخططة من أثمن البرود اليمانية وهي من الثياب الغالية يلبسها الاغنياء والسادات وقد تشبه المزوق باليمنية الحبرة ، لما في الحبرة من وشي وزخرفة ولين ونعومة[٢] .

٤ – الخال : وهو ثوب ناعم ، وبرد أرضه حمراء فيها خطوط سوداء [٣] .

٥ – الخِمس : يعرف بالخِمس أو الخميس قيل سمي كذلك نسبة إلى ملك من ملوك اليمن يقال له (الخْمِس) كان أول من أمر بصناعة هذه الأردية فنسبت إليه[٤] .

وقيل خميص (بالصاد) ، وهو كساء صغير ، فاستعارها للثوب ، وقيل الخميس الثوب الذي طوله خمسة أذرع يعني الصغير من الثياب[٥] .

٦ – السحولية [٦]: وهو ثوب أبيض مصنوع من القطن [٧]، وصنفها المتنخل الهذلي بالبياض في قوله[٨] :

كالسحْلِ البيض جلا لونها

سمحُ نجاء الحَمَلِ الأسولِ

والسحل والسحيل : ثوب لا يبرم غزله ، وكان الرسول –ﷺ – يلبس الأثواب السحولية ، كما يلبس الثياب الصحارية[٩] .

ويروى أنه كفّن في ثلاث أثواب سحولية (وقيل في ثوبين صحاريين)[١٠] .

---

(١) جواد علي : ٥٢٥/٧ .

(٢) يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣١٥ .

(٣) تاج العروس : ٣١١/٧ ، وكذا . جواد علي : ٥٢٤/٧ .

(٤) تاج العروس ، ١٤٠/٤ .

(٥) لسان العرب ، (خمس) .

(٦) سحول : قرية من قرى اليمن ، أنظر : يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣١٧ ، وكذا . جواد علي : ٥٢٦/٧ .

(٧) انساب الأشراف : ٥٠٨/١ ، وكذا . تاج العروس : ٣٧١/٧ .

(٨) لسان العرب ، (سحل) .

(٩) أنساب الأشراف ، ٥٧١/١ ، ٥٧٢ .

(١٠) معجم البلدان ، ١٩٥/٢ .

٧ – السيراء[١] : (بكسر السين وفتح الياء والمد) وهي برد فيه خطوط صفر ، يخالطها الحرير ، والسيراء الذهب ، وخصصه بعضهم بالذهب الصافي .

٨ – العبقري[٢] : ضرب من البسط تصنع من الأصواف وشعر الماعز .

وقيل : العبقري الطنافس الثخان ، واحدتها عبقرية [٣] . وعبقر قرية باليمن توشيء فيها الثياب والبسط[٤] .

٩ – العصب : وهي ضرب من برود اليمن ، سمي عصبا لأن غزله يعصب أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك وليس من برود الرقم ولا يجمع[٥] . وقيل يعصب غزلها ، أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشى لبقاء ما عصب فيه أبيض ، ويرى أنه العصب صبغة تستخرج من نبات العصب ، تصبغ بها البرود ونحوها من الأشياء[٦] .

١٠ –الفوف : الفوف برود اليمن وهي ثياب رقاق موشاة ، والفوف الجبة البيضاء ، والأفواف جمع فوف ، وهو القطن وهي في الأصل القشرة التي على النواة[٧] .

١١ – المصلب[٨] : سمي الثوب الذي فيه صور الصليب المصلب وقيل ثوب مصلب فيه نقش كالصليب وقد نهى الرسول – ﷺ – عن لبس هذه الثياب ، وذكر أنه نهى عن الصلاة في بالثوب المصلب[٩] .

---

(١) تاج العروس ، ٢٨٧/٣ ، وكذا . يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣١٩ .

(٢) قيل إن عبقره موضع باليمن أو بالجزيرة يوشي فيه الثياب والبسط ثيابه في غاية الحسن والجودة ، أنظر ، نفس المرجع السابق ، ص٣١٩ .

(٣) معجم البلدان ، ٧٩/٢ .

(٤) لسان العرب ، عبقر

(٥) يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣٢٠ .

(٦) تاج العروس : ٣٨٢/١ ، وكذا . جواد علي : ٥٢٤/٧–٥٢٥ .

(٧) لسان العرب : فوف .

(٨) جواد علي : ٥٢٥/٧ .

(٩) تاج العروس ، ٣٣٧/١ .

١٢ - المعاجر[١] : المعجر والمعاجر ضرب من ثياب اليمن ، وهو ثوب تعتجر به المرأة أصغر من الرداء ، وأكبر من القنعة ، وقيل ثوب يمني يلتحف به ويرتدى[٢] ، والمعجر أيضا ما ينسج من الليف كالجوالق والاعتجار لبسه ، كالإلتحاق .

١٣ - المعافرية : بلد باليمن نسبت إليها الثياب ، وقيل هي قبيلة باليمن[٣] .

١٤ - المقطعات : برود من برود اليمن ، والمقطعات من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قمص وجباب وسراويلات وغيرها وقيل القصار من الثياب[٤] .

ومن اللغويين من اعتبر (المقطعات) لا واحد لها ، فلا يقال للجبة القصيرة مقطعة ، ولا للقميص مقطع ، وإنما يقال لجملة الثياب القصار مقطعات ، وللواحدة ثوب[٥] .

١٥ - الممرجل : والممرحل (بالجيم والحاء المهمله) والمراجل ضرب من برود اليمن والمحكم والممرجل ضرب من ثياب الوشي فيه صور المراجل[٦] .

ويظهر أنها كانت موشاة وكانت من ألبسة المترفين ففي الحديث : " متى يبني الناس بيوتا يوشونها وشي المراجل " يعني تلك الثياب[٧] .

ومرط مرحل عليه تصاوير الرجال[٨] .

---

(١) جواد علي : ٥٢٥/٧.

(٢) تاج العروس ، ٣٨٣/٣ .

(٣) لسان العرب ، (عفر) ، وكذا . أنساب الأشراف ، ٥٧١/١-٥٧٢ .

(٤) تاج العروس ، ٤٧٥/٥ . (قطع) .

(٥) لسان العرب ، (قطع) .

(٦) يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣٢٥ .

(٧) قال امرؤ القيس :

فقمت بها أمشي تجر وراءنا

على أثرنا أذيال مرط مرحل

أنظر : تاج العروس ٣٤٧/٧ (رحل) .

(٨) يحي وهيب الجبوري : المرجع السابق ، ص٣٢٥ .

الوصائل هي ثياب يمانية حمر أو ثياب حمر مخططة أو برود حمر فيها خطوط خضر[1] .

وفي الحديث أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع كساها الأنطاع ثم كساها الوصائل أي حبر اليمن[2] .

وهناك ثياب أخرى غير اليمانية نسبت إلى مدن بعينها ، وإن كانت أقل شهرة مما نسب إلى اليمن ، منها عدن وسميت بالعدنيات فعرفت عدن بصنع البرود واشتهرت بها ، وهي ثياب كريمة ، وأشتهرت برياطتها ، أيضا فقيل (رياط عدنية) [3] .

---

(١) تاج العروس ، ١٥٦/٨ (وصل) .

(٢) أخبار مكة ، ٢٤٩/١ – ٢٥٠ .

(٣) تاج العروس : عدن ٢٧٦/٩ .

الفصل الأول

النشاط التجاري البري

أولاً : الطرق التجارية .

ثانياً : المراكز التجارية .

ثالثاً : القوافل التجارية – الأحابيش .

رابعاً : الأسواق التجارية .

أولا : الطرق التجارية

❖ طرق القوافل البرية .

الطرق التجارية :

تقع شبه الجزيرة العربية في مكان وسط من حيث المناطق المناخية والنباتية في العالم القديم ، فإلى الشرق منها يقع الإقليم الموسمي الغني بإنتاجه الزراعي ، وإلى غربها وشمالها يقع إقليم البحر المتوسط وما وراءه ، وله لون خاص من الإنتاج، الزراعي يختلف عن الإنتاج في الإقليم الموسمي ، التي تتفاوت في إنتاجها تفاوتا كبيرا ، على أن شبه الجزيرة العربية قد خصت بنتاجات متميزة مما يؤدي إلى التبادل التجاري[١] .

كما تعتبر التجارة من العوامل المؤثرة في تبادل حضارات العالم القديم ، ثم فهي قديمة في التاريخ الإنساني عامة ، وفي التاريخ العربي بخاصة ، حيث الوضع الاقتصادي في شبه الجزيرة العربية تبرز فيه ظاهرة واضحة ، هي تنوع الموارد . كما عرفت أيضا ، بموقعها الاستراتيجي الهام وبمكانتها التجارية المرموقة [٢] ، ويعود ذلك نتيجه لعاملين :

الأول : هو تنوع طبيعة الأرض و المناخ ، التي انعكست في تدرج تظهر فيه المناطق الصحراوية ، التي تصل الطبيعة إلى أقساها سواء في قلة الخصوبة ، أو في ندرة المطر في مناطق ، وتظهر فيه مناطق أخرى أقل قسوة في طبيعتها من هذه ، كذلك تظهر في هذا التدرج الطبيعي بعض الواحات أو مجموعات منها، التي يوجد فيها عدد من العيون أو الينابيع . كما تظهر أخيرا ، المناطق التي تحظى بتربة خصبة وتعزز فيها الأمطار الموسمية ، مثل القسم الجنوبي الغربي لشبه

---

(١) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص١٣٣ -١٣٤ ، وكذا

محمد السيد غلاب : " التجارة في عصر ما قبل الإسلام " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص١٩٠ .

(2)Orchard, J ., " Finding the Ancient Sites in Southern Yemen " , JNES , VOL . 41 , I , 1982 , p.4.

الجزيرة العربية ، ثم كان هناك إلى جانب هذا بعض المعادن التي وجـــدت فـــي مناطق متفرقة في أرض شبه الجزيرة العربية .

الثاني : فهو الموقع الجغرافي ، الذي تحتله شبه الجزيرة العربية بـــرا وبحـــرا بيـــن إقليمين جغرافيين مختلفين هما : إقليم المناطق الحارة الاستوائية ، وإقاليم منـــاطق الشرقين الأوسط والأقصى ، هذا في الشرق ، من جهة وبين المناطق المطلة على البحر المتوسط في الغرب من جهة أخرى .

وهكذا كانت شبه الجزيرة العربية المعبر الطبيعي ، وفي بعض الأحيان المنطلق الطبيعي ، لقوافل التجارة البرية ، حيث كان الطريق البري أقدم وأهم مـــن الطريـــق البحري ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عاملين ، أولهما، أن العرب بطبيعتهم كـــانوا بالدرجة الأولى تجار بر ، لا تجار بحر ، وثانيهما : عدم صلاحية الشاطئ الأســـيوي للبحر الأحمر لقيام المواني عليه بالنسبة للساحل الإفريقي[١] .

إن مصر في عهدي ساحورع وحتشبسوت قد جلبت البخور ، ومن ثم فإن مصر تأخذ حصتها من البخور والعطور قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد [٢] . ومن ثم فإن الدكتور سليمان الذييب يستبعد استخدام الطرق البرية عند العرب في تلك الفـــترة ، لأن هذه الطرق التجارية لم تبدأ بالإزدهار – كما دلت الدراسات – إلا من خـــلال الألـــف الأول قبل الميلاد ، بالإضافة إلى أن الدراسات الأثرية تشير إلـــى ضعـــف النشـــاط السكاني المستقر والدائم خلال الألف الثاني قبل الميلاد [٣] . فكيف كانت تنقل البخـــور والعطور إلى الشمال ومن ثم إلى مصر . ولكن يبدو أن المصريـــن كـــانوا يجلبـــون

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : " البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمـــة " ، البحـــر الأحمـــر وظهيره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣م ، ص٥٧٨ .

(2) Herodotus , p.221 ;
Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, I, Chicago, 1906 , chap. 161 ;
Parr, P., L' op. cit., P. 42.

(٣) سليمان بن عبد الرحمن الذييب : " الموطن الأصلي للأنباط " ، الـــدارة ، العـــدد الثـــاني ، الســـنة الحاديـــة والعشرون ، ١٤١٦هـــ ، ص٧٧-٧٨ (٢٧) .

بخورهم وعطورهم في تلك الفترة عن طريق سواحل البحر الأحمر . ومن ثم في فترة متأخرة ، منذ الألف الأول قبل الميلاد ، اتجهوا إلى اليمن [١] .

تأثرت حركة تجارة القوافل وطرقها في شبه الجزيرة العربية بالأوضاع السياسية [٢]، التي تنتاب مراكزها وأسواقها ومناطق مرورها ، حقيقة هي تزدهر في أوقات السلم وتطور العلاقات الودية ورسوخ البنيان السياسي للحكومات القديمة ، وأيضا مع حالات الاستقرار السياسي تزدهر الحياة وتتوجه الجهود للبناء ويزداد الطلب على السلع الأساسية ، والكمالية ، التي تتوفر عن طريق التجارة .

ولكن عندما تشهد مناطق أو بعضها بمناطق الشرق الأدنى القديم تغيرات سياسية أو علاقات دولية ، فإن هذا يسبب في إحداث خلل كبير في موازين القوى السياسية العالمية القديمة ، وبالتالي يترك أثره الواضح على حركة التجارة وطرقها . لقد كان اهتمام الاسكندر الأكبر بشبه الجزيرة العربية بداية لعلاقة

---

(1) Sauer, J., Blakely , J., " Archaeology along the Spice Route of Yemen " , in Araby the Blest, Study in Arabian Archaology , ed . by Potts, D., The Carsten Niebuhr institute of Ancient Near East Studies , 1488, pp.91-115 .

(٢) إن فتوحات الاسكندر الأكبر ، الذي نقل علاقات اليونان بالشرق من مجرد مواجهات عسكرية محدودة مع الإمبراطورية الفارسية لم تؤثر على حدودها بأية صورة فعالة ، إلى سيطرة فعلية على هذه الإمبراطورية في بعض الأراضي المجاورة لها ، أي على أقسام كبيرة من منطقتي الشرق الأدنى والأوسط ، أحدقت بحدود شبه الجزيرة العربية ، ودفعت بالإسكندر إلى التفكير في غزو هذه المناطق والاستعداد الفعلي لذلك حتى تكتمل له حلقة الاتصال البحري الذي كان يرى منه تدعيما لدائرة سيطرته التي شملت مناطق من الشرق والغرب ، وربطا بين طرفي وحدة حضارية عالمية كان يعتقد بإمكان تحقيقها ويتصورها امتزاجا كاملا بين عناصر الحضارات الشرقية بالغربية ، بل نجد الجغرافي استرابون يذكر أن الإسكندر كان يأمل أن يتخذ من شبه الجزيرة العربية مقرا ملكيا له ، ورغم أن الحملة المزمعة لم تخرج إلى حيز التنفيذ بسبب الموت المفاجئ للإسكندر في ٣٢٣ ق.م ، إلا أن الاستعدادات التي اتخذها بهدف القيام بهذه الحملة تشير إلى نوعية هذه المرحلة من مراحل الاهتمام الدولي بشبه الجزيرة العربية : أنظر :

لطفي عبد الوهاب يحي : " الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية " دراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب الأول – مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص٥٧ وكذا

Pliny , Naturalis Historia , V I , 159 ,

نشطة بين اثنتين من الدول المتأغرقة التي قامت على أنقاض إمبراطورية الاسكندر ، هما دولة السلوقيين [1] في سوريه ، ودولة البطالمة في مصر ، وبين شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم جاء اهتمام السلوقيين والبطالمة [2] نتيجة الصراع العنيف الطويل الذي نشب بين خلفاء الإسكندر ، وبخاصة من هذين البيتين الحاكمين ، وهو صراع استخدمت فيه كل أنواع الأسلحة بما فيها السلاح الاقتصادي على وجه الخصوص .

لقد أقام السلوقيون بعض المستوطنات بين الفرات وجرها [3] ، كما عقدوا اتفاقية مع هذه المدينة لتمدهم بالتوابل ، أما عن البطالمة فنجد أن بطليموس فيلاد لفيوس Philadelphos (٣٠٨-٤٠٦ ق . م) ثاني ملوكهم ، يرسل أرسطون Ariston ليستكشف له ساحل شبه الجزيرة العربية المطل على البحر الأحمر حتى مضيق باب المندب .

---

(١) عن السلوقيين أنظر : CF. : Polybios , Nataralis Historia VI , 147 , X 111 , 9 : 4-5 , XV , 1 : 4

(٢) عن البطالمة أنظر : CF. :Polybios , II , 39 : 11 , Pliny Naturalis Historia VI , 157; Tarn, W.W., " PtolemyII and Arabia " , JEA, XV , 1929 , pp. 9-11.

(٣) محمد سيد عبد الغني : " الجرهاء ودورها في الحضارة العربية " ، إقليم الخليج على مر عصور التاريخ - منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ص٣٥-٦١ وكذا.

رشاد محمود بغدادي : " حول تحديد موقع الجرهاء " ، إقليم الخليج على مر عصور التاريخ - منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤١٧/ ١٩٩٦م ، ص٦٣-٧٨ .

لذلك نجد هذا الملك يحفر قناة تصل النيل بالبحر الأحمر[1] قرب السويس الحالية[2]، كما يحاول قطع " طريق التوابل والطيوب " عن بترا Petra (البتراء)[3] عاصمة الأنباط عقاباً لهم ، لسبب إنضمامهم إلى جانب السلوقيين في الصراع البطلمي السلوقي . فيعقد اتفاقية مع اللحيانيين ، الذين كانوا يسيطرون على ديدان Dedan (العلا) جنوب منطقة الأنباط ، والتي كانت تنتهي عندها طرق التجارة القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية[4] .

---

(١) كثيراً ما تردد في المؤلفات العربية ، معلومة مؤداها أن القناة التي يسميها بعض الباحثين " قناة البحر الأحمر" أو " قناة السويس " حفرها أحد ملوك الأسرة الثانية عشر المسمى " سنوسرت " على أساس أنه الاسم المصري القديم ، الذي كتبه مؤرخو اليونان والرومان "Sesostries " وقالوا عنه إنه أول من حفر هذه القناة . أنظر : دراسة جيدة حول ذلك :

عبد المنعم عبد الحليم سيد : " قناة النيل– البحر الأحمر المسماه قناة " سيزوستريس " و أدلة عدم وجودها في العصر الفرعوني " ، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ ، ص١٩٩-٢٢٢م .

(٢) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص١٩١ ، وكذا . مصطفى كمال عبد العليم : " تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص٢٠٢.

(٣) البتراء : السلع – الرقيم : كانت عاصمة لأدوم ، ثم صارت لمؤاب ، ومن بعدهم أصبحت عاصمة للأنباط ، وتقع إلى الشرق من وادي عربة ، في منتصف المسافة تقريباً ، بين رأس خليج العقبة ، والبحر الميت ، أو على مبعدة خمسين ميلاً إلى الجنوب من البحر الميت ، والبتراء : كلمة يونانية تعني الصحراء ، ولعلها ترجمت للكلمة العبرانية " سلع" التي جاءت في (سفر أشعياء، ١٦ : ٤٢ : ١١) ، والتي كانت تطلق على البتراء من قبل ، كما تعني كذلك " الشق في الصخر "، وربما كانت التسمية العبرية أكثر دقة ، أما الاسم العربي للبتراء ، فهو " الرقيم " وربما هو اسم كان للبتراء ، وكان الإغريق يعروفونها به هو " Arke " فحرفة العرب إلى الرقيم ، وربما أرادوا بالرقيم " خزانة فرعون " بالذات ، وأما أسمها الحديث فوادي موسى ، أنظر : معجم البلدان ٢٣٦/٢ ، ٣٤٦/٥ ، جواد علي ٥٣/٣ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٥٢١-٥٢٣ ، وكذا

سليمان بن عبد الرحمن الذييب : المرجع السابق ، ص٦٧ ، ٧٤ (١) .

(٤) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص١٠٢-١٠٣ ، ١٠٩ وكذا مصطفى كمال عبد العليم : المرجع السابق ، ص٢٠٢ .

ومهما يكن من أمر ، فقد تأثرت طرق القوافل ومراكز العمران ، بأحداث تاريخية تجعل بعض الطرق تزدهر على حساب الأخرى ، وتساعد إلى ازدهار بعض المدن وذبول الأخرى ، وربما كانت فترات الازدهار معاصرة لفترات المطر الوافر ، وفترات الذبول معاصرة لفترات الجفاف ، كما لا يمكن فصل النشاط التجاري في شمال شبه الجزيرة العربية عن حالات الأمن أو حالات الاضطراب التي تسود البلاد ، والتجارة نشاط اقتصادي يحتاج لقدر كبير من الأمن ، بينما يعرقل الاضطراب طرق القوافل ، وقد يؤدي تماما بالنشاط التجاري [١].

ولهذا الوضع الذي أحاط بالتجارة وطرقها القديمة أثره الكبير في ابتعاد طرق التجارة العالمية عن ثورة الصراع العسكري ، لذلك وحدت التجارة العالمية في طرق الصحراء المنعزلة ، العرب الذين كان لهم من بين شعوب الشرق الأدنى القديم، كلمتهم على أرضهم ، أفضل الطرق والتجارة الجيدة ، وذلك بسبب امتلاكهم . ناصية الإبل وخبرتهم العالمية في مسالك الأرض العربية خير الشعوب القديمة في تملك زمام شهرة تجارة القوافل بمناطق الشرق الأدنى القديم[٢] .

وقد زاد من قيمة المورد التجاري الناتج عن هذا الوضع البري والبحري الوسيط ، عنصر تاريخي يتصل ببعض الأوضاع ، التي كانت سائدة في العصر القديم، ففي ذلك العصر كانت الطيوب والبخور تشكل سلعة أساسية لا غنى عنها في الحياة اليومية كجزء هام من الطقوس الدينية ، وفي المنزل والمعبد والصفقات التجارية والاجتماعية ، والسياسية ، والأنشطة الرياضية ، واحتفالات الزواج والمواسم الجنائزية، وقد كانت شبه الجزيرة العربية ، إما منتجة لهذه الطيوب وإما وسيطا تجاريا ستوردها هي وغيرها من السلع ، من جهة ليصدرها إلى الجهة الأخرى ، وبالتالي

---

(١) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٢) رضا جواد الهاشمي : آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، بغداد ١٩٨٤م ، ص١٤٠-١٥٠ .

أعطت هـذه التجارة سكان جنوب الجزيرة العربيـة كل الثروة التي تمتعوا بها لعـدة قرون [1].

طرق القوافل البرية :

يمكن أن نميز عدة اتجاهات رئيسية للطرق البرية الاتجاه الأول (الطولـي) : والتي كانت تتبعه طريق موازية تقريبا للبحر الأحمر من أقصى جنوب شبه الجزيـرة العربية إلى المنطقة السورية ، وشواطئها في الشمال ، هذه الطريق ، كانت تبدأ مـن منطقة الجوف ، حيث قتبان في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيـرة العربيـة ، وحضرموت ، الواقعة إلى مشرقها وسبأ المتاخمة لها من ناحية الشمال .

يبدو أن اتفاقا ما كان قائما بين أثنتين من هذه المناطق الثلاث ، علـى الأقـل ، وهما سبأ وقتبان ، تتجمع بمقتضاه ، أحمال الطيوب والتوابل في تمنـع (تومنـا)[2] عاصمة قتبان ، ولعل التضاريس الجغرافية هي التي قضت بهذا الاتفاق ، ومن تمنـع تبدأ طريق القوافل الرئيسية نحو الشمال فتخترقه الحدود الشمالية لمنطقة سبأ لتتخذ بعد ذلك شكل ممر طويل ضيق يقع في أرض المعينيين ، ثم تصل بعد ذلك إلى مكة ، التي نراها قبل ظهور الإسلام – كما سيأتي بعد – مركزا تجاريا نشطا يعقد الصفقات ويبرم الاتفاقات سواء منها الداخلية أو التي تتم مع الدول والمناطق المتاخمة لشبه الجزيـرة

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبـل الإسـلام ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م ، ص٢٨٩-٢٩٠ ، وكذا .

عبد الله سعود السعود : " استئناس الجمال وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية " ، الأطلال ، العـدد الرابع عشر ، الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص١٠٣ .

(٢) عرفت في كتابات الإغريق والرومان باسم Thumma , Thomna , Tamma كما أن O ' Leary يذهب إلـى أنها جاءت في جغرافية بطليموس تحت اسم Thouma إنما هي تمنة " وتقع تمنع فـي وادي بيجان أنظر : جواد علي ٢/٢٢٢-٢٢٣ وكذا

O' Leary De Lacy D. D, op. cit., p. 97 .

العربية [١]، وذلك بسبب إدراك المكيون لأهمية هذا الطريق فاستخدموه بكفاية عالية وفق سياسة الحياد التي اتبعوها مع القبائل[٢] .

ثم تستمر الطريق شمالا إلى ديدان (العلا) ، ثم إلى مدين[٣] (مغاور شعيب)، حيث لا تزال الآثار التي تنم عن ثروة هاتين المدينتين تشير إلى الثروة التجارية ، التي كانتا تتمتعان بهما[٤] ثم إلى أيله[٥] (العقبة) ثم بعد ذلك إلى البتراء[٦] ، وهي تعد النافذة الرئيسية لتجارة العرب ، ومحطة كبيرة لقوافلهم .

ثم يتفرع الطريق حيث يتجه أحدهما إلى تدمر في الشمال والأخر إلى الغرب مع ميل طفيف إلى الشمال الغربي ، حتى يصل إلى غزة[٧] ورينو كولورا Rhinokoloura على الشاطئ الفلسطيني[٨] .

---

(١) فقد عقدت قريش معاهدات مع أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية ، ومع شيوخ قيس وأقبال اليمن وإسراء اليمامة وملوك غسان والحيرة وكانت هذه المعاهدات تسجل في الصحف أوعلى الآديم. أنظر :

السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل الإسلام ، الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص٣٥٩ .

(٢) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص٥٨ .

(٣) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٢٢٨ .

(4)Dussaud , R ., La Penetration des Arabes en Syrie avant L ' Islam , Paris , 1955 , P . 48 .

(٥) الطريق إلى آيله أنظر : Strabo , xvI , 4 : 4

(٦) عن الطريق بين البتراء وغزه أنظر : Plinius : VI , 145

(٧) الطريق من تمنع إلى غزة أنظر : ناصر سعد الرشيد : " تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي " ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص٢١٧ ، وكذا . الإدريسي (أبو الفضل عبد الله بن الحسين) : جزيرة العرب من نزهة المشتاق بغداد ١٩٧١م ، ص٢٠-٣١ ، وكذا جواد علي : ٢٤١/٧، وكذا . Pliny : x 11 , 64

(٨) عرفان محمد حمور : اسواق العرب ، دار الشورى ، بيروت١٩٧٩م ، ص٢٦ ، وكذا . سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص١٥ .

هذا وقد زيد على هذين الفرعين فرع ثالث ، في عهد الإمبراطور تراجان إترايانوس Trajanus يصل بين آيله وتدمر[١] ، ثم شقه في ١١٠-١١١م مارا بالبتراء وأريوبوليس Areopolis (ربه عمون) وفيلادلفية Philadelphia (عمان) وبصري Bostra ومنتهيا إلى تدمر[٢] .

وكان يتفرع من البتراء أيضا طريقان أحدهما إلى دمشق وآسيا الصغرى، ثم من الحجر يتفرع طريق إلى تيماء، ومنها عبر الصحراء إلى بلاد ما بين النهرين والجوف ومنها إلى وادي سرحان فسوريا[٣] .

هذه هي الطريق البرية الطولية ، التي كانت تصل بين جنوبي شبه الجزيرة العربية وشمالها ، إتجاها إلى المنطقة السورية وشرق البحر المتوسط ومصر[٤] . فقد كان هذا الطريق بين اليمن والشام عبر الحجاز ، يحفز التجار على اعتمادها أمران ، على الأقل ، الأول أن عدن ربما كانت أول مرفأ بعيد بعض الشيء عن متناول النفوذ الفارسي ، هذا إن كان الحال غير ثابت على هذا بعض الأحيان . والثاني استعداد القوافل العربية الجيد لنقل تجارة الشرق عبر الحجاز منذ أيام مملكة سبأ[٥] .

على أن الذي لا شك فيه أن سبأ كان لها نفوذ واسع يمتد إلى نجد وإلى شمال الحجاز ، وكانت تسيطر على هذا الطريق التجاري الرئيسي وإن هناك حكاما سبئيين معتمدين في الواحات الشمالية ، التي تقع على هذا الطريق وكانت واحة ديدان

---

(١) عن الفرع بين أيله وتدمر . أنظر : Dussaud , R , op . cit ., p.p.24 , 154-155

(٢) مصطفى كمال عبد العليم : المرجع السابق ، ص٢٠٢ .

(٣) أحمد حسين شرف الدين : " مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض١٤٠٤هـ /١٩٨٣م ، ص٢٥٢ .

(٤) يذهب الأول عبر سيناء إلى مصر ، وينتقل الثاني بالتجارة إلى غزة ، لتنقل بحرا إلى العالم الغربي ، ويواصل الثالث سيره شمالا ويمر ببصرى قبل بلوغه السوق الرئيسية للتجارة في دمشق أنظر : رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٢٢ ,Dussaud ,R, 64 , 11 x , Pliny . op . cit , p.p. 24 , 104-155

(5) Miller , J .I., op. cit., p.p. 146, 157,199.

(العلا) المركز الرئيسي ، الذي تمارس فيه دولة سبأ نفوذها في شمال غـــرب شـــبه الجزيرة العربية ، إلى جانب تيماء ومعان ، وإن كانت ديدان هي المقر الرسمي للحاكم السبئي المقيم[١] كما أن سترابو يذكر أن القوافل التجارية كانت تقطع الجزء الواقع مـــن هذه الطريق بين جنوبي غربي شبه الجزيرة العربية وآيله في الشمال الغربي منها فـــي سبعين يوما[٢] بينما يذكر أن مسافة رحلة القوافل من مدينة تمنع جنوبا إلى غزة شمالا، كانت مقسمة إلى ٦٥ محطة أي أنها تمثل بالضرورة (٦٥) يوما بالجمال ، وقد حـــدد طول هذا الطريق بنحو ٢٤٣٧٥٠٠ خطوة تقريبا أي مـــا يقـــرب مـــن ٤٤٣٦ ميـــلا (٤٠٥٦ كيلو متر) [٣].

وفي كل محطة منها مواقف للجمال ، وأن أصحاب القوافل كان عليهم أن يدفعوا في كل شوط من هذه الأشواط ثمن الحصول على الماء أو الحشائش للجمال أو أجـــر النزل الخاصة بالمبيت أو رسوما لقاء السماح لهم بالمرور أو الحماية وهكـــذا يســـتمر الدفع على طول الطريق[٤] ، وقد كانت الأبار وعيون الماء تفرض اتجاه هذا الطريق ، فتجعله مستقيما أو ملتويا بين المحطة والثانية[٥] .

ونجد ، إلى جانب هذا التعميم ، مثالا محددا لما كان يحدث فـــي تمنـــع بدايـــة الطريق ، حيث كان ملك قتبان يجبي ضريبة على كـــل الطيـــوب والتوابـــل المـــارة بمنطقته كما كانت حصص من الطيوب والتوابل تعطي لرجال الدين ولأمنـــاء الملـــك وحرسه وحاشيته وخدمه ، لحراس البوابات مما كان يرتفع كثيرا بثمن هـــذه الطيـــوب

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٧٠ وكذا السيد عبـــد العزيـــز ســـالم : المرجـــع الســـابق ، ص١٥٩-١٦٠ .

(2)Strabo , XVI , 4 : 4 .

(٣) أما عن المسافة بين كل محطة وأخرى تختلف من مصدر لآخر أيضا ، إلا أن متوسط البعـــد بيـــن محطـــة وأخرى ، حوالي أربعون كيلو متر ، إلى ما يقرب تسعة وأربعين كيلو مترا ، وهي المســـافة التي يسيرها الجمل في اليوم الواحد ، أنظر :

Van Beek , G . W . ," Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia ", Jaos , Vol , 78 , 3 . 1958 , p .145

(4)Pliny , X11 , 65 ; O ' Leary (Delacy D . D .) , op . cit . p . 97 .

(٥) صورة الأرض ، ص٤٦-٤٧ .

والتوابل ، قبل أن تصل إلى نهاية طريقها على شواطئ البحر المتوسط[1] ، وعلى أثر الأحداث التي وقعت بين كل من الفرس والروم والأحباش واليمنيين ازدهر الطريق التجاري البري بين اليمن والشام عبر الحجاز ، وأضحى هذا الطريق الشريان الرئيسي للتجارة ، بسبب وصله بين أكبر سوقين استهلاكين في المنطقة ، اليمن وما يتصل بها ، وسورية وما تصدر له ، وهذا كان سببا في التحول حول مكة من محطة صغيرة إلى صاحبة تجارة عالمية يطلب ودها الملوك والأمراء وإن أمن هذا الطريق لم يكن يعتمد على قوة مكة السياسية والعسكرية بقدر اعتماده على سياسة الإيلاف المعنوية التي خلقت التوازن بين الدولتين المتصارعتين الفرس والروم[2] .

أما عن الطرق الأخرى التي كانت تخترق شبه الجزيرة العربية عرضا ، فمنها :

الأول : جنوبا ، ويشير إليها إراتوستينس الجغرافي (٢٧٥-١٩٤ ق . م) ، وهو أحد أمناء مكتبة جامعة الإسكندرية ، حين يذكر أن طريقا[3] كانت تمتد من المناطق المنتجة للمر في الغرب ، متخذة اتجاها شرقيا بطول الساحل المتعرج لشبه الجزيرة العربية ، حتى تصل إلى المنطقة المنتجة للقرفة بعد ٥٠٠٠ ستاديون (حوالي ٥٤٩ كيلو متر) ، ولكن يبدو أن هذه الطريق لم تكن توصل إلى ميناء على شاطئ المحيط الهندي أو الخليج العربي ، إذ يذكر لنا هذا المؤرخ أن أحدا لم يكن قد وصل بعد عصره إلى أبعد من منطقة القرفة ، التي يتحدث عنها ، كما

---

(١) صورة الأرض ، ص٤٦-٤٧ ، وكذا . جواد علي : ٣٣١/٧ ، وكذا . إبراهيم بيضون :" الإيلاف القرشي" ، الحلقة الأولى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٤٢ ، أيار ١٩٨٢م ، ص٣٠ .

(٢) إبراهيم بيضون : " الإيلاف القرشي " الحلقة الثانية ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٤٣ ، أيار ، ١٩٨٣م ، ص٣٠ .

(٣) يحدد إراتوستينس الجغرافي طول الطريق ، الذي يبدأ هير ... (قرب السويس الحالية) ويتجه نحو الشرق مخترقا بلاد الأنباط وأرض الخولوتين (سكان دومة الجندل) ، ثم أرض الجرهائيين (جرهـا) قبل أن يصل إلى نهايته ، عند بابل ، والكاتب يحدد طول هذا الخط ، الذي يقدر بمسافة ٥٦٠٠ ستاديون (حوالي ١٠١٨كم) والمسافة بينه وبين السواحل الجنوبية ؛ التي يقدر أنها تبلغ ١٢ ألف ستاديون (حوالي ٢١٨٢كم) كما يعطينا طول ساحل شبه الجزيرة العربية المطل على البحر الأحمر وهو ١٤٠٠٠ ستاديون (حوالي ، ٢٥٩٠كم) أنظر :
Musil , A. , in the Arabian Deserta , New York , 1930 , p . 498 .

يزيد على ذلك أنه لا توجد مدن كثيرة على الشاطئ ، بينما يوجد في الداخل عدد من المدن الجميلة ، وهي إشارة لنا أن نستنتج منها عدم وجود موانئ داخل الشاطئ [١].

وهكذا يبدو لنا أن نعتبر أن هذه الطريق كانت مهمتها الأساسية وربما الوحيدة، أن تتبعها قوافل القرفة (سواء أكانت هذه القوافل لتجار من منطقة القرفة ، أو لتجار أتوا إليها من الغرب وعادوا بأحمال القرفة) ، متجهة نحو الغرب حتى تتجمع في (تمنع) عند بداية طريق القوافل المتجهة شمالا وهو استنتاج يؤيده ما يذكره لنا بليني[٢] الذي نعرف منه أن ملك قتبان كان الوحيد ، الذي يتحكم في تجارة القرفة .

الثاني : الطريق الشهير باسم طريق البخور ، بالقسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ، متخذه اتجاها شماليا إلى جرهاء في وسط ساحل شبه الجزيرة العربية على الخليج العربي ، فبعد أن تتجمع المنتجات والطيوب العربية المختلفة من سواحل حضرموت وقتبان وسبأ ، بالإضافة إلى السلع ، التي تصل عن طريق الحبشة والهند ، تتحرك القوافل شمال شرق إلى الجوف ومنها إلى نجران، وبعد مغادرة نجران يتفرع عن هذا الطريق مسارا يتوجه نحو الشمال الشرقي مارا بوادي الدواسر عند الفاو ومنها إلى الأفلاج فمرورا بمنطقة الخرج ، شرقا إلى اليمامة ، أو عن طريق واحة يبرين على بعد ٣٠ كيلو متر جنوبي غربي الهفوف فهجر ، ومن منطقة هجر على سواحل الخليج العربي تتوجه شمالا إلى وادي الرافدين فبلاد سورية [٣].

---

(1)Strabo : XVI , 4 : 4 .

(2)Pliny : X11 , 93 .

(٣) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٢١ ، وكذا . عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، قرية الفاو ، جامعة الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص١٦-١٧ .

يبدو أن نشاط هذا الطريق التجاري كان مكثفا إلى حد كبير والذي يبدو أن هذا النشاط التجاري يرجع إلى فترات زمنية موغلة في القدم ، والتي تشير إلى علاقة حضارية قوية مع حضارة العبيد بمصر [١] .

الثالث : التي تخترق شبه الجزيرة العربية عرضا ، حيث تبدأ من مكة و تنتهي إلى وادي الرافدين ، ويسبق هذه المرحلة الطريق الحجازية تنتهي عند يثرب ثم الطريق من الشمال إلى وادي الرافدين وبصرى [٢]. ودليلنا التاريخي على مسار هذا الطريق هو إبرام القرشيين الاتفاق مع الإمبراطور الفارسي ، وهو اتفاق كان هدفه تأمين تجارة القرشين في المناطق الواقعة تحت سيطرة الفرس، ومن ثم يشير إلى وجود مثل هذا الطريق ، وفي الواقع فإن هناك آثارا لا تزال باقية حتى الآن على الطريق بين مكة ووادي الرافدين، وعند حائل في وسط المسافة تقريبا ، تتفرع الطريق إلى فرعين في هذا الاتجاه ، أحدهما يصل إلى مصب الفرات مارا بموقع بريده والآخر يصل إلى بابل وقد أصبح هذا الفرع الأخير طريقا رئيسيا للحج والتجارة في العصر الإسلامي تحت اسم " درب زبيده " [٣] (الذي كان يصل إلى المتحف بجوار بابل) ولكن يبدو مؤكدا أنه كان موجودا ومستخدما قبل ظهور الإسلام .

---

(١) أنظر عن الحضارة العربية القديمة ، وعلاقتها بحضارة العبيد في الطرق القديمة ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٠٤-٢٠٨ .

(٢) صالح درادكة : " إيلاف قريش " ، دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، العددان السابع عشر والثامن عشر ، ١٩٨٤م ، ص٦٢ .

(٣) درب زبيده : طريق للحج ، وهو يمثل أهمية إسلامية وتاريخية تتمثل في المنشآت المعمارية الضخمة المنتشرة على طول امتداده من حدود المملكة العربية السعودية ، شمالا إلى الأرض المقدسة جنوبا . أنظر : مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، إدارة الآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ ، ص١٢ .

الرابع : وهناك طريق آخر هام يصل مكة بالخليج العربي ، ويقطع اليمامة ويصل إلى موانئ الخليج البحرية وجرها ، وقامت عليه مراكز مهمة[١] .

الخامس : فكانت تتفرع من الطريق الطولية الجنوبية الشمالية ، بعد مسافة شمالي يثرب ثم يتجه الطريق من يثرب في اتجاه شمالي شرقي مارا بعدد من المراكز أهمها تيماء ثم دومة الجندل ، ثم تنتهي إلى وادي الرافدين عند بابل على نهر الفرات ، وهذه الطريق تعد من الطرق التجارية القديمة والهامة[٢] .

السادس : طريق جرهاء – البتراء ، ويبدأ من جرها ثم الهفوف ثم إلى شمال اليمامة ، عند موقع مدينة الرياض الحالية تقريبا ، ثم يتجه إلى الشمال الغربي ، موازيا جبل طويق ، ثم يتجه غربا إلى بريده ، ومنها إلى حائل فتيماء ، وأخيرا البتراء[٣] .

ويرى كلا من Bowen , R. [٤] و Beek , G .[٥] ، أن هناك طرق قصيرة عدة يمكن أن تكون طرقا لقوافل تستخدم لنقل اللبان والمر وذلك من مناطق إنتاجها إلى مناطق تجميعها ثم تسويقها مع المنتجات الأخرى ، وتتمثل تلك الطرق في طريق البخور المشهور ، الذي يعد من أشهر ، وأهم الطرق التجارية المتجهة إلى شمال شبه الجزيرة العربية ، من جنوبها ،وذلك بعد انتزاعه أولا لأبرز مركز بتجميع اللبان والمر[٦] .

إن امتداد الطرق للقوافل التجارية القديمة في شبه الجزيرة العربية ، ، تؤكدها بعض النصوص الأشورية والكلدانية والكلاسكية (اليونانية والرومانية) كما أن كثيرا

---

(١) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٦٢ .

(٢) إبراهيم بيضون : " الإيلاف القرشي " ، الحلقة الأولى ، ص٣٠ .

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٣٦ .

(4)Bowen ; R . , " Ancient Trade Routes in South Arabia ," Archaeological Discoveries in South Arabia , Baltimore , 1958 , p.p . 35 ff .

(5) Van Beek , G . , " Ancient Frankincene – Producing Areas ," in Bowen, R – Le Baron and Albrigh't , F.P., Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore , 1958, p 144 .

(6)Von Wissman , H . , " Himyar Ancient History " , Le Museon , 77 , 3-4 , 1964 , p . 438 .

من هذه الطرق بقيت نشطة إلى صدر الإسلام ، وورد ذكرها أو ذكر مواضعها في كثير من موارد الشعر العربي القديم ، وأخيرا فإن أعمال التنقيبات والاستكشافات الأثرية ونتائجها ، أيدت بالبرهان المادي صحة المعلومات المدونة عن هذه الطرق[١] .

ولقد ظلت تلك المسالك هي المسالك الرئيسية لنقل التجارة بين اقطار العالم القديم ، منذ عصور ما قبل التاريخ حتى اكتشف فن الملاحة المباشرة عبر المحيط الهندي ، وذلك في منتصف القرن الأول للميلاد ، وجاء الحصار الروماني في القرن الرابع الميلادي فكان ضربة قاصمة للتجارة في الجزيرة العربية وحضارتها وثقافتها أيضا [٢].

وبعد تقديم دراسة عن أهم طرق تجارة القوافل في شبه الجزيرة العربية ، يجدر بنا الالتفات إلى جملة من الشروط ، التي تحدد مسار خطوط التجارة وتتحكم بها إلى حد بعيد وهي :

أولا : لا تستطيع شبه الجزيرة العربية أن تفاخر بوجود نهر واحد دائم الجريان يصب ماؤه في البحر ، وليس في نهيراتها الصغيرة ما يصلح للملاحة[٣] ومن ثم فهي تعد من جملة الأرضين ، التي يغلب عليها الجفاف ويقل فيها سقوط الأمطار ، وهكذا أصبحت أكثر بقاعها صحراوية[٤] ، وقد عوضت عن الأنهار بشبكة من الأودية التي تجري فيها السيول عقب المطر[٥] . ومن ثم فقد اعتمد تجار القوافل على مسار الوديان الرئيسية والثانوية لأنها تساعدهم وإبلهم على التنقل فيما توفره لهم من مصادر المياه وبعض العشب والكلأ ، اللذان يعدان من الشروط الضرورية لقطع قفار الأرض العربية[٦] .

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٢٩٢ ، وكذا
Van Beek,.G.," The Rise and Fall of Arabia Felix ", Scintifis American – December 1969 , pp. 36 FF .

(٢) أحمد حسين شرف الدين : المرجع السابق ، ص٢٥٢ .

(3)Philip , H. K ., History of the Arabs, London , 1960 . p . 18 .

(٤) جواد علي : ١٥٧/١ .

(٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١١٢ .

(٦) عبد الله مسعود السعود : المرجع السابق ، ص١٠١ .

ومثال ذلك الطريق البرية الثالثة من مكة باتجاه الشمال إلى وادي الرافدين ، حيث يسير الطريق في شبه الجزيرة العربية مع بطن وادي فلح (وادي الباطن) الذي يمتد من شمال نجد متجهاً نحو الشمال الشرقي إلى أن ينتهي بالقرب من البصرة الحالية . وترجع أهمية هذا الوادي إلى توفر أبار المياه العذبة فيه ، ويشغل هذا الوادي ما يقرب من ربع الطريق ما بين البصرة الحالية ومكة[١] .

ثانياً : مواطن الآبار : وهي لأهميتها تشكل منازل على طرق القوافل تستريح عندها القافلة وتتزود بالماء والمؤونة لمواصلة رحلتها ، وقد تحول بعضها بسبب وفرة مياهها وزراعتها وموقعها إلى عقدة تجارية هامة ، وأمثلتها كثيرة في مناطق شبه الجزيرة العربية ، ومنها ديدان (العلا) والحجر (مدائن صالح) وتيماء والبتراء وتدمر والفاو[٢] .

كما تجدر الإشارة إلى رواية هيردوت بخصوص الآبار وأهميتها في بلاد العرب ومعرفة العرب بمواضعها حيث يقول : " كان في البلاد العربية نهر كبير اسمه Corys يصب في البحر الأحمر ، وإن ملوك العرب كانوا يضعون أنابيباً من جلود الثيران أو الحيوانات الأخرى لتوصل بين النهر وبين كل جهات الصحراء ، وهكذا يوصلون الماء إلى آبار معينة كانوا أعدوها[٣] .

ثالثاً : المسافة بين موطن ماء وأخر : وعلى الرغم من القدرة العالية للإبل على تحمل العطش وقسوة المناخ بشكل منقطع النظير - كما ذكرنا سالفاً ، وأن بمقدورها السير لمسافة تتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كم قبل ورودها الماء ، وبالتالي فهي المسافات المقبولة على مساحة شبه الجزيرة العربية الواسعة .

---

(١) معجم ما استعجم : ١٥٠/٢ .

(٢) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، ص٩٧ .

(3)Herodotus : III , 7-9 .

رابعا : دور العرب القدامى أنفسهم ، وبخاصة أصحاب الإبل منهم ، فالعربي يعد بوصله الصحراء التي لا تخطئ ، ولم ينجح في مجاوراتهم في هذا المضمار من النشاطات أي شعب أخر معاصر لهم ، لذلك بقيت التجارة حكرا عليهم ، ولم ينجح الأشوريون أو البابليون الكلدانيون و اليونان والرومان ، ومن الوصول إلى مواطن التجارة العربية ، ولا السيطرة على طرقها ، على الرغم مما بذلوه من مساع كبيرة في هذا الشأن .

وهكذا نستخلص أن الأطراف تكاملت لإنشاء تجارة رابحة بين الإقليم الموسمي ومناطق الهلال الخصيب من ناحية ، وبين غرب شبه الجزيرة العربية وجنوبها ومصر ودول شرق البحر المتوسط من ناحية أخرى ، أو بمعنى أخر ، وحدت مناطق الإنتاج وأسواق الاستهلاك ، والعرب الرعاة وإبلهم فيما بينها وسطاء للتجارة .

ومن ثم نشأت الطرق والدروب الصحراوية لتسلكها التجارة ، وكما أصبح جنوب غربي شبه الجزيرة العربية مركز إشعاع حضاري واقتصادي تخرج منه القوافل التجارية إلى الشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، بصفة خاصة ، عبر مكة ويثرب وديدان ، حتى الساحل الشرقي للبحر المتوسط وحول خليج العقبة إلى مصر ، كما كانت موانئ الخليج العربي مركز الإشعاع الثاني للطرق والدروب الصحراوية ، فمنه تخرج الطرق إلى غرب شبه الجزيرة العربية وإلى جنوبها وشمالها الغربي[1] .

---

(١) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م، ص١٢٤،١٢٧، وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٣٤ .

ثانيا : المراكز التجارية

- مكة المكرمة .
- يثرب .
- خيبر .
- فدك .
- ديدان / دادان / ددن (العلا) .
- الحجر .
- تيماء .

المراكز التجارية :

مكة المكرمة :

لقد كانت مكة المكرمة ، والحديث عنها شغل المؤرخين الشاغل ، قديما وحديثا فأفردوا لأسمائها الكثيرة ، وتأريخها بالمطولات والمختصرات وما ذلك إلا لمزيد فضلها وعظيم شرفها ، فهي مولد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وقبلة المسلمين الثانية ، وبها وضع أول بيت للناس فقد احتلت هذه المكانة الدينية والقدسية منذ قديم الأزل ، ومنها انبثق النور يمحو ظلمات الجاهلية ويبدد الشك ويضئ للعالم الطريق المستقيم[١] ، ويرسم صورة للحياة الفاضلة التي تفوق ما حلم به الفلاسفة والمفكرون . ومنها خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، مهاجرا إلى المدينة المنورة ليؤسس الدولة الإسلامية القائمة على الحق والخير والفضيلة .

ولما خرج رسول الله – ﷺ – ، من مكة ، وقف على الحزوره وقال إن لأعلم أنك أحب البلاد إلي وأنك أحب أرض الله إلى الله ولو لا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت[٢] .

ولما كان عام الفتح وقف رسول – ﷺ – على جمرة العقبة ، وقال : والله أنك لخير أرض الله وأنك لأحب أرض الله إلي ولو لم أخرج ما خرجت ، أنها لم تحل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد كان بعدي وما أحلت لي إلا ساعة من نهار ثم هي حرام لا يعض شجرها ولا يحتش خلالها ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد .

---

(١) أحمد محمود صابون : مكة المكرمة – أسماؤها ، وتأريخها ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٥م ، ص٤-٥ .

(٢) ابن حنبل (الإمام أحمد) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الجزء الثالث ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، (بدون) ، ص٤٠٥ ،

وقالت عائشة رضي الله عنها لولا الهجرة لسكنت مكة فإني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلد ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة " ، وقال ابن أم مكتوم وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله -ﷺ- ، وهو يطوف :

أرض بها أهلي وعوادي ... يا حبذا مكة من وادي

أرض بها أمشي بلا هادي[1] ... أرض بها ترسخ أوتادي

هذا ولقد تعددت آراء المؤرخين والمفسرين اللغويين حول اشتقاق مسمى مكة ، ومن أراء اللغويين المسلمين من عقد الصلة بينها وبين ألفاظ عربية معينة تشبهها في الشكل والنطق أو في دلالة التقديس ، أي أن لها تفسيرات لغوية وغير لغوية استنبطت من مكانة الكعبة وقدسيتها في نفوس العرب[2] .

ولا جدال في أن تعدد الأسماء دليل على شرف المسمى ، وتنويه بمنزلته ، وتعبير عن شرف مقامه وعظيم صفاته ، ومرجع هذا إلى أن كثرة الأسماء والنعوت تومئ إلى أن نواحي العظمة ، فيما أطلقت عليها أكثر من أن يستوعبها لفظ واحد ، وأن تلم بجوانبها كلمة بعينها[3] .

ويقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[4] .

تنوعت تفسيرات مكة فمنها[5] :

---

(١) معجم البلدان ، ١٨٣/٥ .

(٢) الروض الانف ، ٨١/١ .

(٣) أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٦ .

(٤) سورة الفتح آية : ٢٤ .

(٥) أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٨-١١ .

أولا : أن أبا بكر بن الأنباري يذهب إلى أنها سميت مكة ، لأنها تمك الجبارين[1] أي تذهب عنهم نخوتهم ، فيذلون لها فيخضعون ، أي أنها تمك من ظلم فيها وألحد، أي تهلكه أو تنقصه ، حيث قال الراجز :

يا مكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي من حجا وعكا

ومن ثم فقد سميت كذلك لأنه لا يفجر بها أحد إلا بكت عنقه ، فكان بصبح وقد التوت عنقه [2].

ثانيا : هناك تفسير لغوي بأن الكلمة مشتقة من مك - وزن رد - العضيل ما في ضرع أمه بمكة - وزن يرد - مكا و امتك - بفتح التاء و تضعيف الكاف - وتمككه : امتص جميع ما فيه ، وشربه كله ، أي مشتقة من أمتك[3] ، من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع أمه الناقة ، مصه مصا شديدا .

ولما كانت مكة مكانا مقدسا للعبادة فقد امتكت الناس ، أي جذبتهم من جميع الأطراف[4] ، كما أنه اجتذبت إلى نفسها ما في البلاد من الأقوات التي تأتيها في المواسم[5] ، وقيل : لما كانت في بطن وادي ، فهي تمك ، الماء من جبالها

---

(١) معجم البلدان ، ١٨١/٥-١٨٢ .

(٢) يذكر المسعودي عن إساف ونائله ، وبغت جرهم في الحرم ، وطغت حتى فسق رجل منهم في الحرم بامرأة وكان الرجل يدعى بـ أساف والمرأة بـ نائله فيمسخهما الله عز وجل حجرين صخرا بعد ذلك وثنين وعبدا تقربا بهما إلى الله تعالى وقيل بل هما حجران ، ونحتا ومثلا بمن ذكرنا وسميا بأسمائهما . أنظر : أخبار مكة ٨٨/١ .

(٣) لسان العرب ، ٤٩٠/١٠ .

(٤) معجم البلدان ، ١٨٢/٥ ، وكذا . ابن هشام ١٩١/١ . لما فرغ إبراهيم، عليه السلام ، من بناء بيت الله الحرام ، الذي أمره الله عز وجل ببنائه أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج فقال له : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) سورة الحج ، آية ٢٧ .

(٥) لقد تضرع إبراهيم ، عليه السلام إلى ربه الكريم : (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) سورة إبراهيم : آية ٣٧ وكذا . ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص١٤١ -١٤٢ .

وأخشابها عند نزول المطر ، وتجذب إليها السيول[١] ، وأنها سميت مكة من مك الثدي ، أي مصه ، لقلة مائها ، لأنهم كانوا يمتكون الماء أي يستخرجونه[٢] .

ثالثا : أنها إنما تقع بين جبلين مرتفعين عليها[٣] ، ومن ثم فهي في هضبة بمنزلة المكوك[٤] ، أي المكان الهابط بين مرتفعين .

رابعا : يذكر ياقوت الحموي : أن الشرقي بن القطامي يقول إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا متى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه ، أي نصفر فيه صفير ، المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها ، و المكاء بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض ، قال أعرابي :

ورد الحضر فرأى مكاء يصيح فحن إلى بلاده ،، فقال[٥] :

---

(١) الروض الأنف ، ٢٢/١ ، وكذا . الشامي (محمد بن يوسف الصالحي) : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ص١٩٨.

(٢) معجم البلدان ، ص١٨٢ ، وكذا . السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، الإسكندرية ١٩٦٧م ، ص٢٩٥ ، وكذا . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٩٢ .

(٣) الجبلان هما أخشبا مكة ، وفي الحديث في ذكر مكة لا تزول مكة حتى يزول أخشباها ، أي جبلاها .. الأخشبان الجبلان المطيفان ، بمكة ، وهما : أبو قبيس وقعيقعان ويسمان : الجبجاب أيضا ، ويقال بل هما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان ، وقال ابن وهب : الأخشبان جبلا منى اللذان تحت العقبة ، وكل خشن غليظ من الجبال ، فهو أخشب ، وقال السيد العلوي : الأخشب الشرقي أبو قبيس ، والأخشب الغربي وهو المعروف بجبل الحظ ، والحظ من وادي إبراهيم ، عليه السلام ، وقال الأصمعي : الأخشبان أبو قبيس ، وهو الجبل المشرف على الصفا ، وهو ما بين حرف أجياد الصغير المشرف على الصفا ، إلى السويد ، إلى تلي الخندمة ، وكان يسمى في الجاهلية الأعرف ، وهو الجبل المشرف وجهه على قعيقعان ، أنظر : ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي الشيباني) النهاية في غريب الحديث والأثر ، الجزء الثاني ،تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م ، ص٣٢ وكذا . الزبيدي (أبو الفيض مرتضي بن محمد) : تاج العروس ، الجزء الأول ، الكويت ، (بدون) ص٢٣٤ ، وكذا ، جواد علي ٨-٧/٤ .

(٤) معجم البلدان ، ١٨١/٥ .

(٥) معجم البلدان ، ١٨١/٥ .

ألاء ولا شـــبع فـــأين تبيـــض ألا أيـــها المكـــاء مـــالك هاهنـــا
قرى الشـــام ولا تصبـح وأنـت مريـض فـاصعد إلـــى أرض المكـــاكي واجتنـــب

خامساً : وقيل أنها تمك على الغريم ، أي ألح عليه في اقتضاء الدين وغيره[١] ، حيث في الحديث عن النبي -ﷺ [٢]- ((لا تمككوا على غرمائكم بقول ولا تلحوا عليهم إلحاحاً يضر بمعايشهم ولا تأخذوهم على عسرة وأرفقوا بهم في الاقتضاء الأخذ وأنظروهم إلى ميسرة ولا تستقصوا)) .

سادساً : لكونها تجهد أهلها ، أي أنها من تمككت المخ وأمتص ما فيه أي استخرجه[٣].

سابعاً : وقيل أنها تمك الذنوب ، أي تذهب بها ، كما تمك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه ولم يبق فيه شيئاً إلا امتصه .

ويرجع أن الاسم إنما أخذ من لغة الجنوب ، لما كان اسم مكة سابقاً لتفسيرات الإخباريين ، ولما كانت قبائل الجنوب وهي أول من سكن هذا الوادي مع الإسماعيلين، مستنداً إلى البيت الحرام[٤] ، حيث جاء اسم مكة في جغرافية بطليموس السكندري تحت اسم (ماكورابا) وهي قريبة من (مكرب) التي عرفت عند السبئيين بأنها تعبير عن لقب كان يحمله الكاهن الحاكم في سبأ قبل أن يتحول إلى ملوك ، أي في عصر المكاربه ، ومن المرجح أنها تعني " المقرب إلى الله " أو " بيت الرب " أو " بيت الإله " لأنها مدينة مقدسة[٥] .

---

(١) زكي عابدين غريب : الحياة الأدبية في مكة في القرن الأول الهجري ، الجزء الأول ، من العصر الجاهلي حتى صدر الإسلام ، الإسكندرية ١٩٨٣م ، ص١٧ .

(٢) ابن الأثير (المبارك بن محمد) : النهاية في غريب الحديث والأثر ، الجزء الرابع ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود أحمد الطناحي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م، ص٣٤٩ .

(٣) محمود الشرقاوي ، مكة المكرمة ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص١٣ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ٢٩٤-٢٩٥ .

(1) Lammens , H . , La Mecaque a la Veill de l' Hegire , p . 22

ويذكر بروكلمان أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ، ومعناها الهيكل[١] ، بينما ذكر جرجي زيدان أنها قد تكون مشتقة من " مك " في اللغة البابلية بمعنى البيت[٢] ، ويصح أنها تعني الوادي العظيم أو وادي الرب[٣] .ولعل بطليموس الجغرافي أخذ الاسم عن طريق الأرامين[٤] .

وإذا جاز عقد مثل هذه الصلة مع لغة أخرى من خارج شبه الجزيرة العربية فلا بأس من أن تضاف إليها مقارنة ، وهي وجود لفظة مكة في اللغة المصرية القديمة ذات الصلة بمجموعة اللغات السامية ، واستخدامه بما يعني " الحماية " " وسلامة الوضع " ولم تكن اللغة البابلية غريبة تماما عن إبراهيم ، عليه السلام قبل هجرته الأولى من جنوب العراق إلى جنوب الشام ، كما أن اللغة المصرية القديمة لم تكن

جاء في تاريخ العرب " قال مولر : قامت السفن منذ زمن بعيد تمخر عباب المياه بين موانئ بلاد العرب الشرقية والهند ، محملة بالبضائع وكانت منتجات الأخيرة وخاصة الطيب والبخور والحيوانات النادرة ، تنقل إلى ساحل عمان ، ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد كانت لهم دراية بالخليج العربي ، حيث كانوا يممون شطر مصر ويبيعون فراعنتها وأمراءها بضائعهم ، وقد كانت صعوبة الملاحة في البحر الأحمر سببا في تفضيل الطريق البري للتجارة بين اليمن وسورية ، وكانت القوافل تقوم من (شبوه) في حضرموت وتذهب إلى مأرب عاصمة سبأ ، ثم تتجه شمالا إلى مكربه (مكة فيما بعد) وتظل في طريقها من بترا حتى غزة المطلة على البحر الأبيض المتوسط . أنظر: سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص١٩، وكذا محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص٣٩٢ ، وكذا أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص١٢.

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الجزء الأول ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ١٩٤٨م ، ص٣٣ . إن " ماكورابا " أو على الأصح " م كاربا " حسب اللهجة الأرامية الشرقية لا السريانية الغربية – يصح أن تعني الوادي العظيم أو وادي الرب ، أنظر سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٩ .

(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص٢٧٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص٢٩٥ .

(٤) كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص٣٣ وكذا .

Gerald de Goury , Rulers of Mecca, London , 1951 , p.24.

كذلك غريبة على إسماعيل عليه السلام ، مع بنوته للسيدة هـاجر المصريـة ، التـي احتضنته إلى مكة في رفقة إبراهيم ، عليه السلام ، وما قيل كذلك في (سفر التكويـن) من أن زوجته الثانية كانت مصرية ، وأيضا ، وعلى أية حال فإن الاستشهاد بـاللفظين البابلي والمصري هنا لا يعني بالضرورة أنهما يمثلان مع لفظ مكة العربـي مسـمى واحد[١] .

ولا يعني أن أحد هذه الألفاظ الثلاثة قد اشتق من الأخر بالضرورة ، وإنما يمكن أن يكون إفتراض اشتقاق جميعها من مصدر سامي قديم يصعب الآن تحديده[٢] .

وعلى أية حال ، يرى البعض أن بطليموس قـد حـرف بلهجتـه الأعجميـة (اليونانية) الاسم العربي ، الذي هو على ما يرى " مكة الرب " إلى بلد الله ، قد تحـول في الترجمة إلى " ماكو راب " وجاء المستشرقون ، فتأولوا الاسم بأنه من اللفظ السـبئ " ماكورابا " [٣].

هذا وهناك العديد من المسميات التي أطلقت على مكة المكرمة من القرآن الكريم ولعل أشهرها :

(بكة) : قال تعالـى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ [٤] .

بكة لغة في مكة عند الأكثر والباء والميم تعقب أحدهما الأخر كثيرا [٥].

---

(١) أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص١٣ .

(٢) عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص١٩٨-١٩٩.

(٣) عبد القدوس الأنصاري : بين التاريخ والآثار ، جدة ١٣٩٧هـ ، ص٢٠ .

(٤) سورة آل عمران ، آية (٩٦) .

(٥) محمد سيد طنطاوي : " حديث القرآن من المسجد الحرام " مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين ، المركز العـام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، القاهرة ٢٣-٢٥ ربيع الأول١٤٠٨هـ / ١٥-١٧ نوفمبر ١٩٨٧م ، ص٥٨ .

وكذلك من الأسماء التي وردت في القرآن الكريم قال الله تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ (٢)

وهناك أسماء كثيرة عن مكة المكرمة منها : القرية والبلد ، والبلدة والبلد الأمين و البيت و البيت العتيق و البيت الحرام و البيت المحرم و الباسة البساسه وبسابسا و برة و برد وبساق و الثنية و الحاطمة ، والرأس وطلاح وطيبة وعامر والعذراء و العرش والعرش ، والعرش والعريش والعروض ..

لقد حافظت مكة المكرمة على مكانتها الدينية والتجارية منذ اقدم العصور، وحول تأريخ مكة المكرمة ، يرى أن أقدم ذكر لها في النصوص القديمة ، عندما ذكر الجغرافي بطليموس (١٣٨-١٦٥م) في خريطته تحت اسم (مكارابو) Makarabu (٣)، وقد رأي العلماء أنها مكة المكرمة ، ويرى أحد الباحثين(٤) ، إلى أن المعبد الشهير الذي ذكره ديودور الصقلي (من القرن الأول الميلادي) في أرض قبيلة عربية دعاها Bizomeni ، وقال أنها مكان مقدس له حرمة وشهرة بين جميع العرب ، ومن ثم فهو يعني " بيت مكة " فهو أمر غير مقبول ، فهو يقع بعيد عن مكة في "حسمي " المسمى بـ " روافه " (٥) حيث بنت قبيلة ثمود ، فيما بين عام ١٦٦م ، وبداية عام ١٦٩م معبدا هناك .

---

(١) سورة الشورى آية : (٧) .

(٢) سورة الأنعام آية : (٩٢) .

(٣) كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ص٣١ .

(4)Gerald de Goury , op . cit . p . 24

(٥) أنظر عن معبد العوافة :

Philby , J , B ., " The Land of Midian " M EG , 9 , 1935 . PP . 127-128 .

إن تاريخ مكة إنما يعود إلى ما قبل بطليموس الجغرافي بكثير ، فهناك من يروى أنها سابقة كتابة أسفار التوراة [١].

بينما يذهب البعض إلى أن تأسيس مكة كان في منتصف القرن الخامس الميلادي ، حيث كان لبلاد العرب دين واحد وعقيدة مشتركة مركزها مكة[٢] حيث جمع قصي بن كلاب قومه وأذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا ، ويعلل البعض من المؤرخين أن جرهم وخزاعة لم يكن لهم رغبة في إقامة بيوت بجوار بيت الله الحرام[٣] .

ويرجع بعض المؤرخين أن تأريخ مكة إنما يرجع إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد وذلك لأنه ثابت تاريخيا ودينيا أن الخليل عليه السلام ، قد أتى بولده إسماعيل وزوجته هاجر من فلسطين ، إلى هذه البقعة المباركة[٤] ، طبقا لصريح القرآن الكريم حيث يقول عز وجل : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس[٥] تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ [٦] .

---

(١) محمد بيومي مهران : إسرائيل – الكتاب الأول ، التاريخ – الإسكندرية ١٩٧٨م ، ص٢٤-٢٥ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص٤٥ .

(٣) عبد الكريم بن محب الدين القطبي : إعلام العلماء ببناء المسجد الحرام ، علق عليه أحمد محمد جمال وعبد العزيز أحمد الرفاعي و د. عبد الله الجبوري ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٨ .

(٤) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، ص٢٥١-٢٥٩ ، وكذا . الكامل في التاريخ ٥٨/١ ، وكذا . تفسير القرآن العظيم ، ٥٣٢/١-٥٤٦ ، وكذا . المقدسي (المطهر بن طاهر) : كتاب البدء والتأريخ ، الجزء الثالث ، باريس ١٩٠٣م ، ص٦٠ ، وكذا . مقدمة ابن خلدون ، ص٣٦-٣٧ وكذا . تاريخ اليعقوبي ، ٢٥/١ .

(٥) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الجزء الثالث عشر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص٢٣٠-٢٣٣ ، وكذا تاريخ الخميس في أنفس نفيس ، ص١٠٦ .

(٦) أخبار مكة ، ٥٤/١-٥٦ .

وإذا ما عرفنا أن الخليل عليه السلام ، كان يعيش في الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ق.م)[١] وأنه قد رزق بولده إسماعيل وهو في السادسة والثمانين من عمره ، فإنه إسماعيل يكون قد ولد حوالي عام ١٨٥٤ ق.م ، ولما كان قد عاش ١٣٤ عاما[٢] ، فإنه يكون قد انتقل إلى جوار ربه الكريم ، حوالي ١٧١٧ق.م ، ومن ثم فإنه قد عاشر الفترة (١٨٥٤-١٧١٧ق.م) وإذا كان صحيحا إنه شارك أباه في بناء الكعبة ، وهو في الثلاثين من عمره ، تصديقا لقوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾[٣] .

فإن بناء الكعبة حينئذ يكون حوالي عام ١٨٢٤ق.م ، وهذا يعني أن مكة قد عمرت منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ق.م ، وهو تاريخ يجعلها أقدم مدن بلاد العرب الجنوبية والشمالية سواء بسواء[٤] .

وتروى بعض المصادر الإسلامية ، أن مكة عرفت من أحقاب طويلة وقد قيل أن العماليق سكنوها قبل قدوم إبراهيم وابنه إسماعيل ، عليهما السلام ، وأن إسماعيل لم يصل إليها حتى كانت جرهم قد حلت محل العماليق في ظروف لم تثبت كيفيتها في التاريخ[٥] .

وتولت جرهم أمر البيت ، إلى أن قدمت قبائل " الأزد " مهاجرة من اليمن في فترة لا نستطيع تحديدها على وجه اليقين[٦] ، ونازعت خزاعة جرهم أمر البيت حتى

---

(١) أنظر : محمد بيومي مهران : إسرائيل ، الكتاب الثاني ، التاريخ ، الإسكندرية ١٩٧٨م ، ص١٧١-١٧٧ .

(٢) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص٤٨ ، وكذا. محمد بيومي مهران : " قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة " مجلة لكلية اللغة العربية، العدد الخامس ، الرياض ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص٣٨٣-٤٥٧ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٧ .

(٤) محمد بيومي : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٨ .

(٥) أخبار مكة ١/٥٤-٥٦ .

(٦) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٩٩ .

استولت عليه وطردت جرهم من مكة ولم يلبث أبناء إسماعيل أن انتشروا في أنحـــاء شبه الجزيرة العربية وخاصة في الشمال[١] .

ومن هذا يبدو لنا أن مكة إنقضى على تأسيسها العهد الذي عاش فيه إســـماعيل إلى أن ولي الأمر حفيده مضامن بن عمر بن جرهم ، والسميدع بن هوبر بن لاوي في قطور ، وهو ما يقدره المؤرخون بنحو قرنين من الزمان كان السكن في مكة قد امتـــد بجرهم من بطن الوادي بجوار زمزم أخذاً سمته إلى قعيقعان فـــي الشـــمال ويســـمى أوبعضه اليوم (جبل الهندي) وإلى الشمال الشرقي بما يحازي القشاشـــية والمســـعى متوجهاً إلى أعلى مكة ، كما تغلغل أبناء عمومتهم في قطور في شعب أجياد وإلى مـــا يتصل بالسد من ناحية وفي شارع المالية على المصافي من ناحية أخرى ، ثم انحدرت منازلهم بانحدار الوادي من أجياد فيما يسمى المسيال ، حتى اتصل بأطراف المســـفلة، كما يبدو أن الأحياء الأخرى من مكة لم يتصل بها العمران ، إلا في قرون متأخرة[٢] .

وقبائل خزاعة التي جاءت مهاجرة من اليمن وهم فرع من القحطانين وانتصرت على جرهم في مكة [٣] لم يناسبها المناخ في مكة لأنهم كانوا يعيشون في جنوب غـوب شبه الجزيرة العربية ، حيث الخصوبة ووفرة المياه ، لذلك فقد رحلت أكـــثر بطـــون القبيلة ترتاد البلاد التي تتناســـب وما أنخزعت بمكـــة بطـــن مـــن القحطـــانيين – أي انقسمت – وتلك هي خزاعة وبذلك ورثت خزاعة الحكم في مكة[٤] .

ثم انتهى أمر مكة بعد ذلك إلى عمرو بن لحي الذي أدخل عبادة الأصنام[٥] .

---

(١) مروج الذهب ، ٢/٤٩-٥٠ .

(٢) أحمد محمود صابون ، المرجع السابق ، ص٧٥-٧٦ .

(٣) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، نادي مكة الثقافي ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٢١-٢٢ .

(٤) مروج الذهب ، ٢/٥٦ .

(٥) قالوا أن الرجل منهم كان إذا ملك ألف ناقة ، فقأ عين فحلها ، وقد فقأ عمرو بن لحي عين عشـــرين فحـــلاً ، ولعل من الغريب إن يملك شخص ٢٠ ألف ناقة مع أن المعروف في أوائل الجيل الحـاضر أن إحصاء الإبل في هذه البلاد بلغ رقماً قياسياً ، ومع ذلك فلم يجتمع مثل هذا العدد إلا لعدة قبائل أنظر : الأصنام ، ص٨ .

وظل أمر ولاية البيت ومكة في يد عمرو بن لحي وولده مدة حكمهم ، ولم يخربوا في البيت شيئا – مثلما فعل الجراهمة ، ولم يبنوا فيه شيء حتى آل أمره إلى قصي بن كلاب ، إن تاريخ بني إسماعيل من هذه الفترة ، وحتى عهد قصي بن كلاب، غامض غموضا شديدا ، ولا يعرف حتى المؤرخون العرب كيف يملأون فراغ هذه القرون المتطاولة[١] .

وإلى قصي بن كلاب يرجع الفضل في جمع أفراد قريش المبعثرين في نواح متعددة إلى وادي مكة ، وجعل لكل بطن منهم حيا خاصا على مقربة من الكعبة ، فاستحق بذلك لقب " المجمع "[٢] .

ومن ثم دخلت مكة المكرمة عصر التنظيم السياسي ، والديني والاقتصادي حيث بدأت السيادة القرشية على مكة بقيادة رجلها العظيم " قصي بن كلاب " الجد الرابع ، لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[٣] ، وبذلك استولى قصي على مكة وجعلها لقبيلة قريش وطرد منها خزاعة[٤] .

وأيا ما كان الأمر فقد تمكن قصي بأن يكون سيد المدينة المقدسة ، وأن يفرض نفوذه على بطون كنانة ، التي كانت تلي بعض مناسك الحج ، وأن ينزل قريشا مكة ، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة و الندوة واللواء فحاز شرف قريش كله[٥] .

---

(١) أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٨٠ .

(٢) محمد الطيب النجار : " أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام " مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمين ، القاهرة ٢٣-٢٥ ، ربيع الأول ١٤٠٨هـ/١٥-١٧ نوفمبر ، ١٩٨٧م ، ص٦٣ .

(٣) جواد علي ١٩/٤ ، وكذا . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٠٠ .

(٤) إبراهيم بيضون : " الحجاز و الدولة الإسلامية " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٣م ، ص٣٦ .

(٥) ابن قتيبه (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوي) : المعارف ، القاهرة ١٩٣٤م ، ص٣١٣ .

ومكة منذ أن تسلم قصي السيادة عليها وآل أمرها إلى قريش أصبحت مركـــزا للحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية ، ولم يكن لأي مدينة في شبه الجزيرة العربيـــة المكانة التي كانت لمكة المكرمة[١] .

وقد نتساءل عن الأسباب التي كانت وراء بروز مدينة وضعتها الطبيعـــة فـــي أرض جرداء خالية من الزرع والأنهار[٢] ، فكيف تتحول بقعه كهذه في ظـــل بيئتـــها الصحراوية[٣] إلى محطة تجارية كبرى ، وتكون دون غيرها فـــي الحجـــاز أو شـــبه الجزيـــرة العربيـــة الأكثـــر إفـــادة من التحول الذي طرأ على اتجـــاه المواصـــلات البعيدة المدى .

ولنجيب على ذلك التساؤل ، نرى أن التجارة البرية المرتبطة بشبكة من الطـرق وفي مقدمتها ، طريق اليمن – سورية ، هيأت لها بدون شك الظروف المناسبة ، وكـان قربها من اليمن محور التجارة القديم تأثير كبير في إكتسابها دور الوسيط التجـاري[٤] ، فكان لزوما لمن يحمل التجـــارة مـــن اليمـــن إلى سورية ، والعائد بنفس الاتجـــاه أن يلوذ بها .

وهنا نلمس ما للموقع الجغرافي المميز لمكة من أهمية ، جعلتها عقدة تتجمع فيها القوافل التجارية ، حتى إذا ما كان القرن السادس الميلادي نجح القرشيون في احتكـــار التجارة في بلاد العرب ، بالإضافة إلى سيطرتهم على طرق القوافل التي تربط اليمـــن بسورية ، من ناحية والعراق من ناحية أخرى[٥] .

---

(١) أنظر : معجم البلدان ، ٢٣٨/١ ، ٤٢٧/٣ ، ٣٩٤/٤-٣٩٥ ، ٢٦٨/٥-٢٦٩ .

(٢) أخبار مكة ٥٤/١ .

(3)Watt , M . G . , : Muhammad at Mecca , Oxford University Press , 1953 , p.18 .

(٤) المسالك والممالك ، ص١٢٨ .

(٥) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٠ ، وكذا . ناصر بن سعد الرشيد : المرجـــع الســـابق ، ص٢١٨ ، وكذا . إبراهيم بيضون : الإيلاف القرشي ، الحلقة الأولى ، ص٢٣ وكذا . صالح درادكـــة : المرجع السابق ، ص٦١ ، وكذا . أحمد عبد الرحمن عيسى : " من دلالات سورة قريش "،=

ولا يتصور البعض قيام مكة بلا تجارة ، ولا يصل سيمون إلى القول : لا مكة بلا تجارة ، ولكن يرى أن مكة قبل الاتجار ما كان يمكن أن تكون سوى محجة ومحطة صغيرة لقوافل طريق البخور بين اليمن وسورية[١] ، على الأكثر .

وقد خطت قريش خطوة أخرى في اجتذاب القبائل ، بعد أن وفرت لهم الأمن والأمان بجوار بيت الله الحرام فنصبت أصنام جميع القبائل عند الكعبة ، فكان لكل قبيلة أوثانها تأتي في المواسم لزيارتها .

وهكذا كان من نتائج ذلك أن يجتمع في كل حج حول البيت أناس من العرب من كل الأديان ، وتزداد مكانة مكة عند العرب ، حتى تصبح المفخرة القومية والحرم الإلهي عندهم[٢] ، ونستنتج أن مكة لم تكن بالنسبة للحجاج هي سقاية وطعام فقط ولو كان كذلك لاصطنعت أي دولة أخرى هذه التنظيمات بل أنها كانت قبلة العرب لإقامة أصنامهم بها ، وهوت إليها أفئدتهم[٣] .

وتمضي السنون وتزداد مكانة مكة والكعبة المشرفة عند العرب ،ولعل هذه المكانة الفريدة هي التي دفعت بأصحاب القوى في تلك الأيام إلى محاولة هدمها أو وضعها تحت نفوذ لسلطانهم ، فقد فعل ذلك " حسان بن عبد كلال " لكن أمره باء بالفشل الذريع[٤] ، وفعل ذلك أبرهة الحبشي ، ولكن الله سبحانه وتعالى :﴿ وأرسل

=دراسات تاريخية تربوية ، مجلة لكلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الأول، الرياض ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص١٠٨ ، وكذا

Watt , M . G . , op . cit . p . 3 .

Donner , F . M , " Mecca' s Food Supplies and Mouhammad ' s Boycott " , JESHO . vol . xx Part III , 1977 , p . 251

(١) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص٣٥٦-٣٦١ ، ٣٧٥-٣٧٩ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٢٢ ، وكذا . عباس العقاد : مطلع النور ، أو طوالع البعثة المحمدية ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص٥٦ .

(٣) أخبار مكة : ٣٣/١-٣٤ وكذا . أحمد إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص١٠٢ .

(٤) جواد علي : ٥٨٤/٢-٥٨٥ .

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(٣)تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(٤)فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [١]
ثم محاولة الرومان السيطرة على العرب ، وبعد فشل حملة أبرهه ، وطرد الأحبـــاش من اليمن ، عمل الرومان على تغيير سياستهم تجاه العرب ، وسعوا إلى تمليـــك أحـــد سادات العرب عليهم ، وقد ارتضى قيصر أن يكون " عثمان بن الحويرت " ملكاً على مكة من قبله ، وكانت محاولة فاشلة أيضاً[٢] .

---

(١) سورة الفيل : آية ٣-٥ .

(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص١١٤-١١٥ .

يثرب :

تبعد يثرب حوالي (٤٨٠) كيلو مترا شمالي مكة المكرمة ، وتقوم في واحة خصبة غزيرة المياه ، بين لابتين بركانيتين ، تعرفان بالحرتين ، الحرة الأولى (حرة واقم) : وهي الحرة الشرقية ، وتسمى أيضا حرة بني قريظة وتنقسم إلى خمس مناطق منطقتان كانت لليهود [١] . وثلاث كانت للأوس من الأنصار[٢] . والثانية وهي حرة الوبرة : تقع بضاحية بيثرب بالغربية وعلى بعد (٤) كيلو متر من يثرب ، وتمتاز بكثرة الهضاب والمستنقعات والمنخفضات والمرتفعات ، وفي هذه الحرة المدرج الذي يقال إنه " ثنية الوداع " ومعروف أن هناك الحرتان . هما اللابتان اللذان تحدان حرم المدينة[٣] ويحدها من الشمال جبل أحد ، ويقع جبل عير في جهتها الجنوبية وتوجد بيثرب ما يقرب من ستة وديان[٤] .

ويذكر اليعقوبي بأن " البحر الأعظم " أي البحر الأحمر منها على ثلاثة أيام، وساحلها موضع يقال له الجار ، وإليه ترسي مراكب التجار التي تحمل الطعام من مصر[٥] .

ولقد تعددت تفسيرات مسمى **يثرب** ، كما عرفت أيضا بعدد من الأسماء شأنها في ذلك شأن مكة المكرمة ، فتعدد الأسماء – كما ذكرنا سابقا – لشرف المكان وعظيم الشرف لمدينة المصطفى – ﷺ – حيا وميتا على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم . ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ﴾ [٦] .

---

(١) أنظر دراسة تفصيلية : أحمد محمود صابون : " حول تأريخ دخول اليهود بلاد الحجاز " ، مجلة الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الثاني والأربعين ، العام الجامعي ، ١٩٩٥/٩٤م ، ص٢٠٢-٢٣٤ .

(٢) عبد القدوس الأنصاري :آثار المدينة المنورة ، المطبعة السلفية ، بالمدينة المنورة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص٢١٠-٢١١ .

(٣) وفاء الوفاء ١١٨٩/٤ . وكذا . عبد القدوس الأنصاري : المرجع السابق ، ص٢١٢-٢٣٧ .

(٤) أنظر : وديان المدينة : نفس المرجع السابق ، ص٢١٧-٢٣٧ .

(٥) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر) : البلدان ، ص٣١٣ مع كتاب ، ابن رسته (أحمد بن عمر) : الأعلاق النفسية ، ليدن ١٩٨١م .

(٦) سورة الأحزاب / آية ١٣ .

وقد ذكرت بهذا الاسم في الكتابات المعينيه ، ربما بسبب وجود جاليـــة معينيـــه كانت تقيم هناك[١] .

إلا أن أقدم إشارة إلى يثرب في النصوص البابلية ، حيث ذكرت فـــي كتابـــات الملك البابلي نبونيد (٥٥٥-٥٣٩ق.م) وإنه احتل تيماء وديدان وخيبر ويثرب[٢] والتي جائت تحت اسم يثريبو (يثرب) (Iatribu) (Yathribu) . وهي بذلـــك آخـــر موضـــع استولى عليه البابليون في الحجاز ، وألحقوه بمملكتهم لسكوت النص عن ذكر مواضـــع أخرى ، ويرى جواد علي أننا استطعنا عن طريق هذا النص التأريخي الخطـــير مـــن العثور على خبر يثرب في وثيقة تعود إلى ما قبل الميلاد بكثير ، فعلمنا منه أنها كـــانت مدينة عامرة قديمة ، وأنها كانت أقدم بكثير مما تصوره أهل الأخبار عن نشئوها[٣].

هذا وقد جاء اسم يثرب كذلك في جغرافية بطليموس يثربا Yathrippa [٤]، وعند اصطفيانيوس البيزنطي ، Iathripapolis [٥]، أي مدينة يثرب ، وقد عرفها الأخبـــاريون باسم أثرب ويثرب[٦] .

وأن يثرب في رأيهم إنما هي " أم قرى المدينة " ، التي حددوا امتدادهـــا مـــن طرف وادي قناة شرقا إلى طرف الجرف غربا ، ومن زبالة الزج جنوبا إلى البســـاتين التي كانت تعرف بالمال شمالا .

ومن تعليلات مسمى يثرب قيل إنها سميت يثرب نسبة إلى " يثرب بن طاغيـــة بن مهلائيل بن رام بن عبيل بن عوض بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام " أو يثرب بن قائد بن عبيل بن مهلائيل " وهو أول من نزل بها عند تفرق ذرية نوح على زعـم . وهو من الثرب بمعنى الفساد ، أو التثريب أي المؤاخذة بالذنب على زعـــم آخـــر . أو

---

(١) جواد علي : ١٢٨/٤ ، وكذا . توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، دمشق ١٩٨٨ ، ص١٨٤ وكذا .
Ency . of Islam III . P 83 . P . 118 .

(٢) جواد علي ١٣٠/٤ .

(٣) جواد علي : ٦١٧/١ ، وكذا Burn A . R , Persia and the Greek ,New York , 1962 . p . 38 .

(٤) محمد السيد غلاب " المرجع السابق ، ص١٨٩ ، وكذا
Hitti , P.k ., : History of Arabs , 1960 , p. 104 .

(٥) جواد علي : ١ / ٦١٧ ، وكذا . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٠٨ ، وكذا .
Hitti , P. K . , op . cit . , p . 104 .

(٦) وفاء الوفا ٩/١ . وكذا . معجم البلدان ٤٣٠/٥ . وكذا . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص٥٣٥.

هي نسبة إلى رئيسي العماليق الذين نزلوا بها بعد أن طردوا منها بني عبيل من ولد سام كذلك ، على زعم ثالث[1] .

ثم سميت **طيبة** ، وهذا هو الأرجح بعد نزول الرسول -ﷺ - ، سماها طيبة ، **وطابه** كراهية للتثريب . وسميت **مدينة رسول الله** لنزوله بها[2] .

أما سكان يثرب فقد كانوا عدة طوائف ، فسكنها العماليق وهم أول من زرع الزرع واتخذ بها النخيل وعمر بها الدور ويرجعون في نسبهم إلى عملاق ابن أرفخشد بن سام[3] .

ثم نزلها اليهود ، واستقروا بها ، حيث تتناول الروايات صلة اليهود بيثرب فترجعها إلى عوامل دينية وسياسية[4] . فمن العوامل الدينية ما أسنده عن أبي المنذر الشرقي قال : سمعت حديث تأسيس المدينة من سلمان بن عبد الله بن حنظلة العسيل ، قال وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش ، عن أبي عبيده عبد الله بن عمار بن ياسر قال ، فجمعت حديثهما لكثرة اتفاقه وقلة اختلافه قالا : " بلغنا إنه لما حج موسى[5] ، عليه السلام ، حج معه أناس من بني إسرائيل ، فلما كان في إنحرافهم أتوا على المدينة فرأوا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع ، ثم نزلت بعض قبائل العرب عليهم ، فكانوا معهم واتخذوا الأموال والأوطام والمنازل ، يتحصنون فيها من عدوهم إلى أن قدم الأوس والخزرج إياها على إثر حادث سيل العرم"[6] .

---

(١) وفاء الوفاء ١٥٦/١-١٥٧ ، وكذا . معجم البلدان ٤٣٠/٤ ، وكذا معجم ما استعجم ١٣٨٩/٤ .

(٢) معجم البلدان ٤٣٠/٤ .

(٣) وفاء الوفا ، ١٥٦/١-١٦٥ وكذا . معجم البلدان ، ٨٤/٥ .

(٤) ابن رسته : الأعلاق النفسية ، ص٦٠-٦١ ,

(٥) اختلف المؤرخون في تأريخ زمان موسى ، عليه السلام ، وخروج بني إسرائيل من مصر ، والفرعون الذي عاصر موسى ، عليه السلام بين أن يكون أحمس الأول أو تحتمس الثالث أو ولده امنحتب الثاني أو توت عنخ أمون أو رمسيس الثاني أو مرنبتاح أو في أخريات الأسرة التاسعة عشرة وأوائل الأسرة العشرين ، أنظر : محمد بيومي مهران : إسرائيل ، الكتاب الأول - التاريخ ، ص٣٥١-٤٣٩ .

(٦) أنظر عن حادث سيل العرم : محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٥٦٤ ، ٥٦٥ .

أما رواية السمهودي التي نقلها عن : ابن زباله وابن رسته وأسنداها إلى جابر مرفوعاً : أقبل موسى وهارون ، عليهما السلام ، حاجين فمرا بيثرب فخافا من يهود ، فخرجا مستخفين ، فنزلا أحداً ، فغشي هارون الموت ، فقام موسى فحفر له لحداً ، ثم قال : يا أخي إنك تموت فقام هارون فدخل في لحده فقبض عليه موسى التراب[١] .

بينما تشير التوراة[٢] إلى أن هارون مات بعد الارتحال من أبار بني يعقان في موسير على جبل هور[٣] ، على تخوم أرض أدوم .

ويتساءل أحد الباحثين [٤]: كيف يخاف موسى وهارون عليهما السلام من اليهود، أما كان الأولى أن يقول أصحاب هذه الرواية أن النبيين الكريمين قد خافا من العماليق، خاصة وإن أصحاب الرواية نفسها يرون أن الذين كانوا بيثرب من يهود بني قينقاع، وهم من شيعة موسى وهارون عليهما السلام ، وفي الوقت نفسه كان العماليق طبقاً للرواية نفسها يملئون السهل والجبل ، ثم كيف علم موسى أن هارون سوف يموت، وعلم ذلك عند ربي وحده ، كيف يأمر موسى أخاه هارون بدخول القبر قبل أن يموت، وأخيراً فإن قبر هارون حددته التوراة هناك على جبل هور في أرض التيه ، ثم أليست هذه الرواية هي رواية التوراة[٥] .

---

(١) وفاء الوفا ، ١/٥٦٤-٥٦٥ . ، وكذا . أحمد بن عبد الحميد : عمدة الأخبار ، مطبعة ليدن (بدون) ، ص٣٥.

(٢) سفر التثنيه ٦ : ١٠ .

(٣) يرى البعض أن جبل هور يعرف الآن بجبل هارون على مبعدة خمسة أميال من بتراء ، وهو يقع في زمن الحزوج إلا في سلسلة جبال سعير فحسب ، بل هو أدوم كذلك ، ويعد أعلى جبالها وأغلب الأمر أنه يقع على حدودها ، وعلى مسيرة ثمانية أيام من قادش (ستون ميلاً) والواقع أنه ليس هناك طريق مباشر من قادش إليه على الصورة التي نوردها هنا ، فهو قمة من القمم على الخط من قادش إلى خليج العقبة على مبعدة ثلاثة أيام من الطريق ، وخمسة عشر ميلاً جنوب قادش إلى الكونتيله ، وربما كان هو الذي يعرف باسم جبل عرايف النجع ، أنظر : نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية ، ١٩٦٦م ، ص٣١٢ .

(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٤١-٤٤٢ .

(٥) سفر العدد ٢٠ : ٢٢-٢٩ .

أما عن العامل السياسي : فإن بعض الروايات[1] تذكر استفحال أمر العماليق الذين انتشروا في الحجاز وملكهم آنذاك رجل منهم اسمه (الأرقم) فلما أظهر الله موسى ، عليه السلام ، وطئ الشام وأهلك من بها – يعني من الكنعانيين – فقيل إنه بعث بعثاً إلى عماليق الحجاز بعد أن قضى على عماليق الشام وأمرهم أن ظفروا بهم أن يستبقوا أحداً منهم بلغ الحلم ، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن ملكهم الأرقم بن أبي الأرقم .

إلا أن هذه الرواية توجه إليها سهام الريب من أكثر من جانب وليس بالوسع القول بأنها ترقى إلى ما فوق مظان الشبهات ، هذا إذا لم تكن هي نفسها شبهه ، وذلك لأسباب كثيرة[2] .

ولعل من أقوى هذه الأسباب أن القول بأن موسى عليه السلام ، قد وطئ الشام ، وأهلك الكنعانيين لا يتعارض مع الحقائق التاريخية فحسب ، وإنما يتعارض كذلك مع آيات القرآن الكريم – فضلاً عن نصوص التوراة[3] – ولتقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة المائدة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا

---

(١) الأصفهاني (أبو الفرج الأصفهاني على بن الحسين) : كتاب الأغاني ، الجزء الثالث ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان (بدون) ، ص١٦٦ ، وكذا . تاريخ ابن خلدون ، القسم الأول ٢/٨٧-٨٨، القسم الثاني ص٢٨٧ ، وكذا . معجم البلدان ، ٥/٨٤ ، وكذا . محمد لبيب البتنوني ، المرجع السابق ، ص٢٥٢-٢٥٣ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٣٧-٤٤٤ .

(٣) أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٢٠٦ .

قاعدون(٢٤)قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين(٢٥)قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ [١] .

فالقرآن الكريم – والتوراة من قبل – يكذبان إرسال جيش من بني إسرائيل إلى الحجاز ، فالقوم الذين جبنوا على أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم ووصفوا أنفسهم بأنهم كالجراد في أعين الجبابرة من بني عناق "[٢] ، سكان كنعان ، هؤلاء القوم ليسوا هم بالذين يجتازون صحراوات بلاد العرب حتى يصلوا إلى يثرب ، ثم يقوموا فيها بمجزرة بشرية تنتهي بإفناء بلد بأسره ، ويهابون القتال ، بعد أن تمكنت منهم المذلة والصغار ، فصاحوا بموسى – كما تروي توراتهم – ليتنا متنا في أرض مصر " أوليتنا متنا في هذا القفر ، ولماذا أتى بنا الرب لنسقط بالسيف "[٣] وكما يحكي القرآن عنهم : " أذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ولعل هذا السبب من أقوى الأسباب التي تؤكد شبهة هذه الرواية .

إلا أن أرجح الآراء حول الهجرة الحقيقية لليهود فقد كانت بعد الثورة اليهودية ضد الرومان ، ثم إخماد هذه الثورة بأشد وأعنف وأقسى أنواع التدمير على يد "تيتوس" عام ٧٠ م ، إلا أن الثورة سرعان ما تجددت مرة أخرى على أيام هادريان ، فيما بين عامي ١٣٢–١٣٥م ، الذي أمر قائد يوليوس سيفيرس بالقضاء على الثورة ، ونجح هذا القائد الروماني في أغسطس عام ١٣٥م ، حيث قام الرومان بمذبحة ختمت مصير اليهود في فلسطين فقد صفيت بقايا اليهود بالقتل والتشريد[٤] .

ولما كانت الهزيمة التي مني بها اليهود على يد الرومان والخسائر الفادحة كان من الطبيعي أن يتجه اليهود إبان عصر الاضطهاد الروماني لهم في فلسطين إلى أعالي الحجاز إلى يثرب ، ويرجع ذلك إلى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد وليس من شك

---

(١) سورة المائدة ، ٢١–٢٦ ، أنظر الزمخشري (ابو القاسم جاد الله حمود بن عمر): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الجزء الأول ، القاهرة١٩٦٦م ،٦٠٢/١ –٦٠٦ .

(٢) سفر العدد ١٣ : ٢٥–٣٣ .

(٣) سفر العدد ١٤ : ١–٣ .

(٤) عبد اللطيف أحمد علي : مصر و الإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٢٠٩–٢١٢ ، وكذا . محمد بيومي مهران : إسرائيل ، الكتاب الثاني ، ص١١٠٥–١١٥٨. وكذا .

Cary , M . , History of Rome , London 1965 , pp . 648 – 649 .

في أن الأدلة التاريخية في جانب هذا الاتجاه أكثر من غيرها ولعل من أهم هذه الأدلة الظروف السياسية التي مر بها اليهود في تلك الفترة بعد أن نجح الرومان في سيطرتهم[١] ، فضلا على أن شبه الجزيرة العربية كانت ما تزال في بادية تشبه ما كان عليه اليهود إلى حد ما .

ويذكر جواد على أن المؤرخ سوزمين Sozmenos يرى أن اليهود كانوا ينظرون إلى العرب الساكنين شرق الحد الغربي " Limes Arabicus " على أنهم من نسل إسماعيل وإبراهيم ، عليهما السلام ، وبما أنهم أي اليهود من نسل إسحاق بن إبراهيم ، عليهما السلام ، فهم جميعا . إذا من نسل إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، ولهم بهم صلة قربى.

وكانوا يرجون لذلك دخولهم في دينهم ، واعتناقهم دين إبراهيم جد اليهود والعرب، وقد عملوا على تهويد بعض أولئك العرب[٢] ، هذا فضلا على أن أمر هروب اليهود إلى أعالي الحجاز ودخولهم إليه أمر سهل ميسور فالأرض واحدة وهي متصلة، والطريق مفتوحة ومطروقة ولا يوجد ما يمنع اليهود أو غيرهم من دخول الحجاز ، ولا سيما أن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من فتك الروم[٣] ، وتؤيد المصادر العربية هذا الاتجاه[٤] .

ولعل الأهمية التجارية لها في وقوعها عبر الطريق التجاري الرئيسي ، الذي يربط ما بين اليمن وسورية ، في شمال الجزيرة العربية . هذا وقد حرصت يثرب على توثيق علاقتها التجارية باليمن فقد حققت جذر من الاتصالات التجارية باليمن ، بدليل أنه قد ورد اسمها في نقشين من النقوش المعينيه[٥] ، وبالإضافة إلى هذا فقد كان لها أيضا نشاط تجاري عبر ساحل البحر الأحمر ، وذلك من خلال ميناء تابع لها يعرف

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٣٠٧ .

(٢) جواد علي : ٥١٤/١ .

(3)O' Leary , de lacy . D .) op . cit . , p . 173 .

(٤) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص٤٧ ، وكذا . معجم البلدان ٨٤/٥ ، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٣٠٧- ٣٠٨ وكذا . للمزيد من التفصيل حول ذلك أنظر : أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٢٣-٢٥ .

(5)Margoliouth , D , S , The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam, London , 1924 , p . 60 .

بـ " ميناء الجار " ، وهو ميناء كانت له شهرة قديمة حتى أن الساحل الممتد منه إلى خليج ايله عرف لفترة من الزمن باسم " ساحل الجار " [١].

إلا أن اقتصاد يثرب كان اقتصاداً زراعياً بالدرجة الأولى ، لأن إنتاجها ، زراعي بسبب خصوبة التربة ووفرة المياه ، وبالتالي ساعدها إنتاجها الزراعي على العمل بالتجارة ، فكان التجار المكيون يمرون بها في طريقهم إلى الشام ، فيتاجرون بها خاصة في السوق الذي عرف باسم " سوق النبط " وفي أثناء عودتهم من الشام يقطعون نفس الطريق وبالتالي يشاركون أهل المدينة في التجارة القادمة من الشام [٢].

وهكذا نشطت التجارة الداخلية ، حيث كانت تقام بيثرب الأسواق المختلفة لبيع التمور والشعير والحطب والصوف والسلاح ، ومن أسواقها المعروفة في الجاهلية سوق بني قينقاع ، وسوق زباله ، وسوق الجسر ، وسوق الصفاصف ، سوق البطحاء[٣] .

وكان الأنباط يتاجرون مع المدينة ، ويأتون إليها بـ (الدرمك) وهو الدقيق الحواري ، وهو دقيق أبيض ، وبالزيت ويتاجرون بسوق النبط[٤] .

ونلحظ أن كلاً من الأوضاع الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية تختلف اختلافاً متبايناً بين كل من المدينتين المقدستين (مكة المكرمة – المدينة المنورة) فإذا كانت الأولى تتمتع بالنظام والهدوء والاستقرار واجتماع الناس فيها على هدف واحد هو رعاية البيت الحرام[٥] . نجد أن يثرب لم تكن كذلك فسكانها من عنصرين مختلفين (عرب – و يهود) ولم تكن لهم غاية مشتركة يحرصون عليها ومن ثم ساد الاضطراب والتصارع فيما بينهم ، وحكمها نظام القبائل والعشائر وتطلع كل فريق إلى أخصب الأراضي ليستحوز عليها ، فانقسمت يثرب إلى معسكرين متصارعين العرب ويمثلهم الأوس والخزرج والمعسكر الآخر هم اليهود[٦] .

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٠٧ .

(٢) جواد علي : ٣١٢/٧ .

(٣) وفاء الوفا ٥٤٤/١ .

(٤) جواد علي ، ٣١٣/٧ .

(٥) عبد القدوس الأنصاري : المرجع السابق ، ص٢٤١-٢٥٦ .

(٦) جواد علي : ١٢٨/٤ .

خيبر :

خيبر إحدى عقد الأسواق التجارية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، تقع خيبر شمال يثرب باتجاه من يريد الشام ، وتبعد عنها حوالي ثمانية برد ، ولخيبر تكوين جغرافي خاص بها ، فهي حرة واسعة تتخللها الأودية التي تجعل منها حرات عديدة ، ذات أسماء متفرقة ، وتبدأ هذه الحرة من مشارف الصويدرة والشقره في الجنوب عند طريق المدينة إلى القصيم ثم تمتد شمالا ، وكانت هذه تسمى حرة النار ، فتمر بالصلصلة وخيبر ثم شرق سلاح إلى أن تنتهي بضرغط شمالي شرقي سلاح ، وكان القسم الشمالي منها يسمى " حرة ليلى " . وتتكون في خيبر مجموعة كبيرة من الأودية ، والتي تجتمع على شكل تاج[١] .

وهناك من يرى أن اسم خيبر كلمة عبرانية بمعنى الطائفة أو الجماعة وبمعنى الحصن والمعسكر[٢] ، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه الإخباريون ، وإن نسبوها إلى رجل دعوه " خيبر بن قانية بن مهلائيل " رأي فيه البعض " شفطيا بن فهلئيل " من بني قارص[٣] على أن هناك من يفسرها بمعنى مجموعة مستوطنات ، وإن رأي أن اللفظة عبرية [٤] .

وعرفت خيبر باسمها هذا يعني " الحصن " بلسان اليهود ولكونها تشتمل على حصون كثيرة سميت خيابر[٥] .

---

(١) عاتق بن غيث البلادي : رحلات في بلاد العرب (في شمال الحجاز والأردن) ، دار مكة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص١٩ ، ٢٢ .

(٢) ملوك ثان ١٠ : ١٥-٢٨ ، تاج العروس ١٦٨/٣ ، وكذا

Torrey , C . C . , The Jewish Foundations of Islam , New York , 1968 . p . 13 .
Hastings,. J . , Dictionary of the Bible, Edinburgh , 1936 , p . 784

(٣) أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل) : المختصر في أخبار البشر ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٢٥هـ ، ص٨٩ ، وكذا .

Dozy , R . , Die Israeliten zu Mekka , 1864 , p . 136 .

(٤) جواد علي ٥٢٦/٦ .

(٥) معجم البلدان ٤٠٩/٢ ، وكذا عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، الجزء الثالث ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص١٧٢ .

وخيبر موضع معروف وتعرف أيضا بـ (Hi-ib – ra – a) (خي– اب – را –ا) _ (خيبرا) ، والتي وردت في نص حران [1].

ولقد ورد اسم خيبر بعد فدك في نص حران Nabon – H2A في حين ذكرت قبل فدك في نص Nabon – H2B وفي كل النصين ذكرها يؤكد أن الصلة قوية بينها وبين فدك حيث واجهت تلك اللفظة من حيث انتسابها إلى خيبر عدة افتراضات بسبب ورودها في النص بصيغ مختلفة ، فقد وردت بـ Khaybar و بـ Hibra أو Gadd , Hebra أن تعدد ورود اللفظة بصيغ مختلفة – لا يعني أكثر من تلاعب لفظي لا أكثر ولا أقل ، حيث أن اللفظة الأولى اسم تداول في الوقت المتأخر ، في حين جاءت الثانية على لسان الحجازيين فيما بين القرنين (٧–٢ ق.م)[2] .

وربما نسبت الأخيرة إلى مسمى رجل يهودي يدعى Heber كان يستوطن تلك المنطقة ، أثناء غزو نبوخذ نصر الثاني لأورشليم ، واتخذها سكنا له ولأبنائه من بعده وقد يكون الاسم أطلق قبل عهد نبوخذ نصر الثاني ، مع احتماليه أن يكون الاسم لا ينطبق على خيبر الحالية ، بل هو موقع الخبراء ، الذي ذكره الهمذاني في صفة جزيرة العرب ، على مقرب من موقع يقال له " وعاج " عند السراة وهو ما ذهب إليه موسل أيضا عن موقع في شمال غرب شبه الجزيرة العربية يعرف بالخبراء ،ومع كل ذلك فإن من المؤكد أن المقصود في النص هي خيبر المشهورة والمجاورة لتيماء ، وفدك وديدان ، وأنه لا يوجد احتمال في موضع آخر غيرها[3] .

---

(1)Oppenhiem , A . L . , " Babylonia and Assyria, Historical Texts," ANET, p . 562 .

(٢) رضا جواد الهاشمي : " العرب في ضوء المصادر المسمارية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثاني والعشرين ، ١٩٧٨م ، ص٦٦٤ . ، وكذا .

عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم : العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م ، دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ / ١٤٢٠هـ ، ص٣٣٢ . وكذا .

Gadd , C . J . , " The Harran Inscription of Nabonidus " , Anatolian Studies , Vol . III , 1958 , pp . 83-84 .

(٣) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٤ ، وكذا حمد الجاسر : " المواضع الأثرية في جزيرة العرب " ، مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، المجلد ٢٦ ، دمشق (كانون الثاني سنة ١٩٥١م / ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٠هـ) ، ص٢٣١ ، وكذا عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم : المرجع السابق، ص٣٣٢ ، وكذا Gadd , C.J. , op . cit . , pp . 83-84

وقيل أيضا حول موقع خيبر بينها وبين المدينة مشي ثلاثة ليالي ، تخرج من المدينة على الغابة العليا ثم تسلك الغابة السفلى ، ثم ترقى في نقب بردوح ، فيه مسجد لرسول الله – ﷺ – ، ثم تسلك واديا يقال له الدومة ، وبه أبار ، ثم أشمذ : جبل ، ثم الشقة وهي حرة ثم نمار وهي من خيبر على (٥٠٥ كم) ، وأول حد خيبر الدومة ثم تصير إلى خيبر وحصونها ، وسوق خيبر اليوم هو المرطه[١] .

وقد عرفت خيبر بسكنى اليهود بها ، وقد تقلدوا راية العداء لرسول الله –ﷺ –، بل شاركت القبائل الأخرى في حربها له[٢] .

وقال محمد بن سهل الكاتب : سميت خيبر بخيبر بن قانية بن مهلائيل وهو أول من نزلها ، وقال ابن إسحاق : كان رسول الله –ﷺ – خرج من المدينة إلى خيبر ، سلك على عصر ، قال : فبنى له فيها مسجد[٣] .

هذا وأشتهرت خيبر بالخصب والنماء ، وبذلك كان اقتصادها الرئيسي اقتصاد زراعي ، بسبب وفرة المياه بكثرة العيون ، وخصوبة التربة ، لذلك اشتهرت بإنتاجها الزراعي ، وخاصة من التمور ، هذا وقد ذكر أن هناك طبقة من العبيد في خيبر كانت هي المكلفة بالعناية بالزراعة ، والتمور خاصة في مقابل حصولهم على نصف الحاصل إذا حل موسم القطاف[٤] .

وبالإضافة إلى الإنتاج الزراعي وقوعها على الطريق الرئيسي للقوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية ، إلى سوريا شمالا ، فكان لمرور القوافل بها ضرورة تحتمها طبيعة الطريق ، وبالتالي فرضت على أهل خيبر المتاجرة في هذه السلع التي ترد عليها ، بل إن خيبر تعد واحدة من أهم المراكز التجارية ، لا في بلاد الحجاز فحسب أو عند الحجازيين فقط ، بل في كل شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، فجمهرة المؤرخين العرب القدامى " يعدونها ضمن أسواق العرب المشهورة ومبايعتهم

---

(١) عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ، ص١٤٧ .

(٢) جواد علي : ٤/٢٥٤ .

(٣) عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ، ص١٧٦ .

(٤) جواد علي : ٧/٧٠ .

فيها "[1] . أما المحدثين منهم فإنهم يقررون " أن خيبر كانت مجمع أسواق العرب في الجاهلية "[2] .

وخيبر من أهم مراكز التجارة اليهودية في الحجاز ، وهي واحدة من أهم مراكز التجارة والأسواق الموسمية ، ودليل عملهم في التجارة وتبادل السلع أن عثر في بعض عمليات التنقيب عن الآثار [3] .

---

(١) المحبر ، ص١٩٦ . وكذا .

البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) : خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٥١م ، ص٣٦٠-*٣٦٢ .

(٢) جواد علي ، ١١٢/٥ .

(٣) أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٢٥ .

فدك :

فدك هي موضع بالحجاز ، وقيل فدك القرية من خيبر ، وتقع في وادي منخفض من أودية الحرة الشرقية لخيبر ، وتشتهر بكثرة مياهها وبساتين نخيلها[١] ، بينها وبين يثرب يومان وقيل ثلاثة أيام أفائها الله على رسوله -ﷺ- صلحاً في سنة سبع للهجرة[٢] ، وقيل إن بين فدك وخيبر يومان ويوجد بها حصناً يقال له الشمروخ ، وأكثر أهلها أشجع ، وأقرب الطرق إليها من المدينة النقّرة ، مسيرة يوم على جبل يقال له " الحباله" و " القذال " ، ثم جبل يقال له جبار ، ثم " يربع " وهي قرية لولد الرضا ، وهي كثيرة الفاكهة والعيون ، تركب الحرة عشرة أميال فتهبط إلى فدك [٣] .

والطرق الأخرى إلى فدك من المدينة ، هي طريق مصدّق بني ذبيان وبني محارب ، من المدينة إلى الفضه وهناك تصدّق بنو عوال من بني ثعلبة بن أسد ، ثم ينزل نخلاً ، فتصدّق من الحضر خضر بني محارب ، ثم ينزل المغيشة ، فتصدق سائر بن محارب ، ثم الثامليه لا شجع ثم الرقمتين لبني الصادر ثم مرتفقاً لبني قتال بن يربوع ، ثم فدك ثم الحُراضه ثم خيبر ، ثم الصهباء لأشجع ثم داره .

ويظهر من هذا السياق الذي أوردناه أن هذه الطرق ليست قصداً وإنما هي تعرج على مياه القبائل ، للتصديق يدل على ذلك وصولها إلى المغيشة ، وما حولها ثم عودها إلى خيبر فالصبهاء فدارة [٤].

وفدك بلدة عامرة كثيرة النخيل والزرع والسكان على ظهر حرة شرق خيبر ، ماؤها إلى وادي الرمة ، وتسمى اليوم " الحائط " ، وفيها إمارة ومحكمة ومدارس ، وسكانها بنورشيد وطريقها إلى المدينة على طريق النخيل ، الصويدره ثم المدينة[٥] .

وكان أكثر أهل فدك من اليهود ، وكانوا يعملون في الصناعات المختلفة وخاصة في صياغة الذهب ، وكذلك عملوا في التجارة ، فقد كان عملهم بالتجارة ضرورة

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص٢٨٦ ، وكذا . لسان العرب ، ٤٧٣/١٠ ، وكذا . معجم البلدان ، ٢٨٣/٤ .

(٢) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص٢٢٦ .

(٣) عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ٢٨/٧ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص٢٨ .

(٥) نفس المرجع السابق .

طبيعية تحتمها طبيعة الموقع ، لوقوعها على خط التجارة الرئيسي في شبه الجزيرة العربية والواصل بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها إلى سورية ، وكذلك وقوعها بالقرب من خيبر والتي تعد مجمع أسواق العرب في شبه الجزيرة العربية بصفة عامة ، ولأهل الحجاز بصفة خاصة .

إلا أن فدك والتي وردت باسم (Pa – dak – Ku) . لم يرد ذكرها كثيرا في الكتابات القديمة ، ولم تشتهر إلا في أيام الرسول -ﷺ- ولكن هذا لا يعد دليلا على عدم وجودها في أيام " نبونيد " . فقد وردت في نقش عثر عليه في حران سنة ١٩٥٦م[١] ، إن حملته التي جردها على بلاد العرب شملت كل من خيبر وفدك ، دومة الجندل ، ووصل إلى تيماء[٢] ، وذلك نظرا لأهمية تلك المراكز التجارية على خط التجارة الرئيسي في شبه الجزيرة العربية والتي استهوت الملك نبونيد ليسطر عليها .

---

(1)Oppenhiem , A . L . , op . cit . , p . 563 .

(٢) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية ، ص٨٢ وكذا . سامي سعيد الأحمد : " سلالة بابل الحديثة ٥٢٦-٥٣٩ ق . م " العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣م ، ص١٧٥ .

ديدان / دادان / ددن / العلا :

تقع العلا في وادي القرى ، جنوب شرقي حرة العويرض بين سلسلة من الجبال في الشرق والغرب ، وعلى بعد ٣٧٠كم من يثرب ، ١٢٧كم من الرياض ، ٢٤كم من الحجر[١] وكانت مدينة العلا تسمى قديما " ددن " أو " ديدان " كما ذكرت في التوراة [٢] ، أما موضع (Da – Da – hn) دادانو فإنه ديدان[٣] .

وموضع العلا ، هو علت Ulat في التوراة ، وقد قصد به شعب عربي من الشعوب العربية الشمالية ، ترجع نسبة إلى (كوش) ، كما جاء في موضع من التكوين[٤]، وإلى يقشان بن إبراهيم من (قطوره) Keturah في موضع آخر منه[٥] ، وتقع في الجنوب الشرقي منها[٦] .

ومن الباحثين من جعل أسمها نسبة إلى المكان نفسه ، ومنهم من حاول يقرن بين الاسم وبين المعبود (دد) ، الذي كان يعبد لدى السامين الشاملين[٧] .

ويعود الفضل في التعرف على دولة ديدان إلى العالم الألمانيGRIMME ، الذي تمكن من خلال دراسته ، للنقوش التي جمعت من هذه المنطقة ، أن يميز أشكالا من الحروف لها ميزات خاصة تميزها عن غيرها من الحروف في المنطقة ، وأن كانت لا تختلف عن كتابة الخط المسند وهي الكتابة التي كان يكتب بها شعب جنوب الجزيرة

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص١٥٩ ، وكذا . عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، المرجع السابق ، ص٧٩ ،

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٩٩-٣٠٠ . ، وكذا عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، ص٧٩ ، وكذا

Tarn , W . W . , Ptolemy I I and Arabia , " J E A , vol XV 1929 , p . 16 .

(٣) جواد علي ، ٦١٦/١ .

(٤) التكوين : ١٠ ، ٧ .

(٥) التكوين : ٢٥ ، ٣ .

(٦) حزقيال : ٢٥ ، ١٣ .

(٧) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص٧٩ ، وكذا . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص١٥٦ .

العربية ، أولا خط تكرر كلمة " ددن " مسبوقة بكلمة (ملك) في عهد المجموعة من الكتابات[١] .

وقد أيد العلماء هذا ، وأضافوا إلى ذلك تعديلات كانت لها أهميتها ، كما فعل Winnett وقد حدد العلماء تاريخ مملكة ديدان بأن ما بين القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد ، وهي فترة تبدو قصيرة في حياة الممالك ، إلا أنه ليس من اليسير أن نبرهن على أن هذه المملكة قد عاشت أكثر أو أقل من هذه المدة أما النظام السياسي نظام ملكي يغلب عليه الطابع الوراثي ، ولا ندري إن كان هناك مشايخ قبائل أو أمواء يعينون من قبل الملك[٢].

ولعل أقدم تكوين سياسي نشأ في هذه المنطقة وتحدثت عنه النصوص المكتشفة حتى الآن مملكة سميت – خطأ – مملكة ددن أو مملكة ديدان ، وهم عندما سموها بذلك الأسم فإنما اتبعوا صيغة وردت في نص واحد بلفظ " متع آل كبير ددن " أي شيخ المدينة أو حاكمها[٣] .

ويزعم أحد الباحثين[٤] أن مملكة لحيان كانت بدايتها الأولى في نهاية القرن السابع قبل الميلاد ، أي أنها بدأت بمشيخة " ددن " ثم تحولت إلى مملكة قبيلة " لحيان " وهي المرحلة التي ظهرت بعدئذ في جميع ممالك الجزيرة العربية الشمالية شمالا وجنوبا . وبذلك تكون بداية المشيخة ، وكانت أيضا بداية لتكون الخط اللحياني ، الذي بدأ بسيطا في المرحلة اللحيانية الأولى (الددنية) .

ولقد أسفرت عمليات البحث والتنقيب على التعرف على وصول القوافل التجارية إلى أرك في العراق ، أيضا العثور على تماثيل لحيانية في حفريات السعيدي في تيماء، فعرف أن لحيان وصلت إلى هناك ، لأن التماثيل اللحيانية الضخمة لا يمكن أن توجد في مكان كهذا

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص٧٩ .

(٢) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : " دولة الحيان ، وجه نظر جديدة " ، التاريخ العربي ، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة ، العدد الحادي عشر ، صيف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص٤٥-٤٦ .

(٣) " كبرايل متع إيل ملك ديدان " : لم يعرف عن هذا الملك شيئا سوى تلك الكتابة التي وردت على شاهد قبره، وإن كان هناك من الباحثين من يذكر إنه قد حكم في حوالي عام ٥٠٠ ق . م . بينما آخرون يعتقدون بأنه هو أول ملك أسس مملكة ديدان وفي نفس الوقت هو آخر ملك حكمها أيضا حيث سقطت مملكة في عهده بأيدي اللحيانين ، أنظر : جواد علي : ٢/٢٤٢-٢٤٣ .

(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص٤٧ .

إلا في إطار دور سياسي للحيان ، ثم عثر على العديد من النقوش المنتشرة على طريق التجارة بين دومة الجندل وتيماء ، وما حولها حتى حائل جنوبا بشرق وحتى الحجر جنوبا بغرب ، ومنطقة تبوك وحسمي ، فأزداد يقينا بأن لحيان لم تكن محجورة بين جبلي "دون "[١] .

ومن الآثار التي عثر عليها كتابة ثمودية وردت فيها جملة (رمح ملك بابل) ، وعلى كتابة ثمودية أخرى جاء فيها (حرب دون أو حرب ديدان)[٢] وقد فسر العلماء الحملتين المذكورتين بأنهما إشارة إلى الحرب التي نشبت بين البابليين وأهل ديدان في أيام (نبونيد) وأن أهل تلك المناطق صاروا يؤرخون بها لأهميتها عندهم كحادث تأريخي[٣] .

والكتابات التي عثر عليها في هذه الأرض ، والتي سيعثر عليها شأن خاص عن من يريد دراسة تأريخ الخط وكيفية تطوره وظهوره ، فإن هذه المنطقة هي عقدة من عقد المواصلات المهمة ، التي تربط جزيرة العرب ببلاد العراق وببلاد الشام ومصر ، وفيها ألتقت ثقافات و حضارات هذه الأماكن ، ولهذا نجد في كتاباتها مزايا الخط الشمالي والخط الجنوبي ، كما نجد لغتها مركزا خاصا للهجات[٤] .

أضف إلى ذلك أنها تقع على الطريق البرية المهمة الموازية للبحر الأحمر ، حيث كان أهل العربية الجنوبية ينقلون منها تجارتهم و تجارة أفريقية والهند وبقية آسيا إلى بلاد الشام ، حيث كان التجار يذهبون إلى موانئه لبيع ما عندهم لتجار مصر ، لذلك كانت ديدان وبقية مدن هذه الأرضين ملتقى العرب : عرب الجنوب وعرب الشمال ، وملتقى تجار أجانب ، فلا عجب إذا ما رأينا هذا الاتصال يظهر في الكتابة وفي اللغة وفي الثقافة والحضارة والفن[٥] .

هذا وذهب (كاسكل) إلى أن ظهور مملكة (ديدان) وابتداء حكمها كان في حوالي السنة ١٦٠ قبل الميلاد ، غير أنه يرى إن هذه المملكة لم تتمكن من العيش طويلا إذ

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص٤٧ .

(2)Van Branden, A. , Les Textes Thamoudeens de Philby , vol . II , Inscriptions du Nord, Lauvain : Bibliotheque du Museon , vol . 41, 1956, p.54 .

(٣) جواد علي ٦١٦/١ .

(٤) جواد علي : ٢٤١/٢ .

(٥) جواد علي : ٢٤١/١ .

سرعان ما سقطت في أيدي اللحيانين ، وكان ذلك – على رأيه – في حوالي السنة ١١٥ق.م [١] .

ولا يستبعد (كاسكل) أن يكون (كبير إيل) أول ملك أسس مملكة (ديدان)، وآخر ملك حكمها أيضاً ، أي أن سقوطها على أيدي اللحيانين كان في عهده أو بعد وفاته ، وبذلك أنتهت على رأيه حياة تلك المملكة[٢] . ويرى أن الرومان الذين استولوا على مملكة النبط لم يبلغوا أرض لحيان ، بل وقفوا عند حدود النبط [٣] ، أو عند أرض تبعد مسافة عشر كيلو متراً عن (ديدان) ، بدليل انقطاع الكتابات التي كان يكتبها الجنود الرومان ويتركونها في الأماكن التي ينزلون بها عند الحد المذكور ، فلم يعثر السياح على كتابة يونانية بعد البعد المذكور[٤].

وقد عثر في حوالي السنة ٣٠٠ بعد الميلاد على كتابات عبرانية ونبطية في وادي (ديدان) تدل على أن قوما من يهود وقوما من النبط أو من جماعة كانت تتكلم النبطية كانت قد استوطنت في هذه الأرضين[٥] ، وكان اليهود قد زحفوا إلى هذه الأرضين وأخذوا يستقرون فيها حتى وصلوا إلى يثرب ، فلما ظهر الإسلام ، كان معظم سكان وادي القرى إلى يثرب من اليهود[٦] .

---

(1)Caskel, W., Lihyan – und Lihyanisch : Arabeitsgmeinse haft Fur Forschung des Landes Nordrheir – West Falen, Gestes – Wissens Chaften, Heft 4 , Koln, 1959, 537 .

(2) Ibid . , S . S . 37 , 67 .

(٣) سليمان بن عبد الرحمن الذييب : المرجع السابق ، ص٦٧–٧٩ .

(٤) جواد علي ، ٢٥٣/٢ .

(5) Caskel , W . , op . cit . , S . 44 .

(٦) جواد علي : ٢٥٦/٢ .

الحجر :

الحجر[1] من المراكز التجارية الهامة والتي تقع في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، مدينة الحجر (مدائن صالح) وتبعد مسافة ١٥ كيلو مترا شمال مدينة العلا وبنحو ١١٠ كيلو متر جنوبي غربي تيماء[2] .

وتتكون من عدة جبال رملية ، ولهذا سهل على سكانها أن ينحتوا فيها مقابرهم ، وهذه المقابر اجتمعت في نحتها عناصر فنية مختلفة فرعونية وإغريقية ورومانية ، وعربية ، مما ينتج عنه مزيج جعلها مدرسة فنية رائعة ، وهي تشبه إلى حد كبير ما هو موجود في " البتراء " عاصمة الأنباط ، ولعل هذا سببه أنها ذات حضارة واحدة ، وإن كانت مقابر الحجر تتميز بوجود شواهد مكتوبة بالخط الأرامي النبطي[3] . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم باسم (الحجر) لقوله تعالى :﴿ ولقد كذب أصحاب

---

(١) الحجر : بفتح الحاء ما حجرت عليه ومنعته من الوصول إلى غرضه ومأربه وباب قطع ، والحجر بتثليث الحاء معناه الحرام ومنه الآية (وحرث حجر) والآية (ويقولون حجرا محجورا) والحجر بكسر الحاء معناه العقل ومنه الآية (هل في ذلك قسم لذي حجر) والحجر بكسر الحاء أيضا ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال من الكعبة وما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام ، وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بن يوسف الثقفي بناءه جعل الحجر كما في عهد الجاهلية ، وفي هذا الحجر قد هاجرت أم إسماعيل عليه السلام ، والحجر بكسر الحاء أيضا اسم القرية الصغيرة ذات عيون ونخيل وآبار بجانب الرحضية على بعد بضعة أميال من المدينة المنورة ، هذه القرية ، بما فيها من زرع وماء لبني سليم خاصة ، والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم قرية باليمن وسكانها يدعون بالحجرية ولها ذكر في التاريخ ، أنظر : معجم البلدان ٢٢١/٣ ، وكذا . محمد عبد الحميد مرداد : مدائن صالح ، أروع البلدان السياحية في المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول ، (بدون ناشر ومكان) ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص٨١ .

(٢) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، ص٢٢١ .

(٣) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية " ، ص٨١ .

الحجر المرسلين ﴾ [1] وهذا وينطبق اسم الحجر مع ما سميت به الكتابات القديمة ، إذ ورد ذكرها في الكتابات المعينية باسم " حجر " أو " هجرو " [2].

وورد ذكر هذه المدينة في الكتابات الكلاسيكية ، فذكرها استرابو أثناء حديثه عن حملة إيليوس جاللوس عام (٢٤ق.م) – كما سيأتي بعد – باسم (Egra) [3].

وتذهب المصادر العربية إلى أن الحجر ، إنما هي ديار ثمود ، ناحية الشام عند وادي القرى ، وهم قوم صالح عليه السلام ، وهذا ويذكر الدكتور سليمان الذبيب[4] أن البعض تصور ، نظرا للخلط بين ثمود القرآن الكريم وأصحاب الكتابات ، أن الحجر المذكور في القرآن الكريم هي مدائن صالح الحالية معتمدين على تحقيق الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، للموقع أثناء مروره به في طريقه إلى غزوة تبوك[5] ، وكانت الصورة التي نقلها عز وجل في القرآن الكريم عن نوعية العذاب وهي : " فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين " .

وهناك اختلاف في تحديد معنى الرجفة من قبل المفسرين ، حيث يذكر الطبري أن الرجفة هي الصيحة ، ورجف بغلاف أي إذا حركه و زعزعة ، والمقصود بالرجفة هذه الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك لأن ثمود هلكت بالصيحة[6] ، بينما يذكر ابن كثير أن الرجفة هي الصاعقة[7] لكن الطبري ذكر في مكان آخر أن الرجفة هي الزلزلة المحركة للعذاب الذي كان بالظلة ، وهي سحابة سوداء دمرتهم[8] .

---

(١) سورة الحجر / آية ٨٠ .

(٢) جواد علي : ٥٥/٣ .

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٩١ .

(٤) سليمان بن عبد الرحمن الذبيب : نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص٤-٥ .

(٥) العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، المجلد السادس ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٠هـ ، ص٣٧٨ .

(٦) الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، الجزء التاسع ، ص٤ .

(٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٣٢/٢ .

(٨) جامع البيان ، ٤/٩ .

وقد فسر (يوم الظلة) أيضاً ابن كثير بأنه عبارة عن سحابة أظلتهم فيها شرور من نار ولهب ووهج عظيم ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجه من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت أرواحهم[١] ، وهكذا فمن طبيعة العذاب ، الذي أصاب قوم صالح الذي دمرهم من فوقهم ومن أسفلهم ، وهو ما يمكن وصفه بالزلزال يتبادر إلى الذهن السؤال التالي : هل المكان الذي حدده الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي لا ينطق عن الهوى ، هو مدائن صالح الحالية ؟ ولذا فلربما كان الرسول ، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه في مكان آخر غير مدائن صالح ، الذي ربما يكون موقع الخريبه الذي لم يقطن خلال الفترة الإسلامية ، والواقع على بعد ستة عشر كيلو متر من مدائن صالح الحالية . ويذكر الدكتور سليمان الذييب إلى أن الدكتور خالد الدسوقي[٢] قد أشار إلى أن دواتي[٣] ومنتوجمري[٤] قد أشار إلى أن الخريبه لا مدائن صالح هي الحجر ، وبالعودة إلى هذين المرجعين لم يجد ما يشير إلى ما ذكره الدسوقي [٥] .

لقد جاء ذكر المدينة في جغرافية بطليموس[٦] ، كما ذكرها اصطيفانوس البيزنطي[٧] ، وربما كان لها ميناء يعرف بـ " فرضة الحجر " ومن الممكن بل من المحتمل أن تكون هذه الفرضة معروفة بنفس الاسم الذي عرفت به الحجر[٨] ، وأن ميناء الحجر . هذا ربما كان هو الميناء بعينه الذي يعرف اليوم باسم " الوجه " [٩] .

هذا وتعد الحجر من أشهر المستوطنات التجارية التي أنشأها المعينيون في أعالي الحجاز خلال القرن الخامس قبل الميلاد لحماية الطرق التجارية التي تمر من

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٢٣٢/٢ .

(٢) خالد طه الدسوقي : المرجع السابق ، ص٢٥٧-٢٥٨ .

(5) Doughty , C.M., Travels in Arabia Deserta, New York , 1946, p. 229 ;

(6) Montgomery, J.A., op. cit., p.137.

(٥) سليمان بن عبد الرحمن الذييب : المرجع السابق ، ص٥ .

(6)Ptolemy , V I , 7 , 29 .

(7)Grohmann , A . , Arabien , Munchen 1963 , p . 44 .

(٨) جواد علي ٥٥/٣ ، وكذا

Grohmann , A . , op . cit . , p.p . 4 15 , 39 . 40

(٩) ألويس موسل : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ١٩٥٢م ، ص ١٠٦ .

بلاد سوريا إلى العربية الجنوبية ، ويدل على ذلك الكتابات المعينيه التي تم العثور عليها في تلك المدينة[١] .

وفي نفس الوقت تشير النقوش اللحيانية ، والتي عثر عليها في مدينة الحجر ، إلى أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى عهد الدولة اللحيانية[٢] خاصة وأن بليني قد أشار في كتاباته إلى أن " هجر " كانت عاصمة دولة لحيان[٣] .

ويرى البعض أن النبط هيمنوا على اللحيانيين في القرن الأول قبل الميلاد وأخذوا يضايقونهم ، ثم حكموهم ، وامتد حكمهم للحيانيين إلى ما بعد الميلاد فقيل سنة ٦٥ق.م ، استولى النبط على الحجر ، ثم سارو منها إلى تيماء ثم قطعوا كل اتصال للحيانيين بالبحر ، واستولوا كذلك على ميناء لويكي كومه ، الذي كان تابعا للحيانيين وتقدموا منه إلى مواضع أخرى ، حتى أحاطوا بلحيان من جميع الجهات وحكموها[٤] .

وبالتالي برزت أهمية الحجر كشريان تجاري هام بعد استيلاء الأنباط عليها واتخاذهم لها كمركز جنوبي لمملكتهم على طريق التجارة الواصل إلى عاصمتهم البتراء بالشمال[٥] .

---

(١) جواد علي ٢٤/٢ ، وكذا . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٩١ .

(٢) نوره عبد الله العلي النعيم : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٩٢م ، ص٢٢٩ ، وكذا . أنظر عن دولة لحيان : عبد الرحمن الطيب الأنصاري " دولة لحيان : وجهة نظر جديدة " ، ص٤٥-٥٠ .

(3)Pliny , Natural History , vol . vi , p . 156 .

(٤) جواد علي ٢٤٩/٢ ، وكذا .

Caskel, W., op. cit . , S.S.40 , 42 .

(٥) جون هيلي : " الأنباط ومدائن صالح " الأطلال ، العدد العاشر ، الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص١٤٢ .

تيماء :

تيمـــاء بالمـــد والفتـــح[١] ، وتعـــرف باسمهـــا ، ومعنـــى تيماء ومدلولـــها : جاء في كتب اللغة :

١ – " تيماء " الفلاه ونجوم الجوزاء وأرض تيماء أي مقفره مضله مهلكة .

٢ – " تيماء " أرض تيماء قفر مضله للساري فيها ، مهلكة[٢] له .

٣ – " المتيم " المضلل ، ومنه قيل للفلاه تيماء ، لأنه يضل فيها وأرض واسعة ، قـــال الأصمعي : التيماء التي لا ماء بها من الأرضين ونحو ذلك[٣] .

٤ – " التيمـــاء " الأرض القفراء المظله ، المهلكـــة ، الفـــلاه ، أو الواســـعة بنجـــوم الجوزاء[٤] .

٥ – " أرض تيماء " قفره لا أنيس بها[٥] .

واسم مدينة تيماء قديم ومعروف للأمم المجاورة ، وأن أقدم إشارة إليه تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، وإن بعض كتب المتقدمين قد اعتبرت اسم تيماء إسما لأمـــه من الأمم ، إذ نرى الهمذاني ينقل عن ابن اسحق قوله : "ومن ولددان بـــن فـــهلوج : جاسم أمه كانت بعمان والبحرين ، فدرجت وبنوهف ، وسعد وهزان الأولـــى ، وبنـــو مطر ، وبنو الأزرق ، أمم كانت بحجاز المدينة وبنو بديل ، وراحل وغفـــار وتيمـــاء

---

(١) معجم البلدان ، ٦٧/٢ . وكذا . البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق) : مراصد الأطلاع على الأســـماء للأمكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القـاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ص٢٨٦ ،وكذا . حامد إبراهيم أبو درك : مقدمة عن آثار تيماء الإدارة العامة للآثار والمناطق ، الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٢ ، وكذا . مقدمة عن آثار المملكـــة العربيـــة السعودية : ص٩٧ .

(٢) بطرس البستاني : كتاب محيط المحيط ، الجزء الأول ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٢٨٦هـ/١٨٧٠م ، ص١٧٨.

(٣) نقلا عن حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، دار اليمامة ، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٧٠م ، ص٣٩٨ .

(٤) أحمد رضا : معجم متن اللغة ، المجلد الأول ، بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨ ، ص٤١٧ .

(٥) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص٣٩٨ .

وكان منهم الأرقم ملك الحجاز بتيماء ، كل هذه القبائل التي أولها جاسم وآخرها عبس الأولى من العرب العاربة[1] .

وأظهرت التنقيبات كتابات أرامية ، جاء فيها أن قبيلة (بني تيمو) وقبيلة بني (بلعقب) قامتا في العام الثالث قبل الميلاد ببناء معبد للمعبود نرجال ، وفيما يبد وإن هاتين القبيلتين قد حلتا في بلاد ما بين النهرين قبل العام الثالث قبل الميلاد، وهي فترة كافية للتطور واقتباس عبارة نرجال وهناك كتابات كشف عنها في تدمر تذكر اسم هذه القبيلة بني تيمو أو (بني تيمي)، ويذكر اسم هذه القبيلة بمدينة تيماء التاريخية.

يذكر حمد الجاسر أنه : " قد يكون اسم تيماء أطلق على هذه البلاد لأن أمه من الأمم القديمة تدعى بهذا الاسم سكنته في عصور قديمة ، وهذا مما تؤيده الأخبار والآثار ، وقد يكون الاسم أطلق عليها في عهد متقدم أيضا ، لكونها أرضا براحا واسعة "[2] صحيح أن الكتابات الأشورية والأرامية والعربية تذكر قبيلة باسم تيماء ، ولكن لا يعرف في الوقت الحاضر متى ظهر اسم أمه أو قبيلة باسم تيماء لأول مرة كما ولا يمكن البرهنة على أن زمن ظهور قبيلة باسم تيماء هو نفس زمن تأسيس مدينة تيماء لأول مرة ، ولكن يمكن في الوقت الحاضر البرهنة من الناحية التاريخية والأثرية على أن قبيلة تيماء قد أسست مدينه تحمل اسمها ومن الجائز أن يكون قد حدث العكس ، أي أن قبيلة من القبائل قد حلت في مدينة تيماء وأصبحت لهذا تعرف بعدئذ باسم قبيلة تيماء نسبة إلى هذه المدينة . وعلى هذا فإن ترجيح حمد الجاسر كون اسم تيماء قد أطلق على هذه البلاد لأن أمة من الأمم القديمة تدعى بهذا الاسم قد سكنته ، في عصور قديمة ،وهو قول ليس له أساس علمي[3] .

---

(١) الهمذاني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الإكليل ، الجزء الأول ، تحقيق محمد على الأكوع ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص٧٢ .

(٢) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص٣٩٨ .

(٣) صبحي أنور رشيد : " دراسة تحليلية ، للتأثير البابلي في آثار تيماء " ، مجلة سومر الجزء الأول والثاني ، المجلد التاسع والعشرين ، بغداد١٩٧٣م ، ص١١٠ – ١١١ .

وتقع على الحافة الغربية لصحراء النفوذ الكبرى ، وتبعد تيماء عن بعض مدن المملكة العربية السعودية بالمسافات الآتية[١] .

تيماء المدينة المنورة ٤٣٦كم ، خيبر ٢٥٩ كم ، العلا ١٠٤كم ، تبوك ٢٤٠كم ، الجوف (دومة الجندل) ٢٨٠كم ، حائل ٣٢٤كم . وهناك من أشار إلى أن ارتفاع تيماء عن سطح البحر يقدر بحوالي ٣٤٠٠ [٢] .

وتيماء اسم تاريخي له شهره تاريخية كبرى ، لعبت دورا بارزا في تاريخ شمال شبه الجزيرة العربية السياسي والاقتصادي[٣] وربما ظهر هذا الدور من بدايات النصف الثاني للألف الأول قبل الميلاد[٤] . ولموقعها الجغرافي المتميز الفضل الأكبر في جعلها، محطة تجارية ، تحتل مكانة مرموقة ، بل وتتحكم في الطرق التجارية الهامة[٥].

كانت تيماء من المراكز المهمة في شبه الجزيرة العربية نظرا لالتقاء طرق التجارة فيها ، تلك الطرق التي كانت تربط شرق شبه الجزيرة العربية بغربها وجنوبها بشمالها وبموانئ البحر المتوسط [٦].

---

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٤٦م ، ص٦٦ ، وكذا . مصطفى مراد الدباغ : الجزيرة العربية مواطن العرب ومهد الإسلام ، الطبعة الأولى، الجزء الأول ، بيروت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ص١٧٠ ، وكذا . صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص١١٠ .

(2)Doughty , C . M , op. cit . , p . 285 .

(٣) عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، المرجع السابق ، ص١٨٢ .

(4)Potts , D. , " Tayma and the Assyrian Empire " , AAE, Copanhgen : Carsten Niebuhr Institute of Ancient Near Eastern Studies , University of Copenhagen , 1991, NoL . 2 , P.10 .

(٥) طه باقر : " علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب " ، سومر ، المجلد الخامس ، بغداد ، ١٩٤٩م ، ص٤٩ .

(٦) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص١٢٧ ، وكذا فيليب حتي : تاريخ العرب (مطول) ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٦٥م ، ص٤٩ . وكذا Musil . A ., pp . 516 ff .

وإن وقوع تيماء في وسط الطريق التجاري بين مكـــة والشـــام ، وبيـــن بـــابل ومصر، ومرور قوافل التجارة بها قد أكسبها أهمية خاصة في مختلف العصور .

وكان لها شهرة سابقة لشهرة مكة ويثرب ، فكانت محطـــــة للقوافـــل الكـــبرى ومركزاً ممتازاً لتجارات وبيوت المال ، منها يتسوق العالم اليوناني والروماني معظـــم ما يحتاج إليه [١]. لوقوعها على طريق التجارة الرئيسي ، في جزيرة العرب وخاصـــة الطريق البري الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها[٢] .

هذا بالإضافة إلى تحكمها في ملتقى الطرق التجارية الهامة ، إذ يخـــرج منـــها ثلاثة طرق تجارية[٣] ، كان يحمل عبرها السلع التجارية ، القادمة من جنوب الجزيـــرة العربية ، بحيث تشترك في الطريق الأول مع مدينة الحجر وهو أحد الأفـــرع الهامـــة للطريق البري الرئيسي الواقع في الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية ، والـــذي يبدأ من الحجر ، ويتجه إلى تيماء ليصل إلى مدينة بابل من جنـــوب الرافديـــن عـــبر صحراء النفود إلى دمشق في بلاد الشام وإلى بصرى الشام عبر وادي الســـرحان[٤] ، ولقد كان لهذا الطريق أهميته لدى مملكة الأنباط ، إذ أنه كان يربط بين شمال غـــرب شبه الجزيرة العربية والشام[٥] . أما الطريق الثاني فيخرج منها إلى سيناء متوجهاً إلـــى مصر ، أما الثالث والأخير يتجه نحو أرض الرافدين [٦].

كما تميزت تيماء بوقوعها على الطريق البري – وأيضاً – والذي يصل خليـــج إيله والبتراء غرباً بالخليج العربي شرقاً [٧].

---

(١) عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق ، ص٨٢ .

(٢) طه باقر : المرجع السابق ، ص١٤٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص١٤٩ .

(٤) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص٣٧٤ .

(5)Graf, D. " The Saracans and the Defense of the Arabian Forontir " ,ASOR , vol . 229, 1978 , p . 8 .

(٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، المرجع السابق ، ص٨٢ .

(٧) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص٤١٤ .

هذا وقد ورد اسم تيماء في التوراة ، في كل من سفر أيوب وسفر أشعيا وغيرهما من الأسفار ، كمركز تجاري هام ومستقر لبعض القبائل العربية[١] واقترن اسم تيماء مع دادان في مواضع من التوراة[٢] .

ومعنى هذا أن هذه المواضع كانت متقاربه لا يبعد بعضها عن بعض كثيراً ، ويبدو كذلك أنه كان هناك تبادل تجاري بين تيماء وسبأ[٣] ، ولعل هذا أمراً منطقياً بسبب وقوع تيماء على خط التجارة الرئيسي القادم من جنوب الجزيرة العربية . وظهرت تيماء على مسرح السياسة منذ حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، لورود ذكرها في الحوليات الأشورية ، والتي تذكر بأن الملك تجلات بلأسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) قد أخذ الجزية من التيمائيين[٤] ، ولعل السبب وراء دفعهم تلك الجزية حفاظاً على مصالحهم التجارية ، وحتى يتم السماح لقوافلهم بالمرور في الطريق الذي يخترق العراق وبلاد الشام وموانئ البحر المتوسط ، بعد أن أصبح تحت سيطرة الأشوريين[٥].

ويتضح من حوليات الملك الأشوري سنحريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) أن أحد أبواب العاصمة الأشورية ، نينوى كان يسمي (باب الصحراء) لأنه يدخل منها ، " رجال سومر – ايل ، رجال من تيماء " حاملين معهم الهدايا للملك الأشوري[٦] .

---

(١) التكوين ، ٢٥: ١٥ ، أخبار الأيام الأول ١ : ٣٠ .

(٢) أشعياء ٢١ : ١٣ ، أرميا : ٢٥ : ٢٣ .

(٣) أيوب : ٦:١٩ .

(4)Van Branden A. , Histoire de Thamoud , Beyrouth : Publication de ' L' Universite Libanaise , VI , 1966 , p . 7 .
Olmested , A . I ., History of Assyria , Chicago 1933 , p . 189 .
Luckenbill , D. D , Ancient Records of Assyria and Babylonia , Vol . I ,Chicago , 1927 , p.p.18, 788, 799 .

(٥) جواد علي : ٥٨١/١ .

(6)Camphell Thompson , R , . A . , and Mallowon , M.E.L. , " The British Museum Exeavations at Nineveh , 1931 – 32 " A A A , 20 , 1933 . P . 98 .

وقد تُعلل محاولة الأشوريين للسيطرة على تيماء وذلك كونها محطة تجارية هامة كما ذكرنا ، حيث أن أهلها اشتغلوا بالتجارة واشتهروا بها ، ولكن لم تفلح المحاولة ، وبالتالي اضطر أهلها لدفع الجزية ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تيماء كمركز تجاري ، عدت مطمعاً من قبل القوى الخارجية التي تحاول السيطرة عليها [١] . فكانت من المراكز التي استهوت الملك البابلي نبونيد والذي قام بتجريد حملته ، حيث بدأ من دومة الجندل (Adumu) وسار منها إلى تيماء وتمكن من السيطرة عليها[٢] . بغرض الحصول على موارد لدولته وذلك بالسيطرة على الطرق التجارية البرية المارة بشمال شبه الجزيرة العربية وخصوصاً شمالها الغربي إذ كانت المنتجات التجارية المتنوعة تنقل عبر تيماء إلى أراضي الدولة البابلية ، مما نتج عنه ازدهار ملحوظ[٣] .

ثم أمر نبونيد بتجميلها وتشييد قصر بها يماثل القصر ، الذي شيده نبوخذ نصر، في بابل وأحاطه بالأسوار العالية[٤] ، وذلك لحمايتها من الأخطار ، كما جاء ذلك في النص التالي : " .. هو أيضاً بنى الأسوار لتقوية المدينة وأحاط المدينة بالحراس[٥] .. " وقد ورد ذكر نبونيد واسم مدينة تيماء في النقوش البابلية التي عثر عليها من حران [٦] أنه بنى مدينة جميلة وقصراً في

---

(١) جواد علي : ٣٢٦/١ ، ٣٢٩ وكذا . صبحي أنور رشيد : " العلاقات بين وادي الرافدين وتيماء " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص٣٨٧ ، وكذا . حامد إبراهيم أبو درك : المرجع السابق ، ص٤ .

(٢) صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص٣٨٧-٣٨٨ . وكذا . رضا جواد الهاشمي ، المرجع السابق ، ص٢٨٢ ، وكذا

Dougherty ,R. p Nabonides and Belshazzar , New York , 1929 , P.P 106 .

(3) Ibid , p.p. 142 , 149 , 151 –152 .

(٤) سامي سعيد الأحمدي ، المرجع السابق ، ص١٧٥ .

(5)Oppenhiem , A. L . op . cit . p . 313 .

(٦) حران تقع : في تركيا حاليا ويطلق عليها أورفا ، وكانت مركزا تجاريا هاما وممرا رئيسيا لابرز الطرق التجارية ، القديمة ، ولقد حظيت بمكانة حضارية هامة خلال تلك العهود ، أنظر :=

تيمـــاء [1] ، كما جاء ذلك في النص " .. وهو جعـــل المدينـــــة جميلـــة وبنـــى (هنـــاك) قصراً مثل قصر سو – أن – نا ..[2] " . وقد عاش فيها مدة عشر سنوات من سنين حكمه البالغة ستة عشر سنة (٥٥٦-٥٣٩ق.م) [3] .

ولعل حملة نبونيد المذكورة على بلاد العرب ، وبالتالي سـيطرته علـى أهـم المراكز التجارية بها ، والتي ذكر منها خيبر ، وفدك ، ودومة الجندل وصـــولاً إلـى تيماء ، التي نحن بصدد البحث فيها ، توجب التساؤل حول أسباب تلك الحملة ، ولعـل أهم الأسباب وراء تلك الحملة ، هو السيطرة على أخطر طريق تجاري بري ، يربـط بين الشام والعربية الجنوبية ، وتحمل فيه القوافل أنفس البضائع والسلع القادمـة مـن جنوب الجزيرة العربية ومن ثم السيطرة على البحر الأحمـر ، وذلـك عـن طريـق السيطرة على بلاد الحجاز واليمن ، بل ربما كان العربية الجنوبية بأكملها ، وقد يعلـل إستيلائه على تيماء والمناطق المجاوره لها ، لتكون الوسيله التي تمكنه من التوغل فـي جنوب الجزيرة العربية ، إلا أن تلك الحملة بائت بالفشل ، ولم تستطيع أن تحقق هدفـها ولم تصل إلا ليثرب وتتوقف عندها[4].

هذا ويذكر جواد علي أن أحد الباحثين ذهب إلى كون احتمال أن تيمـــاء التـي غزاها نبونيد قد تكون تيماء أخرى تقع في العروض على ساحل الخليج وحجتهم فـــي ذلك المسافة بين تيماء والحجاز وبابل ، كبيرة وواسعة ، مما يجعل من الصعب تصور إقامة نبونيد في هذا المكان ، أما العروض فهي على اتصال ببابل ولا يفصـل بينـهما فاصل أو عائق إلا أن الاحتمال الأول ، الذي ذكرناه ، وهو أن تيماء المذكـورة فـي

=عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الإنجلـو المصرية ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٥٤٨ .

(١) صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ٣٨٧ ، وكذا .

Winnett . , F . and Reed , W . L , Ancient Records From North Arabia , Toronto : University of Toronto Press , 1970 , p . 91 .

(2)Oppenhiem , A. L . , op . cit . , p . 316 .

(٣) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص٨٢ .

(٤) جواد علي : ٦١٥/١ .

حملة نبونيد هي التي تقع في منطقة الحجاز غرب شبه الجزيرة العربية يؤكده ما ذكر من قيام نبونيد بحملته بالهجوم أولا على دومة الجندل وبالتالي المناطق الحجازية القريبة منها مثل فدك ، وخيبر وانتهى عند يثرب فتيماء ، التي تقع بالقرب من هذه المناطق . فهي تبعد عن يثرب حوالي ١٨٣ كم باتجاه الشمال ، وبنفس المسافة من الجنوب الشرقي لرأس خليج العقبة ، وبالتالي كان من الطبيعي أن تكون تيماء المذكورة من حملة نبونيد هي تيماء الحجاز[١] .

ويتضح من النصوص التي ذكرت تلك الحملة أن نبونيد قد سلك لها طريقا لم يسلكها الأقدمون من قبل ، وهناك احتمال إنه سلك لها الطريق البري المؤدية من الشام إلى شرقي الأردن ، وهي الطريق التي يسلكها حجاج بلاد الشام إلى مكة[٢] .

ومن أهم معالم تيماء بئر هداج [٣] الذي يذكر أنه كان يمتع منها أربعين بعيرا في وقت واحد ومن الآثار الهامة كذلك ما يعرف بقصر (السموأل)[٤] (القصر الأبلق) الذي يقع غرب تيماء ، وهو يشبه في تصميمه حصن كعب بن الأشرف في يثرب[٥] .

وقد عثر (هوبر) سنة ١٨٣م على مسلة تيماء الشهيرة والتي كتب على وجه منها بالخط الأرامي ، وعلى الأخر نقش عليها رسمان ربما كان لملك وكاهن، وقد حاول العلماء من خلال المقارنة بين هذا الرسم والرسم الذي على مسلة حران ،

---

(١) جواد علي : ٦١١/١-٦١٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ٦١١/١ .

(٣) لقد أخطأ عمر الدبراوي مترجم كتاب (أرض الأنبياء) لعبد الله فيلبي ، في اسم هذه البئر إذا أطلق عليها اسم (بئر هواج) ص١٠٢ ، ١١٥ ، ونفس هذه التسمية الخاطئة نجدها في كتاب مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية موطن العرب والإسلام ، ص١٧٠ . إن التسمية الصحيحة هي بئر (هداج) وقد وردت في كتاب عبد القدوس الأنصاري ، بين التاريخ والآثار ، بيروت ١٩٦٩م ، ص٢٣٠ ، أنظر : صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص١٠٨ .

(٤) السموأل هو رجل يهودي العقيدة ،ولكنه غساني الأصل وكانت له صلة بالغساسنة بسبب سيطرتهم في تلك االفترة على الطريق التجاري لشمال جنوب الجنوب : أنظر عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص٨٢ .

(٥) فيلبي سنت جون : أرض الأنبياء ، مدائن صالح ، ترجمة عمر الدبراوي ، الطبعة الثانية ، المكتبة الأهلية ، بيروت ١٩٦٥م ، ص١١٥ .

وتوصلوا أن يكون الرسمان لشخص واحد وهو نبونيد ، والمتفق عليه الآن أنها تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد [١].

وتشير المسلة إلى وجود المعبود هجم ، ولعله كان المعبود الرئيسي إلى جانب المعبودات الأخرى ، ويرى بعض العلماء أن معبد هجم ربما كان على قمة جبل غنيم ، ولكن ليس هناك دليل يؤكد صحة ذلك[٢] ، وهناك إشارة إلى أن فلبي عثر على صخور وصور منحوتة تمثل رأس المعبود (هجم) معبود ثمود وإله هذه المنطقة ، وأمامها أرض ممهدة لعلها كانت موضع تقديم القرابين لذلك المعبود[٣] .

أما بالنسبة لسكان تيماء ، فمن الدراسات التي أجريت حول طبقات العرب، وذكرت إحدى هذه الدراسات أن الثموديين كانو يقطنون بعد الميلاد في مواطنهم بأعالي الحجاز في كلا من ، دومة الجندل والحجر وغرب تيماء ، ويبدو أن أهل تيملء كانوا ، يعبدون الأصنام ، ومن أشهر أصنامهم المسمى هجم وكان يرمز له برأس ثور، وقد وجد هذا الرمز على النقوش الثمودية ، ويعود هذا النقش إلى حوالي سنة (٦٠٠ق.م) وربما يدل ذلك على وجود صلات دينية وثقافية بين تيماء وثمود[٤] .

هذا وكان للعرب الأنباط اتصال تجاري مع تيماء فكانوا ينقلون التجارة من غزة على البحر المتوسط إلى إيلة ، كما كانت تتوقف قوافهم في تيماء ، وتتصل بتجارة العرب الكبيرة بين الشام واليمن [٥] .

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجع السابق ، ص٨٢ .

(2)Cooke , G ,. A , " Palmyra " Encyclopaedia Biblica , P P . 195-6 .
Montgomery , J. A . , op. cit., p . 67 .

(٣) جواد علي : ٧/٧٠ ، وكذا . رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٢٨٢ .

(٤) جواد علي : ١/٣٢٦-٣٢٩ .

(٥) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص١٩٦ .

ثالثا : القوافل التجارية – الأحابيش .

القوافل التجارية :

إن تجـــارة القوافل تعد نقلة نوعية كبيرة وهامة في تـــاريخ التجـــارة العربيـــة القديمة ، والتي انعكس أثرها واضحا في التاريخ العربي القديـــم ، وســـتبقى شـــهرتها مرتبطة بحيوان نقلها الوحيد ، الجمل ، كما أن مجموع المواصفات والمزايـــا ، التـــي ينفرد بها هذا الحيوان ، كانت وراء إنعطافة كبيرة في تاريخ التجارة العربية القديمـــة ، وطرقها ، وأصحابها وتأثيرها ، وإنها بقيت مزدهرة لوقت طويل ، ولم تترك مكانها إلا بعد التطور الكبير ، الذي أصاب وسائل النقل البحرية في القرون الأولى الميلاديـــة ، فأصبحت الوسائل الجديدة بسبب استيعابها للحمولات الكبيرة ، وتمكنها من الوصـــول إلى ثغور ومحطات القوافل الرئيسية ، المنافسة الشديدة لتجارة القوافل فغـــدت بذلـــك عاملاً ، إضافة إلى عوامل أخرى في إضعاف واضمحلال تجارة القوافل[١] .

نظراً لتمسك العرب بتجارتهم وشدة خوفهم عليها أطلقوا على القافلة هذا الاسم ، تفاؤلاً بقفولها من سفرها الذي ابتدئته ، ومازالت العرب تسمي الناهضين بالسفر قافلـــة تفاؤلاً بأن ييسر لها الله القفول وهو شائع في كلام فصحائهم[٢] .

ومن هذا المنطلق قُدّر دور الجمل في الوساطة التجارية العالمية التي مارســـها العرب القدامى ، بشكل نشط قبل الإسلام ، ويرجع الفضل في حضارة جنـــوب شـــبه الجزيرة العربية بصورة كبيرة إلى تجارة قوافل الجمال ، التي ربطت مراكـــز إنتـــاج البخور واللبان والطيوب بأسواقها ومحطاتها[٣] ، الأمر الذي شكل المورد الاقتصـــادي الأول عند سكان شبه الجزيرة العربية والمصدر الأساسي لثرواتهم[٤] .

---

(١) رضا جواد الهاشمي : " تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . ، ص٩٠٧ .

(٢) لسان العرب ، ٥٦٠/١١ .

(٣) عبد الله سعود السعود ، المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(٤) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص١١٣ .

يذكر هيردوت[1] : إن بلاد العرب هي أقصى البلاد المعمورة في العالم نحو الجنوب . أو حين يقول على سبيل مثال آخر " أن أريج الطيوب يملأ جوهر هذه البلاد " . ويفيض هيردوت في الحديث عن منتجات الجزيرة ، أو ما يعتقد أنه من منتجاتها من اللبان (Libanates) ، والمر (Myrrha) ، واللادن (Ladanon) أو المستكة . ويذكر لنا بشكل عام أن العرب يتاجرون في هذه الطيوب والتوابل مع البلاد الأخرى ، وإذا كان لا يتحدث عن الطرق التي يسلكها التجار برا أو بحرا ، فنحن نستنتج من أكثر من موضع في حديث ، هيردوت أن الفينقيين في هذه الفترة كانوا لا يزالون هم الوسطاء في تجارة الطيوب والتوابل بين شبه الجزيرة العربية والعالم اليوناني – إلى الموانئ الفينيقية ، تصل هذه السلع ، ومن هذه الموانئ يحملها التجار الفينيقيون أو اليونان إلى الموانئ اليونانية .

كما أن ثيوفراستوس أول من ذكر السبئيين وتكلم بشكل تشريحي عن اللبان والمر ، الذي تنتجه منطقتهم ، كما أعطانا معلومات عن تجارتهم[2] ، ويبدو من حديثه أنه اعتمد في كثير من المعلومات التي قدمها على العينات أو النماذج حيث كان أعوان الإسكندر المقدوني يرسلونها إلى معهد اللوقيون[3] ، حتى بعد وفاة القائد المقدوني[4] .

لقد تأثرت حركة تجارة القوافل وطرقها في شبه الجزيرة العربية بالأطماع السياسية ، والتي اعتمدت عليها دروب القوافل وطرقها ، بالإضافة إلى الروابط التجارية بين القبائل المختلفة ، إلى جانب جغرافية المنطقة من أجل شق الطريق من مراكز الإنتاج الرئيسية إلى الأسواق في البحر الأبيض المتوسط ، كان يجب أن يتم تفادي الجبال بقدر الإمكان وفي نفس الوقت توفير المياه والغذاء للإبل والرجال ، وفي

---

(1)Herodotus , Histories . III , 107 ,111-113 .

(2)C. F : The phrastos , Periphyton Historias , 1 x , 4 .

(٣) أسسه أرسطو ، وكان أول رئيس له ، أنظر : لطفي عبد الهاب يحي " الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية " ، ص٥٧ .

(4)CF. : Sarton , G. , A History of Science , 1955 . pp . 554-556 .

المراحل الأولى من ظهور قوافل الجمال كانت مهددة باستمرار على طول الطرق من قبل القبائل التي كانت تهاجمها[1] ، وبالتالي كان تحقيق الأمن مطلبا عزيزا في منطقة الحجاز وبلاد العرب إلى أن تحقق هذا المطلب بالإيلاف – كما سيأتي بعد – ، فأنطلقت السفارات التجارية في كل اتجاه وزاد حجم القوافل وتنوعت السلع ، كل ذلك بفضل الأمان الذي أحرزه المكيون التجار[2]، وصدق عز وجل حيث يقول :﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴾ [3].

وكانت القوافل قبل ذلك تتخفر بالحرس والأدلاء من القبائل المجاورة ، وكان هؤلاء بدورهم أدلاء للقوافل يعرفون مواقع الآبار والعيون ، ويتقاضون مقابل خدمتهم أجورا يتفق عليها[4] إلى أن تحقق الأمن بموجب الإيلاف ، ولم يكن هذا الأمان من دون مقابل – أي من غير شروط ، كما يعتقد أحد الباحثين[5] ، فقد أشرك المكيين في تجارتهم القبائل المجاورة لها فحملت لرؤسائهم البضائع وكفتهم حملها (فكان المقيم رابحا والمسافر محفوظا) [6] .

وعندما نتحدث عن مسالك القوافل فإنها كانت مسالك برية وذلك لتفضيل العرب ركوب البر بعيدين عن أنواء البحار ومخاطرها .

ولهذا نرى أن مدنهم الحضارية ، وما يكتنفها من معابد وقصور ، ما كان إلا في الصحراء ، وقد سيطرت قريش على تسيير القوافل بسبب وقوعها في ملتقى الطرق الرئيسية للتجارة ، بل وتمركزها في وسط أهم طرق التجارة التي تربط بين جنوب

---

(١) عبد الله سعود السعود ، المرجع السابق ، ص١٠٠-١٠١ .

(٢) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٣) سورة القصص آية : ٥٧ .

(٤) بلياييف ، ي ١ : العرب والإسلام والخلافة العربية ، ترجمة أنيس فريجة ، الباسر المتحدة للنشر ، بيروت ١٩٧٣م ، ص١٣٥-١٣٦ .

(٥) أنظر ظافر القاسمي : " الإيلاف والمعونات غير المشروطة " ، مجلة المجمع العربي ، مجلد ٣٤ ، دمشق، نيسان ١٩٥٩م ، ص٢٥٥ .

(٦) رسائل الجاحظ ، ص٧١ .

الجزيرة العربية وشمالها ليصل إلى سوريا ، ولم يكن تنظيم قريش لتجارتها ومواسمها بعيد الصلة عن التدين في أذهانهم ، بدليل مخاطبة القرآن الكريم لقريش بلغتها التي تفهمها ، إذا دعاها إلى عبادة رب البيت الذي مكنها من أن تؤلف رحله الشتاء والصيف[١] .

بل يعتقد سرجنت أن تسيير قريش قوافلها ما كان ممكنا لولا قداسة الحرم المكي، وهيبة القبيلة التي كانت تقوم على سدانته[٢] ، وكان تنظيم القافله يسترعي اهتماما عظيما في مكة وجوارها ، وكانت قافلة البضاعة تدعى لطيمة ، وقافلة الأطعمة تدعى ركابا ، وكان رحيلها وعودتها ، حديث الناس الأول ، لأن قطان مكة كانوا منخرطين جميعهم على نحو أو آخر في تجارة القوافل ، بل إن القافلة كانت على اتصال دائم بمكة ، عن طريق بريد بدوي لا ينقطع رواحة وغدوه[٣] .

إن سورة قريش تؤكد أنهما رحلتان فقط كل منهما رحلة موسمية واحدة لا تتعدد، وكانت كل قافلة وكأنها مدينة متحركة متنقلة أو أسطول بري ، أما عن رأس مال القافلة لم يكن مال رجل واحد أو أسر واحدة بل كان يخص تجارا من أسر مختلفة تشارك بأسهم مشتركة لكل فرد سهم خاص به ، أملا في الربح والربح الكبير ، وبلغت إبل القوافل الكبرى ألف بعير أو تزيد وتسمى العير ، وقد اشتهرت قوافل قريش خاصة باسم العير ، التي تحمل بضائع متنوعة أخصها الحبوب والدقيق وسائر أنواع الغذاء[٤].

وكانت رئاسة القافلة أمرا خطيرا ، وكان لابد أن تتوافر فيمن يرئس القافلة شروط معينة تجعله أهلا لها ، كالشجاعة وسعة الحيلة وسرعة التصرف في المواقف، والخبرة التامة في معرفة الطرق الرئيسية والبديلة ،عندما تتعرض القافلة للخطر الذي

---

(١) مروج الذهب ، ١/٦٠ .

(2)Serjeant , R . B ., Haram and Hawtah The Sacred Enclavein Arabia , Melarges Taha Hussein , 1962 , P. 55 .

(3)Ency. of Islam , Vol III , p . 440 ; Alwi, H. A., "The Arabian Commercial Background in pre Islamic Times ," Islamic Calture , Vol . 17 . 1943 , pp . . 78-79 .

(٤) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١١٣ .

يوجب انحرافها عن مسارها ، بالإضافة إلى الشرط الأساسي وهو أن يكون من سادة القوم في الطريق ، وقد اشتهر أبو سفيان برئاسة القافلة في رحلة الشتاء ، وكان يرأس غيرها من القوافل الإضافية ، إلى ملوك الحيرة وكسرى وفارس ، ولقب قائد القافلة عندهم بزعيم القافلة[١] ، ويتضح من هذا الخبر أنه كان من الممكن وجود رحلات إضافية أخرى غير رحلتي الصيف والشتاء .

ومن تمام بتجهيز القافلة وتمام الأهبة لها الحراس الأشداء الماهرون في استخدام السلاح ، وكانوا يستأجرون أحيانا إذا لم يوجد في القوم من يكفي للحراسة ، ويقال أن أول دليل يصلنا خبره من أدلاء القوافل هو (قريش ابن بدر) وكان مشهورا جدا بين قبائل العرب[٢] .

وكانت هناك مراسيم احتفال كبير عند خروج القافلة وعودتها تعم أرجاء المجتمع المكي وما حوله بالفرح والسرور والاستبشار والأمل في الربح الكبير ، أما عن مراسيم الخروج فكان خروج القافلة عيدا شعبيا تحيطه الروح الدينية ، ينتظم فيه المكيون من سادات وسواهم ، حيث يبدأ رؤساء القافلة رحلتهم بالطواف حول الكعبة والتبرك بها ، ثم الاجتماع بدار الندوة ، مجمع القوم حيث الرأي والحكم ومن ثم تنطلق القافلة من دار الندوة ، فإذا بها مكة كلها عيدا يودع القافلة[٣] .

أما عن عودتها يحتفل بها احتفالا أقوى وأكبر تختلط فيه الفرحة بالسلامة والربح وتتقدم الجمال متهادية في إتجاه البلد الحرام ، على ظهر كل منها نحو مائتي كيلو غرام من البضائع ، وهذا المعتاد من الحمولة في الرحلات البعيدة ، يقودها التجار الفرسان وغالبا يكونوا متعبين منهكين[٤] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص١١٣ .

(٢) نفسه ، ص١١٤ .

(٣) نفسه ، ص١١٥ .

(4)Husein , R. T.A . " The Early Arabian Trade and Marketing, " Islamic Quarterly , Vol . 30 , 1986 , P . 116 .

وقد بلغ من كثافة وضخامة القوافل أن شبهها استرابو ، بجيش عظيم يتحـــرك ، وذلك عند وصفه للجزء الشمالي من طريق البخور ، الذي يتجه نحو البتراء[١] .

أما عن سرعة القافلة على الصحراء من مدينة إلى أخرى ومـــن محطـــة إلـــى الثانية فقد تحسب زمنياً بوسائل ووسائط يجيدها القوم ، فإن رحلة الذهاب من مكة إلـــى يثرب استغرقت وقت مهاجر ، النبي -ﷺ- أثنى عشر يوماً[٢] . فإن المسافة بين مكـــة ويثرب مثـــال لما يستغرقه الجمل في مسيرة على الصحراء، فتبلـــغ المســـافة نحـــو أربعمائة كيلو متراً ، وبـــذا بلغ معدل ما يجتازه الجمل في اليوم على هذا المنـــوال ، ٤٠٠ كم ÷ ١٢ يوم = ٣٣.٣ كم .

ويرى أحد الباحثين بأن مسير الإبل تقدر سرعته بأربع كيلـــو متـــرات فـــي الساعة ، فإن سارت الإبل ثماني ساعات أو تسع ساعات في اليوم فإنها تسير ما يراوح بين ٣٢ كيلو متراً ، و٣٦ كيلو متراً[٣] . فإذا ما حسبنا المسافة بين مكة والشام نجدهـــا تقرب من الشهر ، وهذا ما تؤيده المصادر الإسلامية عموماً ، بدليل تهكم المشـــركون بخبر الإسراء والمعراج ، فقال أكثر الناس : هذا والله لأمر (عجيب) . والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبره وشهراً مقبلة[٤] .

وهكذا تقضي القافلة رحلتها إلى وجهة سفرها وتتاجر في ما تحمله من بضـــائع من حبوب الجزيرة العربية ، بالإضافة إلى ما تنتجه مدن الحجاز من أدم وغيره ، ومن ثم تعود محملة ، ببضائع الشام والتي من أهمها المواد الغذائية .

---

(1)Strabo , XVI , 4-23 .

(2)Hamidullah , M , " Les Voyages du Prophete avant I ' Islam " B EO . XX I X , 1979 , P . 222 .

(٣) قول ابن الكبكبي من الروض الأنف ، ٢٥٣/٤ ، وكذا

المقريزي (تقي الدين أحمـــد بن علي) : إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتـــاع، الجزء الأول ، تصحيح وشرح محمود محمد شاكر ، لجنـــة التـــأليف والترجمـــة ، القـــاهرة ١٩٤١م ، ص٤١-٤٤.

(٤) ســـيرة ابن هشام ، ص٤ ، وكذا جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٥/٥ ، وكذا . Crone , P . , op . cit , pp . 6-7.19

الأحابيش :

تفرد المصادر الإسلامية عددا من صفحاتها لذكر جماعة الأحابيش بالحديث عن أصلهم الذي نال النصيب الأوفر في تلك المصادر .

فهم على اختلاف واسع حول ذلك ، وإذا ما أردنا أن نضيق دائرة الخلاف بحيث يدور حول فكرتين رئيسيتين .

أولاهما : إن الأحابيش يشكلون قوة عسكرية اعتمدت عليها قريش في حروبها وفي حراسة قوافلها التجارية .

الثانية : أنهم قوة قمعيه (أو شرطة) اتخذها أثرياء مكة ووجهائها لحماية منازلهم وأموالهم التجارية وحماية الكعبة لقداستها الدينية من ناحية ومن ناحية أخرى لأنها تستعمل كمخزن لثرواتهم بالإضافة إلى قمع الفقراء والناقمين عليهم[١] .

كما اختلف المؤرخون حول تسمية الأحابيش ، فمنهم من قال ، إن الأحابيش من أهل مكة ، وهم جماعة عرفت بالاحابيش .

وقد وردت عدة تعاليل لسبب هذه التسمية منها ، أنهم سموا بالاحابيش ، حيث أن بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناف بن كنانة ، وبنو المصطلق بن خزيمة ، قيل لهم ذلك لأنهم تحالفوا مع قريش بذنب حبشي[٢] ، وهو جبل بأسفل مكة – فتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ، وأوضح نهار ، وما سار حبشي فسموا "أحابيش قريش" .

---

(1)Lammens , H . " Les " AHABIS " et L ' Organistion Militaire de la Mecque an Sieele de L' Hegire , " Journal Asiatique , Tome VIII , 1916 . pp . 433 , 438 .

(٢) معجم البلدان ، ٢/٢١٤ .

وقيل إنهم سمو بذلك لاجتماعهم التحابش : هو التجمع في كلام العرب وسمو بذلك أيضا لاسودادهم ، فلما سميت تلك الأحياء (الأحابيش) من قبل تجمعها ، فصار التحبيش ، في الكلام والتجميع[١] .

وقيل : أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي انشبت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ، فقال إبليس لقريش : " إني جار لكم من بني ليث فواقعوا دما . سمو بذلك لإسوادهم قال : " ليث وديل وكعب والذي ظأرت : جمع الأحابيش ، لما أحمرت الحدق " [٢].

ولما كبر عبد مناف بن قصي جاءته خزاعة وبنوا الحارث وعلى رأسهم عمرو بن هلال بن معيط الكناني ، يسألونه الحلف ليعزوا به ، فعقدت بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش[٣] .

والأحابيش في رأي هم : بنو الحارث عبد مناة بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة ، وكانوا مع قريش[٤] . وفي رأي آخر هم : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وعضل ، والديش من بني الهون بن خزيمة ، والمصطلق ، والحيا من خزاعة[٥] .

ولقد كان تحالف الأحابيش على الركن ، يقوم رجل من قريش و الآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن ، فيحلفان بالله على القائل وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الحلف جميعا ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وعلى التعاقد وعلى التعاون على كل من كادهم من الناس جميعا ، ما بل

---

(١) لسان العرب ، ٦ /٢٧٨ (حبش) وكذا ، جواد على : ٣٠/٤ ، وكذا
Lammens , H . , op . cit . , p . 454 .

(٢) جواد على : ٣٠/٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢١٢/١ (طبعة النجف ١٩٦٤م) .

(٤) أنساب الأشراف ٥٢/١ ، ٧٦ .

(٥) المحبر : ص٢٤٦ .

بحر صوفه ، وما قام حر أو بثير ، وما طلعت شمس من مشـــرقها إلـــى أن تقـــوم القيامة "[1].

وربما أن سبب التسمية أن " بني الحارث بن عبد مناة " من كنانه ومـــن أيدهـــا بالأحابيش ، هو أن من الممكن أن تكون قد وردت إليهم من أجـــل خضوعـــهم لحكـــم الحبش، وذلك قبل الإسلام بزمن طويل ، لأن الساحل الذي ذكره " بطليموس " باســـم Cinaedocolpitae إنما هو ساحل تهامة وهو منازل (كنانة) وقد بقي الحبش به وقتـــا طويلا ، واختلطوا بسكانه ، فيجوز أن تكون اللفظة ، الأحابيش ، قد لحقت بعض كنانة من خضوعهم للحبش حتى صارت اللفظة لقبا عليهم ، أو لأنهم تزوجوا نساء حبشـيات حتى ظهرت السمرة على سحنهم ولهذا وصفوا بالأحابيش ، فمن غير الضـــروري أن يكون الأحابيش كلهم من حبش أفريقية ، بل كانوا عربا وقوما من العبيـــد والمرتزقـــة ممن امتلكهم أهل مكة[2] .

أما عن الآراء التي دارت حول أصل الأحابيش فمنهم :

أولا : من يرى أنهم من أصل عربي بدوى يرجعون إلى بنو الحارث بن عبد مناة بـــن كنانه ، وبنو المصطلق بن خزاعة ، وبنون الهون بن خزيمـــة بـــن مدركـــة ، وكانوا مع قريش[3] ، وقد أيد هذا الرأي بأنهم من القبائل العربيـــة المذكـــورة ، بالإضافة إلى أنهم تحالفوا مع قريش على أنهم يد واحدة ، فهم قبـــائل عربيـــة ضاربة حول مكة تجمعوا وتحالفوا معا وأخذوا في الاندماج والتكتل في طريقهم إلى تكوين قبيلة عربية بواسطة الحلف الذي كان سببا في تـــأليف الكثـــير مـــن

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، ٢١٢/١ .

(٢) جواد علي : ٣٢/٤-٣٣ .

(٣) المحبر ، ص٢٤٦ .

القبائل العربية القديمة[١] ، ثم هناك من يرجع تاريخ هذا الحلف إلى زمن عبد مناف بن قصي[٢] .

وتستمر الآراء مؤيدة بأن الأحابيش من القبائل العربية البدوية ، فورد في كتب السيرة عن خبر (الحديبية) أن قريشا بعثوا إلى رسول الله -ﷺ- الحليس ابن علقمة أو الحلس بن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، ويقول عن الحليس أنه أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة[٣] .

يدل على أنه ليس عبدا حبيشيا إلا إذا كان قد تسيد على الأحابيش وهو ليس منهم[٤] ، وتورد كتب السيرة أنه " أعرابي " أي من أبناء البوادي لأن رسول الله -ﷺ-، قال : ((إن هذا من قوم يتألهون فأبعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائد قد أكل أو باره من طول الحبس عن محلة ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ، إعظاما لما رأى فقال لهم ذلك فقالوا له : أجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك[٥] .

ومن الأدلة كذلك ، التي تؤكد أصل الأحابيش العرب عند ذكر معركة (أحد)، حيث اجتمعت قريش لحرب رسول الله -ﷺ- والانتقام من المسلمين لما حدث يوم بدر ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة[٦] .

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص١٦٠ .

(٢) جواد علي : ٢/٣١-٣٢ .

(٣) سيرة النبي : ٣/٣٢٦ .

(٤) خليل عبد الكريم : " قريش من القبيله إلى الدولة المركزية " ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص١٠٩ ، وكذا Lammens , H . , op.,cit . p . 465.

(٥) الكلاعي الأندلسي (الإمام أبو الربيع سليمان بن موسى) : " الاكتفاء في مغازي رسول الله ، الثلاثة ، الجزء الثاني ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٨٩هـ ، ص٢٣٥ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ، ٢/١ .

وتلحظ الدارسة من هذا الخبر أنه لم يذكر أن الأحابيش من قبيلة كنانة ، بل قال (الأحابيش ومن أطاعها من قبائل كنانة) فكأن الأحابيش قبيلة منفصلة عن كنانة وليسوا قبيلة واحدة .

ويشير بعض الباحثين أن الأحابيش كانوا قبائل عربية أقحاحا اجتمعوا عند جبل حبشي في أسفل مكة وتعاهدوا على نصرة قريش وحماية الحرم فسمو بالأحابيش[١] .

ونلحظ من دراسة أخبار الحروب المذكورة التي شارك فيها الأحابيش أو التي ساهموا فيها ، من أنهم لم يلعبوا دوراً خطيراً ، كما ذكر أحد الباحثين [٢] ، وأنهم لم يكونوا سوى فرقة من الفرق التي ساعدت قريشاً ، مقابل مال ورزق ووعود .

وكان سبب تحالف قريش مع الطوائف العربية ومع الأحابيش وغيرهم ، ذلك لأن قريش جماعة استقرت وتحضرت واشتغلت بالتجارة ، وحصلت منها على غنائم طيبة ، لذلك صار من سياستها استرضاء الأعراب وعقد حبال الود مع ساداتهم ليسمحوا لقوافلهم بالمرور بسلام [٣] .

وأيا كان سبب تسميتهم بـ " الأحابيش " وأصلهم ، فقد ثبت أنهم لم يكونوا عبيداً أفارقه ولا كانوا قوة قمعية كونها " الملأ " [٤] لحراسة أموالهم ولقهر فقراء مكة والوافدين عليها والحجيج ، وإنما كانوا قبائل عربية وقوة عسكرية تحالفت معها قريش واستعانت بها في حروبها مع أعدائها ، ولو أنه ليست ثمة ما يمنع أنه كانت لدى عدد

---

(1)Watt, M.G., op. cit. , P P . 154-157.

Hamidullah , M . Les " Ahabish " de la Mecque " , Studia Orientalist , I , 1956 , P P . 434-447

(2) Lammens, H., op . cit ., p.p. 438, 462, 465 .

(٣) جواد علي : ٤/٣٥-٣٦ .

(٤) الملأ : اسم الملأ المكي يستمد مضمونه التاريخي هذا من دلالته اللغوية فهو كما تقول المعاجم ، يعني الأشراف والعليه والقوم ذوي الشاره أي ذوي المظهر الحسن والشرف وفي " المنجد " الملأ : جمع أملأ : أشراف القوم الذين يملأون العين أبهه والصدور هيبة ، أنظر حسين مروه : النزعات الماديه في الفلسفة العربية الإسلامية ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، دار الفارابي ، بيروت ١٩٨١م ، ص٢٣١ .

من تجار مكة وأثريائها عبيد من أصل أفريقي وحبشي بالذات ، ولكنهم لم يصلوا إلى أن يكونوا قوة عسكرية أو قمعية استخدمها الملأ من قريش في قمع وإرهاب الفقراء ، وإنما كانوا يعملون في كافة أوجه النشاط في خدمة ساداتهم .

ولا بأس أن تكون من ضمن تلك الخدمات الحراسة [١] ، وأن هناك من يذكر بأنه لا يوجد دليل على كثرة العبيد بمكة [٢] .

والبادي أن مروة ودلو قد تابعا Lammens ، الذي كان يذهب إلى أن الأحابيش كانوا زنوجا من بلاد الحبشة ، وأن رواة السيرة تعمدوا القول بأنهم عرب أنفوا أن يقولوا أن قريشا كانت في الجاهلية تستعين بالسودان في الدفاع عن حريتها ، والمعروف عن Lammens تحيزه ضد العرب والإسلام ، حيث منحهم درجة مهمة في الدفاع عن قريش التي ركنت إليهم في دفاعهم عن مكة ، وقد إستند في رأيه هذا إلى ما رواه أهل الأخبار من اشتراكهم مع قريش في تلك الحروب ، غير أن الأحابيش لم يلعبوا دورا خطيرا في تلك الحروب ، وأنهم لم يكونوا في تلك الحروب سوى فرقة من الفرق ، التي ساعدت قريشا مقابل مال ورزق ووعود ، فضلا عن أنه لم يقدم دليلا على مقولته تلك [٣] ، وذلك بدليل قول قريش للحليس : (أجلس ، فإنما أنت رجل أعرابي ، لا علم لك) ، أي أنهم كانوا أعرابا ، ويعيشون عيشة أعرابية .

كما أن الأحابيش لم يكونوا على دين مكة ، أي من عبدة الأصنام بل كانوا مؤلهه ، يدينون بوجود إله ، ويتضح ذلك في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ، لما رأى الحليس قادما إليه (إن هذا من قوم يتألهون) وقد يشير بذلك إلى أنهم كانوا نصارى ، أخذوا نصرانيتهم من الحبش ، ولذلك كانوا من المؤلهة بالنسبة لقريش [٤] .

---

(١) توفيق برو : المرجع السابق ، ص٢٥٨ ، وكذا . خليل عبد الكريم : المرجع السابق ، ص١١٢-١١٣ .

(٢) صالح أحمد العلي : " تنظمات مكة والمدينة عند ظهور الإسلام " ، مجلة الاجتهاد ، العدد السابع ، السنة الثانية ، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص ٥ .

(٣) جواد علي : ٣٦/٢ ، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص١٦٠ .

(٤) جواد علي : ٣٤/٢-٣٥ .

ثانياً : أن الأحابيش في مصطلح التاريخ الجاهلي يطلق على فئة من العبيد السود البشرة ، الذين يرجعون لأصل أفريقي وتسميتهم بالأحابيش منشوئها ، ظن الإخباريون أنهم من أصل حبشي ، وقد استخدمهم أثرياء مكة في مختلف الأعمال والخدمات[١] .

غير أن هناك من يرى أن حبشي أو حبشات هو اسم قبائل ذات أصل عربي جنوبي كانت تسكن منطقة مهرة في جنوب بلاد العرب وأنها هاجرت إلى الساحل الأفريقي للبحر الأحمر ، واستقرت في الحبشة حيث أعطت هذه البلاد اسمها[٢] .

غير أن هناك من أضاف أن جماعة الملأ اتخذت من الأحابيش هؤلاء شرطة مسلحين يحرسون الكعبة – كما سبق[٣] – بينما يرى آخر ان الأحابيش قوة قتال منتخبة كانت قريش تعتمد عليها في حروبها[٤] ، فلم يُشر هنا إلى أن الأحابيش قوة قمعية في خدمة " الملأ " [٥] ، وأيد هذا القول أن الأحابيش هم فرقة عسكرية قوامها العبيد السود ومرتزقة العرب كجهاز قمعي لتعزيز سلطان الملأ وحماية النظام الاجتماعي الجديد .

وكان دليلهم بإرجاع الأحابيش إلى العبيد السود هو ما ذكره لا منس Lammens أن هؤلاء الأحابيش إنما كانوا من الرقيق الحبشي الذي استقر في مكة وجوارها بعد هزيمة أبرهة ، فتكاثر وانتظم وصار حليفاً ونصيراً لمكة ، ينفر معها إلى الحرب "[٦] ،

---

(1)Lammens, H . , op . cit . , p . p 433 , 438 , 444 .

(2)Schoff , W . op . cit . p . 62 .

(3)Lammens , H . op . cit . p.p. 433-438 .

(٤) خليل عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص١٠٩-١١١ .

(٥) حسين مروه : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص٢٣١ ، وكذا ، برهان الدين دلو : جزيرة العرب قبل الاسلام، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٩، ص٣٦٥. وكذا خليل عبد الكريم : المرجع السابق ، ص١٠٩-١١١ .

(6)Lammens , H . , op . cit . , p.p . 433 , 438 , 444 , 447 , 450 , 457 , 462 .

وعلى الرغم من أنه أرجعهم إلى العبيد السود ذوو الاصل الأفريقي إلا أنه نفى فكـــرة اتخاذهم كقوة قمعية لحماية أثرياء مكة بل هم حلفاء حرب[١] .

فالأكثرية مما أوردنا من أراء تثبت أصلهم العربي البدوي ، مع أنه ليس ثمة مـا يمنع أنه كان لدى عدد من تجار مكة وأثريائها عبيد من أصل أفريقي وحبشي بالذات ، ولكنهم لم يصلوا ليكونوا قوة عسكرية[٢] .

هذا ومن رجح أن تحالف الأحابيش مع قريش قبل القرن السادس الميـــلادي[٣] ، والدليل على ذلك ما ذكر أن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي قاد بني عبد منـــاف وأحلافها من الأحابيش ، يوم ذات نكيف[٤] ، لحرب بني ليث بن بكر بن عبد مناف بـن كنانة[٥] ، ونالت قريش النصر على بني ليث[٦] إذا صح هذا الخبر فإنه يـدل علـى أن الأحابيش كانوا حلفاء مكة منذ أوائل القرن السادس الميلادي ، إذا كان يقودهم ويقـود قريشا المطلب بن عبد المناف أخو هاشم المؤسس المفترض للإيلاف[٧] .

– كما سيأتي بعد – إلا أن هناك من أشار إلى أن تحالف قريش مع الأحـــابيش كان سابقا حتى للإيلاف وزمن نشوئه بدليل موقعه ذكرت في ابن حبيب إنتصر فيـــها الأحابيش وقريش وأضاف قائلا " لما غلب قصي على مكة "[٨] وبذلك يكون مؤســـس دار الندوة والمجلس السياسي والتجاري في مكة قد جمع حلفا عسكريا يتكون من هـــذا الحلف أداة عسكرية في يده .

---

(١) خليل عبد الكريم : المرجع السابق ، ص١١١ ، وكذا . فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٩٤ ، وكذا . Lammens , H . , op . cit . , p.p 438 , 443 .

(٢) فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٤٩٥-٤٩٦ .

(٣) المنمق /١٢٦-١٢٧ .

(٤) نكيف من ناحية يلملم ، أنظر : خليل عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص١١١ .

(٥) جواد علي : ١١١/٤ وكذا . لسان العرب ، ٣٤٢/٦ ، وكذا . المحبر ، ص٢٤٦ .

(٦) لسان العرب ، ٣٤٢/٩ . (نكف) .

(٧) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٩٥ .

(٨) المحبر ، ص٢٧٦ .

وهنا نذكر أن هذا التنظيم السياسي والعسكري الذي ابتدعته القيادة القرشية قبل الإيلاف والذي تضمن التحالف مع الأحابيش كان عرضة تسيير التجارة الدولية وسد حاجات أخرى أيضا ومنها القيام على نظام الحج ، والأسواق الموسمية المحلية وربما تنظيم تجارة اللبان .

ولكن عندما نشأ الإيلاف استوعب هذه المؤسسات وأدرجها في نطاقه الواسع ، بعد ما اتسعت أفاق التجارة المكية ، ولا شك في أن بقاء دار الندوة والحلف مع الأحابيش وغيرهما من القبائل الأخرى ظلا قائمين حتى ظهور الإسلام ، كدليل على استيعاب الإيلاف لهذه المؤسسات[١] .

يتضح من دراسة أخبار الأحابيش ، ومن نقدها وتحليلها أنهم كانوا جماعة قائمة بذاتها مستقلة ، في إدارة شئونها يدير أمورها رؤساء لهم من أنفسهم ، يعرف أحدهم بـ (سيد الأحابيش) ، ومنهم (ابن الدغنة) وهو ربيعه بن رفيع بن حيان بن ثعلبه السلمي ، الذي أجار أبا بكر الصديق و شهد معركة حنين[٢] ، ومن سادات الأحابيش الحليس بن زيد ، وحليس بن علقمة الحارثي سيد الأحابيش ورئيسهم يوم أحد ، وهو من بني حارث بن عبد مناف بن كنانة[٣] .

يتضح أن جواد علي أورد سابقا عددا من التعاليل حول سبب تسمية الأحابيش ، ثم قال : فليس من اللازم أن يكون الأحابيش هم كلهم من حبش أفريقية ، بل كانوا عربا وقوما من العبيد والمرتزقة ممن امتلكهم أهل مكة ، ومما يؤيد رأيه هذا ما ذكر أن بني كنانة مع أهل تهامة في أخبار المعارك بين قريش ورسول الله -ﷺ[٤] - ففي معركة (أحد) نجد : " اجتمعت قريش لحرب رسول الله -ﷺ - حين فعل ذلك أبو سفيان و أصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، ونجد مثل

---

(١) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٩٥-٢٩٦ .

(٢) تاج العروس ، ١٩/٢٠٠ (دغن) .

(٣) تاج العروس ، ٤/١٣٠ (حلس) .

(٤) جواد علي : ٤/٣٣ .

ذلك في أخبار معارك أخرى ما يشير إلى أن الأحابيش ، ليسوا عبيد أفريقية فحسب ، بل هم جمع عرب وحبش ومرتزقة ، وأن أولئك الأحابيش هم من ساحل تهامة في الغالب من كنانة أي ممن أقام بذلك الساحل المستقر به من الحبش واندمجوا مع العرب ، فصاروا من المستعربة ، الذي نسوا أصلهم وضاعت أنسابهم ، واتخذوا لهم نسبا عربيا[١] .

ونلحظ من دراسة أخبار الحروب المذكورة التي شارك فيها الأحابيش وإن ساهموا فيها إلا أنهم لم يلعبوا دورا خطيرا ، كما ذكر أحد الباحثين[٢] ، وأنهم لم يكونوا سوى فرقة من الفرق التي ساعدت قريشا ، مقابل مال ورزق ووعود .

وكان سبب تحالف قريش مع الطوائف العربية ومع الأحابيش وغيرهم ذلك لأن قريش جماعة استقرت وتحضرت واشتغلت بالتجارة ، وحصلت منها على غنائم طيبة، لذلك صار من سياستها استرضاء الأعراب وعقد حبال مع ساداتهم ليسمحوا لقوافلهم بالمرور بسلام [٣].

وأيا كان سبب تسميتهم بـ " الأحبايش " وأصلهم ، فقد ثبت أنهم لم يكونوا عبيدا أفارقه ولا كانوا قوة قمعية كونها " الملأ " لحراسة أموالهم ولقهر فقراء مكة والوافدين عليها والحجيج ، وإنما كانوا قبائل عربية وقوة عسكرية تحالفت معها قريش وأستعانت بها في حروبها مع أعدائها ، ولو أنه ليست ثمة ما يمنع أنه كانت لدى عدد من تجار مكة وأثريائها عبيد من أصل أفريقي وحبشي بالذات ، ولكنهم لم يصلوا إلى أن يكونوا قوة عسكرية أو قمعية استخدمها الملأ من قريش في قمع وإرهاب الفقراء ، وإنما كانوا يعملون في كافة أوجه النشاط في خدمة ساداتهم .

---

(١) جواد علي : ٤/٣٣ .

(2)Lammens , H . , op . cit . , p.p. 438 , 462 , 465 .

(٣) جواد علي : ٤/٣٥-٣٦ .

ولا بأس أن تكون من ضمن تلك الخدمات الحراسة[1] ، وإن هناك من يذكر بأنه لا يوجد دليل على كثرة العبيد بمكة[2] .

والبادي أن مروة ودلو قد تابعا Lammens ، الذي كان يذهب إلى أن الأحابيش كانوا زنوجاً من بلاد الحبشة ، وأن رواة السيرة تعمدوا القول بأنهم عرب أنفوا أن يقولوا أن قريشاً كانت في الجاهلية تستعين بالسودان في الدفاع عن حريتها ، والمعروف عن Lammens تحيزه ضد العرب والإسلام ، حيث منحهم درجة مهمة في الدفاع عن قريش التي ركنت إليهم في دفاعهم عن مكة ، وقد استند في رأيه هذا إلى ما رواه أهل الأخبار من اشتراكهم مع قريش في تلك الحروب ، غير أن الأحابيش لم يلعبوا دوراً خطيراً في تلك الحروب ، وأنهم لم يكونوا في تلك الحروب سوى فرقة من الفرق التي ساعدت قريشاً مقابل مال ورزق ووعود ، فضلاً عن أنه لم يقدم دليلاً على مقولته تلك[3] .

وذلك بدليل قول قريش للحليس : (إجلس ، فإنما أنت رجل أعرابي ، لا علم لك) ، أي أنهم كانوا أعراباً ، ويعيشون عيشة أعرابية .

كما أن الأحابيش لم يكونوا على دين مكة ، أي من عبدة الأصنام بل كانوا مؤلهة ، يدينون بوجود إله ، ويتضح ذلك في قول النبي -ﷺ- ، لما رأى الحليس قادماً إليه (إن هذا من قوم يتألهون) وقد يشير بذلك إلى أنهم كانوا نصارى ، أخذوا نصرانيتهم من الحبش ، ولذلك كانوا من المؤلهة بالنسبة لقريش[4] .

---

(١) توفيق برو : المرجع السابق ، ص٢٥٨ ، وكذا . خليل عبد الكريم : المرجع السابق ، ص١١٢-١١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص٧ .

(٣) جواد علي : ٣٦/٢ وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص١٦٠ .

(٤) جواد علي : ٣٤/٢-٣٥ .

رابعا : أسواق المنطقة .

- ❖ عكاظ .
- ❖ مجنة .
- ❖ ذو المجاز .

كان للعرب القدامى في شبه الجزيرة العربية ، في عصر ما قبل الإسلام أسواقا يجتمعون فيها للبيع والشراء وتبادل المنافع ، منذ عهد سحيق[١] ، وهي تعد من مظاهر تحضر العرب[٢] .

السوق ، هي المحل ، الذي يتسوق منه ، وأنها سميت سوقا لسوق الناس إليها ، أو لقيامهم فيها على السوق[٣] ، والأسواق ، جمع سوق[٤] ، وهي موضع البياعات ، وهي مؤنث وقد تذكر[٥] .

ومن السوق تفرعت السويقة ، التي هي تصغير لكلمة السوق ، وربما كان يحدث أحيانا خلط بين السوق والسويقة ، وأحيانا كانت تغلب صيغة التصغير على أسواق كثيرة[٦] ، ويقال للسوق القسيمة كذلك[٧] .

ولما كانت حياة العرب ، في عصر ما قبل الإسلام ، وفي الأعم الغالب قوامها الترحال من مكان إلى آخر ، تتجه نحو المناطق المتواجد فيها الماء والكلأ ، فلابد والحالة هذه أن تتأثر أسواقهم بهذه الظاهرة الاجتماعية ، التي ألفوها ومن ثم فلم تكن هذه الأسواق محصورة في موضع معين ، وإنما كانت تلتقي فيها القبائل أو تسلكها أثناء ترحالها [٨].

ترتبط الأسواق العربية القديمة[٩] في شبه الجزيرة العربية بصفة عامة ، وشمالها الغربي ، بصفة خاصة ، بالنشاط التجاري الداخلي ، والذي له أثره الواضح في مجال التجارة الخارجية ، هذا ولقد تعددت تلك الأسواق في طبيعتها ، فكان منها ما

---

(١) المعارف ، ص٢٤٩ ، وكذا . صفة جزيرة العرب ، ص١٧٩-١٨٠ ، وكذا الأزمنة والأمكنة ، ١٦٢/٢-١٦٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة : ٨٣/١-٨٥ .

(٣) لسان العرب ، ٣٢/١٢-٣٣ ، وكذا . تاج العروس ، ٣٨٧/٦ .

(٤) لسان العرب ،٣٣/١٢ .

(٥) تاج العروس ، ٣٨٧/٦ .

(٦) لسان العرب ، ٣٣/١٢ .

(٧) تاج العروس ، ٢٧/٩ .

(٨) البستاني (فؤاد أفرام) : دائرة المعارف ، الجزء العاشر ، بيروت ١٩٧٧م ، ص٢٣٦ .

(٩) عن ارتباط ونشأة الأسواق العربية القديمة ، أنظر : جواد علي : ٣٨٣/٧ .

هو دائم[١] ، ومنها ما هو موسمي مؤقت[٢] ومنها ما هو عام يرتاده العرب من شتى ، أنحاء شبه الجزيرة العربية ، أو ما هو محلي يتم فيه التبادل بين التجار والسكان[٣] .

لقد أقيمت هذه الأسواق لغاية أساسية هي التجارة وتبادل السلع المختلفة ، إلا أن هناك أمورا أخرى بجانب ذلك – سيأتي ذكرها تفصيليا – منها أنها كانت ميدانا فسيحا لتبادل الآراء وعرض الأفكار والتشاور في مشكلات الأمور ، ومجالات للمفاخرات ، وبخاصة مفاخر القبيلة ، وكانت كذلك بمثابة ناد واسع لإلقاء روائع الشعر ، وأيضا كانت تضم بعض الأسواق ، منتزهات تغني فيها القيان ، وبجانب هذا فكانت الأسواق كذلك مجالا لترويج البنات اللواتي ، يبتغين الزواج وأيضا للثأر من قاتل لم يستطع الثائر أن يظفر به في غير المواسم[٤] . مما جعل ذلك العرب القدامى يفكرون في ضرورة توفير الأمن والحماية داخل الأسواق ، ومن أجل ذلك فقد ظهر من العرب من قاموا بتلك المهمة وأطلق عليهم اسم " الذاده المحرمون "[٥] .

وقد برز هذا واضحا بالكثير من أسواق شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة أسواق شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن هذا فقد تكفل أيضا ، بتلك الحماية

---

(١) الأسواق الدائمة : وهي أسواق مستمرة في انعقادها طوال العام ، وكان يتم التعامل التجاري بها يوميا ، وقد يقتصر دورها على التبادل التجاري بين السكان ، أو بينهم وبين الذين يفدون إليها من المناطق المجاورة ، وتحتوي معظم مدن شبه الجزيرة العربية على أسواق من هذا النوع ، وتقام معظم مدن شبه الجزيرة العربية على أسواق من هذا النوع ، وتقام عامة تلك الأسواق بوسط المدن بميدان واسع خال من المباني ، ودائما ما تكون هذه الأسواق خاضعة لإشراف حاكم المدينة ، فكان يعين عليها رقيب يختص بمراقبة أية أعمال للغش بها ، وأيضا لتحصيل العشور من تجارها ، أنظر : نوره عبد الله العلي النعيم : المرجع السابق ، ص٢٦٧ .

(٢) الأسواق الموسمية : كانت تقام في مواسم معينة ، كالتي تقام بالأشهر الحرم ، وذلك لضمان مرور التجار بأمان وأشهر تلك الأسواق ، التي كانت تقام بالأشهر الحرم هي : صحار ، حباشه ، عكاظ ، مجنة ، ذي المجاز ، حضرموت ، أنظر : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٧٦/٢ ، وكذا .

عبد العزيز مزروع الأزهري : قصص عكاظ ، تحقيقات تاريخية وأدبية ، نادي دار العلوم ، القاهرة ١٩٥١م ، ص٦٣٥ .

(٣) توفيق برو : المرجع السابق ، ص٢٤٥ .

(٤) حسين الحاج حسن : حضارة العرب في الجاهلية ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٩م ، ص١٩٨ .

(٥) الذادة المحرومون : هم قوم من أهل المروءة والمعروف ، تواصوا فيما بينهم على رد السفيه عن سفهه والغاوي عن غيه ، ونصبوا أنفسهم حماة على الأسواق ، يحملون سلاحهم للذود عنها ، أنظر: تاريخ اليعقوبي ، ٢٧١/١ ، وكذا . جواد علي ، ٣٧٠/٧ .

الملوك والحكام ورؤساء القبائل ، التي تقام الأسواق بأراضيهم ، ويطلق على الملك أو رئيس القبيلة الذي يحمي السوق اسم " ملك السوق " ، وكان ذلك نظير أخذه نسبة العشر[١] من التجار عما يبيعونه بالأسواق ، وقد أطلق على هذا العشر أو هذه الضريبة[٢] ، اسم المكس[٣].

بعد هذا العرض المبسط كمقدمة للأسواق العربية القديمة ، تقوم الدارسة بعرض للأسواق (عكاظ – المجنة – ذو المجاز) ، وهي ذات الأهمية من أسواق شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

---

(١) كانت تدفع العشور تقريبا بجميع الأسواق العربية القديمة ، عدا سوق عكاظ ، ولعل ذلك راجع إلى أن هذه السوق لم يكن يعقد بأرض مملوكة تجعل حاكمها أو مالكها بعشر تجار هذا السوق ورواده ، أنظر : عواطف أديب سلامة : قريش قبل الإسلام ، دار المريخ ، الرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص٢٢٤ .

(٢) وعلى سبيل المثال نجد مرسوما ملكيا موجها من المليك " شهر هلل أو (هلال) بن يدع أب" (١٩٥-١٨٠ق.م) إلى تجار قتبان سواء منهم أبناء المملكة أو الأغراب القادمين إليها بقصد الاتجار ومن بين ما ورد في هذا المرسوم " أن من يتجر بتجارة في تمنع العاصمة أو خارجها فعليه أن يقدم عربونا إلى تمنع وأن يكون مقيما بشمر (إحدى المدن) ، وأن أثر قتبان محلا لا تجاره ، وأراد أن يتجول ليشتري فعليه أن يشتري من شمر " .

وتتضح الشروط التي يجب أن يلتزم بها التجار والأغراب الوافدون إلى قتبان للاتجار فيها سواء من حيث مكان إقامتهم أو مكان مشترواتهم أو مكان ممارستهم لتجارتهم ، أو الرسوم المطلوبة تأديتها إلى الإدارة المختصة بالعاصمة ، أنظر : جواد علي ، ٢٣١/٧ ، وكذا . لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٣١٢ ، وكذا Kitchen , K . A . , op. Cit ., . p . 185 .

(٣) عبد العزيز مزروع الأزهري : المرجع السابق ، ص١٢٦ ، وكذا . توفيق برو : المرجع السابق ، ص٢٥٠.

سوق عكاظ :

ومن الملاحظ أن من بين سبب تسميتها بعكاظ وبين ما يدور فيها من نشـــاطات صلة وثيقة فقد اشتق اسمها من المعاكظة وهي المحاجة في المفــاخرة ، التـــي كـــانت إحدى نشاطات ذلك السوق ، ولقد تحدث عن ذلك اللغويون فالخليل بن أحمـــد مثـــلاً ، يقول[١] : " وسمي به لأن العرب كانت تجتمع فيه كل ســـنة فيعكـــظ بعضـــهم بعضـــاً بالمفاخرة والتناشد ، أي يدعك ويعرك ، وفلان يعكظ خصمه بالخصومـــة : يعكظـــه " ويقول ابن دريد[٢] : " عكظت الرجل أعكظه عكظاً إذ أرددت عليه وقهرته بحجتـــك ، وعكاظ بهذا سمي ، وهو موضع وهو واسم العرب كانوا يتعاكظون فيـــه بالفخـــر " ويقـــول ابن سيده [٣]: عكاظ دابته يعكظها حبسها وعكظ الشيء يعكظه : عركه وعكظ خصمه يعكظه عكظاً : عركه وقهره ، وتعاكظ القوم : تعاركوا وتفاخروا "

ويذكر ياقوت الحموي :" أنها سميت عكاظ لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكـــظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة أي يدعك ، وعكظ فلان خصمـــه بـــاللدد والحجـــج عكظـــاً " ويضيف ياقوت عن السهيلي قوله : كانوا يتفاخرون في سوق عكاظ إذا اجتمعوا ويقـــال عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة فسميت عكاظ بذلك ، أو عكـــظ دابتـــه عكظاً إذا حبسها وتعكظ القوم تعكظاً ، إذا تحبسوا ينظرون في أمورهم وبـــه ســـميت عكاظ "[٤] ويذهب الزمخشري " أن عكاظ متسوق للعرب كانوا يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون .. وفيه قالوا تعكظوا في مكان كذا إذا اجتمعوا وازدحموا "[٥] .

---

(١) الخليـــل بن أحمد الفراهيدي : العين ، الجزء الأول ، تحقيـــق : عبـــد الله درويـــش ، بغـــداد ١٣٨٦هـــ ، ص١٢٢.

(٢) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسين) : جمهرة اللغة ، الجزء الثالث ، حيدر آباد ١٣٤٥هـــ ، ص١٢٠ .

(٣) ابن سيده (علي بن إسماعيل) : المحكم والمحيط والأعظم ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفى السقا ، وحســين نصار ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٧هـــ / ١٩٥٨، ص١٥٩ .

(٤) معجم البلدان ، ١٤٢/٤ .

(٥) الزمخشري (أبو القاسم جاد الله حمود بن عمر) : أساس البلاغة ، مطبعـــة الشـــعب ، القـــاهرة ١٩٦٠م ، ص٦٤٩ .

عكاظ هي المعرض العربي العام أيام الجاهلية ، معرض بكل ما لهذه الكلمة من مفهوم لدينا نحن أبناء هذا العصر ، فهي سوق تجاره وأدب وسياسة وقضـــاء ونظـم اجتماعية ، هذا وقد إندرس موضع سوق عكاظ في وقتنا الحاضر ، الأمر الـــذي أدى إلى اختلاف الباحثين المتقدمين منهم والمحدثين حول تحديد موضع هذا السوق التي تعد من أشهر أسواق العرب القديمة قاطبة .

وقد ذكر بعض الباحثين بأن العجيب من إندراس سوق عكاظ مع أنها من أعظـم أسواق العرب في الجاهلية وصدر الإسلام تنتابها الناس من كل صوب ، حتى خـــرب ونهب عام ١٢٩هـ على يد الخوارج الحرورية بزعامة أبو مختار الأباضي ، ومن ثـم فقد أخذت تتقلص شهرا بعد شهر وعاما بعد عام حتى اندرس اســـمها وعمـــي عـــن الإبصار رسمها وكثر التضارب والاختلاف في تحديدها[١] .

وإذا ما أردنا أن نخوض غمار البحث حول هذا الاختـــلاف كـــان لابـد مـــن استعراض الآراء المختلفة علنا نصل إلى ترجيح إحدى هذه الآراء ، من الأولى لنـا أن نبدأ باستعراض آراء المؤرخين القدامى التي نجدها تتجه إلى عدد من الآراء .

أولا : إن ســـوق عكـــاظ موضـــع بيـــن مكة والطائف ، وهناك من أضـــاف إلى أن عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، إلى بلد يقال له الفتق ، ثم أضاف أبو عبيده بـن معمر بن مثنى (١١٠-٢٠٩هـ) أن الفتق به أموال ونخيل لثقيـــف ، وبينـــه وبيـــن الطائف ستة عشر كيلو مترا[٢] . هذا ومن يذكر بأنه بالقرب من سوق عكاظ جبل يطلق عليه " الإثيداء " وبها كانت أيام الفجار [٣] وبها صخور يطوفون بها ويحجون إليها[١] .

---

(١) محمد بن بليهد : اكتشاف موضع عكاظ بعد اندراسها في أوائل القرن الثاني الهجري " المنهل ، المجلد ١٠ ، الجزء الحادي عشر ، الرياض ، ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٦٩هـــ ، ســبتمبر- أكتوبـر، ١٩٥٠م ، ص٣٢٧ ، وكذا . حمد الجاسر : " المواضع الأثريه في جزيرة العرب " ، مجلـــة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، المجلد ٢٦ ، دمشق (كانون الثاني ســـنة ١٩٥١م / ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٠هـ) ، ص٣٨٢ .

(٢) شفاء الغرام ، ٤٥١/٢ ، وكذا . العين ١٢٢/١ ، وكذا . عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ، الجزء الرابع، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥١هـ ، ص٣٦٠-٣٦١ ، وكـــذا . معجـم مـا اسـتعجم ، ص٩٥٩.

(٣) الفجار : بين كنانة وقيس ، سميت بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم وهي الشـــهور التـــي يحرمونـــها ، ففجـــر فيها وهي فجاران ، الفجار الأول ثلاثة أيام ، والفجار الثاني خمس أيـــام فـــي أربـــع

بينما يذكر الأصفهاني[٢] ، بأن الفتق أسفل وادي العرج ومعروف أن العرج شمال الطائف ، يميل قليلا للشرق . وأن سراة الطائف غورها مكة ديار هوازن من عكاظ . هذا وقد حدد الهمداني [٣] ، موضع بلدة " الفتق " المذكورة فقال : إذا استقبلت مكة وأنت في الفتق وقع الطائف بينك وبين مغرب الشمس ، وبين الفتق وبين المناقب تسعة عشر كيلوا مترا وبين المناقب وقرن المنازل تسعة كيلو مترات . وأن الفتق كانت قرية لنبي هلال فتخربت ، بينما يضيف بأن عكاظ من أرض بمعكد هوازن . وهو سوق العرب القديمة وهو لبني هلال وقران وشرب مكانان من أرض عكاظ .. وهذه المواضع من الجرداء ويضرب على مشرق جميع هذه المواضع جبل الحضن من المحجة على يوم وكسر ، وحضن عكاظ جبل ، وقد حدد الهمداني بأنها سوق على طريق اليمن من مكة وبين المناقب والكلاخ ، وأن لليمن إلى مكة طريقان إحداهما تهامي يأخذ طريق الساحل ، والآخر يأخذ طريق السراة مارا ببلاد عسير ، وهو الذي يقع فيه عكاظ .

وإذا ما أردنا أن نصل إلى ترجيح في هذا الأمر بعرض رأي مجموعة أخرى من آراء المؤرخين والتي ترى بأن عكاظ بأعلى نجد بل أن هناك من قال أن عكاظ بأعلى نجد بالقرب من عرفات[٤] .

ويرى حمد الجاسر أن هذا الرأي يتضح فيه التناقض فأين نجد ، من عرفات ولا يمكن الاستدلال بهذا الرأي لأنه نقل بلا تمحيص ولا تدقيق ، أو ربما هو خلط بين

سنين ، وقد حضر النبي –ﷺ– يوم عكاظ مع أعمامه وكان يناولهم النبل ، وانتهت سنة ٥٨٩م ، أنظر حول حروب الفجار : عبد الجبار منسي العبيدي : " حروب الفجار : اسبابها ونتائجها " ، المؤرخ العربي ، العدد العاشر ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص١٣٤-١٤٦ ، وكذا منذر الجبوري : " أيام العرب في الجاهلية " ، المورد ، الجزء الثاني ، ص٤٠-٥٣ ، وكذا . أحمد جاد المولى وآخرون : أيام العرب : أيام العرب في الجاهلية ، القاهرة ١٩٤٢م ، ص٣٢٢-٣٤٣ .

(١) معجم البلدان : ٢٠٣/٦

(٢) الأصفهاني : (الحسن بن عبد الله) : بلاد العرب ، الجزء الأول ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، دار اليمامة للبحث والترجمة ، والنشر ، الرياض ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص١٤٩ .

(٣) صفة جزيرة العرب ، ص١٨٧ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ، ٢٧٠/١ .

سوق عكاظ وسوق آخر[1]. أما الرأي الثالث : فيذهب أن عكاظ تقع على طريق صنعاء من مكة المكرمة وراء قرن المنازل[2] .

ويذكر أبو حيان التوحيدي : أن من مظاهر تحضر العرب قيام أسواقهم في الجاهلية ، ومن تلك الأسواق سوق عكاظ التي تقع إلى الجنوب الشرقي من مكة ، وعلى بعد ستة عشر كيلو مترا من الطائف ونحو من ثماني وأربعون كيلو من مكة " [3].

بالإضافة إلى الآراء السابقة ، فهناك رأي يحدد طبيعة جغرافية سوق عكاظ ولا تحدد موقعا ، حيث يذكر البعض سوق عكاظ في مكان يعرف بالأثيداء فيه مياه ونخل وهو مستو لا علم فيه ولا جبل ، إلا ما كان فيه من الأنصاب التي كانت لأهل الجاهلية ، وبها دماء البدن كالأرحاء والعظام ، كانوا يطوفون حول صخور فيها ، وربما كان ذلك شعيرة من شعائرهم ، فقد ذكر أنهم كانوا يحجون إليها ، وأضاف أنه كان بعكاظ أربعة أيام من حروب الفجار ، وهي يوم شمطة ويوم العبلاء ويوم شرب واليوم الرابع وهو يوم الحريرة ، وإذا ما تتبعنا هذا الرأي نجده يذكر المواضع القريبة من عكاظ ومن أهمها : "وادي شرب " وحدد موضع السوق بالنسبة للوادي فقال : إن وادي شرب وهو واد عظيم ، أعلاه وادي العقيق الواقع غرب الطائف وشماله ثم ينحدر مارا بمزارع القيم وأم الحمض والقديره ، ثم يلتقي بوادي الحويه من الغرب ثم يمر بقرية "شرب " أسفل الحويه ، بينها كيلو مترا واحدا ثم يجوز السلسلة الجبلية ويفضي إلى الأرض البراح ، فثم عكاظ حتى تنتهي إلى وادي الأخيضر ، وقد يطلق على سوق عكاظ سوق شرب[4] .

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

(٢) أخبار مكة ، ١٩٠/١، وكذا ، وهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حمير ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٧هـ ، ص٢١٠.

(٣) الإمتاع والمؤانسة ٨٣/١-٨٥ .

(٤) عرام بن الأصبغ السلمي : أسماء جبال تهامة ، ضمن نوادر المخطوطات ، الجزء الثاني ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٧٣هـ ، ص٤٠٤ .

ولكي يكتمل الرأي حول تحديد موضع سوق عكاظ ، فلابد أن نورد هنـــا آراء بعض الباحثين المحدثون ، الذين تطرقوا لهذا الموضوع بعـــد أن ذكرنـــا المؤرخـــون الأقدمون ، لنصل إلى ترجيح رأي عن موقع سوق عكاظ .

فهناك من يذهب إلى أن سوق عكاظ نخل بين مكة والطائف على مرحلتين مـــن مكة ومرحلة من الطائف وموقعها جنوب مكة إلى الشرق . أن الظاهر أن مـــا يطلـــق عليه (عكاظ) من الأرض متسع فسيح فيه حرار وفيه أرضون مسقية ذات نخيل ، وقد مر في حروب الفجار أن (شربا) من عكاظ ، وأن (العبلاء) إلى جنب عكاظ ، وأن شمطة موضع من عكاظ وأن (الحريره) حرة إلى جانب عكاظ مما يلي مهب جنوبـــها ولا شك أن أرضا اتسعت بعض أجزائها لمعارك عدة أرض فسيحة .

وبذلك يفهم كيف كانت السوق تنتقل في عكاظ فلا تلازم بقعة واحدة ولا تحيـــد عنها يمينا ولا شمالا على مدى السنين الطويلة[١] .

كما أن هناك الباحثين المحدثين من يذهب إلى أن سوق عكاظ يبعد موضعها عن مطار الحويه بعشرة كيلو مترات للسيارات تقريبا وهي في الجهة الشرقية عن المطار ، وتبعد عن بلد الطائف بأربعين كيلو مترا ، وغربي موضع تلك السوق مجمع الواديين وادي شرب ووادي الأخيضر وشرقية ماء يقال له المبعوث وجنوبه أكمه بيضاء ويقال لها : العبلاء منذ العهد الجاهلي إلى الآن .. وشماليه الفاصل بين وادي شـــرب ووادي قران الباقي بهذا الاسم إلى هذا العهد[٢] .

غير أن هناك باحث آخر أدلى برأيه في التحديد ، السابق لسوق عكاظ إنه إنمـــا يدل على بعد المسافة بين السوق والطائف فهي أربعون كيلو مترا أو أكثر[٣] ، وهـــي تخالف الرأي الذي يجعل المسافة ستة عشر كيلو مترا ، ومن حددها بســـير الراحلـــة جعل المسافة ليلة واحدة فالراحلة المعتادة لا يمكن أن تقطع هذه المسافة في ليلة واحدة.

---

(١) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٨٦-٢٨٨ .

(٢) محمد بن بليهد : " اكتشاف موضع عكاظ بعد اندراسها في اوائل القرن الثاني الهجري " ، المنـــهل ، المجلـــد ١٠ ، الجزء الحادي عشر ، الرياض ، ذو القعدة – ذو الحجـــة ، ١٣٦٩هـــ ، ســـبتمبر – أكتوبر ١٩٥٠م، ص٣٢٧ .

(٣) ناصر بن سعد الرشيد : سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام ، دار الأنصار ، القاهرة ١٣٩٧هـــ / ١٩٧٧م ، ص١٤٠ .

بالإضافة إلى أنه جعل العبلاء من عكاظ وهي خارجة عنه ، ثم أردف في مناقشة أدلة الشيخ محمد بن بليهد فقد ذكر " أن من أراد أن يقف برجله ويرى الآثار الدارسه والأطلال الباليه فليذهب إلى هناك كما ذهبت ورأيتها بعيني " فهنا يقصد بالآثار ذلك الأطم الأبيض وما حوله من مقابر وهذه الآثار تدل على أن عمرها لا يزيد عن ستمائة سنة هذا بالإضافة إلى أن طرازها يشبه الطراز العثماني هذا ويشُك من يناقش هذا الرأي أن البدو كانت لهم حضارة عمرانية لأنهم اعتمدوا على خيامهم يتنقلون بها سيتبين مثلاً أن النابغة الذبياني كان تضرب له قبة حمراء من الأدم يجلس فيها للحكم بين الشعراء كما استدل الشيخ ابن بليهد وكذلك الشيخ حمد الجاسر بأرجوزة عيسى بن أحمد الرداعي ومنها [1]:

قلائص يوضعن في جلدان[2]	يا هند لو أبصرت عن عياني
مسهلة في الأرض من عكاظ	مشققة من زاجر كظاظ
عيديه مفعمة المناكب	فأنجردت بالرفق العصائب
وحيث خط الميل كف الكاتب	بكل خف مستدير الجانب
وشربا في صبح ليل واقب	تاركة قران للمناقب

وقد تبين للدارسة أن مناقشة الدكتور ناصر بن سعد الرشيد للشيخ ابن بليهد حول تحديد موقع سوق عكاظ واستدلاله بأرجوزة الرداعي[3] ، وعلى الرغم من ذلك فإن الشيخ لم يستدل بها ليحدد موقع السوق في تلك المنطقة ، إنما هو أستدل بها ليبطل الرأي ، الذي يقول بأن موقع سوق عكاظ يقع بين منطقة السيل الصغير و السيل الكبير لأن هذه المنطقة ليس بها موضع يسع العرب لأنهم كانوا يفدون إلى سوق عكاظ من جميع الجهات والسبب الثاني لأن من رأوا ذلك لم يستندوا على شيء يثبته ، ثم أورد أرجوزة الرداعي التي ذكرناها وقال :

---

(١) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص١٤٢-١٤٣ .

(٢) جلدان لم يتغير اسمه إلى هذا العهد بين عكاظ وكلاخ وهناك هضبة منفردة على جبل تسميها العرب إلى هذا العهد " حلاة جلدان " أنظر : ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص١٤٣ .

(٣) محمد بن بليهد : المرجع السابق ، ص٣٢٧-٣٢٩-٣٣٠ .

تأمل قول الشاعر عندما خرج من عكاظ ترك شرب ، باتجاه الشمال ويفيض على عكاظ من جهة الشمال ثم مرّ بقران " تاركة قران للمناقب " وقران وادٍ يقع بين عكاظ والسيل الصغير ، فهو مرّ بقران وتركها وذلك كله بعد عكاظ وهو معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، ثم المناقب وهي تقع بين السيل الصغير والسيل الكبير بعد ذلك ، أي أن سوق عكاظ خارج عن التوسط بين السيل الصغير والسيل الكبير[١] .

ودليل بن بليهد ما ذكر الأصمعي : " عكاظ وادٍ به نخل وبينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب بمكان منه يقال له " الاثيداء " وبه كانت أيام الفجار ، وكان هناك صخور يطوفون بها ، ووافقه سعيد الأفغاني الذي ذكر عكاظ وذكر من أيام الفجار فيها وهي أربعة وهذه المناطق كلها من عكاظ ، ونجد أن هذا النص لا يشهد لابن بليهد بقدر ما يُشهد عليه ، لأن الأصمعي جعل المسافة بين السوق، والطائف ليلة بينما جعلها ابن بلهيد أربعين كيلو متراً وهذه المسافة كما ذكرنا لا يمكن أن تقطعها الراحلة في ليلة واحدة ، وكذلك ذكر الحُريره من عكاظ وهي خارجة[٢] عنه، وأن كانت على مقربة منه والروايات تكاد تجمع على أنها تقع في الجهة الجنوبية من عكاظ[٣] .

هذا وقد اقتصر رشدي ملحس على ذكر ثلاث روايات حول موقع سوق عكاظ[٤] : (الأولى) رواية تاريخية تقول بأن عكاظ بركبة أو ضواحيها .. وأدق وصف قرية قباء وبحذائها جبل يقال له " مكران " وهو قليل النبات في أصله ماء يقال له الصفو وجبل يقال له (عْن) في جوفه مياه أو شال و (القفا) جبل لبني هلال حذاء (عْن) هذا ، أو حذاءه جبل آخر يقال له بيش وفي أصله ماء يقال له نقعاء لبني هلال وحذائها ماء أخرى يقال لها (الجدر) وعكاظ منها على قرب وعكاظ صحراء مستوية ليس لها جبل ولا علَم إلا ما كان من أنصاب الجاهلية ، وحذاؤها عين يقال لها (خليص) للعمريين وخليص هذا اسم رجل وهي ببلاد ركبه .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٣٢٧-٣٢٩-٣٣٠ .

(٢) معجم ما استعجم ، ٩٦٢/٣ .

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٨٦ – ٢٨٨ .

(٤) رشدي الصالح ملحس : " الأسواق التاريخية- عكاظ- ذو المجن – ذو المجاز " مجلة المنهل ، المجلد العاشر، الجزء الثامن ، السنة العاشرة ، شعبان ، ١٣٦٩/ مايو ١٩٥٠م ، ص٢٧٠ .

أما الثانية : إن سوق عكاظ كان يقام في السيل الصغير بجانب المقاهي التي تقع بين الطائف والسيل والكبير وهو يذكر أن هذه الرواية لا تتنافى مع الرواية الأولى لأن من طبيعة العرب أن تقيم في مكان يتوفر فيه الماء والعشب إلا أن ابن بليهد علق على هذا الموقع فيما سبق ، وأضاف رواية ثالثة تقول : أن سوق عكاظ كانت تقام في منطقة " القانس " في ضاحية قرن المنازل الذي يسمى اليوم بالسيل الكبير .

ويضيف باحث آخر إلى هذا الرأي أن الواقف في القانس يرى على مقربة منه موضعين مرتفعين أحدهما يسمى الدمة والآخر البهيته وعكاظ الفاصل بين الدمة والوادي الموصل إلى الطريق التي يمر بها سالكو " درب السيل " اليمانية وإن عكاظ بشهادة أهل الطائف في مكان يعرف اليوم باسم " القهاوي " في وادي ليه من الطائف[1].

كما يذهب الشيخ حمد الجاسر إلى أن أرض السوق تنطبق انطباقا تاما على الأرض الواسعة الواقعة شرق الطائف – بميل نحو الشمال – خارج سلسلة جبال المطيفه به وتبعد تلك الأرض عن الطائف مسافة (٣٥ كيلو مترا تقريبا – ومسيرة ليلة للإبل) ويحدها غربا جبال عدوان (الخضيراء – شرب – العقرب) وجنوبا جبال أسفل وادي ليه ، وأبرق العبيلاء ، وضلع الخلص ، وشرقا : صحراء ركبة وفي أقصاها جبل حضن – وشمالا طرف ركبه – وهو من عكاظ – والجبال الواقعة شرق وادي قران وتشمل هذه الأرض وادي الأخيضر (وهو المعروف قديما باسم وادي عكاظ) وادي شرب ، حينما يفيضان في الصحراء ، ويخرجان من الجبال وما بينهما من الأرض ، وما اتصل بهما من طرف ركبه الشمالي الغربي[2] .

---

(١) خير الدين الزركلي ، نقلا عن حمد الجاسر المرجع السابق ، ص٣٩٥ .

(٢) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص٣٩٠-٣٩٥ .

هذا وقد رد باحث على هذا الرأي وقال : " أن حينما أتى إلى ذكر (حضن) أحد الجبال التي رأى في ذكرها تثبيتا لرأيه في تحديد عكاظ رأى أنه يبعد مسيرة يوم للإبل من عكاظ ويمكن للرأي مشاهدته عن بعد ، ولكن الهمداني الذي أضاف حضنا على عكاظ لم يجعل المسافة بينهما يوما واحدا فقط ، وإنما جعلها يوما وكسرا ، ويقول قران وشرب مكانان من أرض=

أما صاحب هذا الرأي ، فيذهب أن من الأدلة ومن الجمع بين ما اختلف منـــها ومن مناقشته للشيخين ابن بليهد والجاسر بالإضافة إلى المسافة التـــي نصـــت عليـــها المصادر بين عكاظ والطائف وبين قرن المنازل وعكاظ تبين أن عكاظ تقع في منقطـــة فسيحة وسهلة تستوعب أعداد هائلة من الناس وفيها واديان أو أكثر شمال الحويه مـــع ميل قليل للغرب وجنوب غرب السيل الصغير وكانت القوافل منحدره من المناقب أخذه ذات اليمن تمر بها أو على حرف منها ، وكان طريق السيارات القديم المتجه من السيل الصغير بغربها قريباً ، وتقع مغرب الشمس عن مطار الطائف القديم الآن ، وهي مـــن الحويه دعوة ومن الطائف مرحلة أو حوالي ثلاثين كيلو متراً وبقربها قريتان زراعيتان إحداهما تسمى (ريحه) والثانية تسمى (رحاباً) عنها مغرب الشـــمس ولـــو طبقنـــا الأمارات البارزة على هذا الموضع لانطبقت ، فالحُريره تقع مهب الجنوب وتقبل تريـد من مكة من مهب صباها : جيلات سود مترابطة تشبه الحرة (بمعناها الجغرافي) عن جهة الجنوب مع ميل قليل جداً للشرق ويأتي طرف الحويه وخط الإسفلت الآن بينـــهما وبين عكاظ وهي على بعد لا يزيد عن بضع كيلوا مترات ، أما العبلاء فهو أعبل يقـــع في غربية ، وهو الجبل الأعبل جبلاً أطحل حقاً وهو ذلك الجبل الأطحل الذي اســـتند عليه (حبهار) صنم هوازن ، ويعرف الآن بقميع (تصغير قمع) وقد أوفيتـــه بعيـــد الزوال ثم أن (حضن) يضرب عليه جهة مطلع الشمس على مسيرة يـــوم وكســـر ، ويدخل في هذا الموقع طرف وادي شرب الذي ينسرب ناحية الشرق كما يمتد عكـــاظ حتى يشمل طرف وادي قران الجنوبي[1] .

=عكاظ، وهذه المواضع من الجرداء ، ويضرب على مشرق هذه المواضع جبل الحضن مـــن المحجة على يوم وكسر وأحسب أن المسافة بين حضن وبين المبعوث تقارب اليوم ، وبنـــاء على هذا فعكاظ يجب أن تكون في مكان أبعد من البقعة التي رأى الشيخ أنها عكاظ ، ويلاحظ أن الشيخان ابن بليهد والجاسر إدخالهما (شرباً) في عكاظ وإخراج (قران) منه على الرغـم أن هذين الموضعين وردا معاً في نصوص استشهد بها تدل على أن المكانين من عكاظ يقـول الهمداني " قران وشرب مكانان من أرض عكاظ " أنظر : ناصر بن سعد الرشيد : المرجـــع السابق ، ص١٥٣ .

(١) نفس المرجع السابق ، ص١٧٠-١٧١ .

أما عبد الله خميس فيذهب إلى أن من مجموع هذه الأقوال المتقدمة لما قيل في تحديد موقع سوق عكاظ قديما وحديثا ، ومن دراسته للمنطقة دراسة دقيقة أقف بقدمي وأرى بعيني وأستعين بخبير ثبت من سكان المنطقة أختاره لي سعادة عبد العزيز فهد بن معمر أمير الطائف حتى خرجت بما يلي : في متسع من الأرض يحده من الجنوب ملتقى وادي شرب بوادي العرج الأخيضر والعبيلاء ، ومن الغرب جبال الصالح وجبال مدسوس ومدفع وادي المهيد ، ومن الشمال الشظفاء والخلص ومشرفة وماءه المبعوث ومن الشرق الدار السوداء والحرة .. فيما بين هذه الأعلام يقع سوق عكاظ وهي تشكل شكلا مستطيلا لا يتجاوز طوله من الجنوب إلى الشمال أربعة كيلو مترات ومن الغرب إلى الشرق كيليين وهذا التحديد يدخل الأنصاب والحجارة المنصوبة والتي تدعى الآن (بالمرزز) كما أن هذه المنطقة هي مدفع ثلاث أودية ، العرج ، وشرب ، والمهيد ، وهذا التحديد لا يخرج تقريبا عما حدده الشيخان ابن بليهد والجاسر إلا أنه أضيق دائرة مما حدداه[1] .

إن أعظم ما يحدو العربي في الجاهلية على قصد تلك الأسواق هو قيام كثير منها في الأشهر الحرم ولأن مواسم هذه الأسواق كعكاظ تقام في أيام الحج[2] ، وتلك ميزة لا تتمتع بها بلدة غير مكة ولا قوم إلا قريش ومن ثم فقد تأثرت أسواق العرب بالمواسم والأعياد وفي الحديث عن الأسواق وبالأخص سوق عكاظ الشهير يتبين للدارس بعد المسافة فيما بين موضع سوق عكاظ ومكة ، ولكن إذا تأملنا أن سوق عكاظ بطبيعته الميقات الذي يفد إليه أهل الميقات من تلك المناطق ومنها " ذات عرق " التي وقتها ، رسول الله -ﷺ- لحجاج اليمن ، كما أن سوق عكاظ تقع على طريق الحاج من اليمن إلى مكة ، بالإضافة إلى تأصل حب التجارة لدى العرب ، بصفة عامة، فذلك جعلهم لا يبالون بطول المسافة ، بدليل قيامهم بعد ذلك برحلتي الشتاء والصيف ، والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم .

---

(١) عبد الله خميس : " سوق عكاظ " العرب ، الجزء السادس ، السنة الخامسة ، ذو الحجة ، ١٣٩٠هـ / شباط (فبراير) ١٩٧١م ، ص٦٢١ .

(٢) ما زال الحج الموسم الأكبر للتجارة في الأقطار العربية وبخاصة منطقة الحجاز ففي أيامه تنشط الحركة التجارية ، هناك ويكثر ، البيع والشراء ، أنظر : حمدان عبد المجيد الكبيسي : " أسواق العرب قبل الإسلام " ، مجلة أداب المستنصرية ، العدد الرابع ، بغداد ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص١٠٣.

وتحديد بدء نشاط السوق فهو أمر على اختلاف بين المؤرخين من ذلك حـــدد أبي عبيد البكري ، وقت بدء السوق بعد عام الفيل بخمسة عشرة سنة وأنها تركت عـلم خروج الحرورية عليها[١] ، بل حدد باحث آخر ٥٨٥م ، وأضاف أن عكاظ يمكـن أن تكون قد قامت قبل ذلك لأنها سوق لا يغلب عليها الصفة الدولية بل الصفة العربية ولذا فهي غير مرهونة بقيام قوافل التجارة الشرقية ، وازدهارها ، كما أن التجارة المحليـة مهنة مستمرة على الدوام[٢] .

وقد عارض أحد الباحثين هذا الرأي محقا لأن خبرا لفجار الثاني يجعل بدئها في السنة ذاتها على الأرجح فمتى بدأ الفجار[٣] . هناك من أيد أن تكون سوق عكاظ قـامت منذ سنة ٥٠٠م ، ولا تعرف بداية محددة للسوق ، غير أن هناك من يرجح قيام السوق قبل القرن السادس الميلادي[٤] ، غير أن هناك من يرى أنها بدأت في أواسـط القـرن السادس الميلادي عام ٥٤٠م ، وانتهت في منتصف القرن الثامن للميـلاد (٧٤٥م) أي بقيت قرنين من الزمان[٥] .

يذكر عبد الله خميس أن هناك تخبط في تعيين سنة افتتاحهـا وتناقض فهنـاك مثلا بعض المصادر مثل " بلوغ الأرب للألوسي " ودائرة معارف وجدى ، والوسـيط للأستاذين الإسكندري والعناني فإنها اتفقت على أن عكاظ افتتحت بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة مع أن هناك حديثا صحيحا يفيد أن رسول الله –ﷺ– كان ينبل مع أعمامـه في حروب الفجار وعمره أربع عشرة سنة ، أي بعد عام الفيل بأربع عشرة سنة فتكون الفجار ونبل الرسول فيها قبل وجود عكاظ بسنة واحدة وهو تناقض بين ، و الغريـب حقا أن ينقل صاحب الوسيط ، هذا التحديد من بلوغ الأرب ، على علاته في الطبعـة الخامسة للوسيط (ص١٢) ثم ينقضاه هما نفسهما (ص٢٧) من الكتـاب المذكـور فيذكر نبل الرسول – ﷺ – وعمره أربع عشرة سنة كما فعل الألوسي تماما[٦] .

---

(١) معجم ما استعجم ، ٩٦٢/٣ .

(٢) جواد علي : ٣٨٠/٧ ، وكذا . فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٩٣ .

(٣) عرفان محمد حمور : المرجع السابق ، ص١٠٧ .

(٤) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٣٤٢-٣٤٣ .

(٥) رشدي الصالح ملحس : المرجع السابق ، ص٢٧٣ .

(٦) عبد الله خميس : المرجع السابق ، ص٦٢٧ .

ويشير سعيد الأفغاني إلى أن دائرة المعارف لوجدي ، فمع ارتكابها الخطأ نفسه عززته بثان فقال (ص٣٤٣) " عكاظ اتخذت سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة " أي سنة (٥٤٠م) ، وهذا غير صحيح لأن حادث الفيل كان سنة (٥٧٠-٥٧١م) ، ولعل الألوسي أراد " قبل الفيل بخمسة عشرة سنة " ، وتغيرت في الطبع من قبل إلى بعد ، ثم أطلعنا فإذا الدكتور محمد حسنين هيكل ، حيث يذكر في كتابه " في منزل الوحي " (ص٣٦٤ الطبعة الأولى) أنهم اتخذوها بعد الفيل بـ ١٥ سنة [١] .

وكان سوق عكاظ ينعقد حسب الجدول الزمني التالي :

أولاً : يقام في شهر ذي القعدة دون أن يحدد ما يستغرقه من مدة زمنية[٢] .

ثانياً : يبدأ في غرة ذي القعدة ويستمر عشرين يوماً منه[٣] .

ثالثاً : يبدأ من غرة ذي القعدة إلى حضور الحج[٤] .

رابعاً : يبدأ من الخامس عشر من ذي القعدة إلى آخره[٥] .

خامساً : يبدأ من غرة شهر شوال حتى آخره[٦] .

سادساً : تقام أيامه كل عام دون أن تُحدد الشهر ، الذي يقام فيه[٧] .

إلا أن هناك باحثة تذكر في ذلك رأياً ربما أن يكون له وجاهته ، تعتقد من خلاله بأن تاريخ وجود هذا السوق أقدم مما قد ذكره هؤلاء الرواة الإخباريون بنحو نصف قرن من الزمان تقريباً ، وتستند في رأيها بأن أمرؤ القيس (المتوفي سنة

---

(١) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٣٤٢-٣٤٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ٢٧٠/١ .

(٣) تاج العروس ، ٨٧/٥ ، وكذا . الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، الجزء الثاني ، ص٢٩٦ ، وكذا ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن) : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، الجزء الرابع ، اعتنى بترتيبه وتصحيحه عبد القادر بدران ، مطبعة روضة الشام ، دمشق ١٣٢٩هـ ، ص٤١٤، وكذا معجم ما استعجم ، ٩٥٩/٣ .

(٤) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الخامس عشر ، القاهرة ١٣٤٢هـ ، ص٤٢٥ ، وكذا . العقد الفريد ، ٨٠/٦ .

(٥) المحبر ، ص٢٦٧ ، وكذا الأزمنة والأمكنة ، ١٦٥/٢ .

(٦) معجم البلدان ، ١٤٢/٤ ، وكذا . آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٨٥ .

(٧) العين ، ١٢٢/١ ، وكذا . لسان العرب ، ٤٤٨/٧ .

(٥٤٠م) قد حضر سوق عكاظ وشارك بمعلقته ، وذلك من شأنه أن يؤكد- كما تذكر الباحثة بأن نشأة السوق كانت تقريبا مع بدايات القرن السادس للميلاد[١] .

ولقد فسر سعيد الأفغاني[٢] ، السبب في اختلاف المؤرخون في تأريخ قيام الأسواق ، لأن العرب لم يكونوا يلتزمون كل سنة يوما معينا لإقامة السوق ، ويوما لتقويضها ، بل يتقدم هذا اليوم في بعض السنين ويتأخر في بعضها ، وقد يهرع أقوام إلى السوق قبيل ميعادها وقد يتخلف آخرون بعد انقضائها إذا لم تنته أعمالهم وقد تختلف العادة سنة عن سنة ، فمن هنا كان هذا التفاوت اليسير ويمكن أن نخرج من جميع الأقوال بأن عكاظ قد تحفل بالناس في شوال ويتم تقاطرهم إليها في ذي القعدة : الزمن الرسمي للسوق ، وحين تذهب جماعتهم إلى مجنة في العشرين من ذي القعدة يتخلف الكثير من لم يكن أنهى بيعه وشرائه فلا يتم خلو السوق تماما إلا في غرة ذي الحجة عند اقتراب الحج[٣] .

ورتب أحد الباحثين للأسواق الثلاثة (عكاظ – مجنة – ذي المجاز) مواعيد تنتهي بهم إلى الحج حيث يقيمون عكاظ من أول القعدة إلى أن يوافيهم العشرون منه ، فينتقلون إلى مجنه حتى يتم شهر القعدة فإذا هل هلال الحج توافدوا على ذي المجاز إلى يوم التروية حيث يخرجون إلى منى[٤] .

بعد العرض السابق للتوقيتات الزمنية لسوق عكاظ ، ومدى الاختلاف الواضح ، فيها فإن الدارسة تميل إلى الترجيح عن ما نقل من شخص كان يرتاد سوق عكاظ يبيع فيه ويشتري وهو الصحابي الجليل حكيم بن حزام بن خويلد ، رضي الله عنه ، فقد روي عنه أنه كان يقول : " وكانت لنا ثلاثة أسواق ، سوق عكاظ يقوم صبح هلال ذي

---

(١) عواطف أديب سلامة : المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٢٥-٢٩٠ .

(٣) هناك من نقل أن عكاظ غير تلك السوق السنوية التي تجتمع بها القبائل ، لها أيضا سوق أسبوعية تقوم كل يوم أحد للبيع والشراء ، أنظر : رشدي الصالح ملحس : المرجع السابق ، ص٥٩

(٤) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص٥١-٧٢ .

القعدة فيقوم عشرين يوما"[1] مما كان لهذا أثره الكبير في أن يجعل القبائل تفد في حصانتين مقدستين ، حصانة الأشهر الحرم وحصانة إقامتهم بالقرب من مكة المكرمة وبها الكعبة المشرفة[2] .

يعد عكاظ أعظم معرض في شبه جزيرة العرب للتجارة والصناعة والفن وأعظم مؤتمر للرأي والسياسة ، لم تبلغ المعارض اليومية اليوم ما بلغه سوق عكاظ من حيث كثرة الرواد وتعدد الأهداف واستيعاب القبائل يلتقي فيه العرب من مختلف الجنسيات .. وتؤمه تجارة الفرس والأحباش وغيرهما من الأمم ، فتجد لطيمة وبضائع كلا من العراق وهجر وبصرى وبلاد الشام وعدن ، وبعد اشتداد الحرب بين البيزنطيين والدولة الساسانية واضطراب خطوط التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر وعبر الفرات وبادية الشام ، جعلت تجارة مكة تزدهر ومكاسب القبائل ، التي كانت تشاركها في التجارة أو تمر قوافل قريش في منازلها تزداد ازديادا حسن عيشها وعزز قدرتها الشرائية[3].

كما أنه كان في سوق عكاظ أشياء ليست في أسواق العرب ، حيث كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد و الحلة الحسنة والمركوب الفاره فيقف بها مناديه وينادي عليه وليأخذه أعز العرب ، يريد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفاده عليه وتحسن صلته وجائزته ، وكان كسرى يبعث في ذلك الزمان بالسيف القاطع والفرس الرائع والحلة الفاخرة فتعرض في تلك السوق وينادي مناديه " أن هذا بعثه ملك إلى سيد العرب " فلا يأخذه إلا من أذعنت له العرب جميعا بالسؤدد ، فكان آخر من أخذه بعكاظ حرب بن أمية ، وكان كسرى يريد بذلك معرفة ساداتهم ليعتمد عليهم في أمور العرب فيكونوا عونا له على إعزاز ملكه وحمايته من العرب[4] .

---

(١) ابن عساكر : المصدر السابق ، ص٤١٤ . وجدير بالذكر بأنه في سوق عكاظ قد بيع " زيد بن حارثه " إلى حكيم بن حزام بن خويلد ، الذي بدوره أهداه إلى عمته السيدة خديجة بنت خويلد ، رضي الله عنهما ، أنظر : عواطف أديب سلامة ، المرجع السابق ، ص٢٤٦ .

(٢) عبد العزيز مزروع الأزهري : المرجع السابق ، ص٢١ .

(٣) في شأن حباشة والرقيق وتجارة العبيد ، أنظر : سيرة النبي ١/٢٦٥-٢٦٦ ، وكذا . معجم البلدان ٤/١٤٢ .

(٤) الأزمنة والأمكنة ، ٢/١٦٥ .

إن عكاظ هي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة ، يحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعته كما يحمل أدبه ، فإليها يجلب الخمر من هجر والعراق وغزة وبصرى ، ويباع فيها الحرير والحذاء والمسير والعدني يحملها إليها التجار من معادنها ، وفيها من زيوت الشام وزبيبها وسلاحها ما اعتادت قريش أن تحمله في قفولها إلى مكة ويبع فيها كل غاز سلبه وكثيرا ما يكون هذا البيع سببا في قتل صاحبه إذا تعرف عليه ذوي المقتول كما يجلب إليها الأدم والورس والغالية والبرود وبعض ضروب الحيوان كالمواشي والأنعام والخيل حتى القرود أحيانا ، وكانت لطائم النعمان تسير إلى عكاظ وتأتي كل سنة فتباع ويشترى بأثمانها الأدم والتمر ، وكان يقوم بحمايتها عرب الحيرة ما دامت في مناطق نفوذهم ، فإذا وصلت نحو عكاظ كان لابد لها من حام منيع الجانب عزيز القبيلة ليجيزها وقد استفاد العرب من هذه الحماية فوائد مادية جمة[1] .

وهكذا فإن بضاعة الأسواق المحلية الدورية من نتاج جزيرة العرب في كثير من الحالات ، كالتمر والزيتون والمواشي والرقيق العربي والسلاح والأدم وحتى اللبان والعطور اليمنية والفضة أما بضاعة سوق عكاظ فكانت تضم البرود المخططة والموشاة والمسيرة بخطوط حرير ، والزعفران والأصبغة والعلك ، والخضاب ، والبخور والعقيق والمر والتوابل والطيب تلك تجارات اليمانية ، أما العمانيون فتجارتهم اللؤلؤ من البحرين وتمر هجر وجوارها ، وكان الشاميون يحضرون بالإضافة إلى الزيوت والزبيب الدقيق والقمح والأواني الزجاجية وأرجون صيدا أو صور وزيت السمسم والمصنوعات الذهبية والفضية من البتراء والحناء من عسقلان ، وكان الأعراب يبيعون الصوف والشعر والدهون والسمن والوبر والأنعام من إبل وغنم والجلود المدبوغة والعطارين يحملون الأعشاب والمسك والطيوب ، و البياطره يعالجون الدواب ، ونجاريين ، وحدادين وبزازين يبيعون الثياب والسلاح وقد اشتهرت

---

(١) معجم البلدان ١٤٢/٤ وكذا . الأزمنة والأمكنة ١٦٨/٢ ، وكذا . أحمد أمين : " عكاظ والمربد " مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، السنة ١٩٣٣م ، ص٤٩-٥٢ ، وكذا. سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٩٥ ، ٢٧٧-٢٧٨ .

في السوق الرماح الخطية[١] . والرماح الردينية[٢] ، وفي السنوات الأخيرة التي سبقت ظهور الإسلام ازدهرت تجارة الرقيق الحبشي والقين الشامية[٣] .

كذلك كانت النساء تحضر سوق عكاظ للتجارة وكانت السلع التي تتاجر بها النساء هي ما يستخرجن من ما شيتهن كالجلود والسمن والإقط بالإضافة إلى سلع أخرى تختص بالنساء مثل القماش والطيب[٤] .

وسوق عكاظ ، كما ذكرنا ، تجمع أيضا الأدب واللغة ، فيعرض الشعراء من كل قبيلة شعرهم وأدبهم ، فما استجادوه فهو الجيد ، وهي معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعية ، فهنا يخطب قس بن ساعده بالناس ، ويذكرهم بالخالق وبأحوال الأمم التي سبقتهم ، ولم يكن للعرب مجمع أحفل من عكاظ ، فكانوا يضربون بكثرة أهلها المثل ، وكان يقوم بأمر الحكومة فيها بنو تميم[٥] ، أما حكم الشعر فقد كان للنابغة الذبياني ، وأما بيعهم فيها فهو على السرار[٦] وجس اليد[٧] .

فكانت هذه السوق إذا تقوم من العرب مقام الجريدة الرسمية في وقتنا الحاضر ومن ذلك أمر الجوار وأخبار الحروب ، فمن أتى عملا شائنا تبرؤوا منه كما سبق ونصبوا له راية غدر في عكاظ ، ومن أراد أن يستلحق أمرا بنسبه استلحقه وأعلن ذلك

---

(١) الرماح الخطية : وهي الرماح المصنوعة من بلدة خط على ساحل البحرين أنظر : فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٩٤ .

(٢) الرماح الردينية : كانت تصنعها امرأة من البحرين اسمها ردينه حول هذه التعريفات أنظر : نفس المرجع السابق ، ص٣٩٤ .

(٣) توفيق برو : المرجع السابق ، ص٢٤٧ ، وكذا فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٨٢-٣٩٤ .

(٤) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٥١ .

(٥) المحبر : ص١٨٢ .

(٦) بيع السرار : " أن يقول أخرج يدي ويدك فإن أخرجت خاتمي قبلك فهو بيع بكذا ، وأن أخرجت خاتمك قبلي فبكذا فإن أخرجا معا أو لم يخرجا جميعا عادا في الإخراج " أنظر سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٥٤.

(٧) بيع الحبس : ولعله بيع من أنواع البيع بالملامسة ، أنظر : ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن أميه بن عمر والهاشمي) : كتاب المحبر ، حيدر أباد ، الدكن ١٩٤٢م ، ص٢٦٧ .

للناس في عكاظ وتقوم الوقائع في عكاظ المرة تلو المرة[1] ، ومن طالب قاتل أبيه يريد أن يعرفه حتى يتربص به السوء فيما بعد ، ومن ملتمس حماية شريف من عدو ألد، ومن باغ زوجاً ، أو جالس ليأتيه أتباعه بالإتاوة ومن عارض سلب قتيل يبيعه فيظفر به أهل القتيل ، وآخرون يردون السوق مقنّعين خوفاً من العين أو حذراً على أنفسهم من النساء لجمالهم ، ومن بغايا ضرب عليهن القباب وهكذا يجتمع الناس في السوق لمآرب شتى[2].

وقد تهيأ لعكاظ من الأسباب مما جعلها من أشهر أسواق العرب ،، وكانت قريش تولي عكاظ عناية خاصة ، فقد جعلوها سوق حرة يقصدها من يشاء دون خفارة ولا غرم في تجارته أو مقاسمة في أرباحه ، أو اعتداء عليه لأنها كانت تقام في شهر حرام.

وكانت عكاظ تعد مفتاح الموسم التجاري في مكة ، وباجتماع تجار العرب قاطبة فيها كانت مناسبة طيبة لإيجاد علاقات تقوم على الرعاية والبذل المعروف للناس خارج مكة ، وتثبيتاً لنفوذ قريش خارج حرمها المقدس ، وقد تاجر فيها الرسول محمد –ﷺ– قبل البعثة ومن ثم كانت أيضاً سوق تجارة للعبيد وللسلع والبضائع المحلية والمستوردة كما كانت سوقاً للماشية والدواب[3] .

وكان يقصد السوق طالب الأمن والفداء ، وربما حمل بعضهم ديات ودماء فكانوا سبب الصلح بين قبيلتين[4] ، وقيل: أن أمر الموسم وقضاء عكاظ – كما ذكرنا سابقاً – كان في بني تميم يكون ذلك في اتخاذهم : الموسم على حده ، وعكاظ على

---

(١) لم يقتصر هذا على عكاظ بل نجد نحواً منه في عامة المواسم ولا سيما مواسم الحج فإذا غدر رجل أوقد النار في منى أيام الحج على أحد الأخشبين ثم صاحوا " هذه غدره فلان ليحذره الناس " العقد الفريد، ص٣١ .

(٢) عبد الله خميس : المرجع السابق ، ص٦٢٧ ، وكذا . حسين الحاج حسن : حضارة العرب في الجاهلية ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٩م ، ص١٩٨ .

(٣) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١١٦-١١٧ ، وكذا أحمد حسين شرف الدين ، المرجع السابق ، ص٢٥٦ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة ، ٨٥/١ .

حده وكان من اجتمع له ذلك فهم عامر الظرب العدواني وسعد بن زيد مناة من تميم ، وقد فخر المخبل بذلك في شعره فقال :

ليالي سعدُ في عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

حتى جاء الإسلام فكان يقضي في عكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم وكان أبوه قاضيها في الجاهلية ، فمات فسار ذلك ميراثاً لهم ، وكان آخر من قضى منهم ووصل إلى الإسلام الأقرع بن حابس ، وكان أشراف العرب يهبطون الأسواق مع التجار وذلك لأن الملوك كانوا يكرمونهم ، ويضعون لكل شريف سهماً من الأرباح، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده إلا عكاظ فإنهم كانوا يتقاطرون عليها من كل أوب ولا يوافيها شريف إلا وعلى وجهه برقع مخافة أن يؤسر يوماً فيكبر فدائه[1] .

فهذه النشاطات المختلفة التي لا تقل شأناً عن النشاط التجاري ، وكان لها أبلغ الأثر في اختلاط اللغة والدين والعادات ، فإن قيام قريش فيها الأعوام الطويلة قبل البعثة مكنها من أن تتبوأ في اللغة المكانة الأعلى ، لأن لغات القبائل عامة يمنيها وعمانها وشاميها وعراقيها ،ونجديها وتهاميها ، تطرق مسامعها على الدوام فتختار منها ما يحسن وتنفي ما يقبح وقامت على هذا الإصطفاء زمناً كافياً حتى خلصت لها هذه اللغة الممتازة وتهيأت لينزل عليها القرآن الكريم على أفصح وجه وابلغه وأتمه كمالاً وسلامةً وجمالاً ، فكان الشعراء ينشدوا بعكاظ ويتوخون اللغة المجمع على فصاحتها ، والتي صار لها من النفوذ والشيوع ما للغات العامية اليوم ، فكأن لهجة قريش هي اللهجة الرسمية بين لهجات الجزيرة العربية كلها حتى اليمن والحيره وغسان – وإذا شئنا أن نوجز ذلك بكلمة واحدة ، لقلنا إن نهضة الشعر مدينة للأسواق، بل مدينة لعكاظ خاصة [2].

وتعد هذه السوق أيضاً ، ندوة سياسية عامة ، تقضي فيها أمور كثيرة بين القبائل : فمن أراد إجارة أحد هتف بذلك في عكاظ حتى يسمع عامه الناس ، ومن أراد إعلان حرب على قوم أعلنه في عكاظ ، وإذا أطلق لقب على أحد في عكاظ عرف صاحبه به ، وتنصب المحاكم لحكماء العرب أو يقفون على جمالهم يخطبون ويذكرون

---

(١) الأزمنة والأمكنة ، ١٦٦/٢ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٠٤ –٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٨١ .

العرب بأيام الله ومن ذلك حكيم العرب قس بن ساعدة الإيادي وقف على جمل أورق وتضام الناس حوله وقال فيهم : " أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ونجوم تزهر وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا " وكان من المجتمعين حوله غلام يسمع ويعي ما يقول هذا الغلام هو محمد -ﷺ- ، قال بعد أربعين سنة من هذا المشهد لو فد إياد قوم قس : كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه " فقال رجل من القوم أنا أحفظه يا رسول الله فتلاه عليه ، فقال -ﷺ- يرحم الله قسا إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة واحدة " [1].

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من أنشطه متعددة يضمها سوق عكاظ نجد هناك من اتخذ منها قسما للعبادة ثم عفى عليها النسيان بازدياد شأن الحرم المكي[2] .

ولعل من المميزات التي تميز بها سوق عكاظ أنه لم يكن فيه مكوس ولا عشر لأنه لا يقع تحت إمرة أمير من الأمراء بل كانت قبيلة تميم التي تسلمت الزعامة في عكاظ بعد حرب الفجار تمتنع من جباية أي مكوس من التجار ، وكانت قريش توعز لهم ألا يمسكوا أحدا لجذب العرب ، إلى السوق ، وتضمن الأمن والسلام حتى لا يكلف أحد بكلفة العشور والخفاره ، فقد كانت فيها شبه محكمة تجارية ، خصوصا بعد حلف الفضول وتعاظم نفوذ مكة ، والحمس إثر حروب الفجار ، وكان القضاء فيها لهوازن قبل الفجار ثم صار لكنانة بعدها وقد أشاعت عدالة هذه المحكمة وأمن الشهر الحرام ، الاطمئنان التام بين قصاد السوق ، وكان ازدهارها هذا الازدهار العظيم منطقيا ومقترحا وتروى المصادر ما قد يوحي أن في السوق كتابا عدولا كانوا يتولون كتابة العقود والمعاملات[3] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٢٨٢-٢٨٣ ، وكذا عبد الله خميس : المرجع السابق ، ص٦٢٤ ، وكذا فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٩٤-٣٩٥ .

(٢) البستاني ، دائرة المعارف الإسلامية ، ٣٨٢/١٢ .

(٣) فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٩٤ .

وبذلك تحولت سوق عكاظ إلى مرفق مشترك لكل العرب في الجزيرة ، يقصدها كل من يرغب في نشر خبر وفي ذلك نموذج لتحول الأسواق إلى مواقع عيش مشترك لم تلتق فيها القبائل على الصعد الاقتصادية أو الدينية أو اللغوية فقط بل توحدت فيها قيمها ومعاييرها الأخلاقية والاجتماعية كذلك[١] ، ويذكر كذلك أن البعض من المبشرين كانوا يغشون السوق سوق عكاظ وغيرها من الأسواق للدعوة لأديانهم ، فكانت منتدى عاما اعتملت فيه عوامل التوحيد الثقافي واللغوي اعتمالا أكيدا[٢] .

وسوق عكاظ كانت في وسط أرض قيس بن عيلان[٣] ، ذكر الأزرقي أنها كانت لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنصر[٤] ، بينما يذهب الهمداني إلى أنها كانت لبني هلال وقال هلال اليوم[٥] ، وجاء في قول البكري في معرض حديثه عن حروب الفجار فقال : فانهزمت هوازن وقيس كلها ، إلا بني نصر ، فإنها صبرت مع ثقيف ، وذلك لأن عكاظ بلدهم ولهم فيها نخل وأموال[٦] .

واستكمالا للشبكة التجارية المكية المكتملة العلاقات ،والتي تغطي كل متطلبات قيادة مكة للتجارة الدولية عبر جزيرة العرب وقد ظلت سوق عكاظ تقوم لهوازن قوب مكة بلا اعتراض حتى حاولت الحيرة أن تتجنب تسيير قوافلها عبر مكة ، وأن تسيرها عبر الطائف إلى اليمن مباشرة عندئذ فقط حدثت حرب الفجار وسيطرت مكة على عكاظ ، وإن قريش تحرشت بهوازن بطريقه غير مباشرة لأن الأرض كانت لها وهي قبيلة من قيس عيلان ، من أكبر قبائل العرب وكانت قريش تخشاها وتحاذر مخاصمتها[٧] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٣٩٤-٣٩٥ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٨٦-٨٧ ، وكذا ، سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ١٧٧-٢٩١.

(٣) وهب بن منبه : المصدر السابق ، ص٢١٠.

(٤) أخبار مكة ، ١٩٠/١ .

(٥) الإكليل ، ١٨٤/٨ .

(٦) معجم ما استعجم ٩٦٢/٣ .

(٧) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٦١ ، وكذا فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٠٠-٣٠٤ .

سوق مجنه :

مجنة بالفتح وتشديد النون ، اسم المكان من الجنة وهو الستر والإخفاء ، ويقال : به جنونٌ وجنةٌ ومَجنّةٌ ، وأرض مَجَنّة كثيرة الجنّ ، وكانت مجنة بمّر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها [١] .

للباحثين في اشتقاق اسم المجنه أكثر من مذهب ، فقد جاء في تاج العروس بأن المجنه الكثيرة الجن وفي أرض مجنة : ذات جن قال ابن جنى " بحمل مجنه وزنين ، أحدهما أن يكون مفعله من الجنون كأنها سميت بذلك لشيء يتصل بالجن أو بالجنة اعني البستان ، أو ما هو سبيله ، والآخران يكون فعله في مجن يمجن كأنها سميت بذلك لأن ضرباً من المجون كان بها[٢] .

أما بالنسبة لموقع سوق مجنة فهي موضع (وقيل بلد) قرب مكة تقع بمر الظهران قرب جبل يقال له الأسفل وهو بأسفل مكة على بريد منها والظاهر أنها من المواطن التي بها بعض الجمال فلا ينساها أهل مكة ولأنها ذات مياه[٣] .

وذكر أن بلال لما هاجر إلى المدينة وأصيب بالحمى تشوق إلى مكة ومواطنها وتغنى بقوله[٤] :

بفخ [٥] وحولي أذخر وجليل ... ألا ليت شعري هل أبيته ليلة

وهل بدون لي شامة وطفيل ... وهل أردن يوماً مياه مجنه

---

(١) معجم البلدان ٤/٥٨-٥٩ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٣٤٤ .

(٣) محمد عرفان حمور : المرجع السابق ، ص٥٢-٥٤ ، ١٦٠ وكذا . عبد العزيز مزروع الأزهري : المرجع السابق ، ص١٣٢ .

(٤) محمد عرفان حمور : المرجع السابق ، ص٥٢-٥٤ ، ١٦٠ ، وكذا . عبد العزيز مزروع الأزهري : المرجع السابق ، ص١٣٢ .

(٥) فخ : واد معروف بمكة واقع في مدخلها بين طريق جدة وبين طريق التنعيم ووادي فاطمة ويسمى أيضاً وادي الزاهر ، لكثرة أشجاره و الأزهار التي كانت قديماً فيه ، أما اليوم فيعرف بالشهداء ، إشارة إلى وقعة يوم التروية عام ١٦٩هـ بين الحسين بن علي بن الحسين وجيوش بني العباس التي قتل فيها الحسين ، وقد أسس في هذا الوادي قصر المنصور الذي بناه الملك عبد العزيز آل سعود=

وقد خالف الأزرقي [1] ما ذكره عدة وجوه : منها : أن القاضي عياض ذكر ما يقتضي أن مجنة في غير المحلّ الذي سبق ذكره لأنه قال : حدثني عبد الملك بن محمد بن زياد بن عبد الله عن ابن اسحق قال : كانت مجنة بمر الظهران إلى جبل يقال له : الأصفر ، ومنها أن كلام الأزرقي يقتضي أن مجنة على بريد من مكة ، وذكر القاضي عياض في المشارق ما يخالف ذلك لأنه قال : طفيل وشان جبلان على نحو من ثماني وأربعين كيلوا متراً من مكة ووجه المخالفة لما ذكره الأزرقي أن طفيل وشامة مشرفان على مجنة فإذا كانا كذلك فيكون مجنة من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي ، وهو نحو (٤٨كم) وذلك بريدان أو يزيد والعيان يشهد لصحة ما ذكره القاضي لأن الجبلين المعروفين عند الناس على المقدار الذي ذكره القاضي[2] .

ومن يرى أنها من بلاد الحجاز جنوب شرق مكة في موقع اسمه الاثيداء يبعد عن مكة أيام ، وبينه وبين الطائف يوم ، ووصف المكان بأنه فيه نخل[3] .

فسوق مجنة من أسواق مكة في الجاهلية[4] ، وأنها تقام آخر عشرة أيام من ذي القعدة ، وهي مصرفهم من عكاظ ، وهي أقرب إلى مكة من عكاظ ولذا فهي شبه استمرار لسوق عكاظ[5] .

فبالنسبة للتوقيت الزمني لسوق ذي المجنة فإنه إذا كان الحج في الشهر الذي يسمى ذا الحجة خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة يقيمون به عشرين ليلة ثم ينصرفون إلى ذي المجنة فيقيمون فيه عشراً فإذا رأوا هلال

=عام ١٣٤٧هـ ، أنظر : الفاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، الجزء الثاني ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ص٤٥١-٤٥٣ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة ، ١٩٠/١ .

(٢) شفاء الغرام ، ص٤٥١-٤٥٣ .

(٣) فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٩١ .

(٤) معجم ما استعجم : ١١٨٧/٣ .

(٥) محمد عرفان حمور : المرجع السابق ، ص٥٢ ، ٥٤ ، ١٦٠ .

ذي القعدة انصرفوا إلى ذي المجاز[١] ، وكان من بُعد نظر العرب كما ذكرنا سابقاً، أن يقيموا أسواقهم في الأشهر الحرم ليكسبوها الحرمة والأمن والاطمئنان[٢] .

وبالنسبة لعروض التجارة والتي تعرض في سوق مجنة فكان يجلب إليها كل من المتاع وعروض إلا أن مجنة إذا ما قورنت في اغلب الأحيان مع عكاظ وذي المجاز فكانت دونهما شأناً حتى أنها لم تذكر مستقلة ، كما ذكر غيرها ، فكان أهم ما يعرض فيها الخمر التي تنقل إليها من بلاد الشام وبُصرى ، وغزه حتى صار يشيد بذكرها الشعراء[٣] .

وسوق مجنة لكنانة وأرضها من أرض كنانة تقوم في العشرة الأخيرة من ذي القعدة ، يقصدها العرب بقضهم وقضيضهم بعد أن تنقضي سوق عكاظ يقيمون فيها ما قصدوا له من تجاره وفداء وتفاخر ، على شبه التفصيل المتقدم في سوق عكاظ[٤] .

---

(١) شفاء الغرام ، ٤٥٠/٢ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٧٠-٢٨٩ ، وكذا . أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص٦٥ .

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٣٤٥-٣٤٦ .

(٤) معجم البلدان ، ٥٨/٤-٥٩ .

سوق ذي المجاز :

هي سوق شهيرة من أسواق العرب ، وهي سوق الهذيل تقع على يمين عرفة ، قريب من كبكب على فرسخ من عرفة ، وجبل كبكب بين عرفة وجبل كرا ، والفاصل بينهما وبين عرفة جبل اسمه (سعد) ويحد كبكب من الشرق قرية الشرائع وجبل لبن ومن الشمال جبال عرفات ومن الغرب جبل السراة ومن الجنوب الغربي وادي نعمان وكان سوق ذو المجاز يقام في هذا الميدان وهو بعالي العين التي تفجر منها المياه[١] .

وهناك من يذهب إلى أنها ناحية عرفة إلى جانبها[٢] ، ومنهم من ذكر أنها خلف عرفة[٣] .

وهناك رأي يقول : أنها على فرسخ من عرفة بناحية كبكب وهو جبل بعرفات خلف ظهر الإمام إذا وقف[٤] ، والثاني فيذهب إلى أنها موضع بمنى بين مكة وعرفات في نصف الطريق تقريبا ، والذين رأوا الرأي الأول هم الأغلبية إلا أن الرأي الثاني هو الأكثر قبولا ،ولعل السوق أحيانا تمتد وتنتقل الناس فيها ، يقتربون ويبتعدون حتى تشغل هذه المسافة[٥] .

أما بالنسبة لأصحاب سوق مجنة فيرى أنها من ديار هذيل فهم أهلها وجيرانها الأدنون[٦].

وبالنسبة للتوقيت الزمني لقيام سوق ذي المجاز فكما ميزنا سابقا مدى العقلية العربية التجارية ، أن أقاموا أسواقهم في الأشهر الحرم حتى يكسبوها حرمة ذلك الشهر ، فتقام في الأيام الثمانية الأول من ذي الحجة ثم يخرجون يوم التروية إلى

---

(١) نفس المصدر السابق : ٥٥/٤ ، وكذا . الأزمنة والأمكنة ، ١٩١/١ ، وكذا . المحبر ، ص٢٦٧ .

(٢) شفاء الغرام : ٤٥١/٢ .

(٣) فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٩١ .

(٤) شفاء الغرام : ٤٥١/٢ ، وكذا معجم البلدان ، ٥٥/٤ .

(٥) معجم البلدان ، ٤ /٥٥ .

(٦) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٣٤٧ .

عرفة ، تتقاطر إليها وفود الحجاج من سائر العرب فمن شهد الأسواق قبلها أو لم يشهدها وجاء للحج خاصة إذ أن ذا المجاز من مواسم الحج عندهم[١] .

ويعد سوق ذي المجاز معرض للعديد من الأنشطة التي تمارس فيه شأنه في ذلك شأن بقية الأسواق المشهورة في الجزيرة العربية[٢] ، ويعد سوق ذي المجاز من الأسواق العامة التي يفد إليها العرب من كل أنحاء الجزيرة العربية ، ويعد من أعمر وأنشط أسواق العرب بعد عكاظ تأتيه مختلف القبائل تحمل منتجاتها التي تصدرها من بلادها[٣] .

ويكثر ذكر سوق ذي المجاز في الشعر ولا سيما شعراء هذيل لأنها من أسواقهم الكبرى ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

وراح بها من ذي المجاز عشية يبادر أولى السابقات إلى الحبل

أما التي ذكرها الحارث بن حلزه في معلقته :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء[٤] .

وهكذا يعتبر كلا من سوقي مجنة وذي المجاز صورتين مصغرتين من عكاظ ، فهما أقل نشاطا وازدحاما منه ، ولعل ذلك راجع إلى أن الجموع الضخمة ، التي كانت في عكاظ قد أصبحت في حاجة لفترة من السكينة والراحة بعد المهرجان العكاظي الكبير استعدادا لموسم الحج بطقوسه وشعائره[٥] .

إضافة إلى تلك الأسواق السابقة التي يلاحظ ارتباطها الوثيق بمكة ، فيوجد كذلك أسواق أخرى في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كان لها أيضا دور معلوم في تجارة العرب الداخلية ، ومن ذلك سوق في يثرب يعرف بـ " سوق النبط " وهو من

---

(١) أخبار مكة : ١٨٨/١ ، وكذا معجم ما استعجم ، ٩٥٩/٣-٩٦٠ ، وكذا سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٣٤٨ ، وكذا أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١١٦-١١٧ .

(٢) الأزمنة والأمكنة ، ١٦١/٢ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ٣٥٩/١ .

(٤) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٣٤٧-٣٤٨ .

(٥) عبد العزيز مزروع الأزهري : المرجع السابق ، ص١٣٢ .

أسواقها المشهورة ، وقد عرف بهذا لقدوم الكثير إليه من تجار النبط محملين بسلع الشام وأخبارها[١] .

ومن الأسواق الأخرى أيضا سوق في يثرب يعرف باسم " سوق بني قينقاع " تقام في رجب[٢] ، وكان يذهب إليه عرب يثرب لابتياع ما عند اليهود من سلع ولبيع ما عندهم لليهود[٣] .

كما توجد سوق في خيبر ، تسمى سوق نطاة خيبر[٤]، وتوقيتها الزمني بعد زمن سوق ذي المجاز ، أي بعد أشهر الحج . ونظرا لوقوع خيبر على الطريق التجارية القادمة من الجنوب إلى الشمال فقد أسهم أهلها اليهود بتجارة شمال غرب شبه الجزيرة العربية ونجح أهلها في متاجرهم حتى أفادوا منها غنى واسعا واستفاض لهم ثروات طائلة ونشأت فيهم رؤوس الأموال الضخمة . وأنها كانت مصرف شبه الجزيرة العربية المالي[٥] .

وهناك أسواق أخرى عديدة وردت أسماءها عرضا في روايات أهل الأخبار .

وهكذا أنشأ العرب أسواقا لهم يتبايعون فيها ، وتلك الأسواق في جزيرة العرب هي تلبية لضرورات محلية ومعيشة العرب وطبيعة توزعهم في أرضهم وليست شيئا مجلوبا حاكو به غيرهم ، وكان أعظم ما يحدو العرب في الجاهلية على قصد تلك الأسواق ما قدمت من قيام أشهر أسواقهم في الأشهر الحرم ، ولشيوع الأمن حرمة للشهر ، فأعظم آثار الأسواق قبل البعثة هو هذا التوحيد ، الذي جرى بين القبائل العربية من عامة الأقطار ، وخاصة التوحيد اللغوي الذي كان للشعراء أو الحكام فيه أبلغ الأثر ، وصارت هذه الأسواق التي أنشأها العرب بحكم الحاجة مع الزمن تمثلهم

---

(١) جدير بالذكر في هذا بأنه في غزوة تبوك كان النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – قد علم من هؤلاء التجار بتجمع الروم على الحدود، فأخذ هيبته وأخفى وجهته ، أنظر : ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢١٩ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٥٨ .

(٣) جواد علي : ٣٧٧/٧ ، وكذا . الأزمنة والأمكنة ، ١٦١/٢ .

(٤) نطاة خيبر اسم حصن بخيبر واسم عين أيضا ، وقيل هي خيبر نفسها أنظر : سعيد الأفغاني : المرجع السابق، ص٣٥٦ .

(٥) الأزمنة والأمكنة ، ١٦١/٢ .

في عاداتهم أبلغ تمثيل ولا يشرف عليها الا سراة أهلها ، وهي مرآة العرب في الجاهلية وبها نستطيع أن نعرف ما كان عليه العرب تقريباً[١] .

وهكذا نجد أن سيطرة قريش على التجارة ، بالإضافة إلى أنها تحتضن حرماً دينياً ، فإن من شأن ذلك يحدث تفاعلاً متصاعداً بين النشاط التجاري والمواسم الدينية ، فينتهز الحجيج سانحة مجيئه الموسمي من أجل كسب بعض الربح بما يحضره من نتاج قبيلته ويتشجع التاجر من ربحه فيعاود الحضور في موسم الحج التالي ويتحول مجيئه مع إيمانه بالبركة ، التي تحل عليه من صنمه الذي تعبّد له و طاف به ، لذلك نجد أن اقتران الحج بالتجارة كان قاعدة في جزيرة العرب[٢] .

هذا وقد انفرد سوق عكاظ بعدد من الميزات عن بقية الأسواق ومن ذلك وفرة المعلومات عن هذا السوق وذلك لأن المصادر الإسلامية تزخر بأخبار هذه السوق ، والثاني هو أن سوق عكاظ كان اختباراً حقيقياً لأداء مكة السياسي والعسكري في إدارتها للإيلاف خلال حروب الفجار[٣] .

ومن أبلغ الأثر الذي وضح ملموساً بفضل قيام الأسواق هو توحيد لغة القبائل العربية وتقريب لهجاتها ، ولاحظ أحد الباحثين أن خريطة اللهجات العربية كانت شديدة التلون منذ زمن طويل ، وأن اللغويين المسلمين فيما بعد ، ومن خلال دراستهم عن أنقى لغة وجدوا أن الفروق بين لهجات القبائل حتى ذلك الزمن لم تكن مما يستهان به ، وكانت ثمة فروق بين لهجات البدو والحضر وكانت تلك أيضاً نوعاً من العقبات دون التفاهم[٤] .

وبالتالي كان دور سوق عكاظ في النشاط الاقتصادي والاجتماعي وهما نشاطان كفيلان باستخدام التعاطي اليومي وتبادل الأفكار والأشعار لتنقية اللغة وتصنيفها وتوحيدها وكان همّهم بلا شك أن يفهمهم الجميع هذا ما تم تحقيقه من توحيد اللغات اللهجات كأثر مباشر من آثار الأسواق[٥] . ونظرة غالبية العرب لقريش نظرة

---

(١) سعيد الأفغاني ، المرجع السابق ، ص١٠٠ ، ١٩٣-١٩٦ ، ٢٠٢-٢١٢ .

(2)Serjeant , R.B., op. Cit . , p p . 41-58

(٣) فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٨٩ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص٣٩٥ .

(٥) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٨٦-٨٧ .

تعظيم لهم واحترام لمكانتهم من البيت لأنهم سدنته والقائمون بأمور الحاج أيام الحـــج ، أذعنت لهم بذلك العرب ، وعرفوا لهم حقوقهم لأنهم قوام الدين ، الذي دان به العـــرب قبل الإسلام وقد . استغل القرشيون هذه المكانة القدســـية ، وكـــانوا بطبيعـــة الأمـــر مسيطرين على الأسواق الثلاثة الكبرى التي تقوم قريباً من مكة ومن أهمها سوق عكاظ والمجنة وذي المجاز .

وتبين للدارسة أن بالنسبة لموقع هذه الأسواق الثلاثة قد رتب ترتيباً ذكياً جداً من حيث اختيار الموقع ومن قبله اختيار التوقيت الزمني وهو قيامها في الأشهر الحـــرم ، حتى يكسبها حرمة ذلك الشهر وفي ترتيب أماكنها بحيث يجد الحاج نفسه بعد المـــرور بهذه الأسواق ، على التوالي ، قد وصل ليلة التروية بالقرب من منى .

الفصل الثاني

النشاط التجاري البحري

أولا : موانئ البحر الأحمر على ساحل شمال غـــرب شبه الجزيرة العربية .

ثانيا : أهمية تجارة البحر الأحمر والصراع حوله .

أولا : موانئ البحر الأحمر على ساحل شمال غـــرب شبه الجزيرة العربية .

- ميناء إيله .
- ميناء العينونة (الخريبة) .
- ميناء المويلح .
- ميناء ضبا .
- ميناء إجرا Egra .
- ميناء الحوراء : Auara .
- ميناء لويكي كومي .
- ميناء ينبع البحر .
- ميناء الشعيبة .

ميناء إيلة :

إيلات ، Elath ، أيلوت Eloth وهي (العقبة) الحالية .

وهي مدينة من أرض أدوم[١] ، ويخبرنا استرابون أن تجارا من إيلانا (العقبة) القريبة من غزة كانوا يذهبون إلى التجار العرب القادمين بطيوبهم من اللبان والمر من حضرموت وقتبان ويلتقونهم في منتصف الطريق عند معين بعد أن يكونوا (تجار إيلانا) قد قطعوا مسافة سبعين يوما من إيلانا (العقبة) حتى معين[٢] .

ويتضح لنا أن استرابون يلمح إلى قرب إيلانا من غزة وإلى أن تجار إيلانا كانوا يصدرون ما جلبوه من طيوب من معين عبر غزة[٣] .وتذكر المصادر العربية إيله كثيرا عند الحديث عن الأمور التجارية و السياسية لمنطقة جنوب الأردن ، والحجاز ، وشمال البحر الأحمر[٤] .

وقد ذكر الجغرافيون العرب (إيله) وضبطوا اسمها فجعلوه على وزن فعله وحددوا موقعها على رأس خليج العقبة ، والذي عرف بخليج إيله وبخليج الإيلانيين ، كما عرف ببحر سوف (يم سوف) في العبرانية[٥] ، وقيل هي : آخر الحجاز وأول الشام، واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء بعده[٦] ، وقيل سميت بأيله مدين بن إبراهيم ، عليه السلام وذكروا أن بها زروعا وتجارة وسمكا [٧].

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الجزء الأول ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ١٩٤٨م ، ص١٠ .

(2)Strabo , XVI . 4 , 24 .

(٣) محمد السيد عبد الغني : شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة ، الإسكندرية ١٩٩٩م ، ص١٨٥-١٨٦ .

(٤) صالح درادكه : " لمحات من تاريخ أيله (العقبة) في العصر الإسلامي ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، بجامعة دمشق ، العددان ، الخامس عشر والسادس عشر ، كانون الثاني / أيار / ١٩٨٤م ، ص٦٧ .

(٥) جواد علي : ١٤٢/١، ٦٣٧ .

(٦) معجم البلدان ، ٢٩٢/١ ، .

(٧) اليعقوبي : البلدان ، ص٨٥، ٩٤ مع كتاب ابن رشد : الأعلاق النفسية ، ليدن ١٨٩١م ، وكذا معجم البلدان ٢١٦/١ ..

ومدينة إيله جليلة على لسان من البحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط ، والشام ، وبها قوم يذكرون أنهم من موالي عثمان بن عفان ، ويقال أن بها برد النبي -ﷺ- ، وكان قد وهبه ليوحنه بن رؤبه لما سار إليه إلى تبوك[1] .

أما المقدسي فسماها ويله وقال : هي مدينة على طريق شعبة بحر الصين عامرة جليلة[2] ، واعتبرها فرضه فلسطين وخزانة الحجاز وقال : العوام يسمونها أيله ، وإيله قد خربت على قرب منها[3] .

وذهب أنها هي التي قال الله فيها : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ [4]. وقد اختلف المفسرون في تعيين هذه القرية الوارد ذكرها في الآية السابقة . فقيل هي إيله وقيل هي مدينة بين إيله والطور وقيل طبرية ، وذهب بعضهم إلى أنها ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونه يقال لها " معناة "[5] .

وقد اختلف في سبب تسميتها بهذا الاسم ، فقيل أن " إيله " اسم لجبل برضوى ، وهو غير المدينة المذكورة ، أي جبل ينبع بين مكة والمدينة واستشهد بشعر القائل :

من وحشي إيله موشي الكارعة

والوحش لا ينسب إلى المدن ، وفي هذا المعنى أيضا قال كثير عزه :

وقد غار نجم الفرقد المتصوب ... رأيت وأصحابي بأيلة موهنا

إذا ما رقعناها من البعد كوكب ... لعزة غارا ما بتوخ كأنها

وللمصطليها آخر الليل أعجب ... تعجب أصحاب لها حين أوقدت

أعيد لها بالمندلي فتثقب[6] ... أوما خبت من أخر الليل خبوه

---

(١) معجم البلدان ، ٢٩٢/١ .

(٢) الروض الانف ، ص٧٠-٧١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) سورة الأعراف آية ، ١٦٣ .

(٥) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) : الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص٣٤٥ .

(٦) معجم البلدان ، ٢٩٣/١ ، معجم ما استعجم ، ٢١٧/١ .

وفي مكان آخر من شعر كثير نجد أنه استعمل لفظ ، ايله ، للدلالة على جبل فقد قال :

ولـــو بذلـــت أم الوليـــد حديثـــــها لعصم برضـــــوي أصبحـــت تتقـــرب
تهبطن من أركان ضاسي[٢] مأيلـــــه إليها ولـــــو أغـــرى بـــهن المكلـــب[١]

وفي رأي " أيل " اسم جبل ، واستشهد ، أيضاً ، بقول الشماخ :

تربع الكتاف القنان فصارة فأيّل فالمادان فهو زهوم[٣]

وأما ما يدل على أنها اسم بلدة فقول ابن الأعرابي :

فانـــــكم يا أهـــــــل أيله لكالمتأبي وهو ليس له أب[٤]

والإيل هي ذكر الأوعال من الغزلان ، ولا شك أن منطقة أيله كانت من الأماكن التي تكاثرت بها الوعول والغزلان ، وهناك من ذهب إلى أن الأيكة اسم جامع للأرض التـــي فيهـــا مدينـــة أيلـــه ومديـــن وقـــد ورد ذكرها في القرآن الكريم بنفس التسمية (الأيكه) [٥].

وذكرت في النص العبري للتوراة باسم " أيلوت " ، وفي الترجمة العربية للتوراة " إيله " ، ولا نعلم مدى العلاقة اللغوية بين ألفاظ " إيله " وأيلوت وإيلات ، غـــير أننـــا نرى أن إيله لفظة عربية . ويرى بعض الباحثين المحدثين أن لفظة إيـــلات معروفـــة أيضاً عند الشعوب السامية ، فزوجه المعبود بعل عند الفينيقيين تسمى إيلات ، وهـــــي المعروفة كذلك بـــ " عشيرة البحر " والتي يطلق عليها لقب الأم إيله [٦] ، وتعني إيلات بالعبرية " بيت المعبود " . كما أن هناك من يرى أن إيله هو موضع ميناء (عصيـــون

---

(١) معجم البلدان ، ٢٩١/١ . المكلب الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد .

(٢) ضاسي : موضع بين المدينة وينبع ، أنظر : معجم البلدان ، " ضاس " .

(٣) قيل اسم جبل قرب وادي القرى ، أنظر : معجم البلدان ، " صارة " .

(٤) لسان العرب ، " أيل " .

(٥) الأيكة : بلدة معينة كانت في قديم الزمان فخربت ، أنظر : الأندلسي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد) : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، الجزء الثاني ، تحقيق نصـــــرت عبـــد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٨٢م ، ص٨١٢

(٦) نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، الطبعـــة الثالثـــة ، دار المعـــارف ، الإسكندرية ١٩٦٦م ، ص٦٧ .ص٦٧ .

جابر) وهو مركز تجاري صناعي في عهد الملك سليمان عليه السلام ، (١٠٠٤-٩٦٨ق.م) ، وتقع على الطرف الشمالي لخليج العقبة غربا ، وقد عرفت أيضا باسم برينيكي (Berenice) ، وقد أعاد بنائها " أغزايا " ملك يهودا باسم " ايلات " ، ويعرف موقعها الآن باسم " تل الخليفة " ، وقد حاول هو ومن جاء بعده جعل إيله ميناء (يهوذا) الجنوبي ، وذلك للاستفادة منه في الاتجار مع أفريقية والبلاد العربية وسواحل أسيا الجنوبية تطبيقا لخطة سليمان ، عليه السلام [١] ، إلا أن هذا الأمر لم يتحقق ، إذ كانت مملكة يهوذا هدفا للغارات والحروب[٢] .

وقد وقع اختيار ملك يهوذا على ميناء إيله ، لأن مياهه أعمق وأصلح للملاحة والمواصلات[٣] .

وكما أطلق اليونان على إيله اسم (Elana) ايليانا . أما خليج العقبة فعرف بـ خليج إيله وبـ خليج الايلانين (Sinus Aelanites) (Sinus Aelaniticus) في الكتب الكلاسيكية نسبة إلى مدينة إيله المسماة إيلات .

ولما وقع ميناء أيله في أيدي البطالمة بعد أن استولوا على مصر[٤] ، فإنهم اتخذوا منها ميناء لنقل تجارة فلسطين إلى موانى البحر الأحمر وأفريقية ، كما كان يستقبل السفن القادمة من أفريقية والمحيط الهندي ، وقد أدرك الأنباط مدى الخطر الذي يهددهم من جراء النشاط التجاري البحري للبطالمة ، فتحرشوا بهم وتعرضوا لسفنهم في البحر مما جعل البطالمة يفكرون جديا بوسائل تمنع الأنباط من مهاجمة السفن ونهب حمولاتها ، فبنى بطليموس الثاني فيلادلفيوس (٢٨٥-٢٤٦ق.م) مدينة برينكي Berenice على خليج العقبة لحماية التجار من هجمات الأنباط ، كما أنشأ قوة بحرية

---

(١) جواد علي : ٦٤٥/١ ، وكذا . سفر الأيام الثاني ، ١٦ : ٢ ، وكذا

Hastings, J, op. cit., p. 285 ;
Glueek, N, The Other side of Jordan , New Haven , 1940 , p. 50 .

(٢) جواد علي : ٦٤٥/١ .

(3) Montgomery . J . A . , op . cit. , p . 179 .

(٤) جواد علي : ٢٧/١ ، وكذا .

Altheim , F. und Stiehl , R. , Die Araber in der Alten Welt, I , Berlin , 1964 , S . 69 .

لحراسة السفن البطلمية ، وبذلك تمكن من السيطرة على شمال البحر الأحمر وخليج العقبة[١] .

وقد ازدهرت إيله في الفترة الهيلنسية حتى أن إيراثوستين Eratosthen (٢٧٥-١٩٤ق.م) يقول : إيله أهم مدن بلاد العرب التجارية[٢] ، وكما احتفظت إيله باسمها في العهد الروماني ، لأنها كانت معروفة قبل احتلال الرومان للمنطقة العربية[٣] .

وهكذا ازدهرت إيله في شمال الحجاز وجنوب فلسطين في فترات من العهد الروماني ، إذ كانت مركزاً للقوافل التجارية الكبرى منها تسوّق العالم الروماني واليوناني معظم ما يحتاج إليه[٤] .

---

(١) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٦٩ .

(٢) أنظر : مفيد رائف العابد : " حول مصادر تاريخ العرب " ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد السادس ، دمشق ١٩٨١ ، ص١٣٦ .

(٣) نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ص٣٠٢ ، ٣٩٤ .

(٤) سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص١٦ .

ميناء العينونة (الخريبة) :

قيل هي من قرى بيت المقدس ، وقيل قرية من وراء البثينية من دون القلزم في طرف الشام[١] ولكن هناك دراسات حديثة ترى أنها تابعة لأمارة ضبا على ساحل البحر المتوسط[٢] ، وكانت تعد مركز الديدانيين[٣] ، وتذكر إحدى الباحثات[٤] أن عينونة تقع شمال غرب شبه الجزيرة العربية وهي مستوطنة نبطية رومانية . ويرى باحث آخر بأن ميناء العينونة هو لويكي كومي[٥] .

ميناء المويلح :

الواقع على مقربة من رأس خليج العقبة ، وهي قرية وقلعة على بعد ٢٤٠ كم إلى الجنوب من العقبة[٦] . وهي قرية بها بساتين ومزارع ونخيل ، ومياهها من الآبار ولها طريق قوافل إلى المدينة وإلى تبوك[٧] .

ويرى " فنست " Vincent أن لويكه كومي هي المويلح [٨] .

---

(١) معجم البلدان ، " عينون " .

(٢) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ، ١٩٦٨ .

(٣) جواد علي : ٤٢٤/٢ .

(٤) هتون أجواد الفاسي : " الوظائف الحكومية والعسكرية في مملكة الأنباط " ، العصور ، المجلد الثامن ، الجزء الثاني ، ١٩٩٣م ، ص٣١٢ .

(5)Kirwan ,Sir . L.P., " Where to Look Foor the Ancient Port of Leuke Kome " Studies in the History of Arabia , vol . Riyadh University , Press , 1979 , p . 59 .

(٦) جواد علي : ١٨٧/١ .

(٧) جواد علي : ٢٧/٢ ، وكذا . عبد المنعم عبد الحليم سيد : " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر "، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، الإسكندرية ١٩٩٣م ، ص٤١٠ .

(٨) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٤٦م ، ص١٩ .

ميناء ضبا :

تقع جنوب المويلح على ساحل البحر الأحمر [١].

ميناء إجرا Egra :

هناك تصور بأن ميناء إجرا – نتيجة لدراسة حديثة – هي منطقة الوجه ، بل إحدى قراها المسماة " اجرى " هي على الأرجح ما يقابل " إجرا " النبطية خاصة وأنه وجد بالقرب منها بقايا معبد هلنستي الطراز وتيجان نبطية تماثل تيجان الأعمدة المنحوتة على واجهات الحجر[٢] .

وهناك تصور بأن ميناء إجرا يقع على بعد ٤٠كم جنوب الوجه عند مركز كركمة ، حيث يوجد مكان يحمل حتى اليوم اسم اكرى[٣] وبقرب اكرى هذه يوجد معبد القصير الروماني النبطي ، ويعرف هذا المعبد باسم القصير عند أهالي المنطقة لاعتقادهم بأنه قصر صغير ، ومن خلال الدراسات الأثرية لهذا المعبد تأكد أنه نبطي وذلك بمقارنة أشكال الأحجار الرخامية المقطوعة بعناية شديدة ، حيث تشبه ما هو منفذ في واجهات المقابر النبطية بالحجر ، وتخطيط هذا المعبد يشبه تخطيط المعابد النبطية التي كشفت في منطقة النقب وجنوب الأردن[٤] .

---

(١) حافظ وهبه : المرجع السابق ، ص١٩ .

(٢) علي بن إبراهيم بن حامد غبان : " الآبار السلطانية بوادي الزريب الوجه"، العصور ، المجلد الخامس، الجزء الثاني ، ١٩٩٠م ، ص٢٥٩-٢٦٠ ، وكذا . " اكتشاف ميناء مدائن صالح جنوب الوجه"، رسالة الجامعة ، جامعة الملك سعود، العدد ٨٠ ، الرياض (٢٣ ذو القعدة، ١٤١٢هـ)، ص١، وكذا هتون أجواد الفاسي: المرجع السابق، ص٣١٣ ،. Kirwan Sir, L.P.,. op . cit . , p . 55

(٣) اسم كركمه من المراسي التي كانت ترسوا فيها السفن حتى عهد قريب وقد كان به مركز جمركي في بداية العهد السعودي وعن أكرى ، أنظر : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، شمال المملكة ، القسم الأول ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٩٧م ، ص١١٨-١٢١.

(٤) علي بن إبراهيم بن حامد غبان : " التقرير الأول عن : ميناء أكرا " ، مجسات موقع القصير الواقع جنوب الوجه " ، الداره ، العدد الرابع ، السنة التاسعة عشرة ، ١٤١٤هـ ، ص٢٠٠ .

أما المرسى الثاني والذي يمكن أن يكون موقع لميناء إجرا فهو مرسى العويند ، ويوجد عند مصب وادي غتر الواقع على بعد ٤٥كم شمال الوجه . ويتميز العويند على مرسى الوجه بأنه موقع أثري لمدينة إسلامية ، إضافة إلى أن هـــذا الميناء يتصل بالحجر بطريق مباشر عبر وادي لبن ومنطقة أبا القزاز دون المرور بالوجه[١] .

هذا وذكر أحد الباحثين[٢] عدداً من الأدلة التي تؤكد بأن موقع معبـــد القصـــير المذكور جنوب مدينة الوجه هو موقع ميناء إجرا في شمال غرب شبه الجزيرة العربية الذي ورد ذكره في عصر الأنباط :

١. إن الموقع هو أقرب ميناء على البحر الأحمر لمنطقة الحجر والعلا ، إذ أنه يبعد عنها مسافة ١٧٠كم ويرتبط بها بطريق بري يسمى طريق الخرار .
٢. وجود آثار الميناء بالموقع ، وكون هذه الآثار من العصر النبطي وهو العصـــر الذي تحدثت فيه المصادر عن هذا الميناء .
٣. وجود طراز عمارة الحجر بالموقع ، الذي يلاحظ على واجهات المقـــابر مثـــل استخدام الأعمدة والأفاريز والتيجان النبطية .
٤. كذا وجود كتابات ومخربشات في الموقع بالخط الآرامي، الذي كان مستخدماً في منطقة العلا والحجر في تلك الفترة .
٥. إن الميناء ما زال حتى الآن يحمل اسم إجرا وقد عـــرف من بعض المصـــادر العربيـــة باســـم كرا وهو قريب جـــداً لاسم إجـــرا الـــذي ورد فـــي المصـــادر الكلاسيكية.
٦. إن مرسى الميناء يسمى كركمه اليوم وهذا الاسم أصله نبطي ، وهو مكون مـــن مقطعين " كرا – كومه " الذي لا يزال يطلق على مرسى الميناء ، وهـــو تســـهيل لنطق كراكومه ، التي تعني ميناء كرا أو قرية كرا .

والجدير بالذكر أن حرف الألف الواقع في نهاية اسم كرا يأتي في اللغة النبطيـــة بمعنى (أل) التعريف التي تدخل على الأسماء في اللغة العربية ، وعليه فيكون اســـم كرا معادلاً لاسم إكرا غير بعيدة عنها ، بأن إكرا ، وكرا ، والكر كلها اســـما لمنطقـــة

---

(١) علي بن إبراهيم بن حامد غبان : " الآبار السلطانية بوادي الزريب بالوجه " ، ص٢٦٠.

(٢) علي بن إبراهيم بن حامد غبان : " التقرير الأول عن ميناء إكرا " ، ص٢٠٤-٢٠٥ .

واحدة ، وأن كل هذه الناحية تسمى قديما كرا وأن مينائها الواقع على البحـــر كـــرا – كومة وهو لا يزال حتى الآن يسمي كركمه[١] .

وقد ورد ذكر موقع إجرا في عدد من المصادر العربية باعتبار أن إجـــرا هـــي المنطقة التي يفيض منها وادي أضم (الحمض) ويصب فـــــي البحـــر ، وقـــد نقـــل السمهودي عن المطري أن سيل وادي أضم يصل إلى كرى من طريق مصر ويصـــب في البحر[٢] .

بينما نجد رأيا آخر يرى أن ميناء إجرا Egra هو (ينبع) الفرضـــه الشـــهيرة ذات العيون العذاب[٣] . وقد ورد أن إجرا خبت بقرب ساحل البحر[٤] .

كما أن جلاسر لم يتأكد من موضع إجرا[٥] ، وبينما يرى فلبي احتمـــال كونـــها مدائن صالح[٦]، وهو رأي يتعارض مع ما ذكره سترابون[٧] أن Egra هي فـــي أرض عبادة ، وعلى ساحل البحر الأحمر ، ومنها أبحر إيليوس جاللوس إلى مصر[٨] ، – كما سياتي بعد – ويذهب أخر أن قرية Egra هي الحجر ، وهي بعيدة بعض البعـــد عـــن ساحل البحر ، وأنها كانت متصلة بميناء عرف باسمها أيضا ، وأنها هي الوجـــه فـــي الوقت الحاضر[٩] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٢٠٥ .

(٢) وفاء الوفا ، ١٠٨١/٢ .

(٣) جواد علي : ٤٨/٢ ، وكذا . Strabo, III , p . 213

(4)Strabo , III , P . 213 .

(5)CF . : Glaser , Skizze , II, s . 63 .

(6)Philby , J. B . , The Background of Islam , Alexandria , 1947 , p . 101

(٧) جواد علي : ٤٨/٢ .

(8)Strabo ., III , p . 213 .

(9)Tarn , W . W . , op . cit . , P . 17 .

كما تصور بعض الباحثين أن ميناء إجرا هو ميناء الوجه الوارد في جغرافية استرابون[1] ، عند حديثه عن عودة الجنود مع القائد الروماني ايليوس جاللوس إلى مصر ، ويعللون ، ذلك بأن الوجه كانت فرضه على البحر لمدينة الحجر الواقعة في وادي القرى ، وأنها كانت تحمل اسمها[2] .

ميناء الحوراء : *Auara* :

بالفتح والمد ، أي القرية البيضاء ، كانت بها آثار خرائب قديمة ، حتى أيام ياقوت الحموي ويظهر أنها كانت من مواضع الجاهليين القديمة ، وكانت قد هجرت في أيامه ، وكانت ميناء المصريين إلى المدينة[3] .

ولقد أشار موسل إلى رواية ذكرها أورانيوس Uranius واصطفانوس البيزنطي عن تأسيس مدينة Aura في أيام الملك عبادة[4] ، خلاصتها أن الحارث Aretas ابن الملك حلم أن والده سينشئ مدينة ، وأن هذه المدينة هي Auara من كلمة حوراء ، أي البيضاء[5] ، فلما قص حارثه حلمه على والده ، أخذ يبحث عن موضع أبيض ينشئ عليه المدينة ، وبينما كان يبحث عن هذا الموضع نراءى له شبح رجل أبيض على جمل أبيض اختفى فجأة ، فلما دنى من مكان الشبح ، وجد بقايا شجرة ذات عروق

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : " صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية المجلد الأول ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص٤٧٥ ، وكذا ، سيد أحمد علي الناصري : " الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة " دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني – (الجزيرة العربية قبل الإسلام) جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص٤١١ ، وكذا . جبرا إبراهيم جبرا : " بلاد العرب من جغرافية سترابون " مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني ، ١٣٧١هـ ، ١٩٥١م ، ص٢٦٦ ، وكذا .

(٢) جواد علي : ٤٨/٢ ، وكذا :
Pierre G. and Others , Hellenism and The Rise of Rome , London , 1968 , p . 291 .

(٣) معجم البلدان ، ٣٥٩/٣ .

(4) Forster , C., The Historical Geography of Arabia , Vol . I , London, 1844 , p . 220 .

(٥) جواد علي : ٤٦/٢ ، ٥١ ، ٣٥٦/٧ .

ممتدة ، فأمر أن يكون موضع حوراء Auara [1] ويرى موسل أن هذه المدينة هي الحميمه[2] ، وهي أيضاً Auara التي ذكرها بطليموس وتقع في العربية الحجرية على الطريق بين أيله والبتراء[3] .

ميناء لويكى كومى :

ورد اسمه في الكتب الكلاسيكية بمعنى المدينة البيضاء[4] وهو ميناء قديم ، كان الملاحون والتجار اليونانيون قد أقاموها عند ساحل البحر الأحمر لحماية سفنهم وللاتجار مع تجار شبه الجزيرة العربية ولتموين رجال القوافل البحرية بما يحتاجون إليه من ماء وزاد[5] .

ومن ثم فهي تعتبر من أهم الموانئ التجارية على سواحل شمال غرب شبه الجزيرة العربية[6] ولقد ذكره سترابون في معرض كلامه عن حملة ايليوس جاللوس على شبه الجزيرة ويظهر أن الرومان حينما هبطوا على هذا الميناء وضعوا فيه حامية رومانية ، لحماية السفن ، ولحماية الطرق البرية من الإغارة ، كما أنهم أنشأوا لهم فيه دائرة لجباية المكس من السفن والتجارة ،وقد تقاضوا ما مقداره (٢٥%) من أثمان البضائع التي تدخل الميناء[7] ، كما يظهر أن تجاره هذا الميناء كانت عامرة جداً ، فكانت القوافل التي تنقل البضائع بينها وبين البتراء ، ضخمة جداً ، كأنها قطع كبيرة من الجيوش ، أو بنقل التجارة الواصلة إلى البتراء من العراق أو الخليج أو اليمن ، ومنها إلى ذلك الميناء لتصديره إلى مصر حوض البحر المتوسط .

---

(1)Musil , A . , The Northern Hegaz , New York . 1926 , p . 59 . no , 25 .

(٢) معجم البلدان : ٣٤٦/٣ .

(3)Musil . A . , op . cit . , p . 60 .

(٤) جواد علي : ٢٧/٢ ، وكذا . Forster , I , P . 220

(٥) جواد علي : ١٦١/١ .

(6)Strabo , X V I , 4.33 .

(٧) جواد علي : ٤٥/٢ ، وكذا .

Sprenger, A . , Die Alt Geographie Arabiens , Berne , 1875 , S . 28 .

وقد ورد اسم لويكي كومي في كتابات المؤرخين اليونان والرومان ، وبأنه كان ميناء نبطيا ، ولكنه في الوقت نفسه تحت سيطرة الرومان[١] ، فيذكر استرابون ، أن أحمال (الطيوب) كانت تنقل من لويكي كومي (ميناء الأنباط) إلى البتراء (عاصمتهم) ومن هناك إلى رينوكولورا (العريش) القريبة من مصر والتابعة ليفينيقيا ومن هناك إلى شعوب أخرى . أما في الوقت الحالي فإن معظمها ينقل إلى الإسكندرية عبر النيل[٢] .

وهناك إشارات عن هذا الميناء في كتاب (دليل البحر الإريتري) بأنه كان يوجد طريق يربط هذا الميناء بالبتراء عاصمة الملك ماليخاس ملك الأنباط[٣] ، والذي يرجح أنه مالك الثاني الذي حكم ما بين ٤١ ، ٧١م ، كما أن هذه العبارة دليل الارتباط بين ميناء لويكي كومي وبين دولة الأنباط[٤] . كما أن فقرات من هذا الكتاب تعطي نفس الإيحاء بتجاره رومانية مكثفة – عبر مصر أساسا – مع بلاد العرب الجنوبية ، حيث أشار بوجود حامية رومانية وملتزم بجمع الضرائب على السلع التي تجلبها السفن إليه من سائر السواحل العربية ، وأن هذه الضريبة كانت بنسبة ٢٥% من هذه السلع[٥] ، وهذا دليل على أن ميناء لويكي كومي كان ميناء كبيرا تتجمع فيه السلع .

وعلى أية حال ، فقد كان من نتائج الإنحسار البطلمي أن بدأ النبطيون يتوسعون على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، كما استولوا على الحجر وجعلوها قاعدة للتوسع والانطلاق ، ويبدو أن الأنباط وصلوا إلى ميناء (إمبيلوني) . ويرى Tarn أن الأنباط خربوا هذا الميناء البطلمي وأعادوا بنائه من جديد باسم القرية البيضاء (ربما عند مدخل خليج العقبة بين ضبا والمويلح بالقرب من وادي عفال عند واحة عينونة أو بالقرب من ميناء ينبع الحالي) وربطوا بين مينائهم الجديد وبين مدينة يثرب بطريق بري ، فحولوا بذلك طريق البخور والتجارة عن حليفة البطالمة ديدان [٦] .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم السيد : المرجع السابق ، ص٤٧٤ .

(2)Strabo , 16 . 4 . 24 .

(3)Hunting Ford , G , W ., The Periplus of the Erytheraean Sea, London, 1980 , p . 31 .

(٤) عبد المنعم عبد الحليم السيد : المرجع السابق ، ص٤٧٤ .

(5)Hunting Ford , G . W . , op . cit , p . 31 .

(6)Tarn , W.W., op. cit ., p.17.

وكان ذلك ضربة اقتصادية كبرى للنفوذ البطلمي في البحر الأحمر[١] ، وفيما بعد يظهر أن الرومان هيمنوا على هذا الميناء ، لأنهم وضعوا فيه حامية رومانية ، Centurio لحماية السفن من اللصوص[٢] . وكذلك حماية الطرق البرية من قطاع الطرق واللصوص في البر .

ومما يؤكد كذلك على سيطرة الرومان على هذا الميناء ما ورد عند استرابون أن حملة ايليوس جاللوس نزلت في أول موضع هو ميناء لويكي كومي ، ففي هذا الميناء أنزل الجيش واستراح ثم واصل سيره لتحقيق الغاية التي جاء من أجلها[٣] .

وتبين من إهمال الكتب اليونانية واللاتينية ، وفيما بعد الأخباريون المسلمون ذكر هذا الميناء بعد القرن الثالث الميلادي إن شأنه أخذ في الأفول منذ ذلك العهد ، ولعل ذلك بسبب تحول خطوط سير السفن في البحر الأحمر بعد استيلاء الرومان على مصر ، وإنشائهم أسطولاً تجارياً كبيراً في هذا البحر قاموا بالاتجار مباشرة مع أفريقيا والهند ومصر ، فلم تبق له حاجة إلى النزول في هذا الميناء[٤] .

لقد ذهب الباحثون مذاهب شتى في تحديد موقع هذا الميناء وتباعدت أراؤهم في ذلك إلى حد كبير ، حتى امتدت المنطقة التي حددوا عليها موقع ميناء لويكي كومي امتداداً شاسعاً ، فشملت ساحل شبه الجزيرة العربية الشمالي الغربي من مدخل العقبة شمالاً إلى ينبع البحر جنوباً[٥] .

---

(١) سيد أحمد علي الناصري : " الرومان والبحر الأحمر " ، والداره السنة السادسة ، العدد الثاني ، ربيع الأول ، ١٤٠١هـ / يناير ، ١٩٨١م ، ص١٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص٢٥ ، وكذا .

Strabo , X V I , I V , 23 .
Pirenne, J. ,Le Royaume Sud – Arabe de Qataban et sadatation, Louvain, 1961, pp. 93-124 .

(٣) جواد على : ٤٤/٢ ، ٤٨ ، وكذا . البلدان ٥٢٦/٨ .

(٤) جواد علي : ٤٥/٢ .

(٥) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٤٧٥ .

فهناك رأي بأن الميناء يقع في القسم الشمالي من الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وموقعه خريبه عينونه أو المويلح أو ضبا[١] . بينما الذين يخالفونهم هذا الرأي يحددون موقعه إما عند الحوراء (أملج) أو ينبع البحر.

أما بالنسبة للرأي الأول ، فيحدد موقع الميناء في المنطقة الممتدة من ضبا جنوبا إلى قرب مدخل خليج العقبة شمالا (بين خطي عرض ٢٧ و ٢٨ شمالا)[٢] . فمنهم من رأى أن لويكي كومي موقعه ميناء المويلح[٣] . بينما يرى آخرون بأن لويكي كومي موقعة ميناء خريبه عينونه[٤] .

أما بالنسبة للرأي الثاني فيحدد موقع ميناء لويكي كومي في منطقة ميناء الحوراء (أملج)[٥] ، وفي رأي آخر بأن موقع ميناء ينبع البحر على ساحل البحر الأحمر[٦] ، وهي Nerakome في العربية (مدينة ينبع) ، وهي ينبع لا مكان آخر[٧].

ومن الصعب التوفيق بين هذه الآراء وبين رواية أخرى حبشية مؤداها – كما فسرها أحد الباحثين – أن الأحباش استولوا (ربما في أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني للميلاد) على ساحل شبه الجزيرة العربية الممتدة من ميناء لويكي كومي إلى أرض السبئيين[٨] . وهي بذلك تحدد موقع لويكي كومي جنوب خليج العقبة وأقرب منه إلى بلاد الأحباش[٩] .

---

(١) إبراهيم يوسف الشتله : " حملات الرومان على الجزيرة العربية " ، الداره ، العدد الثالث ، السنة التاسعة ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص١٠٦ ، وكذا . فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ١٩٦٨م ، ص٧٢.

(٢) إبراهيم يوسف الشتلة : المرجع السابق ، ص١٠٦ .

(٣) جواد علي : ٢٧/٢ ، وكذا عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٤١٠ ، وكذا Forster , II , P.285

(4) Kirwan , L .P. , op . cit . , p . 59 .

(5) Forster , I , P . 220 .

(٦) جواد علي ٤٦/٢ .

(٧) جواد علي : ٤٨/٢ وكذا . Forster , II , P .P . 293 , 328 ,

(٨) جواد علي : ٤٥٣/٣ .

(٩) المرجع نفسه .

وإن كان من الصعب تحديد موقعه بالضبط سواء عند أملج (الحوراء) أو ينبع البحر – ولما كان ميناء لويكي كومي هذا قد استخدم لرسو السفن الرومانية ، التي أقلت حملة أيليوس جاللوس ، كما سيطر الرومان على تجارته في القرن الأول الميلادي ووضعوا فيه حامية رومانية – كما ذكر سابقا – فإن كل القرائن تجعله ممرا للأنباط المرتحلين من منطقة مدائن صالح إلى صحراء مصر الشرقية ، عابرين البحر الأحمر عنده . وبطبيعة الحال لابد والحالة هذه . أن يكون هذا الميناء في مكان متوسط بين مدائن صالح وبين ما يواجه ميناء القصير القديم الواقع على الساحل المصري[1] .

والميناء الذي تنطبق عليه – فيما يرى صاحب هذا الرأي – والذي تميل إليه الدارسة ، هذه الشروط هو ميناء " الوجه " ،فهو على الطريق المباشر من مدائن صالح تقريبا ، كما أنه يواجه ميناء القصير القديم ، الذي دخل منه الأنباط إلى جنوب صحراء مصر الشرقية ، وعلى هذا فإن ميناء لويكي كومي ، المذكور في كتابات اليونان والرومان ، كان في موقع ميناء الوجه الحالي على ساحل البحر الأحمر في أراضي شبه الجزيرة العربية .

ويرى موسل Musil [2] أن ميناء الوجه هو الذي أطلق عليه استرابون الاسم إجرا Egra معتمدا في ذلك على تفسيره الخاص لرواية غامضة لاسترابون أثناء وصفه لحملة ايليوس جاللوس ، ومؤدي تفسير موسل هذا " أن جاللوس وصل بجيشه ، بعد عودته ، من حملته الفاشلة على بلاد اليمن ، إلى مستوطنة إجرا ، التي تقع بالقرب من البحر في أرض عبادة ملك الأنباط ، وأنه أبحر من هناك إلى ميوس هرموس (أبو شعر) .

وأنه أبحر من هناك إلى ميوس هرموس في أحد عشر يوما " [3] ومع اعتراف موسل بأن الحجر المقصودة في هذه الرواية هي واحة الحجر ، أي مدائن صالح ، فإنه فسرها بأن جاللوس سار منها عبر اقرب طريق إلى ساحل البحر الأحمر ، حيث يوجد

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٤٧٥ .

(2) Musil , A . , op. cit . , (Repr . 1978) , p . 299 .

(3) Strabo , X V I , 4 : 24 .

ميناء الوجه ، وعلى هذا – بناء على رأيه –فإن هذا الميناء كان يسمى أيضاً (إجـرا) على اسم المستوطنة ذاتها لأنه أقرب ميناء إليها[١] .

يرى موسل[٢] أن كلمة إجرا المذكورة في رواية استرابون ، كان اسماً مزدوجـاً للمستوطنة والميناء ، فإذا صح رأي موسل هذا فلماذا لا يكون لميناء الوجه إسـمان : الاسم النبطي المحلي وهو إجرا والاسم اليوناني وهو لويكي كومي ، وربما يؤيد هـذا الإستنتاج أن خريطة بطليموس الجغرافي لبلاد العرب تخلوا من اسم لويكي كومـي ، بينما ورد عليها اسم ميناء آخر هو أجرو Agro [٣]. كما يلاحظ التشابه في النطق بيـن الاسمين رغم أن موقع هذا الميناء على الخريطة المذكورة يبعد كثيراً نحو الجنوب عن موقع ميناء الوجه ، فهو يكاد يكون في موقع ميناء جدة الحالي .

على أية حالة ، فإن ذكر اسم إجرا في رواية استرابون وأجرو علـى خريطـة بطليموس مع عدم ذكر لويكي كومي (في رواية استرابون عند عودة حملـة أيليـوس جاللوس ، بينما ذكر هذا الاسم عن وصول الحملة إلى شبه الجزيرة العربية) يرجـح أن الاسمين مترادفان ، وأن بطليموس الجغرافي استخدم الاسم المحلي تمشياً مع منهجه في كتابة الأسماء الجغرافية على خريطته ، ففيما عدا الاصطلاحات اليونانية للمنـاطق وما يشابهها ، نجد أن جميعArabia Petraea , Arabia Dserta العربيـة مثـل الأسماء على هذه الخريطة ، أسماء محلية الطابع (عربية قديمة) محوره إلى النطـق اليوناني .

ومن كل ما تقدم يرجح أن الميناء ، الذي كان أنباط منطقة مدائن صـالح ومـا حولها يبحرون منه إلى ميناء القصير القديم ، هو ميناء الوجه الحالي وأن هذا الميناء هو في الغالب الميناء المسمى في كتابات الكلاسيكيين لويكي كومـي ، أي القريـة أو البلدة البيضاء[٤] .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٤٧٦ .

(2) Musil , A . , op . cit . , p . 299 .

(3) Ptolemaios , Geography , V , 14 . 3 , 18 : 19 .

(٤) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٤٧٦ ، وكذا .

Gartier p . L . und Salles J . F . , " Frontiers Meridimales du Domaine Nabateen , " in Salles , J . F . (ed) , L , Arabia et ses Mers Bordieres Lyon : GS Maison de L ' Orient , 1988 . p . 187.

ميناء ينبع البحر :

ينبع على ساحل البحر ، وهناك من يرى أنها لويكي كومي[١] .

ويرى فورستر أن نيجر Negra أو نيرا Nera هي ينبع الفرضة الشـــهيرة ، وفيها عيون عذاب غزيرة[٢] ، وهي ميناء الحجاز الثاني ، وميناء المدينة[٣] ، ويرى أن كلمة نيرا اليونانية تعني ينبع في العربية، ولذلك يعني Nera Kome في العربية (مدينـة ينبع) وأن Nera Kome ، هي التي أبحر منها الرومان ، وهو يقصد حملـــة ايليـوس جاللوس ، حيث أبحر من بقى حيا من الرومان إلى مصر هي ينبع ، لا مكان آخر[٤] .

ميناء الشعيبة :

من المراسي القديمة في الحجاز ، وهي ميناء مكة ، إليها ترد السفن قبل جـدة ، وهو خور أمين تقصده سفن الروم والحبش لتتزود بما تحتاج إليه من زاد وماء ولتفرغ ما كانت تجلبه السفن القادمة من جنوبي غربي شبه الجزيرة العربية وأفريقية والـهند ، لبيع تجارتها لأهل مكة[٥] .

وتقـــع الشعيبـــة إلـــــى مسافة نحو ٢٥ كم إلى الجنوب مـــن جـــدة[٦] . وقـــد وصفت بأنها كانت لا تزال عامرة حتى القرن السادس الهجري ، حين إختفى اســـمها

---

(١) جواد علي : ٤٦/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٢٥٦/٨ ، وكذا . فؤاد حمزة : المرجع السابق ، ص٤٦ ، ٧٢-٧٣ ، ٩٥ .

(٣) حافظ وهبه : المرجع السابق ، ص١٦ .

(٤) جواد علي : ٤٨/٢ ، وكذا Forster C , II , P. P . 293 , 328 .

(٥) جواد علي : ١١٥/٤ ، ٢٧٢/٧ .

(٦) لقد أخذت جدة موضعها في أيام الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، أنظر : معجم البلـدان : ٢٧٦/٥ ، وكذا . حمد الجاسر : فـي شمال غـرب الجزيـرة ، منشـورات دار اليمامـة ، الريـاض ١٤٠٠هـ/١٩٧٠م ، ص١٧٤، وكذا . Ency . of Islam III , P . 440 .

من خارطة الساحل الحجازي[1] ، وقيل أن الشعيبة قرية على شاطئ البحر بطريق اليمن[2].

على أن الغموض يحيط بدور المرفأ (الشعيبة) وأهميته في التجارة المكية ، ولعل أول إشارة في هذا السبيل ، قد وردت في حادثة السفينة ، المروية عن (ابن منبه) ، وقد جاء فيها : " إن سفينة للروم جنحت عند الشعيبة ، هو مرفأ على ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة "[3] .

إلا أن الرواية اختلفت عند ابن اسحق صاحب السيرة ، فتصبح جدة هي المكان ، الذي تحطمت فيه السفينة حيث استخدم خشبها في تسقيف الكعبة[4] . ولكن الأزرقي يكرر الرواية الأولى بشيء من التعديل بأن " سفينة للروم أقبلت ، حتى إذا كانت عند الشعيبة وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة فانكسرت فسمعت بها قريش ، فركبوا خشبها ورومياً كان فيها يقال له باقوم[5] .

وهكذا يكاد يختلط الأمر ، إذا كان ثمة ميناء محدّد لمكة قد تخصص في نقل تجارتها البحرية ، وإذا ما كانت قادرة في ذلك الوقت على استيعاب المنتجات الأفريقية ، التي يفترض أن تفد إليها عبر أحد هذه المرافئ لا سيما (الشعيبة) القريبة منها[6] .

ويرى الباحث أنه المرجح أن تكون الشعيبة ميناء مخصصاً لمكة في ذلك الوقت بدليل تبادل القرشيين لمنتجات أفريقية والمتاجرة فيها في رحلتي الصيف والشتاء ، ودليل آخر أن هجرة المسلمين إلى الحبشة كانت عن طريق ميناء الشعيبة ، مما يدل على أنه كان ميناءاً معروفاً ومعتاداً على الركوب فيه . أم أنها كانت لا تزال تعتمد

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص١٧٨ .

(٢) معجم ما استعجم : ٢٩٢/١ .

(٣) نقلاً عن : الروض الأنف : ٢٢٥/١ .

(٤) ابن إسحاق : (محمد بن إسحاق) : دراسة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تحقيق عبد العزيز الدوري ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ ، ص١٠٤ .

(٥) أخبار مكة ١٥٧/١ .

(٦) إبراهيم بيضون : " الإيلاف القرشي " الحلقة الأولى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٤٢ ، نيسان ، ١٩٨٢م ، ص٢٤ .

على موانئ الجنوب ، حيث تقوم بنقل البضائع المفرغة فيها ، بّـــراً ، إلـــى مكـــة أو مباشرة إلى الأسواق الشامية[١] . وقد يكون هذا المرفأ إن صح استخدامه كمنفذ بحـــري للمدن التجارية الكبرى ، كان مجرد مرسى صغـــير ، حيـــث حـــالت الطبيعـــة دون استخدامه للسفن الكبيرة ، وفي طليعتها ضحالة الماء والشعاب المرجاني التي تزداد في هذه المنطقة ، ولعل ذلك كان وراء جنوح السفينة الرومية ، إلى ميناء جدة والتي يرجح بأنها كانت كبيرة الحجم نتيجة استخدام بقاياها في تجديد الكعبة وتسقيفها على نحو مـــا سبق[٢] .

أما ما عدا ذلك فلم يتردد اسم الشعيبة كميناء لمكة ، باستثناء ما روي عن هجرة المسلمين إلى الحبشة في السنة الخامسة من المبعث ، حيث وجدوا ســـفينتين للتجـــارة حملوهم فيها إلى الحبشة[٣] .

على أن هذه الرواية إن صحت وبأن المسلمين قد هاجروا من هذا المكان ، فـإن ذلك لا يقتضي بالضرورة وجود مرفأ تتوافد إليه السفن بانتظام ، ومن المرجح في مثل هذه الحال أن يهاجر هؤلاء من موقع آخر على ساحل الحجاز ، خاصـــة وأن مينـــاء يرتبط بالمصالح المكية كالشعيبة ، لابد أن يخضع في حينه للنفوذ القرشـــي ، ويحـــول بالتالي دون تسهيل هجرة المسلمين المضطهدين في مكة[٤] .

ويرى باحث آخر[٥] ، أنه كان لأهل مكة صلات قوية بالحبشة عن طريق البحر الأحمر ، ولابد أن أهل مكة كانوا يستعملون البحر في نقل متاجرهم إلى الحبشة عـــن طريق ميناء الشعيبة – وكانت الشعيبة – ميناء مكة إليها ترد السفن قبل جدة ثم أخـــذت مواضعها في أيام الخليفة عثمان بن عفان أو بعض موانئ اليمن القريبة .

ونخلص إلى القول بأن مكة لم تكن ذات تجارة بحرية على قدر من الأهميـــة ، بل كانت تعتمد على سفن حبشية أو مصرية ، ويبدو أنها احتكرت الملاحة والنقل فـــي البحر الأحمر بما يتلاءم والحركة التجارية المحدودة فيه ، بالمقارنة مع المواصـــلات

---

(١) جواد علي : ٢٩٠/٧ .

(٢) إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص٢٤ .

(٣) جواد علي : ٢٥٩/٧ ، ٢٧٢ .

(٤) إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص٢٤ .

(٥) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص٢٠٧ .

البرية المزدهرة في ذلك الوقت ، وقد تكون (الشعيبة) أحد المرافئ ، التي وفرت مكة بالسلع الأفريقية ولكن في نطاق محدود يفترض أنه اعتمدت على بضعة مصادر على ساحل الحجاز ، لا سيما (الجار) ، الذي يبدو أنه مثل دورا أكثر أهمية بالنسبة لها ، خاصة ، وأن جزيرة صغيرة تقع على مقربة منه كانت ملتقى التجار القادمين من سواحل أفريقية والمحيط الهندي[١] .

ولا يستبعد قيام السفن بإفراغ أحمالها في هذا المرفأ لحساب المكيين قبل نقلها إلى أسواق الشام ، ولذلك يصفه (المقدسي) بأنه خزانة مصر[٢] إلى جانب جدة ، والتي تطورت في العهد الراشدي لتصبح الميناء الرئيسي في الحجاز[٣] .

---

(١) إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص٢٤-٢٦ .

(2) Donner , F . M . , " Mecca's Food Supplies and Mouhammad's Boycott, JESHO, vol . XX, part III , 1977. P.255

(٣) صورة الأرض ، ص٣٩.

ثانيا : أهمية تجارة البحر الأحمر والصراع حوله .

أهمية تجارة البحر الأحمر والصراع حوله :

لعبت الملاحة البحرية دورا كبيرا في ازدهار وانتعاش التجارة على مر العصور ، لقد كان البحر الأحمر عبر الأزمنة الطويلة شريانا حيويا للمواصلات ووسيلة للتبادل التجاري والحضاري بين بقاع العالم القديم . عرف البحر الأحمر في المصادر الكلاسيكية بالخليج العربي (Sinus Arabicus) ، وفي المصادر العبرانية بـ (هيم) " اليم "[1] ومعناه اللغوي " البحر " . وترى المصادر الإسلامية أنه هو المقصود " باليم " المذكور في القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى ، عليه السلام[2] ، من قوله تعالى : ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ [3] . كما عرف عند العرب ببحر القلزم وبحر فارس ، كما أطلق عليه في بعض المصادر ببحر أدوم (Edom) نسبة إلى الأديم الأحمر وترجم بالأحمر ، وأنه سمي بذلك للونه القاتم المائل للحمرة الناجمة من انعكاس الشمس العمودية عليه أو انعكاس الجبال المحيطة به أو لكثرة شعابه المرجانية ، وهي ذات لون أحمر [4] .

ومن الآراء الحديثة أن سبب هذه التسمية يرجع إلى اللون المائل للإحمرار ، الذي تبدو به الجبال الواقعة على شاطئ البحر ، ومنها أيضا أنه يرجع إلى نوع من الطحالب (Algae) الحمراء اللون .

---

(١) جواد علي : ١٤١/١ .

(٢) صورة الأرض ، ص٢٩-٣٠ .

(٣) سورة القصص : آية ٤٠

(٤) الشريف الإدريسي : " جزيرة العرب من نزهة المشتاق " ، تحقيق إبراهيم شوكه ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي والعشرين ، ١٣٩١هـ ، ص٣١ ، وكذا . عبد المحسن الحسيني: " الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب كما تصورها المصادر العربية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية المجلدان ، ٦ ، ٧ ، ١٩٥٢م ، ص ١٠٣- ١٠٤ ، ١٢٦- ١٢٧ .

التي يطلق عليها علمياً (Trichodesmiumery Thraeum) وهي طحالب تطفـوا فوق مياه البحر ويميل لونها إلى الاحمرار [١] .

أما من حيث الملاحة والرياح فينقسم البحر الأحمر إلى منطقتين إحداهما شمالية والأخرى جنوبية ، ويفصل بين المنطقتين خط عـــرض جـدة[٢] . كمـا أن الموقـع الاستراتيجي المتوسط الذي يحتله البحر الأحمر وتحكمه بأشهر معبرين مائيين (خليـج العقبة وباب المندب) جعل منه بحراً متفرداً ومتميزاً عن غيره من المســالك المائيـة المعروفة قديماً ، وبالذات خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين ، حيث أصبح في تلك الفترة من أهم شرايين المواصلات بين الشرق والغرب ، خاصة بعد إعـادة اكتشـاف اتجاه الرياح الموسمية واستخدامها في المواصلات البحرية . وبحكم كونه طريقاً بحرياً استراتيجيا فقد أصبح أحد بؤر الصراع الدولي وجزءا هاما في الاستراتيجية العالميـة في العصور القديمة ، مما حفز الدول الكبرى للسعي لإحكام السيطرة عليـه وإيجـاد مواطئ قدم فيه[٣] .

أما بالنسبة للموقع الجغرافي المميز ، الذي يحتله البحر الأحمر فهو يمتـد مـن مينائي السويس (حاليا) والعقبة شمالا إلى بوغاز باب المندب جنوبا ، ثم يتسع جنوب هذا البوغاز لتكوين خليج عدن الذي يمتد من باب المندب نحو الشـرق ، إلـى رأس جردفوي على ساحل الصومال ، وإلى منطقة الشحر على الســاحل الجنوبـي لشـبه الجزيرة العربية ، حيث يتصل بالبحر العربي والمحيط الهندي ، ويبلغ طـول البحـر الأحمر حوالي ٢٠٠٠ كيلو متر ويتراوح عرضه بين ٤٠٠ كيلو مترا (في النصـف الجنوبي) وبين ٢٠٠ كيلوا متر في (النصف الشمالي) حيث يتفرع إلـى فرعيـن :

---

(١) جبرا إبراهيم جبرا : المرجع السابق ، ص٢٦٢ ، وكذا .
Encyclopaedia Britannica (1964) vol . 19 . p . 26

(٢) عبد المحسن الحسيني : المرجع السابق ، ١١٩ .

(٣) أحمد طعمة يوسف الشقاح : " انتعاش الملاحة في البحر في القرنين الأول والثاني الميلادية " ، مجلة اليمـن، السنة العاشرة ، العدد ٩ ، ما يو ١٩٩٩م ، ص١٣٦ .

الشرقي منها يكون خليج العقبة والغربي يكون خليج السويس ويفصلها عن بعضهما شبه جزيرة سيناء .

وفي الجانب الشرقي من البحر ترتفع هضبة بلاد العرب ، وفي جانبه الغربي تمتد سلسة من الجبال يتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠ - ١٨٠٠م[١] . واشتهر البحر الأحمر بتعدد جزره الاستراتيجية كان لها دورا كبيرا في التحكم في منافذ البحر الأحمر .

ولقد شكلت البحار أهم المناطق ، التي تسعى القوى الكبرى إلى فرض نفوذها عليها فهي تأمين التجارة والاقتصاد ، ولم تكن كل البحار التي يدور حولها الصراع بين القوى العظمى ، وإنما يدور حول البحار التي تقع وسط مناطق الصراع ومناطق خلاقة للحضارة والتجارة .

ولقد تأثرت الجزيرة العربية بذلك الصراع لامتداد رقعتها الشاسعة وتحكمها في ذراعي البحر الأحمر والخليج العربي فهي ملتقى طرق عالم المحيط الهندي وعالم البحر المتوسط ، ومن ثم شكلت الجزيرة العربية اهتمام الدول المتصارعة على النفوذ التجاري فحاولت فرض نفوذها على سواحلها بقدر المستطاع والأهم هو التحكم في طريق القوافل (طريق البخور) الذي يمتد بحذاء ساحل البحر الأحمر[٢] ، وبالتالي كان للبحر الأحمر أكبر الأثر في خلق روح السمسرة لدى العرب بين شعوب منطقتي المحيط و البحر المتوسط ، وكان له أثرا فعال في قيام العديد من المراكز والموانى التجارية على سواحله العربية [٣] .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : " جغرافية منطقة البحر الأحمر الطبيعية والبشرية وأثرها في تشكيل نوع الصلات الحضارية بين شعوب هذا البحر " ، البحر الأحمر وظهيرة في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، يناير ، ١٩٩٣م ، ص٢ ، كذا .

(٢) سيد أحمد علي الناصري : " الصراع على البحر الحمر في عصر البطالمة " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص٤٠١.

(٣) نوره عبد الله العلي النعيم : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي ، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٩٢م ، ص٢٤-٢٥ ، وكذا .

Crichton , A . , History of Arabia : Ancient and Modern , vol . I . Edinburgh , 1833 , p . 71 .

ونظرا لضيق اتساع البحر الأحمر الذي تميز به لدرجة أن استرابون يصفه بأنه كنهر عريض[١] ، مما جعل من عرضه مسافة يسهل اجتيازها بالسفن الصغيرة[٢] ، وهذا بالطبع من شأنه أن ساعد كثيرا في الربط التجاري بين كل من الجزيرة العربية والساحل الأفريقي المقابل ، خاصة ما بين مضيق باب المندب الذي يتراوح فقط في عرضه مما جعل الانتقال بين الطرف الجنوبي الغربي للجزيرة والشاطئ الأفريقي أمرا ميسورا جدا[٣] . وفي نفس الوقت أيضا زاد من مقدرة عرب بلاد اليمن بصفة خاصة على السيطرة على حركة التجارة فوق مياه البحر الأحمر وتطويعها لصالحهم .

وإذا ما استعرضنا التغيرات السياسية في حوض البحر الأحمر لنتمكن من سبر أغوار الصراع حوله نجد أن الممالك المعينيه والسبئيه اللتان إشتغلتا بالتجارة وبرعتا في هذا المجال ، فسيطرتا على الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب خلال الألف الأولى قبل الميلاد[٤] ، كما أن حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية قامت أساسا على التجارة[٥] ، حيث عرفت تلك الممالك أصولها وطرقها ومسالكها ومواردها وكيفية احتكارها والمحافظة على أسرار ومصادر السلع الصالحة للتجارة فأحضر ما خف وزنه وغلا ثمنه وتعذر الحصول عليه دون وساطتهم التجارية [٦] .

كما واصلت دولة اللحيانيون نشاطهم التجاري بحيث كانت أشهر مراكزهم التجارية ذات الموقع المميز مما أكسبها أهمية عظيمة مثل " ديدان " و " الحجر "[٧] ،

---

(1) Ibid , p . 71 .

(٢) مصطفى محمد مسعد : " بعض مظاهر العلاقات بين الجزيرة العربية وأوطان البجه بشرق السودان قبل الإسلام " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٣٩٧ .

(3) Crichton . A . op . cit . , p . 74

(4) Musil , A. op . cit . p . 243 , 288-284 .

(٥) عبد الله أحمد محمد الثور : هذه هي اليمن ، صعناء ١٩٦٩م ، ص١٩٦ ، وكذا . رضا جواد الهاشمي : " تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم " معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٤م، ص٤٣ ، وكذا جرجي زيادان : " العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٧٩م ، ص٢١١ .

(6) Ency., Britannica , vol . I . P . 1044 .

(٧) فيليب حتي : تاريخ العرب (مطول) ترجمة ادوارد جرجي ، جبرائيل جبور ، بيروت ١٩٦٥م ، ص٧٠ .

وكلاهما كان عقدة من عقد الطرق التجارية الهامة التي تربط جزيرة العرب بـــالعراق ومصر وسورية ، وحرص اللحيانيون على تأمين طرق التجارة وحمايتها لذلك عملـــوا على إزالة العوامل التي تهدد وتعرقل شئونهم ومصالحـــهم التجاريـــة ، فلجئـــوا إلـــى البطالمة وترددوا إليهم ليحموهم من تدخل وتحكم الأنباط وظل اللحيانيون علـــى هـــذه السياسة طوال حكم البطالمة ، فلما حل الرومان محلهم كان موقف اللحيـــانيون منـــهم موقفا وديا لأنهم أنقذوهم من سيطرة الأنباط عليهم[١] .

وفي نفس الوقت زاد من مقدرة عرب الجنوب ، بصفة خاصة ، على الســيطرة على حركة التجارة فوق مياه البحر الأحمر وتطويعها لصالحهم لدرجة أن الحمـــيريين يقومون من خلال سيطرتهم على هذا المدخل الجنوبي للبحر الأحمر بمنع التجار الهنود والمصريين والإغريق من تجاوز خليج عـــدن وذلـــك خـــلال محاولاتـــهم المتكـــررة لاستجلاب كل ما يحمله هؤلاء التجار من السلع إلى موانيها لكي تصبح بمثابة أســـواق تجارية نشطة تحتكر تلك السلع المختلفة ، ومن أبرز الموانئ اليمنية ، التي لعبـت دورا كبيرا في هذا المضمار ميناء موزا (المخا) وأوكليليس وقنا (حصن الغراب)[٢] .

ولهذا من المؤكد وجود علاقات تجارية برية وبحرية بين دولة اللحيانيين وكـــل من مصر وفلسطين ، حيث أنه من غير المنطقي أن تكون تسمية الكتاب الإغريق خليج العقبة باسم " خليج لحيان " ، كما ذكرنا سابقا مجرد صدفـــة ، بل إنـــه دليـــل علـــى نشاطهم وحركتهم التجارية في هذا الخليج[٣] . كما أطلقوا عليهم في فترات متفاوتة بلاد العرب السعيدة .

---

(١) جواد علي : ٢/٢٤٦-٢٤٧ ، وكذا .

Caskel , W . op, cit , p.42 .
Altheim , F , und Stiehl , R . op. cit ., p.104.

(2) Huzayyin , S , A , Arabia and the Far East , 2 nd . ed , Cairo . 1982 , p . 111.

(٣) جواد علي : ٢/٢٤٤-٢٤٥ ، وكذا .

Caskel .. op . cit . p . 39 .
Altheim und Stiehl , op . cit ., p . 102 .
Tarn , W . W . " Ptolemy and Arabia " JEA, 15 . 1929 , P . P . 9 –13 .

فضـــلا عن أنه دليل على أنهم كانوا يسيطرون على الطريق البحري المتجـــه إلى ميناء إيلات في الشمال ، حتى أن البحارة والتجار كانوا يدفعـــون المكـــوس إلـــى اللحيانيين[١] .

ومن ثم ظلت المحطات التجارية في يد الدولة الحميرية في اليمن والتي امتـــدت محطاتها على ساحل خليج العقبة والخليج العربي ، حتى حكم البطالمة مصـــر وشـــق ملكها بطليموس الثاني قناة بين النيل والبحر الأحمر ، مما أدى إلـــى تقلـــص النشـــاط التجاري الحميري[٢] . وهي إحياء لفكرة المصريين القدماء عندما شقوا قنـــاة ســـيزو ستريس وعلى ذلك قامت فكرة العرب فيما بعد عندما شقوا قناة أمير المؤمنين .

واستمر البطالمة في هذه السياسة التجارية فتحالفوا مع دولة العرب اللحيانيـــة ، وأقام البطالمة العديد من المحطات والمراكز التجارية ومنها أرزينـــوي (الســـويس) وميوس هرموس (أبو شعر) . وقد خدمت هذه الموانى البطالمـــة ، حيـــث أصبـــح الاتجار بين مصر وبلاد سبأ ممكنا وأهتم كذلك البطالمة بالتعرف على الموانى الشرقية للبحر الأحمر فأرسلوا العديد من الجماعات البحرية لاستكشاف هذه الشواطئ [٣].

وإذا انتقلنا إلى الدولة السلوقية ومحاولاتهم البحرية التجارية لوجدنا أن القـــرن الثالث قبل الميلاد ، كان فيه نشاط محدود لهم بالمقارنة مع نشاط البطالمة .

ثم كان قيام الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القـــرن الأول قبـــل الميلاد أمرا هاما في التاريخ فقد حدث لأول مرة في تاريخ العـــالم أن انضمـــت هـــذه المجموعة الكبيرة من البشر تحت حكم واحد في إدارة واحدة[٤] .

---

(1) Musil , A , op . cit . , p . 295 .

(٢) أحمد حسين شرف الدين : " مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها " ، دراسات تـــاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملـــك ســـعود ، الريـــاض ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م ، ص٢٥٥ ، وكذا . نيقولا زياده : " تطور الطرق البحرية والتجارية بين البحـــر الأحمـــر و الخليج العربي والمحيط الهندي " ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربيـــة ، العـــدد الأول ، السنة الأولى ، يناير ، ١٩٧٥م ، ص٧٣ .

(٣) سيد أحمد الناصري : المرجع السابق ، ص٩ .

(٤) نيقولا زياده : المرجع السابق ، ص٧٥-٧٦ .

ويعني ذلك من الناحية السياسية بدء عصر السلم الروماني ، الذي مهد لانتقال الناس إلى العناية بالفنون والآداب ، أما من الناحية الاقتصادية فكان إيذاناً بنشاط كبير في الإنتاج والإنفاق ، ونظراً لاحتياج الناس وبخاصة أصحاب الثراء لأمور الترف ورغد العيش ، والتي كانت تأتي من جزيرة العرب ، وكما أصبحت مصر منذ عام ٣٠ قبل الميلاد جزء من الإمبراطورية الرومانية من ناحية ، ومركزاً هاماً للتجارة من جهة أخرى ، فعليه زاد النشاط التجاري ، في هذه الفترة التاريخية ، بالبحر الأحمر .

أن الرومان لم يكن لديهم مخطط سياسي منظم من أجل السيطرة على البحر الأحمر ، وإنما تعرفهم على أنماط جديدة للحياة الشرقية ، هو الذي لفت أنظارهم إليه[١] . وهكذا ظلت السيادة الرومانية على البحر الأحمر حتى مطلع القرن الثالث الميلادي عندما بدأت الإمبراطورية تضعف من الداخل ، بينما حدثت تطورات سياسية في البحر الأحمر ، مثل ظهور دولة إكسوم ، كمنافس جديد ، وظهور الدولة الساسانية في فارس ، والتي سعت إلى طرد الرومان من الشرق كله . ومن ثم تحول الصراع من أجل تحقيق سيادة الرومان الكاملة على البحر مع الهند ، فنجد أن أغسطس بدأ سياسته إزاء البحر الأحمر باستغلال موقع مصر الاستراتيجي كشريك كبير بين البلدان ، التي تقع على سواحله وكان هدفه هو جني أكبر دخل مادي للإمبراطورية من الضرائب والمكوس التي فرضتها على التجارة التي تمر بين الشرق إلى الغرب[٢] .

ونتيجة لما سبق خلص أحد الباحثين إلى عدد من النتائج حول تجارة البحر الأحمر منها : الموقع المتميز والفريد للبحر الأحمر لفت أنظار العالم وبالذات القوى العظمى آنذاك كفارس وروما في فترة اشتد الصراع إلى أن تمكنت روما من فرض

---

(١) سيد أحمد الناصري : المرجع السابق ، وكذا . إبراهيم بيضون : " الإيلاف القرشي " ، الحلقة الأولى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٤٢ ، نيسان ، ١٩٨٢م ص٢٣ ، وكذا .

Miller . J . I op. cit , p . 15 . note , 2 .

(٢) سيد أحمد الناصري : المرجع السابق ، ص٩ -١٣ .

هيمنتها ونفوذها عليه وحولته إلى بحيرة رومانية نشطه ، وبذلك تكون روما قد سيطرت على أقصر طريق مائي يربطها بالهند .

وكما استفاد الرومان من اكتشاف سر الرياح الموسمية في المحيط الهندي فتمكنوا من جلب ما يحتاجون إليه من سلع في مدة قصيرة دون الحاجة إلى وساطة العرب ، فزاد الطلب على السلع الشرقية ، فكانت أكثر من (١٢٠) سفينة تبحر في العام الواحد من مصر إلى الهند محملة بسلع الإمبراطورية الرومانية وعائدة بسلع الهند وجنوب شبه الجزيرة العربية [١].

وكانت السياسة البحرية والتجارية التي انتهجها الأباطرة الرومان الذين حكموا في تلك المرحلة أثرها في تشجيع التجارة عبر البحر الأحمر ، وخاصة سياسة التحالفات التي عقدت بين الإمبراطورية الرومانية وبين القوى المحيطة بهذا البحر، مما ضمن للرومان السلام في البحر الأحمر .

كما اهتم الرومان بالمراكز التجارية وعملوا على تقوية وتنشيط موانئ البحر الأحمر ، تلك الموانئ التي غدت مراكز تجارية تعج بالتجارة .

ونتج عن النشاط التجاري البحري الذي شهدته موانئ البحر الأحمر ظهرت بعض الصناعات كالمنسوجات والمواد العطرية وصناعة الزجاج في مصر ، والفخار في دولة الأنباط ، وأخيرا فقد ظل البحر الأحمر وما يزال محط أنظار العالم ، فكل ما دار ويدور حوله من صراع إنما هو صراع تاريخي ودولي الغرض منه الهيمنة وفرض النفوذ [٢] .

---

(١) أحمد طعمه يوسف الشقاح : المرجع السابق ، ص١٣٨-١٣٩ .

(٢) أحمد طعمة يوسف الشقاح . المرجع السابق ، ص١٣٩ .

الفصل الثالث

النشاط التجاري في شمال غرب شبه الجزيرة العربية والتجارة الدولية

أولا : قبيلة قريش ونشاطها التجاري .

ثانيا : النشاط التجاري لدول شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

ثالثا : حملة ايليوس جاللوس عام ٢٤ ق.م .

أولا : قبيلة قريش ونشاطها التجاري

قبيلة قريش ونشاطها التجاري :

نظر العرب بصفة عامة وشمال غرب الجزيرة العربية بصفة خاصة لقبيلة قريش بالتعظيم لها واحترامها لمكانتها من البيت ، ولأن القرشيين هم سدنته والقائمون بأمور الحج ، ومن ثم فقد أذعنت لهم بذلك العرب وعرفوا لهم حقوقهم ، وقد استغل القرشيون هذه المكانة المقدسة فضربوا في جزيرة العرب شمالا وجنوبا متاجرين لا يعرف لهم ولا لأموالهم أحد .

قال رسول الله -ﷺ- " فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطيها أحد قبلهم، ولا يعطاها أحد بعدهم : اني منهم (وفي لفظ : النبوة فيهم) والخلافة فيهم ، والحجابة فيهم ، والسقاية فيهم ، ونصروا على الفيل ، وعبدو الله تعالى سبع سنين ، وفي لفظ (عشر سنين) ، لم يعبده أحد سواهم ، ونزلت فيهم سورة من القرآن ، لم يذكر فيها أحد غيرهم ، لايلاف قريش " .

ولشدة إلتصاق قريش بالتجارة ، واعتمادهم المطلق عليها ما أثبته المؤرخون، أن قريشا إكتسبت اسمها من " التقريش " وهو الاتجار ، وقرش في اللغة : جمع[1]، وسميت قريش بهذا الاسم ، من " التقريش وهو التكسب والتجارة "[2] ولذا ضربوا في البلاد إبتغاء الرزق فكانوا يتقرشون البيعات فيشترونها ولم يكونوا ، أهل زرع وضرع من قولهم : فلان يتقرش المال أي يجمعه[3] .

وبالإضافة إلى ما سبق اختلفت الآراء حول أسباب تسميتهم قريشا إلى عدد من الأقوال منها :

---

(١) سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص٩١-٩٢ .

(٢) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) : السيرة النبوية ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٨٤هـ ، ص٨٧ .

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٩١-٩٢ .

الرأي الأول : أنها من التقريش أي التجمع بعد التفرق ، إذ كانوا متفرقين في شـــعاب أعالي مكة ، فجمعهم قصي بن كلاب حول الحرم حتى إتخذو مساكنهم حوله.

وفي ذلك يقول شاعرهم[١] :

أبونا قصي كان يدعي مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وقصي هو الجد الرابع لسيدنا محمد -ﷺ- وقد ولد قصي على أقرب التواريخ سنة ٤٠٠ ميلادية ، أي قبل ظهور الإسلام بمائتي عام تقريبا ، وقد اجتمع له ملك مكة في منتصف القرن الخامس الميلادي وتركزت في يده مناصب الكعبة أنذاك ، وهـــي الحجابة وهي سدانة البيت وتولي مفاتيحه ، والسقاية وهي إسقاء الحجيج الماء العـــذب على ندرته ، كما كان يسقيهم نبيذ التمر ، والرفادة وهي إطعام حجاج بيت الله جميعـا ، والندوة أي دار الجماعة ، واللواء وهو راية العسكر إذا توجهوا للعدو والقيادة وهـــي أمارة الجيش[٢] .

الرأي الثاني وهو ما أثبتناه سلفا أن قريشـــا من القرش والتقريـــش أي التكســـب مـــن التجارة ، إذ ترفعوا عن غارات السلب والنهب ، وكانوا يعيشون من مكاســـبهم علـــى غير المألوف في زمنهم [٣].

الرأي الثالث [٤] : أنها من القرش بمعنى التفتيش ، لأنهم كانوا يفتشون عن ذوي الخلـــة من الحجاج ، فيسرون خلتهم أي حاجاتهم .

الرأي الرابع : قيل من أسباب تسميتهم بقريش ما روي أن معاوية سأل ابن عباس : لمَ سميت قريش بقريشاً ؟ فقال هو منقول من تصغير قرش - بفتح القاف والعامة تكسـره،

---

(١) البيت لخزامة بن غانم العدوي ، أنظر : العقد الفريد ٣٠٢/٣ .

(٢) أحمد عبد الرحمن عيسى : " من دلالات سورة قريش " دراسات تاريخية لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعـــة دمشق ، العددان السابع عشر والثامن عشر ، ١٩٨٤م ، ص٩٦-٩٧ .

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٩٢ .

(٤) خزانة الأدب : ٨٩/١ .

وهو دابة عظيمة في البحر تعبث في السفن فلا تطاق إلا بالنار ، فشبهوا بها ، لأنـــها تأكل ولا تؤكل وتعلوا ولا يعلى وصُغّر الاسم للتعظيم .

أما الرأي الخامس [1] : لأن أباهم النضر بن كنانة ، اجتمع في قومـــه يومـــاً فقـــالوا : تـــقرش ، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جمل قريش أي شديد . أو لأن قصياً كان يقال له القرشي ، وقيل سميت بذلك من يخلد بن غالب بن فهر ، وكان صاحب عـيرهم أو دليلها ، فكانوا يقولون : قدمت عير قريش ، خرجت عير قريش .

إلا أن من الأقوال المتقدمة قولان يظفران بعد التمحيص ، الأول أنه أطلق علـى النضر بن كنانة ، فكل من كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن مـــن ولـــده فليـــس بقرشي ، وهناك مذهب آخر شأنه من حيث رواته الثقات يرمي إلى أن هذا اللقب أطلق على حفيده : فهر بن مالك بن النضر . ونقله صاحب المصباح عن السهيلي ، وشـــارح القاموس عن ابن الكلبي ، وقال : أنه يرجح في " هذا الشأن " ، وذُكر أيضاً في ســـيرة ابن هشام ، وإذا وقفنا في صيغة الرواية عند ابن هشام ، وصاحب المصباح وجدناهـــا مبنية للمجهول ، " ويقال ... " وبهذا نعلم أن الروايتين ضعفاها فكفيانا بذلك المؤونة[2].

وقال أحد الباحثين[3] : إن نباهة شأن قريش ، ورفعتها ، وبلوغها ، هذا الشـــأو الفريد في العالم القديم ، يجعل إسمها متسعاً لكل هذه المعاني والآراء . إلا أن الجـــاحظ أزال اللبس في ذلك ، وأحسن الإيضاح حين قال في صدد كلامه عنهم :

---

(١) مادة قريش ، أنظر : خزانة الأدب ١٨٩/١ .

(٢) العقد الفريد : ٢٠٣/٢ .

وقد ورد في العقد الفريد إنما جمع قصي إلى مكة بني فهر بن مالك ، فنجد قريش كلها فهر بن مالك ، فمـــا دونه قريش ، ومافوقه عرب " ، وجاء في خزانة الأدب : ١٩٠/١ قال عبد الملك بن مـــروان سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي ، لم يسم قرشي قبله .. "

(٣) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص٩٧ .

وبالتجارة كانوا يعرفون ، ولذلك قالت كاهنة اليمن : لله در الديـــار ، لقريـش التجار ، وليس فوقهم قرشي ، كقولهم هاشمي ، وزهري وتميمي ، لأنه لم يكن لهم أب يسمي قريشا فينتسبون إليه ، ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقرش[١] .

وبعد أن استقر الأمر لقريش ، في مكة ، وتم لها السيطرة على الحرم ، وتدبـير شئون الحج ، بعد أن أقصى قصي خزاعة ، بدأ عهد جديد هو عهد الاتجار ، و كـانت قبيلة قريش مؤهلة ، لأن تكون في مركز تجاري مرموق ، إذ أنـــها أصبحـت أكـثر القبائل العربية تحضرا في جزيرتهم ، كما أن التجارة ليست بدعاً في مكة ، فهي مركز تجاري للقوافل اليمنية منذ عهد مملكة سبأ ، وغيرها المتجهة إلى الشام والآتية منـــها . وقد علم المسلمون أن خيرة الله تعالى من خلقه وصفيه من عباده ، والمؤتمنيـــن علـــى وحيه من أهل بيت التجارة ، وهي معولهم وعليها معتمدهم وهـــي ضاعـــة ســلفهم ، ومسيرة خلفهم ، ولقد بلغتك بسالتهم ، ووصفت لك جلادتهم ونعت لك أحلامهم ، وتقدر لك سخاؤهم ، وضيافتهم وبذلهم ومواساتهم[٢] .

ويرى أحد الباحثين [٣]: لا مكة بلا تجارة ، ومن ثم فإنه يـــرى أن مكـــة قبـــل الاتجار، ما كان يمكن أن تكون سوى محجة ومحطة صغيرة لقوافل طريق البخور بين اليمن و سورية ، فافتقار مكة ووديها إلى الزرع حتم اتجاه القرشيين إلـــى التجـــارة، وكذلك أحاطت الطبيعة المدينة وجوارها بمنطقة عازلة ، محرمة على الدول الأجنبيـــة لوعورة المسالك إليها وجفاف الصحراء من حولها ، على نحو جعل أعتى الدول تعجز عن النفاذ في الصحراء الحجازية[٤].

---

(١) رسائل الجاحظ ، ١٥٦ ، القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ص١٥٦ .

(٢) رسائل الجاحظ ، ص١٤٢ .

(3)Simon , R . , Hums et Ilaf ,ou Commerce Sans Guerre . (Sur La Genese et le Caractere du Commerce de la Mecque) , Acta Orientalia , Academiae Scientiarum Hungaricae , XX 111 (2) , 1970 , P P . 208-209

(٤) فيكتور سحاب : إيلاف قريش ، رحلة الشتاء والصيف ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بـــيروت ، أيار / مايو ١٩٩٢م ، ص١٨٧-١٨٨ .

وهكذا تحفز أحد الباحثين بناء على الأدلة الأثرية إلى القول ، بأن قبيلة قريش امتهنت التجارة حتى قبل أن تسيطر على مكة ، وفي أوائل القرن الخامس الميلادي، تقريبا ، ففي نقش (عقله) الذي يرجع إلى ما بين ٢٧٠ و ٢٧٨ م ، ذكر لمن يدعوهم (قرشتن) ضيوفا على ملك حضرمي ، ومعهم ممثلون لمن دعاهم النقش " تدمر وكشد وهند "، ويشتبه أن قرشتن تعني النساء الراعيات للغنم وبأن الآخرين هم تدمريون، وكلدان، وهنود، ممن يتعاطون التجارة : فإذا صح هذا ، فإنه يعني أن قريشا كانوا تجارا ذوي بعض الشأن منذ القرن الثالث الميلادي، أي قبل استقرارهم في مكة بقرن ونيف[١].

وعلى الرغم من أن هذا الرأي على حق ، في امتهان قريش التجارة في ذلك الزمن لم يكن مرهونا بالحرم المكي ، ومواسم الحج ، وإن الحرم كان يقوم قبل قيام التجارة في مكة ، إلا أن تجارة قريش إزدهرت أيما ازدهار بعد ارتهانها بالحرم المكي.

كما أن استيلاء قريش ، هذه القبيلة المناصرة على مكة ، رافعة تنظيم قصي زعيمها لمراسم الحج ووظائفه ، بالإضافة إلى أن الاعتقاد بأن مجرد التقاء الشرطية والتجارة والحج في مكة ، قد رفعها على الفور إلى مصاف منظمي التجارة الدولية ، وهو اعتقاد خاطئ ، إذ أن هذا الالتقاء جعل مكة مؤهلة لتقوم بمهمة في التجارة الدولية ، ولكنه لم يكن كافيا لنهوض المدينة إلى المكانة التي احتلتها فعلا ، وكان لابد من انتظار تطورات الظروف الدولية في القرن السادس[٢] .

---

(1) Crone , P . , op. cit . , p p .169-170.

(٢) فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص١٩٠ .

لقد اكتملت الشروط التي أتاحت لقريش ، أن تتسلم ، حصة جليلة من التجـــارة الدولية وأهم هذه التطورات الوضع التاريخي الملائم ، وانتقال مفاصل وعوامل التجارة الخارجية بسبب الصراع المستمر بين الدول الكبرى [1] .

وقد ارتفعت مكة إلى مرتبة الزعامة السياسية ، فـــي أعيـــن العـــرب ، الذيـــن أعظموا قريشا ، وخصوصا بعد هزيمة أبرهة الحبشي لأنها أثبتت أنها قادرة علـــى أن تكون (لقاحا) لا تذعن لملك ولا تأتمر لأمر سلطة خارجية .

غير أن انتصار الفرس في اليمن ، بعد موت أبرهة ، جعل مكة في حاجة ماسة إلى إظهار استقلالها ، وقد كانت الأوضاع مناسبة لهذا ، لأن الجنود الفرس لم يشـــكلوا قوة كبيرة في جنوب الجزيرة العربية ، فظلت بقية أجزاء الجزيرة العربية خالية تقريبـــا من نفوذ أي من الدولتين الكبرتين المباشر (فارس – بيزنطة) ، وبذلك تاحت الفرصة لقريش أن تعزز هيبتها وتحسن مكانتها عند العرب ، ونجد أن حرب الفجار التي نشبت بعد طرد الأحباش من اليمن ، لم يكن لها مسوغ سوى تمكين القرشيين قبضتهم علـــى التجارة[2] .

هذا وقد رفض القرشيون كلا النفوذين (الفارسي والبيزنطي) فمره رفضـــت الزندقة في أيام قباذ الملك الفارسي ، ومرة رفضت تمليك النصرانـــي ، عثمـــان بـــن الحويرث ، فتابعت التمسك بدين إبراهيم والأباء الأوائل ، ولم تكن قريش تحتاج مـــن الناحية المعنوية لأكثر من هذا ، حتى تستحق الصدارة بين العرب ، ولكن ما كان لـــهذه الزعامة أن تدوم وتتعزز لولا أن قريشا ، سيطرت على خطوط التجارة فـــي غـــرب

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص١٩٣ ، وكذا . Simon , R . , op . cit . p . 208

(٢) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، الطبعة الثانية ، دار الفكـــر ، بـــيروت ١٩٦٥م ، ص٩٢ ، وكذا . إبراهيم بيضون : الحجاز والدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٣٨ ، وكذا .
Watt , M.G., op. cit . , p . 14 .

جزيرة العرب[1] ، وإن خلت مكة المكرمة من أي نشاط رعوي أو زراعي ، لقوله تعالى ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ (سورة إبراهيم : ٣٧) .

وبعد أن سيطرت قريش على طريق التجارة في غرب الجزيرة العرب ، صادفت هذه السيطرة قبولا لدى الدولتين (فارس ، بيزنطة) فبيزنطة قبل سقوط أبرهة ، كانت ترغب في سوق جزء من هذه التجارة عبر قوافل الحجاز ، لأن صعوبات الإبحار في البحر الأحمر ، كانت تحفزهم على اختيار مسلك امن ، لا تستطيع الفرس أن تصل إليه أو القراصنة[2] . وكان اليمن حليفا لبيزنطه ، وكانت قريش ملتزمة بالإيلاف ، ولم تكن فارس تستطيع أن تبدل من هذا الحال شيئا ، لأن القبائل العربية على طريق القوافل ، كانت هي أيضا متعاهدة بموجب الإيلاف مع قريش ، أما بعد سقوط أبرهة فكان الفرس راضيه نوعا ما بتجارة قريش .

وكما تبين العلاقات التجارية بين قريش والأمم المجاورة ، أن قريشا كانت تتجر بمكة قبل أولاد عبد مناف الأربعة ولا تبرحها وتبضع مع من يخرج من الأعاجم[3] ، وإذن أبعد ما تصل إليه تجارتها هي الأسواق القريبة من مكة ، للتحمس في دينهم والحب لحرمهم ، والإلف لبيتهم ، ولقيامهم بجميع من دخل بمكة بما يصلحهم [4] . ومن ثم ازدهر مجد قريش التجاري ، وبلغ أوجه في الحقيقة بهاشم بن عبد مناف الذي

---

(1) Shahid , I . , Two Quranic Suras : Al Fil and Qurays , Studia Arabia : ca et Islamic Festschrift for Ibn Abbas , edited by Wadad al Qadi , American University of Beirut , Beirut 1981 , p . 429 .

(2)Procopiuse , History of the Wars, translated by Bewing . H . B ., Cambridge and London ,1979 , vol . I , P . 179 ,

Diodorus Siculus , I , translated by Oldfather , C. H. The Loeb Classical Library – London and Combridge , 1935 . p . 215 .

Shahid , I , op . cit p p . 189 – 190 .

(٣) شفاء الغرام ٢/٨٤ ، وكذا

زنوبة نادى مرسي : " نشاط مكة التجاري قبل الإسلام " ، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، منشورات اتحاد المؤرخين ، حصاد (٨) ، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص٧٥ .

(٤) ثمار القلوب ، ص١١٥ .

اضطلع بأعباء الأمور وأكثر من الأسفار وهو أول من عقد المعاهدات التجارية فتثمر الأموال وارتفع له ذكر به بين قومه واستفاضت له مكارم سار بها الركبان[١] .

وثمة نصاً مهماً ، يؤكد أن السيطرة على الخط التجاري عبر الجزيرة ، أو في الحجاز على الأقل لم تكن غائبة عن ذهن قصي بن كلاب ، وهو " كان أول مال أصابه قصي بن كلاب ، عندما كان رجل من عظماء الحبشة ، أقبل إلى مكة بتجارة فباعها ثم انصرف يريد أهله فتبعه قصي وقتله وأخذ ماله " [٢] .

ويبدو من ظاهر النص ، لغير المدقق وكأنه نوع من قطع الطرق ، لكن المشروع السياسي ، الذي بدأ قصي مصمماً على تحقيقه ، ومن خلالها ، لم يكن شأن، ينفي التهمة عن هذا المؤسس ، بل إضفاء ابعاد جديدة أيضاً على المهمة الموكلة إليه، فهل أراد أن يؤسس تجارة مستقلة ..... ؟

كان أبناء عبد مناف الأربعة ، أول من رفع الله بهم قريشاً ، وكانت علاقة قريش مع الروم في بلاد الشام علاقة وثيقة ، وكانت حريصة على أن تظل علاقتها التجارية مع قريش وطيدة حتى لا تفقد ما تجلبه إليها وما تأخذه منها[٣] .

وكان لقريش مراكز تجارية بين مكة ويثرب والشام[٤] ، وبقدر ما كانت علاقة قريش مع الروم ، كانت كذلك مع الأمم الأخرى ، والتي عقدت معها الإيلاف – كما سيأتي تفصيلياً – مثل الحبشة ، واليمن ، والفرس[٥] .

هذا فقد أشارت أجد المصادر بوجود علاقة بين قريش ومصر ، ومع أنها إشارات طفيفة إلا أنها تثبت تلك العلاقة [٦] ، ولكنها لا تحدد مداها ، وهناك نصان ذكر أحدهما ابن سعد وهو : أن نفراً من بني مالك أجمعوا على الوفود إلى المقوقس

---

(١) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(٢) البغدادي : (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي) : المنمق ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ ، ص١٨ .

(٣) شفاء الغرام : ٨٤/٢ .

(٤) القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم) : الأمالي ، الجزء الثالث ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤هـ ، ص١٩٩ .

(٥) ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري) : الطبقات الكبرى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص٤٥ .

(٦) زنوبة نادى مرسي : المرجع السابق ، ص٨٠ .

وأهـدوا لـه الهدايـا "[1] وثانيهما : أن ابن جدعان أتى قيصر ببضاعة ورجع إلـى عكاظ " [2] . ولم تقتصر رحلات قريش التجارية على رحلتي الصيف والشتاء ، فكانت لهم صلات تجارية مع عرب الأنبار ، وعرب الحيرة [3] .

ولذلك فقد كانت قريش مؤهله كل شيء لتنظيم تجارة الشرق ، وكانت الظـروف الدولية ملائمة تماماً لاضطلاعها بهذه المهمة.

إن قبيلة تجارية كقبيلة قريش ، لابد وأنها كانت تتصف بالعديد مـن المميـزات الهامة ، والتي مكنتها من السيطرة على التجارة وطرقها وقوافلها ، ولعل من أبرز هذه الميزات هو ، ارتباط التجارة عند قريش بالتدين ، فقد كانت مكة قبلة العرب ، أقيمـت فيها أصنامهم ، وإليها هوت أفئدتهم فازداد حماسه لها مـع تعـاظم نفوذهـا وازديـاد مكاسبهـم معها ، وكانوا يؤمنون بأن الكسب من عند الله منذ أن نفذ المـاء فكـادت، هاجر ، وولدها إسماعيل ، عليه السلام ، يهلكان ، فانفجرت عين زمزم[4] ، وفي سورة إبراهيم قال تعـالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المحرم ، ربنا ليقيموا الصـلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (٣٧) .

وكما هيأ الحج ظروفا أخرى لقريش في ممارستها للتجارة ، ففي موسم الحـج، يأتي الناس من أطراف مكة ، ومن البوادي فيبيعون ، ما عندهم من بضائع ويشـترون ما يحتاجون إليه فتعمر في تلك الأيام ، أسواق مكة وتنشط ، ويعود على أهلها بالأرباح

---

(١) الطبقات الكبرى ٢٨٥/٣ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٣) كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص١١٦ .

(٤) أخبار مكة ، ص٣٣ ، وما بعدها .

الوافرة ، ولتأمين هذا الموسم اتخذت قريش كل ما استطاعت أن تتخذه من وسائل لحماية الوافدين ، وإراحتهم والخدمات اللازمة لهم على قدر الإمكان [١] .

ومن أهم مقومات التجارة المكية ، هو فهم قريش لعلاقة السلم بالتجارة وحاجتهم إلى اشراك جميع القبائل ، الضاربة ، على طريق القوافل ، وبقربها مثلما فهموا حاجتهم إلى الحياد بين الفرس والروم [٢] .

هذا وتجلت العبقرية القرشية ، بل الذكاء التجاري ، في شبه سياسة قريش مع القبائل العربية القاطنة على طول الطرق التجارية ، والتي كانت تمثل أهمية كبرى ، بل يمكن أن تكون أهم من التحالف مع الدول الكبرى ، ورؤسائها ، إنطلاقا من اهتمام القرشيين بالسلام التجاري سعت إلى توثيق علاقاتها مع القبائل ، وانتهجت في ذلك دبلوماسية اقتصادية رائعة ، كان لقريش السبق في تطبيقها قبل أن تطبقها الدول العظمى في سياستها على مر العصور ، وكانت سياستها مع القبائل تقوم على المسالمة والمصلحة المشتركة [٣]، بحيث اشركت القبائل معها في تجارتها فبالتالي توفر هذه القبائل بل وتحرص على أمن وسلامة القوافل التجارية لشراكتها فيها ، ومن لم يشترك من القبائل في التجارة ، لجئت قريش إلى مصانعته وذلك عن طريق تقديم الهدايا وإتاوات المرور ، وكانت هذه الإتاوات مصدر دخل ثابت لكثير من البدو [٤] .

وكان تحالفهم ، مع أكبر القبائل العربية ، وهي قبيلة (تميم) له مردود أمني واسع النطاق ، حيث تعد قبيلة تميم من أكبر التجمعات القبلية الشمالية ، تتحكم في طرق المواصلات بين مكة والحيرة ، ومساعدة على تأمين سير القوافل من وادي الرمة عقدة المواصلات الشمالي ، حتى وادي الباطن عن الطريق الشمالي الغربي

---

(١) الكامل في التاريخ : ١٨٢/١-١٨٣ ، وكذا . الماوردي (أبو الحسن على بن محمد) : الأحكام السلطانية ، مطبعة أداب المستنصرية ، بغداد ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص٨٧ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص١٤٠-١٤٢ .

(٣) فيكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢١٩ .

(٤) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٨٠ .

للخليج العربي ، ومما زاد من أهمية تميم ، في محيط العلاقات السياسية والاقتصادية ، أن الردافة – منصب ينوب فيه الردف عن ملك الحيرة – كانت لبطون تميم [١] .

وهـذه السياسة التي انتهجتها قريش في اشراك القبائل معـها فـي المصـالح التجارية ، بدلا من أن تلجأ إلى القوة العسكرية ، هو الذي جعل لقريش تلك القوة التي أبدتها في حروب الفجار .

وقد لخص القالي هذه السياسة وفوائدها ، مما يكفينا مؤونـة التفصيـل حـول إيلاف القبائل ونتائجه ، حيث قال : " فلما أصبح شيوخ القبائل العربية ، شـركاء فـي تجارة مكة ، على هذا النحو ، أضحت مهمة ، روع ذؤبان العرب ، صعاليكها وطلاب الغوائل ، وأصحاب الغزوات ، مهمة يسعى إليها هـؤلاء الشيوخ ، من غير حـلث ولا محرض ، لأن تجارة قريش ، باتت تجارتهم أيضا " [٢] .

وبهذا يكون لقريش السبق ، في إنشاء أول مشـروع تجـاري يـردف العمـل المشترك بالعقيدة الدينية المشتركة ، مما يزيد الإحساس بالانتماء ، حتى أدرك شـيوخ القبائل العربية أن أصنامهم في مكة ومصالحهم كذلك[٣] .

وكانت قريش ترى السيادة في الاتجار وإن من لم يمارس هذه الصناعة فليـس بشيء ، وبـين ذلك : كانت قريش قوما تجارا ، ومن لم يكن تاجرا من قريش فليـس عندهم بشيء " [٤].

---

(١) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٨ .

(٢) نقلا عن : المنمق ، ص٣٢ .

(3) Watt, M.G., op . cit . , p . 11 .

(٤) الصالحي (محمد بن يوسف) : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، الجزء الثاني ، تحقيق الدكتـور / مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٩٤هـ ، ص٢١٤ .

وثمة ميزة عرفت بها قريش بعد أن أخذت تجارتها ، خارج مكة إلى اليمن والشام ، وهي فيما ربح الفتى قسمه بينه وبين الفقير ، فجاء الإسلام وهم على ذلك ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش[١] .

ولقد شهدت التجارة القرشية ، تطوراً غير عادي ، لدرجة أن بعض الباحثين رأى بأن بواكير هذا التطور ، تعود إلى أيام الأنباط ، الذين سيرث عنهم القرشيون ، الكثير من الملامح المشتركة بين الطرفين ، وفي طليعتها الطريق التي مارس بها كلاهما التجارة ، إذ الأنباط هم أقرب إلى القرشيين ، وإلى القبائل الحجازية من القبائل العربية الأخرى ، في الجنوب ، ولا يستبعد أن نفوذ هؤلاء الذين اعتمدوا أساساً على ضرائب، المرور ، قد أمتد جنوباً إلى الحجاز حيث تحكموا لفترة ما بهذا الجزء الجنوبي من طريق القوافل[٢] .

وتمتع قريش بالعقلية التجارية هذه العقلية التي سيطرت على القوم ، كانت على جانب كبير من الحذق التجاري والتجربة ، الكافية لمعرفة السوق ومتطلباته ، وأمور العرض والطلب ، وتتجلى هذه المهارة والحذق في شخصية، عبد الرحمن بن عوف ، الذي كان عارفاً بالسوق وأموره ، والتجارة وشئونها ، حيث قال : " لو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً " [٣] ، وهذه العقلية التجارية مكنت قريش من أن تجعل أرباحها في بعض صفقاتها مضاعفة ، فقد تحدثت كتب التاريخ بأن تجارة قريش ، التي تصدى لها المسلمون – وكانت سبب غزوة بدر – ونجت كانت ألف بعير موقره ، "وكانوا يربحون بكل دينار دينارا " [٤] ، وهذا وكانت قريش شديدة الحرص على

---

(١) الألوسي (السيد محمود شكري) : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٣٤٣هـ، ٣٨٧ .

(٢) جواد علي : ١٤/٣ ، ٢٠ ، وكذا . إبراهيم بيضون : " الإيلاف القرشي " ، الحلقة الأولى ، ص٢٨ .

(٣) الطبقات الكبرى ، ١٢٦/٣ .

(٤) الزرقاني (محمد بن عبد الباقي) : شرح محمد بن عبد الباقي الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، بالأوفست ، القاهره ١٣٩٣هـ ، ص٢١ .

سمعتها التجارية وتعاملها مع الآخرين حتى لا تتأثر صورتها التجارية ، وأحسب أن حلف الفضول " إنما هو عقد تجاري ونتائجه حفظ سمعة قريش وصان ازدهار أسواق مكة ، وأسدل عليها ستارا من الإنصاف والأمن وحماية الضعيف بعد أن كاد الأمن فيها يتعرض للخطر ، حتى كادت أن تتزعزع ثقة الأعراب وتجار النواحي بأسواق مكة " [1] .

واحترمت قريش هذا الحلف وتمسكت به ، لمصالحها التي من أهمها التجارة وإحترمه رسول الله -ﷺ- ، فقد رووا عنه قال : " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت " [2] .

هذا وذهب أحد الباحثين [3] : إلى أن صلح الحديبية وتشدد قريش ورائهما أسباب تجارية ، ولعل أشد ما أحمى قريشا في موقفها من الرسول ، وصحبه ، في مفاوضات الحديبية خوفها أن تفقد أسواقها وتخسر قريش أرباحها ، وثرائها ، فلذلك حاولوا بكل ما يستطيعون ، دون وقوع قتال ودون دخول المسلمين لها عامهم ذاك إبقاء " على مصالحهم التجارية " .

ومن سمات العقلية القرشية التجارية ، أيضا ، أن قيادة قوافلها لا يمكن أن تسند إلا لأصحاب العقل والتدبير ، فقد أسندت السيدة خديجة ، رضي الله عنها ، قيادة عيرها إلى ، محمد -ﷺ- وأتى بأرباح مضاعفة ، كما كانت تسندها في أكثر الأحوال إلى أبي سفيان وأمثاله ، من حكمائهم وعقلائهم ، لا سيما إذا كان البلاد المقصودة للتجارة بلادا لا خبرة لهم بأهلها أو طرقها التجارية ، أو إذا كانت الرحلة التجارية تتطلب إبرام عهود ومفاوضات تجارية [4] .

---

(١) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٨١ .

(٢) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٠.

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٣٧-١٣٨ .

(٤) العامري (عماد الدين يحي بن أبي بكر) : بهجة المحافل ، وبغية الأماثل ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٣٠٣هـ ، ص٤٧ .

هذا ولا تتحرك القافلة ، من مكة ، قبل أن تناقش جميع الملابسات والظروف التي بها يمكن أن تربح ، فكثيرا ما دون دار الندوة بنقاش عقلائهم التجاري وإصدار القرارات النهائية لاتجاه القافلة [١] .

وهكذا شغلت التجارة عقول قريش وسيطرت عليها سيطرة غالبة ، ظهرت في جدالها وفي تحديها لرسول الله -ﷺ- وفي طريقة تفكيرها ، والقرآن الكريم ملئ بالإشارات إلى ذلك ويخاطب قريش وفقا لهذه العقلية التجارية ، فهناك الآية الكريمة ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ [٢] ويشبه الضلالة بالخسارة والضلال بالخاسرين لقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾ [٣] . وبقدر حرص قريش على تجارتها ، حرصت كذلك على حسن علاقتها مع البلاد التي تتاجر فيها أو تعتمد على منتوجاتها ، ولذلك فإن قريشا اتخذت موقفا حازما من عبد الله بن جدعان ، حينما طرد مائة ناقة لكلاب بن ربيعه الذي أرسل لقريش[٤] " إن سفيهكم أغار على وطرد لي مائة ناقة ، فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ، ولي عليكم تره " ، وكادت قريش أن تقتل عبد الله بن جدعان .

ومن ثم قال ابن جدعان : إن قريشا ائتمرت بقتلي لئلا أجني عليهم الجزائر ، فيطلبون بسبي وهم تجار لا يستغنون عن بلد " [٥] .

وكان من ثمرة هذا التدبير ، التجاري ، أن ازدهرت مكة ، اقتصاديا وكثرت مواردها ، وزاد حجم تجارتها ، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب بعض إحصائيات ، أن هاشما حينما خرج في عير قريش ، ومر على المدينة تزوج سلمى بنت عمرو من بني النجار ، فصنع طعاما ودعا من معه من أصحاب العير " وكانوا

---

(١) الطبقات الكبرى ، ١/٥٠ .

(٢) سورة فاطر ، آية ٢٩ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٦ .

(٤) الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الإكليل " الجزء الثامن ، تحقيق انستانس ماري الكرملي، بغداد ١٩٣١م ، ص١٨٤ .

(٥) نفس المصدر ٨/١٨٤ .

أربعين رجلا من قريش فيهم رجال من بني عبد مناف ومخزوم وسهم " [1] ومن الأمثلة كذلك أن أبا سفيان كان يستأجر ألفين من الأحابيش وحدهم[2] .

أما ما تدره تلك التجارة من أرباح فكان ، عظيما جدا بقياس ذلك الزمن ، وقد قدر أحد المستشرقين ، صادرات مكة السنوية بنحو مائتين وخمسين ألف من الدنانير ، أي نحو مائة وستين ألف جنيه ذهبيا[3] . وحينما هزمت قريش (ببدر) أئتمر القرشيون وشركاؤهم أن ينفقوا ربح هذه العير في تجهيز جيش يحاربون به محمدا -ﷺ- وكانت ألف بعير تقدر بما قيمته خمسون ألف دينار[4] .

وهكذا لم تكن مكة وحدها تملك المال ، ولم يكن المال وحدة كافيا لجمع شمل القبائل معا ، لكنه تسنى لها أن يكون رجالها ، في هذه المرحلة من التاريخ ذوي حلم وحكمة ، وممن يكظمون مشاعرهم ، في مداراة مصالحهم ، وهذه صفات رجال الدولة الذين قادوا قريشا ، فمكنوها من قيادة قبائل العرب من غير منازع ، ولا منافس جدى[5] .

---

(١) الطبقات الكبرى ، ٥٨/١ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٣٩-١٤٠ .

(٣) محمد حسنين هيكل : حياة محمد ، القاهرة ، ١٣٥٤ ، ص٢١٠ .

(٤) شرح المواهب ٢٠/٢-٢١ .

(5) Watt, M.G., op.cit . , p . 11 .

ثانيا : النشاط التجاري لـــدول شـــمال غـــرب شـــبه الجزيرة العربية .

- ❖ المعينيون والسبئيون ونشاطهم التجـــاري بيـــن الجزيرة العربية وفلسطين .
- ❖ الأنباط ونشاطهم التجاري .
- ❖ اللحيانيون ونشاطهم التجاري .
- ❖ الغساسنة ونشاطهم التجاري .

النشاط التجاري لدول شمال غرب شبه الجزيرة العربية :

المعينيون والسبئيون ونشاطهم التجاري بين الجزيرة العربية فلسطين :

اشتغل المعينيون والسبئيون في التجارة ، وبرعوا في هذا المجال فاكتسبوا شهرة واسعة بين أمم العالم القديم ، بحيث انطلقت القوافل المعينية والسبئية من اليمن إلى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، بحيث يتوقف جزء من تلك القوافل في ديدان (العلا) و "تيماء " و " البتراء " والتي كانت مراكز تجمع تجاري ومنها تتفرع القوافل التجارية لتعاود مسيرتها إلى بلاد شمال غرب شبه الجزيرة العربية ومنها العراق وسورية ومصر في العصور القديمة .

وهناك الكثير من الشواهد والأدلة على النشاط التجاري المعيني و السبئي مع فلسطين ، فقد عثر في موقع ميناء " إيله " على قطع وأجزاء من أواني محطمة وقد نقش عليها حروف معينية يعود تاريخها إلى حوالي قرن أو قرنين بعد نبي الله سليمان عليه السلام [1] . وقد تمكن الخبراء من جمع بعض تلك الأجزاء مع بعضها البعض لتظهر على شكل " جرة " ضخمة ولكن غير متكاملة ، ويعتقد أنها كانت تستعمل لحفظ الأشياء النفيسة كالبخور والمر ، وربما تكون الجرة لأحد التجار المعينيين أو

---

(١) يختلف المؤرخون في الفترة التي حكم فيها سليمان عليه السلام ، من القرن العاشر قبل الميلاد ، فهناك من يرى أنها في الفترة ٩٧٤-٩٣٢ ق. م (جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص٣٤) ، ومن يرى الفترة ٩٧٣-٩٣٦ق.م (حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، الإسكندرية ١٩٧١م ، ص٨٤) ، ومن يرى الفترة ٩٧٠-٩٣٣ق.م ، ومن يرى الفترة ٩٦٣-٩٢٣ ق. م (فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ترجمه جورج حداد ، وعبد الكريم رافق، بيروت ١٩٥٨م ، ص٢٠٥) وكذا عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ١٩٦٦م، ص٣٨٧ ، ومن يرى الفترة ٩٦١-٩٢٢ ق. م (سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمه وزاد عليه الدكتور/ السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص١٤٣ ، وكذا . Heaton , E , W . , The Old Testament Prophets, London , 1969 , p . 172)

ومن يرى الفترة ٩٦٠- ٩٢٢ ق.م

Albright , W . F . , The Bible and the Ancient Near East , London , 1961 , P P . 120 – 122 .

ممثلاً لتجارتهم ومن الذين كانوا يعيشون في " إيله " [1] . كما عثر في موقع آخر في نفس المنطقة على جرة ضخمة أخرى وعليها كتابة عربية – ربما تكون علامة تجارية لأحد التجار – تشبه في نمط كتابتها تلك التي اكتشفت من قبل[2] .

ومن جملة ما عثر عليه العلماء من آثار في " إيله " أيضاً جرتان عليهما نقوش بأحرف المسند . وقدر العلماء تاريخ صناعتها حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، وقد تدل أحرف المسند هذه على أن صانعيها كانوا يكتبون بهذا القلم ، لأن الخط المسند كان القلم الذي كتب به معظم العرب الجنوبيين سواء المعينيين أو السبئيين أو القتبانيين ، ولا يستبعد أن تلك الآثار لها علاقة وثيقة بالمعينيين لأن الصلات التجارية بين المعينيين وفلسطين معروفة وقائمة في تلك الفترة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الصلات والعلاقات التجارية بين فلسطين والسبئيين كانت أيضاً مستمرة وموجودة ، ويؤكد ذلك العثور على بعض الأدوات السبئية في نفس المنطقة في " أيله "[3] .

وهكذا يظهر لنا بكل وضوح من هذه الأدلة والشواهد وجود علاقات تجارية نشطه بين المعنيين والسبئيين وبين فلسطين ومما هو جدير بالذكر أن العلاقات التجارية بين السبئيين وفلسطين ربما كانت قد بلغت ذروتها بعد تلك الزيارة التي قامت بها ملكة سبأ إلى فلسطين للاجتماع بالنبي سليمان عليه السلام .

وقد أشارت أسفار العهد القديم إلى الصلات والعلاقات التجارية بين السبئيين وسكان فلسطين من العبرانيين ، فقد كان السبئيون يجلبون من أرضهم إلى فلسطين اللبان وقصب الدريره والذهب[4] ، وإن تجار سبأ كانوا يأتون بأفخر أنواع الطيب والأحجار الكريمة والذهب ، وغيرها إلى أسواق فلسطين [5] .

---

(1) Glueck , N . , op . cit , p p . , 105 – 107 .

(2) Ibid . , p p . 107 – 108 .

(3) Bidwell , R . , The two Yemen , Boulder , 1987 , p . 2

(٤) أرميا ٦ : ٢٠ ، أشعياء ٦٠ : ٦ .

(٥) حزقيال : ٢٧ : ٢٢–٢٤ .

ويظهر من سفر يوئيل أن السبئيين كانوا يشترون السبي من فلسطين من بني يهوذا (العبرانيين) ، حيث جاء فيه تهديد لأهل الطور وصيدا بأن رب إسرائيل سينتقم منهم جزاء اعتدائهم على الإسرائيليين ونهبهم ذهبهم وفضتهم وبيعها لليونانيين ، وأنه سيجعلهم عبيدا يباعون في الأسواق إلى السبئيين ، مما يدل على أنهم – أي السبئيين – كانوا من المشترين للرقيق ، ينقلونه إلى بلادهم للاستفادة منهم في شتى نواحي الحياة ، فالجميلات من النساء يتخذونهن زوجات لهم ، والبشعات والقويات يستخدمونهن في الأعمال المختلفة [١]. ونقرأ أن قوافل سبأ كانت تخرج من مواطنها وتسير نحو الشمال حتى تبلغ فلسطين[٢] .

وأن ملوك سبأ كانوا يقدمون الهدايا إلى ملك العبرانيين ، سليمان عليه السلام ، وهي من الذهب الذي عرف بـ " ذهب شبا " تعبيرا عن خضوعهم له[٣] ، غير أن هناك احتمالا أن ما كان يقدمه ملوك سبأ من الذهب إلى سليمان عليه السلام ، إنما هو ضرائب أو مكوس يدفعها السبئيون على تجارتهم في أسواق فلسطين ، وأنها لم تكن هدية بالمعنى المفهوم أو جزية كدليل على خضوع السبئيين لنفوذ الملك سليمان ، لأن دولة سليمان لم يتجاوز حدودها في أقصى اتساعها حدود فلسطين المعروفة ، ولم يحدث في التاريخ أن سيطر العبرانيون على جزء من الجزيرة العربية ، لذلك فإن الاحتمال أن تلك الهدايا ما هي إلا ضريبة لتجارة سبأ في أسواق فلسطين و هو الأكثر قبولا . وفي هذه الإشارات دلالة على الصلات المستمرة التي كانت بين العبرانيين والسبئيين[٤] .

لم يكن النشاط التجاري بين الجزيرة العربية وفلسطين مقصورا على السبئيين وحدهم وإنما كان للعبرانيين نشاطهم التجاري في عهد سليمان ، عليه السلام وقد امتاز

---

(١) يوئيل : ٣ : ٧٥ ، وكذا . جواد علي ٦٣٤/١ ، ٢٣٣/٧-٢٣٤ ، وكذا .
Margoliouth , D . S . The Relation Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam , London , 1942 , p . p . 50 , 181 .

(٢) أيوب : ٦ : ١٩ .

(٣) المزامير ٦٠ : ١٠-١٥ .

(٤) جواد علي : ٢٣٣/٧ .

عهده بنشاط تجاري واسع ، كما أنه أظهر اهتماما عظيما بالتجارة فكان التجار العبرانيون يرحلون إلى جنوب الجزيرة العربية لجلب الذهب والفضة وأنواع العطر وغيرها [١] .

كما أن اليهود كانوا يبيعون الرقيق للسبئيين حيث تذكر التوراة[٢] أيضا " وأبيع بينكم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسبئيين " . ويظهر أن السبئيين كانوا يشترون السبي من فلسطين من بني يهوذا وعلى هذا تؤكد التوراة مدى العلاقة التجارية التي كانت قائمة بين اليهود وفلسطين ، والسبئيين في شمال غرب شبه الجزيرة العربية [٣]. حيث تذكر ذلك التوراة فهناك نص[٤] " تجار شبا ورعمه هم تجارك " ، ونص آخر [٥]: " شبا ودادن وتجار ترشيش " . كل هذا يؤكد مدى تواجد السبئيين في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ومجاورتهم للممالك الإسرائيلية في فلسطين آنذاك ، ومن ثم يتبين لنا أن السبئيين ، الذين ذكرتهم نصوص الملوك الأشوريين تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) وفيما بعد سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ق.م) ، وسنحريب (٧٠٥-٦٨١ق.م) لابد وإن يكونوا منتشرين في تلك المناطق والواحات ، التي تقع في شمال طريق البخور الهام[٦] .

---

(١) الملوك الأول : الجزء العاشر : ١١ ، ٢٢ ، وكذا إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، بيروت ١٩٨٠م ، ص٢٣٢ .

(٢) سفر يوئيل : ٣ : ٣ ، ٧٥ .

(٣) جواد علي : ٦٣٤/١ ، ٢٣٣/٧-٢٣٤ وكذا . Margoliouth , D . S . op . cit .

(٤) سفر حزقيال : ١٣ : ٣٨ .

(٥) سفر جزقيال : ٢٣ : ٢٨ .

(٦) الويس موسل : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور/ عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ١٩٥٢م ، ص٨٦-٨٨، وكذا . جواد علي : ٥٨١/٢ ، وكذا .

Oppenheim , A . L . op . cit . , P . 282 .

وعليه يبدوا واضحا أن العرب الجنوبيين معينين وسبئيين قد ارتبطوا بعلاقات تجارية متبادلة مع فلسطين ، وأن تلك العلاقات استمرت طوال الألف الأولى قبل الميلاد[١] .

لم تكن تجارة المعينيين والسبئيين مقصورة على سورية وإنما شملت مصر والعراق، أيضا ، فقد كانت قوافلهم التجارية تحمل إليهم طلباتهم من منتجات جنوب الجزيرة العربية [٢] ، ومن أهمها " اللبان " و" المر " و " البخور " ، وهناك الكثير من الأدلة والشواهد على وجود مثل تلك العلاقات والصلات التجارية بين المعنيين والسبئيين والمصريين ، فقد عثر في العلا (ديدان) ومدائن صالح (الحجر) على تمثالين حجريين نحتهما فنان منذ نحو ٢٤٠٠ عام لبعض حكام ديدان ولحيان ويظهر فيهما أسلوب الفن المصري بوضوح ، ويعود ذلك حيث ازدهرت تجارة البخور أنذاك لكثرة المعابد في مصر القديمة ، كما عثر على تمثاليين من البرونز لفرعون بطلمي متوج ويجلس في حجر أنثى تقوم بدور الأم ، كما عثر عام ١٩٠٩ميلادية على تمثالين من الحجر في نفس المنطقة والتمثالان يجمعان بين الأسلوب المصري والزي العربي[٣].

ويوجد بعض النصوص والمخربشات المعينية والسبئية والثمودية والنبطية التي تملأ المناطق الصخرية المحيطة بطرق التجارة البرية في أرض مصر ، وتتوزع أغلبها في وديان شبه جزيرة سيناء والشديدة الصلة بالصحراء العربية وقد احتوت على المئات منها ، بينما توزعت العشرات مثلها في مناطق متعددة من وديان صحراء مصر الشرقية وامتدت فيما بين شمالها وبين ما يصل جنوبا إلى مقربة من أسوان ، وكذلك فيما حول الموانئ المصرية الرئيسية على ساحل البحر الأحمر ، وقد سجل معظم هذه

---

(١) جواد علي : ٧/٢٦٩-٢٧٠ .

(٢) عبد المنعم عبد الحليم سيد : " النشاط التجاري للعرب القدماء خارج الجزيرة العربية من خلال النقوش العربية القديمة وروايات الكتاب الكلاسيكيين " ، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، حصاد (٨) ، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص١٧ .

(٣) محمد بيومي مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس ، الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص٣٢٤ .

النصوص والمخربشات كتبة أصحاب القوافل التجارية العربية و المصرية أو وكـــلاء لها عملوا في مصر لفترات طويلة أو قصيرة[١] .

كما عثر في الجيزة وعند قصر البنات عند منتصف وادي الحمامـــات ، وفـــي منطقة إدفو بمحافظة أسوان[٢] بمصر ، على نقوش وكتابات معينيه يرجع بعضها إلـــى أيام الملك الفارس قمبيز (٥٢٥-٥٢ق.م) وبعضها الآخر إلى العصر البطلمي[٣] ، بـــل لقد حددها أحد الباحثين بعام ٢٦٤/٢٦٣ق.م[٤] .

ولعل من أشهر النصوص المدونة بالخط المسند في الجيزة هو نص " زيد بـــن زيد إيل " من عشيرة " زيران " (ظيرن) المعينية وقد عاش زيد فـــي مصـــر فـــترة طويلة وتوفي ودفن فيها ، ويستدل من النص [٥] أنه كان كاهنـــاً فـــي أحـــد المعـــابد المصرية ، على الرغم من أنه لم يكن من أصل مصري ، وقد شارك إلى جانب ذلـــك باستيراد ما تحتاجه المعابد المصريـــة من المنتجـــات العربيـــه كاللبان و المر والزريـــــرة (قصب الطيب) إما لحسابـــه الخاص ومن مالـــه أو لحساب المعابد المصرية ومن أموالها ، ذلك مقابل نقله للمنسوجات الكتانية المصرية الناعمة إلى الجزيرة العربية ، ويـــرى أغلـــب الباحثين أنه كان في عام ٢٦٤ ق. م ، وذلك خلال حكم " بطليموس فيلادلفوس " [٦] .

---

(١) عبد العزيز صالح : " شبه الجزيرة العربية في المصادر القديمة " ، مجلة عالم الفكر ، مجلد الخامس عشـــر ، العدد الأول ، ١٩٨٤م ، ص٣٢١ .

(2) Weigall , A . E . P , Traveles in the Upper E gyptian Deserts , London , 1909 , P . 1 Figs . 13 – 14 ; Winckler , H. , Rock – Drawings of Southern Upper Egypt , Vol – I . London , 1938 , p. 1.

(٣) مظهر علي الأرياني : في تاريخ اليمن ، القاهرة ١٩٧٣م ــ ص١٥ .

(4) Grohman , A . , Arabien , Munchen , 1963 , S . 26 .

(٥) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص١٩-٢١ .

(٦) جواد علي : ٢٦٣/٧-٢٦٥ ، وكذا ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٣٢١-٣٢٢ ، وكذا محمـــد بيومي مهران :المرجع السابق ، ص٣٢٥ ، وكذا . ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربـــي القديم ، ترجمه وزاد عليه ، د . فؤاد حسنين علي ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص١٢٣ . وكذا .

CF. : Rhodokanakis, N, Zeitschrift Fur Semitik und Verwandte Gebiete , Bonds, 1924, ss. 116 – 117 .
Green , F .. W . " Notes on Some Inscriptions in the ETBAI District ," P S B A , 26 , 1959 , P . 274 – 275 .

كذلك وجدت نقوش وكتابات سبئية متنوعة على صخور وادي " العتباي " مشابهة للنقوش التي عثر عليها في قصر البنات في منتصف وادي الحمامات ، بعضها غير ظاهر ، وأكثرها وضوحا كتابة لشخص ربما كان قائدا للقافلة من تلك القوافل السبئية التي كانت تجتاز الطرق التجارية التي تربط موانئ البحر الأحمر ونهر النيل[1] وهكذا نجد الشواهد كلها تشير إلى أن المعنيين وكذلك السبئيين كانوا يقومون خلال القرن الثالث قبل الميلاد برحلات بحرية إلى مصر لنقل منتجات جنوب الجزيرة العربية والتي كانت تستعمل في مصر للتحنيط وتقديم القرابين لآلاف السنين المتعاقبة ، ولكنه من غير المؤكد أن سفنا عربية هي التي كانت تحمل هذه المنتجات خلال الفترات الواقعة بين الرحلات المعروفة التي كان المصريون يقومون بها إلى الجنوب وبين القرن الثالث قبل الميلاد ، وهذا الأمر يبدوا ممكنا على ضوء الأدلة التي انحدرت من أوائل العصر الهيلنسي ، ومع ذلك فإنه لا يمكن إثبات شيء لأن الطريق الآخر هو طريق القوافل البرية التي كانت تعبر صحاري بلاد العرب وسيناء كان قائما أبدا[2] .

وعلى أي حال فإن المعنيين والسبئيين كانوا يقدمون السلع والبضائع التي تحتاجها مصر عن طريق المحطات والمراكز التجارية التابعة لهما والواقعة في شمال الجزيرة العربية ، كديدان (العلا) ومعان وتيماء ، وذلك لقربها من مصر ، فهي على الحدود مباشرة مع الإمبراطورية المصرية .

ويبدوا أن المعينيين كانوا أكثر نشاطاً من السبئيين في تجارتهم الدولية فقد وصل المعينيون بتجارتهم إلى جزيرة " ديلوس Delos " اليونانية ، حيث عثر العلماء على نصوص ونقوش معينية في هذه الجزيرة ورد فيها اسم " هنا " (هاني) " وزيد إيل من

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٢٤ ، وكذا . . Green , F . W . op . cit . , p p . 274 – 275

(٢) محمد بيومي مهران:المرجع السابق ، ص٣٢٧ ، وكذا جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص٦١-٦٢.

ذي خذب نصب مزجح ودالهة معين بدلث " (أي ديلوس) . وقد كتب النص بالخط المسند ، وباليونانية كما ورد باليونانية نص : " ياود إله معين ياود " وهذه النصوص تؤكد وجود جالية معينية في الجزيرة ، وربما كانت هذه الجالية المعينية على اتصال ببلادها – معين – وكانت تتاجر معها ، فتصدر لها حاصلات اليونان والمنتجات الأوروبية وتستورد بالمقابل من معين حاصلات اليمن ومنتجات بلاد العرب الجنوبية وأفريقية والهند[١] .

كذلك يوجد قطعة ضخمة من الجرانيت في المتحف البريطاني بلندن كانت شاهدا لقبر ، وقد كتب عليها بالخط المسند وفق القواعد المتبعة في الكتابات المعينية وجاء في النص المكتوب أنها عائدة لشخص يدعى " هنتسار بن عيسى بن هنتسار " وهو من أسرة " افكل عزاف " ، وقد عثر على هذه القطعة وغيرها من النصوص الميعينة في جزيرة " كريت " الواقعة في البحر المتوسط[٢] .

كما يتبين من بعض المصادر والدراسات ، أنه كانت هناك علاقات تجارية خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد ، بين العراق القديم وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وهناك نص مسماري ينتمي إلى نينورتا – كودوري – أوصر ، حاكم إقليم ماري[٣] وسوخي[٤] ، الذي يرجع إلى مطلع النصف الثاني من القرن الثامن

---

(١) جواد علي : ١٢٤/٢ ، ٢٦٣/٧ .

(٢) أحمد حسين شرف الدين : اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص٦٣ .

(٣) ماري : تل حريري الحالية / على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط وعلى مبعدة تسعة كيلو مترات شمال غرب البوكمال ، أنظر : عيد مرعي : " يخدون – ليم ملك ماري ، (وثيقة تأسيس معبد إله الشمس [شماس] في ماري) " ، دراسات تاريخية لجنة كتابة تاريخ العرب – جامعة دمشق، العددان ، ٢٧ ، ٢٨ ، سنة ١٩٨٧م ، ص٩٩.

(٤) سوخي : أرض سوخي Subu ، الواقعة بين مدينة عناة Anati على الفرات ، ومنطقة الخابور ، أنظر : عارف أحمد إسماعيل غالب : " صلات العراق بشبه جزيرة العرب ، من سنة ١٠٠٠ق.م حتى سنة ٥٣٩ ق.م " ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ، ص١٥٠ .

قبل الميلاد ، وذلك في عهد الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م)، ويذكر فيه قيامه بسلب القوافل التجارية المحملة ، بالبضائع الآتية من سبأ[١] وتيماء حيث جاء في نهايات النص ما يلي [٢]: " أنا نينورتا – كودوري – أوصر ، حاكم إقليم ماري وإقليم سوخي عندما كنت في مدينة كارابيل – أدد بلغني عند الظهيرة ، بأن القوافل الآتية من سبأ Lu ss – b a –a-a-a وتيماء والذين جاءوا من أماكن نائية فلم يمروا بي ولم يأت رسلهم إلي بل اتخذوا طريقهم بالقرب من منابع المياه ، ومن هناك تابعوا سيرهم إلى مدينة خندانوا[٣] – عندما سمعت بهم ظهرا تهيأت ، وفي المساء عبرت النهر وفي اليوم التالي قبل الظهر وصلت إلى مدينة أزلانوا ، وبقيت هناك ثلاثة

---

(١) هناك من يعتقد أن مملكة سبأ ، التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ، لابد أنها كانت إحدى الممالك العربية الجنوبية المقيمة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية باسم " سبأ " أي تيمنا باسم أهل منشئتهم القديم ، في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، أنظر : أحمد ارحيم هبو : تاريخ العرب القديم قبل الإسلام ، حلب ١٩٩١م ، ص١٠١ – ١٠٣ ، وكذا . سبأ والسبيئون والأراء التي دارت حول موطنهم الأصلي ، أنظر : محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص٢٦٥-٢٧٠ . وكذا أنظر : دراسات حديثة عن التوقيت الزمني لدولة سبأ .

Kitchen , K . A . Documentation of Ancient Arabia , Part 1 , Liverpool , University Press , 1994 , p .p .12 –33 61 – 69 , 80 – 111 , 190 –222 , 242 FF .

كما أن هناك دراسة أيضاً ، حديثة ، أنظر : عبد المنعم عبد الحليم سيد : " التقاويم السبئية في ضوء نقش حميري جديد " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، المجلد الأول ، مارس ١٩٩٩م ، ص٨٩ –١٠٦ .

(٢) بهجة خليل إسماعيل : " نصوص نيونورتا – كودوري – أوصر ، حاكم سوخي وماري " ، سومر ، الجزء الأول ، والثاني ، المجلد الثاني والأربعون ، بغداد ١٩٨٦م ، ص٨٧–٨٨ ، وكذا .

Saggs , H . W . Assyria , London , 1984 , p p . 87 – 90 ;
Frame , G ., Ru'lers of Babylonia , I I , Toronto , 1995 , p p . 113 – 115 .

(٣) في الواقع أن منطقة خندانو ، بما فيها الأقاليم المجاورة لها كاقليم سوخي ولاكي ، وعناة وماري في سورية، كانت تشكل وحدة إقليمية ذات علاقات ووشائج مشتركة تمتد إلى أشور وبابل ، وأن مدينة خندانوا ، كانت تحتل مركزاً تجارياً ، وذلك بحكم موقعها سواء على طريق التجارة العابرة في الفرات أو طرق القوافل ، التي تجعلها بوابة الطريق القديم أمام طريق القوافل التجارية القادمة من شمالي وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، أنظر : عبد الصاحب الهر : مدينة خندانو الأثرية (الجابرية العنقاء) ، بغداد ١٩٨٠م ، ص٨–١١ .

أيام ، وفي اليوم الثالث غزوتهم فأخذت مائة من رجالهم أسرى ، ومائتي جمل مع حمولتها ، صوف من نوع تاكيلتوم ، صوف ، حديد ، حجر من نوع باراديلو ، وجميع أسلحتهم ومعداتهم ، أما الغنائم الثقيلة ، فأرسلتها إلى سوخي " ؟

ويتضح من هذا النص أن هناك نظاما كان لدفع الضرائب التجارية للسماح بمرور القوافل التجارية في الأراضي التابعة للسيادة والسيطرة الأشورية ومن ثم فإن السبئيين كانوا معنيين بهذا الدفع ، وإذا ما حاولت القافلة المرور من بعيد عن المراكز المحددة لذلك ، والذي يقتضي المرور فيها نظير دفع الضريبة التجارية للأشوريين ، فإنها تتعرض لعقوبات صارمة من بينها مصادرة ممتلكات القافلة ومعاقبة أفرادها ، أضف إلى ذلك أن سيطرة الأشوريين على طرق المواصلات كانت تهدد المصالح التجارية بين تلك المناطق بمواردها الطبيعية والمجلوبة ، والتي كانت لها أهميتها لسكان تلك المنطقة ، لا تقل عن أهميتها للأشوريين ، الذي كان ازدهارهم الاقتصادي ، يتوقف إلى حد بعيد على مدى قدرتهم للحصول على تلك الموارد بطرق سلمية أو حربية ، وكانت دول ومجتمعات شبه الجزيرة العربية ، تجد نفسها عاجزة عن الوقوف منفردة أمام هجمات الأشوريين العنيفة ، ولذلك كانت مصالحها تدفعها ، أحيانا لتشكيل الأحلاف والتوحيد لوقف الزحف الأشوري[1] .

كما يكشف لنا النص عن المواد التجارية والغنائم الثقيلة التي أرسلها إلى سوخي ، ولعله قصد بعبارة " الغنائم الثقيلة " أن يكون البخور .

إن هذا النص يعد على درجة كبيرة من الأهمية ، فهو إلى جانب كونه يقدم لنا مادة واضحة عن المواد التجارية ، القادمة من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، وعبر المهمات التجارية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية خلال هذه الحقبة

---

(١) فيصل الوائلي : " تاريخ العرب القديم في النصوص الاشورية (٨٥٣-٦٣٠ق.م) " أبحاث تاريخية مهداة من أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ- الذكرى والتاريخ ، الى جامعة الكويت بمناسبة عيدها العاشر ، إشراف الدكتور / شاكر مصطفى ، الكويت ١٩٧٨م ، ص١٠١ ، وكذا .
Saggs , H . W ., The Greatness That Was Babylon , London , 1962 , p . 98 .

التاريخية ، فإنه كذلك يساعدنا على فهم ما يشير إلى أن تجلات بلا سر الثالث ، قد أخذ الجزية من سبأ وتيماء[١] ، وكذلك إن تواجد الجاليات السبئية في " ديدان " (العلا) وحولها ، والتي كانت حاميات عسكرية بغرض حراسة التجارة وطرقها ، كما أنها كانت تعمل بالتجارة ، وعلى ما يبدو فإن السبئين لم يكتفوا بهذه الأعمال ، بل انصرفوا في تربية الجمال والنوق والأغنام ، ويبدو ذلك واضحا من نص التوراة [٢] " تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب " .

وهناك نص يخص الملك تجلات بلا سر الثالث في العام ٧٣٤ ق.م[٣] : " نصبت ادبئيل[٤] كحارس للحملات على حدود موصري وفي كل البلاد التي .. (أنا تلقيت منها) الجزية .. ؟؟ ، ويتضح من هذا النص ، مدى اهتمام الملك تجلات بلاسر بتلك المناطق مما دفعه إلى اختيار قبيلة ادبئيل كحارسه لحدود سوريا الجنوبية من هجمات العرب القاطنة في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية .

وهكذا يبدو أقرب إلى الاحتمال أن السبئيين المتصلين بدولة أشور ، كانوا مجرد جاليات تجارية أقامت في تيماء وديدان ومجاوراتها[٥] ، لترعى المصالح التجارية لدولتها على طرق القوافل ، وربما أن هذا الأمر يمتد إلى زمن بعيد ، حيث هناك

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٧٦ ، وكذا .

Musil . a . op . cit , p . 288 .
Van Branden , A . , op . cit ., p.7 ..

(٢) أشعيا : ٦٠ : ٦ .

(3) Oppenhiem , A . L . , op , cit . p . 282 .

(٤) هناك من يترجمه باسم : " ايد بيعيلي ، أنظر : فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨٧ ، وهي إحدى القبائل ، التي جاء ذكرها في التوارة من جملة القبائل الإسماعيلية ، وجعلت مستقراتهم جنوب البحر الميت وبالقرب من غزة وعلى جنوبها الغربي ، وتمتد غربا باتجاه سيناء ، ويذكر الويس موسل أن هذا الاسم أطلق على الأسرة الحاكمة وهلي مسمى القبيلة نفسها أو اسم شيخ القبيلة ، أنظر : جواد علي : ٢/٥٨٤ .

(٥) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الطبعة الثانية ، دار الشئون العامة ، بغداد ١٩٨٦م ، ص١٩٥ ، وكذا . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٧٠ ، وكذا . سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص١٩٢ ، وكذا . Musil , A . op . cit , p . p 288 F , 295

إشارات في التوراة إلى سكنى السبئيين في واحات شمالية غربية ، ويحملون تجارتهم بواسطة قوافل[1] ومن ثم فقد كانت هذه الجاليات تحس بسطوة الأشوريين فعلا لقربها منهم ، وترى من مصلحتها أن تنتفع من الاتجار معهم والاحتماء بهم . ولم تجد بأسا من أن تقدم إلى ملوكهم هداياها بأسماء ملوك دولتها الجنوبية ،كما أن الأشوريين لم يجدوا بأسا من ناحيتهم في أن يروا طاعتها لهم تعبيرا عن طاعة دولتها الجنوبية لسلطانهم[2] .

ويذكر أحد الباحثين أنه من الملاحظ وجود مكان بالقرب من باغوز ، على الحدود السورية ، يسمى (سبأه) ويعود إلى العصر الأشوري الحديث ، وكثيرا ما تسمى الأماكن بأسماء مستوطنيها ، ونظرا لكون المنطقة بالكامل منطقة مرور ونشاط تجاري ، فمن الممكن الافتراض أنه كانت توجد جالية تجارية مستقرة للسبئيين في هذه المنطقة ، لتقوم بتصريف شئون التجارة داخل العراق القديم من جانب ، ومن جانب آخر لتنظيم وتوجيه القسم المتجه إلى سورية من القافلة التجارية القادمة من سبأ ، إلا أن مثل هذه الفرضية تبقى ضعيفة ، حتى تظهر اكتشافات حديثة تأكدها في تلك المنطقة[3] .

إن استقرار النصوص الأشورية تشير إلى أن العرب القدامى كانوا ينتشرون في مناطق البوادي للأقسام الشمالية لشبه الجزيرة العربية من حدود الفرات شرقا وإلى خليج العقبة غربا ويتركزون في العقد الرئيسية على طريق التجارة في هذه الأقسام ، وبخاصة مدن الواحات منها ، وهم في ذلك يجاورون المدن الرئيسية في العراق القديم ، وخاصة بابل كما في دمشق في سورية ، وأيضا أورشليم في فلسطين ، وكذلك بالنسبة لمدن وموانئ شرق البحر المتوسط ، ولأنهم أصحاب الجمل والوحيدون لعبور

---

(١) أخبار الأيام الأول : ١ : ٣٢ (شبا وددان) وكذا سفر أيوب ٦ : ١٩ .

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٤٩-٥٠ .

(٣) عارف أحمد إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص١١٠ .

المناطق الصحراوية ، فهم بالنتيجة سادة الخطوط التجارية البرية في اتجاهاتها المختلفة [١].

وكما تشير أيضا النصوص الأشورية إلى مواد الجزية المفروضة على العرب والهدايا منهم للأشوريين ، إلى ثروات كبيرة ومنوعة عند العرب ، منها الذهب على شكل تراب والأحجار الكريمة والطيوب ، ومن أبرز الحيوانات التي أخذت كجزية أو غنيمة حرب هو الجمل ، كما أنها تشير إلى امتلاكهم ناحية الخطوط التجارية البرية في شبه الجزيرة العربية[٢] .

وهناك منظر محفوظ في المتحف البريطاني ، من عهد أشور بانيبال لنحت بارز ، يمثل جملين باركين على الأرض ، أحدهما تبدو منه رأسه وجزء من رقبته الطويلة ، بينما نرى في الثاني الجمل كاملا ، ومما يبدو أن هذا المنظر يمثل جزء من قافلة تجارية ، والدليل على ذلك المواد التجارية المحملة والموثوقة على ظهر الجمل ، وربما قد تعرضت القافلة لهجوم استهدف نهبها ، ومما يوحي إلى ذلك بأن حراس القافلة يقاتلون دفاعا عن القافلة ، بعد أن ابركوا جمالهم[٣] .

وهناك أيضا نحت بارز ، والذي يمثل ارتفاعه ٧٠سم عثر عليه في تل حلف (مدينة كوزانا القديمة) ، من القرن التاسع ق.م ويمثل هذا المنظر رجلا يجلس على ما يشبه الصندوق المثبت على ظهر جمل في وضع المشي ، ويمسك بيده عصا وله شعر طويل ، ويربط رأسه بما يشبه العقال ، ويلاحظ أن الرجل يرتدي رداء يغطي الجسم كله ، ويصل إلى ما فوق الركبة ، وفي حين ربط من وسط الجسم بمئزر ، وربما أن هذا المئزر يمثل تاجرا عربيا شد بضاعته على ظهر الجمل ثم اعتلاه مسيرا جمله إلى حيث قصد ، وتنطبق على الرجل عموما صفات وهيئة العربي[٤] .

---

(١) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٤٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص٦٧٠-٦٧١ .

(٣) عارف أحمد إسماعيل غالب : المرجع السابق ، ص١٦٥ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص١٦٥ .

هذا ما كان في العصر الأشوري الحديث أما في عصر الدولة البابلية الكلدية ، فقد كان لتوحيد قوى الميديين وتركزهم في الأقسام الشمالية الغربية من إيران حول عاصمتهم اكبتانا (همدان الحالية) ، ابلغ الأثر على اقتصاديات الدولة البابلية الكلدية ، فقد أبعدهم ذلك عن السيطرة على الطرق التجارية القادمة من شرق وشمال إيران، والتي كانت تتسرب سابقا نحو الغرب لصالح الأشوريين - لذلك تحولت اهتمامات الملوك البابليين الكلديين صوب الناحية الغربية والجنوبية من سورية ، حيث مواطن العرب[١] ، ولم تكن دوافع هذا الاهتمام سياسية عسكرية فحسب ، وإنما اقتصادية في المقام الأول ، ويتحول هذا الهدف الاقتصادي تدريجيا- مع ازدياد الصعوبات المالية وتدهور الدولة الاقتصادي - إلى هدف مركزي على عهد الملك الكلدي نبونيد [٢].

إن العامل الاقتصادي يفرض نفسه في غالب الأحيان في مقدمة العوامل المؤثرة على حركة التاريخ وأحداثه ، وسنلاحظ أثر هذا العامل الهام على طبيعة العلاقات بين البابليين الكلديين والعرب ، حيث قتل أميرها وذبح قطعان الماشية لسكان المدينة وأطرافها[٣] ، ويؤكد نبونيد أن بلاد العرب وكل الملوك الذين أظهروا أعداء ، أرسلوا له برسلهم طالبين السلم وحسن العلاقات وأن مدن الواحات ، التي ذكرها نص نبونيد تكتسب أهمية خاصة ، حيث تحتل مراكز ذات تأثير كبير على النشاطات الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية وأبرز أثر اقتصادي لها هو بسبب تميز تربتها الخصبة ، وبساتينها ونخيلها ومياه عيونها ، فقد جعلت هذه الموصفات منها مراكز استيطان عربية قديمة وأجبرت خطوط التجارة الرئيسية ، وخصوصا القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية المرور بها[٤] .

---

(1) Saggs , H . W . op . cit . , p p . 143 F .

(٢) رضا جواد الهاشمي : " العرب في ضوء المصادر المسمارية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثاني والعشرين ، ١٩٧٨م ، ص٦٦٠-٦٦١ .

(3) Gadd , C . J . , op . cit . , p . 84 .

(٤) رضا جواد الهاشمي : أثار الخليج العربي بالجزيرة العربية ، بغداد ١٩٨٤م ، ص٣٨ .

وهكذا يبدو أن نبونيد قد وطن بعض رعاياه جميع هـــذه الواحـــات ، لغـــرض الإقامة فيها وحمايتها ، ويعبر عن ذلك بقوله[١] : " نشرت شعبي خارجا فـــي الأقـــاليم البعيدة .. "

وهناك نص يخص نبونيد جاء فيه :

" عند بداية العام الثالث أمن المعسكر إلى أبنه الأكبر (البكر) وقواتـــه حيـــث كانت في الوطن تأتمر (بقيادته) وهو جعل (كل شيء) يذهب ، وأتمن المملكة لـــه ، وبنفسه بدأ رحلته الطويلة ، القوات (العسكرية) لأكد سارت بقيادته نحو تيماء (فـــي العمق تجاه الغرب ، بدأ بحملته على الطريق إلى (منطقة) بعيدة ، وعندما وصل إلـــى هنا ، قتل أمير تيماء في المعركة وذبح ماشية سكان المدينة بالإضافة إلى سكان الأقاليم المجاورة .. " [٢] ، وفي نص آخر :

" .. جعلنـــي أغادر مدينتي بابل وأسير على الطريق إلى تيماء ودادان وبـــاداكو (فدك) وخيرا (خيبر) وجاديهو (يديع) ، وحتى بعيدا إلى جاتر يبـــو (يـــثرب) ولمدة عشر سنوات .. "[٣] .

لعل من أسباب إنتقال نبونيد إلى تيماء :

أولا : ربما أراد مساعدة العرب لمواجهة خطر قورش الفارسي المتزايد ، وأنه فضـــل الحياة البسيطة والعيش بين سكان الصحراء ، هذا إلى جـــانب محاولـــة نبونيـــد لتوحيد القبائل الأرامية في حران والقبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربيـــة وجعلها تقف في صف واحد معه من أجل التصدي للهجوم الميدي المتوقع[٤] .

ثانيا : أنه رأى أن التجارة العربية قد ازدهرت كثيرا وأن هنـــاك احتمـــالات وجـــود تخطيطات فارسية ومصرية للسيطرة على منافذ وطرق تجارة شمال غرب شـــبه

---

(1) Gadd , C . J . , op . cit . , p p 86 .

(2) Oppenhiem , A . L . , op . cit . p . 313 .

(3) Ibid . , p . 562

(٤) سامي سعيد الأحمد : " سلالة بابل الحديثة " (٦٢٦-٥٢٩ق.م) العراق فـــي التـــاريخ ، بغـــداد ١٩٨٣م ، ص١٧٥ .

الجزيرة العربية وجنوبها ، مما يؤدي إلى خنق العراق القديم اقتصاديا وأن ذلك من شأنه أن يخلف وضعا صعبا بالنسبة للدولة البابلية الكلدية حيث أخذ في الاعتبار احتمال سيطرة الأخمينين والمصريين على الطريق التجاري القادم من جنوب غربي شبه الجزيرة العربية إلى شمالها الغربي ، مما جعله ينقل مقر حكمه إلى تيماء .

وهذا يدل على الأهمية القصوى لهذا الطريق بالنسبة للعراق القديم ، باعتباره شريان تغذية رئيسي لاقتصادها ، وهو الأمر الذي يعكس قوة العلاقة بين العراق القديم وشمال غرب شبه الجزيرة العربية والقائمة على الأسس الاقتصادية والمصالح المشتركة[١] .

ومن الأدلة ، أيضا ، على العلاقات الاقتصادية بين الكلديين والسبئيين هو ما ذكره هيردوت من أن الكلديين كانوا يحرقون حوالي طن ونصف من البخور للمعبودات سنويا في أعيادها الدينية[٢] .

مما سبق يتبين وجود علاقات تتسم أحيانا بالسلم وأحيانا أخرى بالحرب ما بين العراق القديم في العصرين الأشوري ، والكلدي وبين شمال غرب شبه الجزيرة العربية المتمثلة في سيطرة سبأ عليها ، وأن هذه العلاقات كانت تعتمد على خصائص تجارية ومصالح مشتركة ، حيث نجد رغبة لدى العراق القديم في الحصول على احتياجاتها من تجارة سبأ وإيجاد مورد للدخل لديها والمتمثل في الجزية أحيانا والهدايا أحيانا أخرى وذلك مقابل الحماية للثانية ، والتي ترى ذلك ضرورة لحماية تجارتها وتأمينا لطرق التجارة .

---

(١) رضا جواد الهاشمي : " التجارة " ، حضارة العراق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٥م ، ص٢٠١ ، وكذا . جورج رو : العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين ، ومراجعة فاضل عبد الواحد علي ، بغداد ١٩٨٦م ، ص٥١٦ .

(2) Herodotus , The Histories , Book . 1 . , p . 114

الأنباط ونشاطهم التجاري :

بحكم سيطرة الأنباط على الأجزاء الجنوبية من فلسطين فقد كان لهم نشاط تجاري كثيف مع سكان فلسطين حيث حملت قوافل الأنباط التجارية البضائع المختلفة التي تلبي احتياجات وطلبات الأسواق هناك ، فكانت تنقل منتجات جنوب الجزيرة العربية كالمر واللبان والبخور والتوابل ، وكذلك كانت تنقل الأخشاب الثمينة والموسلين من الهند و اللؤلؤ من الخليج العربي ، و الأواني الزجاجية والأرجوان من صيدا وصور ، والقار (الزفت) الموجود في البحر الميت ، والحرير الدمشقي ، وكذلك الأقمشة المقصبة والمطرزات ، والأصباغ والمرجان ، والذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد، والأحجار الكريمة وزيت السمسم ، والسكر ، والقطن ، وغير ذلك وكانوا يبيعون هذه السلع والبضائع في أسواق فلسطين في حين تحمل كميات أخرى من هذه السلع والبضائع إلى موانئ " غزة " و "عسقلان " ومنها تحملها السفن إلى مصر وأوروبا عبر شمال أفريقية[1] .

كما كانت قوافلهم التجارية تحمل في طريق العودة منتجات فلسطين وسورية الزراعية والصناعية إلى الجزيرة العربية والعراق والخليج ومنها إلى الهند والصين .

ولقد عرف الأنباط كثرة الطلب على مثل هذه السلع والبضائع والمنتجات الزراعية والصناعية في أسواق العالم القديم ، والأسعار التي تدفع لشراء مثل هذه المواد والسلع وما يعود عليهم من مكاسب كبيرة عند بيعها لذلك نجد أن قوافلهم التجارية كانت تحمل هذه الأنواع المختلفة من السلع والبضائع لتسد احتياجات وطلبات العالم القديم المتزايدة .

ولقد حرص الأنباط على جعل طرق التجارة الدولية الواقعة ضمن حدود مملكتهم أكثر أمانا وسلامة للقوافل التجارية فانشاؤا الحصون والقلاع وكذلك المخافر

---

(١) حول هذا الموضوع بالتفصيل أنظر : فيليب حتي : المرجع السابق ، ص٤٢٥ -٤٢٦ ، وكذا ، صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٩م ، ص٤٣ .

وأبراج المراقبة على طول الطرق التجارية لحماية القوافل من السلب والنهب ، كما وضعوا فرقا من القوات المسلحة والجيش عند تلك الحصون ليستنجدوا بها عند الضرورة [١] ، في حين كانوا يرسلون أيضا وحدات من الجيش مع القوافل التجارية لحمايتها والدفاع عنها ، حتى أن قوافلهم التجارية كانت في مسيرتها تشبه الجيوش المتجهة إلى ميادين الحرب ، وفي مقابل هذه الحماية فإن القوافل التجارية التي كانت تمر في أراضيهم تدفع مكوسا عالية للأنباط لأنها ستضمن حماية أموالها وبالتالي مكاسبها[٢] .

وقد أكدت الكشوف الحديثة التي قام بها علماء الآثار والمتخصصون عن مدى سيطرة الأنباط وتحكمهم في الطرق التجارية والنشاط التجاري في كل من شمال غرب الجزيرة العربية والأردن وجنوبي سورية وفلسطين ، فقد عثر هؤلاء العلماء المتخصصون على أعداد كبيرة من النقوش والكسر الفخارية النبطية ، وغيرها من الآثار النبطية على طول المنطقة الممتدة من " ينبع البحر " على الساحل الشرقي للبحر الأحمر و " البوير " شمال يثرب – في الجنوب ، وحتى خليج العقبة ومنطقة " تبوك " في الشمال ، وهي منطقة واسعة تشمل الأجزاء الشمالية من إقليم الحجاز ، كما عثر أيضا على مثل هذه الآثار النبطية في "وادي السرحان " وفي منطقة " الجوف " و " سكاكا " و " الطوير " و " قريات الملح " و " تيماء " و " أثرا "[٣] .

كذلك عثر هؤلاء العلماء على أعداد هائلة من الكسر الفخارية النبطية وغيرها من الآثار النبطية على امتداد " وادي السرحان " وفي سهول الأردن وعلى طول " وادي عربة " وكذلك جنوب البحر المتوسط في غرب وادي غزه و جنوبي سورية عند منطقة " حوران " وجبل الدروز "[٤] ، كما لاحظ هؤلاء العلماء التشابه في النمط بين الآثار الموجودة في جنوب فلسطين وتلك الموجودة في " البتراء " عاصمة

---

(1) Glueck , N , op. cit . , p .p 40 –43 . 158 , 173 .
Erskine , B , " The Hebrew Kingdom " in Cambridge Ancient History, I I , Part 2 , Cambridge , 1975 , p .p . 33 . 35

(2)Glueck , N . op . cit . p . 158 ; Schoff , W .H. ,The Periplus of the Erythraean Sea , Translated from Greek, New York , and London 1912, p.p.29,154.

(3)Starcky . J.," Une Inscriptions Nabateene Provenant du Djof " Revue Biblique, 64 , 1957 , P P . 96 – 115 , 144-146 .

(4) Glueck , N , op , cit , p .p . 13 , 40 – 43 . , 133 , 158 , 173 – 175 .

الأنباط ، مما يدل على مدى تأثير هذه المنطقة بحضارة الأنباط ، جاءت نتيجة هذه الاتصالات التي قامت بينهما[١] .

وهكذا أدرك الأنباط أهمية التجارة كمورد أساسي لثروتهم ومصدراً لقوتهم فحرصوا على استمرارها ، كما قاموا بشتى السبل لحمايتها والمحافظة عليها ، فعندما قام البطالمة في مصر بمحاولة احتكار التجارة البحرية والسيطرة على البحر الأحمر ، أحس الأنباط بالخطر الذي يهدد مصدر ثروتهم والخسائر التي يمكن أن تلحق بهم لذلك استغلوا فرصة الحروب المتسمرة بين البطالمة والسلوقيين فأخذوا يشنون الغارات المتتالية على السفن التجارية التي كانت تذهب وتأتي من والي مصر[٢] .

وقد استمر الأنباط في نشاطهم التجاري واستمرت قيادتهم للقوافل التجارية حتى بعد ضياع نفوذهم السياسي وضم الرومان مملكتهم إلى الإمبراطورية الرومانية ، وظلت قوافلهم التجارية في نقل السلع بين مصر وبلاد العرب وموانئ البحر الأحمر الموجودة على السواحل المصرية ، ربما حتى القرن الثالث الميلادي كما تدلنا على ذلك النقوش النبطية التي عثر عليها في داخل مصر وفي طور سيناء[٣] .

وعلى هذا نرى أن الصلات والعلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين في عهد مملكة الأنباط كانت جد وثيقة بحكم موقع دولتهم الذي يسيطر على الطرق التجارية الموصلة من وإلى فلسطين وكذلك بحكم العلاقات السياسية و المصاهرة التي ربطت بينهم وبين دولة يهودا وقد أدى هذا الاتصال الوثيق خصوصاً في مجال التجارة بين الأنباط واليهود إلى درجة أن اليهود دونوا عقود البيع والشراء التي كانت تجري بين الطرفين باللغة النبطية وقد استمر اليهود في تدوين كتاباتهم بالخط النبطي حتى بعد سقوط الأنباط في عام ١٠٦ ميلادية[٤] .

---

(1) Albright, W . F , The Archaeology of Palestine , London , 1949 , p . 164 .

(٢) جواد علي : ٣/٢١-٢٢ ، وكذا .

محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٥٠٤ ، ٥٠٧ .

(٣) جواد علي : ٣/٤٩-٥٠ ، وكذا .

محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٥٢١ .

(٤) جواد علي : ٣/١٥ .

اللحيانيون ونشاطهم التجاري :

ومن أشهر مراكزهم التجارية كانت " ديدان " و " الحجر "[1] حيث أن موقعها أكسبها أهمية عظيمة ، فكلاهما كان عقده من عقد الطرق التجارية المهمة التي تربط الجزيرة العربية بالعراق ومصر وسورية في العصور القديمة ، فالقوافل التجارية القادمة من جنوب جزيرة العرب تتجمع فيها ومن ثم تتفرع إلى اتجاهين أحدهما نحو العراق والآخر يستمر في الاتجاه شمالا نحو سورية ومصر ، كما أن القوافل التجارية العائدة من هذه المناطق تتجمع فيها قبل أن تكمل طريقها نحو الجنوب ، وقد أدرك اللحيانيون أهمية منطقتهم بالنسبة للتجارة ، لذلك نجد أنهم كغيرهم من الشعوب التي عاشت في المنطقة يشتغلون في التجارة .

وقد حرص اللحيانيون على تأمين الطرق التجارية وحمايتها ، كما أنهم عملوا على إزالة العوامل التي تهدد وتعرقل شئونهم ومصالحهم التجارية فعندما أحس اللحيانيون بأن الأنباط يطمعون في أرضهم ويعرقلون تجارتهم التي كان لابد لها أن تمر في أرض الأنباط فإنهم لجأو إلى " البطالمة " وأخذوا يترددون إليهم ليحموهم من تدخل وتحكم الأنباط في شئونهم ، وظل اللحيانيون على هذه السياسة طوال حكم البطالمة فلما حل الرومان محلهم كان موقف اللحيانيون منهم موقفا وديا لأنهم أنقذوهم من سيطرة الأنباط عليهم[2] .

---

(١) يرى بليني أن " الحجر " (Hagra , Agra , Hagrat) كانت هي عاصمة اللحيانيين ومدينتهم الملكية The Royal City وليس" ديدان " كما رأى معظم الباحثين : أنظر : فيليب حتي : تاريخ العرب (مطول) – ترجمة ادوارد جرجي ود . جبرائيل جبور – بيروت ١٩٦٥م ، ص٧٠، وكذا . محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، الرياض ١٩٨٠م ، ص٤٩٢ ، وكذا

Musil , The Northern Nejd , New York , 1928 , p . 299

(٢) جواد علي : ٢/٢٤٦-٢٤٧ .

Caskel . W . op . cit . , p . 39 .
Altheim , F . und Stiehl , R . op. Cit . . p 15 .
Tarn , W . W . op. Cit . , P P . 9 –136 .

وبحكم موقع مملكتهم فقد ارتبط اللحيانيون بعلاقات تجارية مع الدول المجاوره لهم مثل مصر وفلسطين ، وكانت صلاتهم التجارية وثيقة بمصر لدرجة أنهم تأثروا بالثقافة اليونانية التي كانت منتشرة وشائعة أنذاك [١] .

وليس من المستبعد أنه كان لهم نشاطا تجاريا مع فلسطين فموقع مملكة لحيان في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة العربية لتكون قريبة من فلسطين وسورية عموما يجعل احتمال وجود علاقات وصلات تجارية بينهم وبين فلسطين أمرا مقبولا وطبيعيا ، ولكنه لما كانت معلوماتنا عن تاريخ اللحيانيين ومملكتهم ضئيله لأن النقوش والكتابات والآثار اللحيانية التي عثر عليها العلماء قليلة وأكثرها يدور حول أمور شخصية ، لذلك فإن هناك حاجة إلى المزيد من التنقيب والكشف عن آثارهم حتى تزيد معارفنا عنهم وعليه فإن جانب العلاقات التجارية التي كانت تربط مملكة لحيان بفلسطين سيظل ضئيلا للأسباب التي ذكرناها وحتى العثور على معلومات جديدة في هذا الخصوص[٢].

وهكذا فإنه من المحتمل أنه كان هناك اتصال وعلاقات تجارية بين مملكة لحيان وفلسطين تتم عن طريق القوافل التجارية البرية ، وكذلك عن طريق البحر ويرى أحد الباحثين أن تسمية الكتاب الإغريق خليج العقبة باسم " خليج لحيان " كان مجرد صدفة بل أنه دليل على نشاطهم وحركتهم التجارية في هذا الخليج[٣] ، فضلا عن أنه دليل على أنهم كانوا يسيطرون على الطريق البحري المتجه إلى ميناء إيلات في الشمال ، حتى أن البحاره والتجار الإغريق كانوا يدفعون المكوس (رسوم عبور) إلى اللحيانيين[٤] .

---

(1) Musil , (A) , The Northern Hegaz , p 295 .

(2) Musil , A . , op . cit . , p . 295 .

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٥٢٧ ، وكذا Musil A , op . cit . , p p . 295 , 302 – 356 .

(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، وكذا ، Musil A , op , cit . p . 295 .

كما أنه لوحظ أن المقابر اللحيانية المنتشرة في عاصمة مملكتهـــم (ديـدان = العلا) تتميز عن المقابر في " الحجر " (مدائن صالح) إذ أنها شبه مربعة الشـكل ولا تزيد فتحتها عن متر مربع وعمقها حوالي مترين في داخل الصخر ،وقد وجدت أمثـال هذه المقابر اللحيانية في فلسطين والإسكندرية [1]، وربما كان هذا دليلا علـى وجـود علاقات تجارية بين اللحيانيين وفلسطين ، لأن التأثيرات الحضارية تنتقل – كمـا هـو معروف – عن طريق الاتصالات التجارية التي تحدث بيـن الشـعوب والحضـارات المختلفة .

(١) عبد الرحمن الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية " ، مجلة الدارة، العدد الأول ، الرياض ١٩٧٥م ، ص٧٩ .

الغساسنة ونشاطهم التجاري :

استفاد العرب الغساسنة في الشام في موقع دولتهم الممتـــازة الموصـــل بيـــن المشرق وعالم البحر المتوسط فاشتغلوا بالتجارة فجمعوا منها الثروات وظهروا بمظهر الملوك مثلهم في ذلك مثل أسلافهم ملوك الأنباط وتدمر والحضر وغيرهم[١] ، وبسقوط دولة تدمر العربيـــة انتقلـــت الطرق التجاريـــة مـــرة أخرى إلى الجنوب وحلت مدينة " بصرى "[٢] وغيرها من مدن دولة الغساسنة محل تدمر وورثتها كمـــا ســـبق ، وأن ورثت تدمر " البتراء "[٣] ، فأصبحت دولة الغساسنة – بحكم موقعها – تســـيطر علـــى طرق القوافل التجارية وبالتالي تتحكم في التجارة الدولية في تلك الفترة التي تمر عـــبر أراضيها .

وقد استغل تجار الغساسنة موقع دولتهم كمحطة رئيسية لنزول القوافل التجاريـــة عند التقاء الطرق التي تعبر الصحراء من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وكذلك من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام ، فدولتهم كانت همزة الوصل بين أراضـــي الفرات الشمالية الغربية الخصبة (ما بين الحيرة وتدمر) وبين أراضي الشام الشـــمالية الشرقية (ما بين تدمر وخليج العقبة) وكذلك همزة الوصل ما بين الحـــيرة والبـــتراء عبر شمالي الجزيرة العربية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك نقصاً كبيراً في المعلومات عن تاريخ الغساسنة فضلاً عن أنه تاريخ يلفه الغموض ، لذلك فإن الحديث عن نشاط الغساســـنة التجـــاري يصطدم بنفس المشكلة وهي عدم توفر معلومات تاريخية عن التجـــارة فـــي عـــهد الغساسنة ، وعليه فإن المعلومات التاريخية عن التجارة في عهدهم ستبقى مسألة مبنيـــة

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٧٦م ، ص٢٠١ .

(٢) بُصْرىَ مدينة قديمة في إقليم حوران وهي تعرف اليوم باسم بصرى الشام ، وهي تقع في محافظـــة درعـــا بسورية وتبعد حوالي ٥٧ ميلاً إلى الجنوب من دمشق ، ويعرفها الأتراك باسم " اسكي شـــام " أو " الشام القديمة " أنظر : فيليب حتي : المرجع السابق ، ص٣٢٣ .

(٣) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب – عصر ما قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٥٢م ، ص٩٤ .

على النظريات والافتراضات وكذلك قياسا على ما كان قد جرى في عهد أسلافهم من الممالك العربية الشمالية مثل مملكة لحيان والأنباط وتدمر وإن أي معلومات تاريخية حول هذا الموضوع ستتوفر مستقبلا فإنها سوف تؤثر على ما قد نتوصل إليه من نتائج لهذه الافتراضات والنظريات .

ويمكن أن نستنتج اعتمادا على المصادر الأدبية أن الغساسنة كانوا أصحاب حضارة راقية جاءت وليدة الازدهار الاقتصادي في دولتهم ، جعلت منهم أصحاب ثروة عظيمة ، وإذا حاولنا معرفة مصدر غناهم وثروتهم فإننا لا نجد أي وسيلة أفضل من التجارة فهي كانت أعظم مصدر للثروة والغنى لجميع الممالك العربية الشمالية ، وبالمقارنة لما وصل إليه أسلافهم اللحيانيون والأنباط والتدمريون من غنى وثروة عن طريق اشتغالهم في مجال التجارة فإن افتراض أن الحالة نفسها قد تكررت في عصر الغساسنة تصبح مسألة أكثر قبولا .

وقد فتحت التجارة للغساسنة بابا كبيرا للرزق ، فمنهم من كان تاجرا ومنهم من كان يصاحب القوافل التجارية دليلا لها عند المرور في أرضهم لمعرفتهم بمسالك الطرق عبر الصحراء ، وقد استفادوا من التجارة ماديا حيث كانت تدر عليهم أرباحا كثيرة ، فكانت دولة الغساسنة تتقاضى المكوس العالية عن التجارة التي كانت تمر ببلادهم ، كما كانت تتقاضى مكوسا عالية عند التجارة التي تحمل إليها في أسواقها وقد جنت من ذلك ثروة طائلة[1] .

ومن صور العلاقات التجارية بين الجزيرة العربية وفلسطين ذلك النشاط التجاري الذي كان قائما بين قريش والغساسنة ، فقد استفاد أهل مكة من سوء الأوضاع التي طرأت على اليمن بعد احتلاله من قبل الأحباش في القرن السادس الميلادي وكذلك من تردى الأوضاع السياسية والاضطرابات والصراعات المستمرة بين الوطنيين والغزاة الأحباش وإنحسار كل نفوذ سياسي أو عسكري كان لحكومات اليمن في

---

(١) جواد علي : ٧/٤٧٨-٤٧٩ .

الحجاز ، أو على بعض القبائل ، فوجدت قريش نفسها حرة مستقلة ، وفي وضع يمكنها من الاشتغال بالتجارة فقامت بمهنة الوسيط التجاري ، فكانت تنقل تجارة أهل اليمن والعربية الجنوبية إلى أسواق فلسطين ، كما كانت تنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ، ونجد واليمن[1] .

وتحمل قوافل قريش التجارية في رحلة الصيف إلى الشام منتجات بلاد اليمن كما تحمل حاصلات أفريقية الشرقية ،وكذلك حاصلات جزيرة سقطرة وسلع الهند ، وكذلك تعود قوافلهم بالسلع من الشام[2] .

هذا ولم يكن ملوك الدولة البيزنطية يرسلون قوافل تجارية خاصة بهم لكي تتاجر في الجزيرة العربية ، كما أن حكام الدولة التابعة لهم في بلاد الشام (كالغساسنة) لم يتاجروا باسم حكومتهم وبأسمائهم مع الجزيرة العربية ولكن التجار العرب (كالقرشيين) كانوا هم الذين يرسلون قوافلهم إلى بلاد الشام فكانت هذه القوافل إذا دخلت مناطق نفوذ الدولة البيزنطية تدفع الضرائب إلى التابعين للدولة فيسمح لهم بأن يذهبوا إلى الأسواق لكي يبيعوا تجارتهم ، وكانت " بصرى " هي السوق الرئيسية للتجار العرب ومنتهى قوافلهم ، فعلاقة أهل الحجاز ولا سميا أهل مكة بالشام كانت علاقة تجارية وعليها كانت تتوقف العلاقات السياسية في أغلب الأحيان[3] .

وهكذا يبدو جليا أنه كانت هناك علاقات تجارية تربط الجزيرة العربية بفلسطين في عهد الغساسنة حيث كانت قوافل تجار الحجاز ولا سميا القرشيين في مكة تقوم بنقل السلع والبضائع إلى أسواق فلسطين ، ومن ثم تعود منها محملة بسلع وبضائع مختلفة

---

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص١٣ ، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص١٥٤-١٥٥ ، ٢٠٠ وما بعدها . وعن احتلال الأحباش لليمن والأوضاع السياسية في ظل الاحتلال الحبشي ، أنظر : محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٦٨ -٣٩٠ ، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص١٥١-١٥٤ .

(٢) جواد علي : ٧/٢٩١-٢٩٤ ، ٣٠٧ -٣١١ ، وكذا ، فليب حتي : المرجع السابق ، ص٤٢٥ ، ٤٣٣ .

(٣) جواد علي : ٢/٦٣٢ .

إلى أسواق الحجاز واليمن ونجد ، وهذه العلاقات التجارية بين الحجاز والشام حقيقة تاريخية تؤكدها مصادر التاريخ الإسلامي فقد ورد فيها أن محمد -ﷺ- رافق وهو ابن تسع سنوات قوافل قريش في إحدى رحلاتها التجارية إلى مدينة " بصرى " في الشام حيث اصطحبه عمه أبو طالب معه في تلك الرحلة ، كذلك ورد في هذه المصادر أنه خرج - ﷺ - مع قوافل قريش في الخامسة والعشرين من عمره إلى الشام في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها [1] .

---

(١) الطبقات الكبرى ، ١٢١/١ ، ١٢٩-١٣٠ .

ثالثا : حملة ايليوس جاللوس عام ٢٤ ق . م .

حملة ايليوس جاللوس :

قبل معالجة حملة أيليوس جالوس على جنوب شبه الجزيرة العربية مرورا بشمالها الغربي فإنه يجدر بالدارسة أن أوجز المحاولات المبكرة من جانب الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ق. م) وحكام مصر من البطالمة و الرومان للتواصل مع شبه الجزيرة العربية .

لقد أمر الاسكندر الأكبر – ومن بعده بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ق.م) المستكشفين الإغريق بالإبحار حول شبه الجزيرة العربية من بابل حتى هيرونوبولوس (الواقعة قرب خليج السويس) ، والعكس ، لكن هؤلاء المستكشفين لم يتمكنوا من إكمال الإبحار حول شبه الجزيرة العربية وعادوا إلى النقاط ، التي انطلقوا منها بعد أن قطعوا مسافات متفاوتة . فمن هيرونوبوليس وصل أناكسيكراتيس ، في زمن الإسكندر – حتى باب المندب ، وفي فترة حكم بطليموس الثاني فيلادلفوس أرسل أريستون لاستكشاف السواحل العربية للبحر الأحمر ، فقام باستكشاف ساحل شبه جزيرة سيناء حتى رأس خليج العقبة ومملكة الأنباط ، ثم اتجه بمحاذاة الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية حتى وصل إلى حدود مملكة معين [١] .

وعلى إثر ذلك قام بطليموس الثاني فيلادلفوس بشن حملتين متعاقبتين ضد الأنباط ثم شبه الجزيرة العربية بالترتيب . وتؤرخ الحملة الأولى ضد الأنباط بعام ٢٧٨ ق.م وكان الغرض منها هو تأديب عرب الأنباط ، الذين اشتهروا بالاغارات والقرصنة حيث هاجموا وأزعجوا التجار المصريين بعد أن استفزهم ظهور أريستون – مستكشف فيلادلفوس – في مملكة الأنباط [٢] .

---

(1) Herodotus , Histories , III , 97 .

Tarn , W . W . op. cit . , P P . 13 -14

(٢) سيد أحمد علي الناصري : " الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة " دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني – (الجزيرة العربية قبل الإسلام) ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص٤٠٨ .

أما الحملة الثانية ضد شبه الجزيرة العربية فقد شنت في العام التالي ٢٧٧ق.م لأغراض اقتصادية إذ كان الدافع الرئيسي وراء تصرفات فيلادلفوس اقتصاديا في أغلب الأحوال " [١] وربما كان يريد أن يحول إلى مصر جزءا من تجارة طريق البخور الصاعد من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية حتى بلاد الأنباط شمالا ، وقد كان ذلك هو بالضبط هدف حملة أيليوس جاللوس ضد بلاد العرب [٢] فيما بعد .

ولقد كان أحد نتائج حملة فيلادلفوس على شبه الجزيرة العربية هو إرساء علاقات طيبة مع المحطة الشمالية لمملكة معين في دادان ، وهي علاقات نمت وازدادت بعد هذه الحملة ، كما يتضح من بعض القرائن والشواهد [٣] ، كما أن هناك نتيجة أخرى لتلك الحملة ألا وهي إقامة ميناء أمبيلوني[٤] على ساحل البحر الأحمر – وربما على يدي فلادلفوس – وهو الميناء الذي ربما طلب إلى أهل بيليتوس استيطانها نيابة عنه في شبه الجزيرة العربية وذلك ما بين عامي ٢٧٧- ٢٦٠ق.م وذلك من أجل منافسة السلوقيين الذين كانوا يتحفظون بعلاقات طيبة مع الجرهائيين الأثرياء على الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، على الخليج العربي ، ومن ثم فإن منتجات جنوب شبه الجزيرة العربية والهند ، التي كانت إلى ديدان ، حيث كانت تصدر – جزئيا – إلى مصر عبر أمبيلوني [٥] .

---

(1) Herodotus , Histories , III , 97 .

(٢) لطفي عبد الوهاب يحي : مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص٥٥ .

(3) Herodotus , Histories , III , 157 .

(٤) هناك من يرى أنها كانت تقع بالقرب من ميناء ينبع الحالي في شمال الحجاز ، بينما يرى أخرون أنها كانت تقع بالقرب من ميناء جدة الحالي ، وبالقرب من مدخل وادي حمد ، حيث يسهل الوصول عن طريق البر إلى ديدان وبحرا إلى ميناء ميوس هورموس ، قاعدة البطالمة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتؤكد الشواهد التاريخية أن ميناء أمبيلوني أقيم في عهد بطليموس فيلادلفوس ، بهدف إلغاء أهمية ميناء إجرا Era بالقرب من ميناء الوجه ، الذي كان في ذلك الوقت ميناء تابعا للأنباط ، وكذلك حرص فيلادلفوس على نشر نفوذه على ساحل الحجاز القريب من ديدان من أجل تأمين ميناءه الجديد ولتأمين حركة الملاحة بين هذا الميناء الجديد امبيلوني وبين ميناء ميوس هورموس ، وبينه وبين ديدان ، أنظر : سيد أحمد على الناصري : المرجع السابق ، ص٤١٥ .

(5) Herodotus , Histories , III . 110-111

وعلى الرغم من العداوات التي كانت قائمة بين البطالمة والأنباط في عهود كل من فيلادلفوس [١] . وبطليموس الرابع وفيلوباتور (٢٢١-٢٠٥ ق.م) [٢] وكليوباترا (٥١-٣٠ ق.م) [٣] ، فقد كانت هناك علاقات تجارية بين المملكتين عن طريق البحر الأحمر بين هيروبوليس (السويس) وأيله (العقبة) ، كما أن وجود صلات الأنباط في مصر ثابت من خلال عدد من الشواهد النقشية [٤] .

ومن ثم فإن باكورة العلاقات بين عرب جنوب شبه الجزيرة العربية والإمبراطورية الرومانية في بدايتها المبكرة - وفي عهد مؤسسها اكتافيانوس الملقب أغسطس ، أي المبجل (Octavianus Augustus) - (٣١ق.م - ١٤م) كانت بداية عدائية تمثلت في حملة إيليوس جاللوس الشهيرة على جنوب شبه الجزيرة العربية [٥] ، والمعروفة آنذاك بالعربية السعيدة أو المزدهرة أو اليمونيه ، حوالي عام ٢٥/٢٦ ق.م [٦] ، والتي كانت من دوافعها نلخصها في النقاط التالية [٧] :

- تأمين طرق المواصلات البرية والبحرية في الشرق وبخاصة شبه الجزيرة العربية والقرن الأفريقي والهند .
- جعل البحر الأحمر بحرا رومانيا .
- تأمين استراتيجية الرومان أمام التحدي الفارسي .

---

(1) Ibid . , 112 .

(2)Theophrrastus , Enquiry into plants , Book 1 X , 4. , 2 .

(3)Pirenne , J . ,op . cit . , p p . 69-70 .

(4)Theophrastus , 1 X . 4 . 2-4 .

(٥) لقب اليونان جنوب شبه الجزيرة العربية باسم Arabia Eudaimon العرب السعيدة أو الميسورة ، أو المزدهره ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : " استرابون يتحدث عن حملة إيليوس جاللوس على بلاد العرب " مجلة كلية الآداب ، المجلد التاسع والثلاثون ، الإسكندرية ، العام الجامعي ، ١٩٩٢/٩١م، ص٥٠٣ .

(٦) بدأت هذه الحملة إما في عام ٢٥ق.م ، أو عام ٢٤ ق.م / حسب رأي .
Richard Le Baron and Franc . Albright Bowen , Jr , Archeological Discoveries in South Arabia , Vol II , P . 38 .

(٧) سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٤٢١ ، وكذا إبراهيم يوسف الشتلة : " حملات الرومان على الجزيرة العربية " ، الدارة ، العدد الثالث ، السنة التاسعة ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص١٠٣-١٠٤ ، وكذا، محمد عبودي إبراهيم : المرجع المسابق ، ص٤٠٥-٥١٢ .

- عقاب موجه من الرومان ضد أصدقاء كليوباترا وأجدادها ، الذين هم ملـــوك حمير .

- رد هجمات العرب وتدفقهم على مصر وبلاد النوبة والحبشة .

- وضع أيدي الرومان على مصادر الثروة العربية .

وأهم ما يعنينا من هذه الدوافع للحملة - فـــي هـــذا الســـياق - هـــو الدوافـــع الاقتصادية منها ، والنتائج التي آلت إليها [١] .

يذكر سترابون عن دوافع تلك الحملة ما يلي :

لقد أرسل (أيليوس جاللوس) من قبل أغسطس [٢] لاكتشاف القبائل والأماكن - ليس فقط الواقعة في شبه الجزيرة العربية ، بل أيضا في أثيوبيـــة [٣] (٢٩ق.م) ، لأن قيصر رأي أن بلاد ساكني الكهوف (Troglodytes) وهم ســـكان الســـاحل الشـــرقي للسودان وأرتيريا والصومال ، المتاخمة لمصر مجاورة وقريبة من بلاد العـــرب ، وان الخليج العربي ، المقصود بالبحر الأحمر (بمفهومه الضيق) الذي يفصل العرب عـــن ساكني الكهوف ، يضيق للغاية في هذه المنطقة التي هي مضيق باب المندب ، وعليـــه

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٦٢ .

(٢) عن أهداف أغسطس كما يلخصها سترابون : هذا مما يزيد من ثروة سكان المنطقة أن أهلها كـــانوا يبيعـــون منتجاتهم ولا يشترون شيئا في مقابل ذلك ، كذلك إذا ضمت هذه المنطقة العربية إلى الإمبراطوريـــة الرومانية فستؤدي بموقعها على الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى جانب موقع مصر التي كانت قـــد أصبحت ولاية رومانية منذ ٣٠ق.م ، على الساحل الغربي إلى سيطرة روما ســـيطرة كاملـــة علـــى الطريق التجاري البحري في البحر الأحمر وقد كان هذا ، إذا تم ، خليقا بأن يوفر على الإمبراطوريـــة الرومانية وعلى الرعاية الرومان التكاليف الباهظة والرحلات الشاقة بالقوافل التجارية البرية ، كذلـــك كان خليقا بأن يؤدي إلى تخفيض ثمن المنتجات العربية وإلى تحويل طريق التجارة إلى الـــهند إلـــى طريق مباشر ، ويمكن التعرف على أهمية الهند من المعلومات التي يقدمها بليني ، أنظـــر : نفـــس المرجع السابق ، ص٧٠ (٣٩) وكذا.

Strabo , Geographica , X VI , 4 : 22 , Pliny , Historia Naturalis , Vi , 101 , 162 , X 11 , 63-65 .

(٣) المقصود بأثيوبية في كتابات اليونان والرومان أنها المنطقة الواقعة جنوب مصر وحتى تنزانيا ، والأثيوبيـــون يعني الوجوه السمراء البنية التي لوحتها الشمس ، وهي تقابل بلاد السودان بمفهومها الواســـع عنـــد العرب الأقدمين ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥٠٨ (١٩) .

فكر أغسطس في أحد الاعتبارين وهما السيطرة على مداخل البحـــر الأحمـــر ، أو أن يكسب هؤلاء العرب في صفة ، أو أن يخضعهم بالقوة [١] .

وهناك اعتبار أخر ألا وهو ما سمعه من تقارير عن ثرائهم الفاحش وعن بيعـهم الطيوب والأحجار الكريمة الثمينة مقابل الذهب والفضة ، ولكنهم لا ينفقون شيئا ممـــا يحصلون عليه من الأجانب ، لذلك فقد كان (أغسطس) يأمل فـــي أن يتعـامل مـع أصدقاء وأثرياء (عن طريق المحالفة) أو أن يسيطر (عن طريق الحـــرب) علـى أعداء أثرياء [٢] .

إن هذه الحملة قد خطط لها الإمبراطور الروماني أوغسطس في نهايـة القـرن الأول قبل الميلاد أي ٢٦/٢٥ق.م [٣] ، وذلك بعد وعد تلقاه من صديقه ملـك الأنبـاط عبادة [٤] بالتعاون معه ، وربما حرض الأنباط الرومان على ذلك ، بل اشتركوا معـهم في الحملة العسكرية هذه لإسقاط حكم الحميريين في اليمن ، ومن ثم يأملو أن يكافئـهم الرومان بأن يتركوهم ينفردون بتجارة البحر الأحمر ، ولكن الرومـان الذيـن تقـوم سياستهم على الأنانية والمنفعة الشخصية لبلادهم غيروا خططهم القديمة وسلوكهم إزاء الأنباط عند ما ذاقوا حلاوة الكسب التجاري للبضائع الشرقية .

---

(1) Strabo , Geographica , XVI , 4 : 22 .

(٢) نفس المرجع ، ص٥٠٨-٥٠٩ ، وكذا . Strabo , Geographica .X V I , 4 . 22

(3) Forster , ch . , op. cit . , 1844 , p . 277 .

Kammerer , A . , Petra of La Nabatene , (Texts) , Paris , 1929 , p . 183 .

(٤) يذكر جواد علي بأنه عبادة الثاني ، في حين يرى أخرون أنه كان على الأرجح عبادة الثـالث (٢٠٨-٩ق.م) الذي كان معاصرا للإمبراطور أوغسطس ، ويرجح أن عبادة الثاني ربما حكم في مملكة الأنباط بيـن عامي (٦٢-٦٠ق.م) على رأي ، وفي الفترة (٦٢-٤٧ق.م) على رأي آخر ، أنظـــر : جـواد : علي ٢٤/٢ ، وكذا ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٥١٣ ، ٥١٦ ، وكذا . سيد أحمـــد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٢٠ ، وكذا . محمد السيد عبد الغني : شبه الجزيـرة العربيـة ومصر والتجارة الشرقية القديمة ، الإسكندرية ١٩٩٩م ، ص١٩٥-١٩٦ ، (٢٨) وكذا .

Bowersock , G . W . Roman Arabia ,(Cambridge,MA: Harvard University Press) , 1983 p . p . 34 , 46 .

على أن هناك دراسة حديثة تذكر بأنه عبادة الثاني ، أنظر : Kitchen, K . A. , op . cit . , p . 172

ولقد قامت الحملة بقيادة أيليوس جاللوس الوالي الروماني على مصر [١] ، بتكليف من الإمبراطور الروماني أوغسطس وتحت إمرته عشرة آلاف جندي روماني من الفرق الرومانية [٢] في مصر .

بالإضافة إلى ألف من مملكة الأنباط [٣] ، هذا بالإضافة إلى خمسمائة من اليهود[٤] ، أرسلهم الحاكم الروماني هيرودوس الأكبر [٥] وقد صحب هذا الوالي في هذه الحملة المؤرخ الروماني سترابون (٦٦-٢٤ق.م) ، والذي سجلها

---

(١) لقد أقام الإمبراطور الروماني أغسطس موظفا جديدا على مصر ليمارس جميع سلطان الملك (البطلمي) السابقة وسمى Praefetus أو والي ، وكان اسمه الرسمي ، والي مصر (Praefectus Aegypti) وأحيانا سمي والي مصر والإسكندرية (Pracfectus Alexandreae et Aegypti) وكان والي مصر يختار عادة من طبقة الفرسان الرومان ، ولكنه منح سلطانا بروقنصليا – بصفة استثنائية – ليتولى قيادة الجيش الروماني في مصر فقد كان هذا الوالي هو الحاكم الفعلي للبلاد ، وهو الرئيس الإداري وقائد الحامية الرومانية ، والقاضي الأعلى لجميع أنواع القضايا وهو يستمد هذا السلطان من الأمبراطور شخصيا الذي يعينه ، وبذلك يصبح الوالي ممثل الإمبراطور في الولاية ، أنظر : عبد اللطيف أحمد علي : مصر والإمبراطورية الرومانية ، في ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ١٩٦٠م، ص٥٩ ، وكذا مصطفى العبادي : مصر والإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٥م ، ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٢) يذكر جواد على : عن العشرة آلاف جندي تحت قيادة أيليوس جاللوس بأنهم جمعوا (من المصريين والرومان) ، في حين أنهم كانوا حسب قول سترابون " عشرة آلاف من المشاة من (الرومان من مصر) " أو من جنود الفرق الرومانية في مصر ، أنظر : جواد علي ٤٤/٢ ، وكذا : محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ص١٩٦ (٢٨) .

(٣) محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ص١٣٩ ، وكذا . إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص٢٥ ، وكذا . مصطفى كمال عبد العليم : " تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصريين اليوناني والروماني " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٢٠٧ .

(٤) يتضح أن اليهود كانوا أشد التصاقا بالرومان واقرب إليهم من عرب الأنباط ، ويبدوا أن الرومان كانوا بدورهم يفضلونهم عن العرب بدليل ورود ذكرهم في كلام استرابو قبل العرب ، بالرغم من أن عدد اليهود الذين اشتركوا في الحملة بلغ نصف عدد عرب الأنباط فيها ، فاليهود كانوا قبل الرومان باستمرار يضعون أنفسهم تحت خدمة القوى الكبرى المسيطرة على المنطقة ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥٢٧ .

(٥) سيد أحمد علي الناصري : " الرومان والبحر الأحمر ، الدارة ، السنة السادسة ، العدد الثاني ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص٢٥ ، وكذا Forster , C . , op . cit , p . 280 .

في كتابه (الجغرافيا) وقيمه حديثه عن هذه الحملة إنه كان معاصرا لها ، كما كان صديقا شخصيا لقائدها ومن ثم كان في مقدوره الحصول على معلومات قد لا تتيسر لغيره [١] .

بدأ الرومان – من قبل – بالاستعداد للحملة وذلك ببناء ٨٠ سفينة حربية وذلك قبل التأكد من أن العدو لا يملك أسطولا حربيا [٢] ، ومن الجدير بالذكر أن إيليوس جاللوس قد طور نوعا من السفن الحربية ذات الطوابق الأربعة من المجدفين (qhadri – remes) وهي أحدث ما أنتجته ترسانات السفن في العصر الهيلنسي في ذلك الوقت[٣] . ولقد طورها أيليوس جاللوس ليطلق عليها اسم Sikopta وهي التي استخدمها في حملته على جنوب الجزيرة العربية[٤] . هذا ، بالإضافة إلى ١٣٠ حاملة جنود ، وعلى أية حال فإن سترابون يعزو إلى جهل صديقه الوالي إيليوس جاللوس بطبيعة البلاد التي سيغزوها حيث يذكر[٥]: " الخطأ الأول الذي وقع فيه جالوس هو

---

(١) يتضح في بعض الآراء أن سترابون لم يرافق الحملة وهناك أدلة على ذلك ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥٠٤-٥٠٧ ، وكذا
Groom, N. Frankincense and Myrrh, London and New York, 1981. P. 73 .
يرى بعض الباحثين أن سترابون ربما رافق الحملة ، ولكن أ . د . لطفي عبد الوهاب يحي يذكر " ولكني أرى في حديثه ما ينفي هذا الزعم بشكل حاسم " أنظر : لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٦٩ (٣٨).

(٢) يذكر جواد علي عن بناء سفن الأسطول الروماني بأنه "شرع (يقصد ايليوس جاللوس) في إعداده في ميناء (قفط) Kleopatris على قناة " النيل القديمة " لكن نص سترابون لم يذكر فيه (قفط) Coptos ، بل ذكر موضع الإعداد بأنه في " كليوباتريس (وهي أيضا ارسينوي / السويس الحالية) القريبة من القناة القديمة الممتدة من النيل (هذه القناة القديمة التي تمتد من الفرع ، البيلوزي من فروع النيل في أقصى شرق الدلتا حتى رأس خليج السويس الحالي) أنظر : جواد علي : ٤٦/٢ ، وكذا محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ١٩٦ (٢٨) وكذا .
Bowersock , G , W., op . cit . p p . 46 – 49 . ,
Sidebotham , S. Roman Economic Policy in the Erythra .Thalassa , Leiden , 1986 , p p . 120 –130.

(3)Casson , L . Ships and Seamanship in the Ancient World , Princeton 1971 , p . 97 .

(٤) سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٢٥ ، وكذا L . op . cit . , p . 106

(5) Strabo , 16 , 4 , 23 .

أنه بنى سفنا طويلة Makean ، أي سفنا حربية ، حيث لم تكن هناك حرب بحرية وقتذاك أو حتى لم تكن متوقعة ، لأن العرب ليسوا محاربين ممتازين حتى على البر ، بل بائعين (متنقلون) وتجارا ، ناهيك عن الحرب في البحر فهم يجهلونها " [١].

ويذكر أن الحملة أبحرت من ميناء كليوباتريس على خليج السويس ، ثم نزلوا في ميناء لويكي كومه[٢] ، الذي يقع على ساحل البحر الأحمر ، وذلك بعد أن عانت الحملة من مخاطر الملاحة في خليج السويس وعبر القسم الشمالي من البحر الأحمر ، حيث دمر قسم كبير من سفنه بمن فيها من جنود ، بالإضافة إلى ما أصابهم من جوع وإرهاق وأمراض ، حيث يقول سترابون[٣] " على أية حال بقي جاللوس في لويكي كومي بعد أن ابتلى جيشه آنذاك بمرض الشلل والعرج في الأرجل وهما مرضان .. ، يظهر الأول نوعا من الشلل حول الفم بينما يصيب الآخر الأرجل بالعرج ، وكلاهما ينتج عن تناول الماء والأعشاب المحلية " .

ومن اللافت للنظر أن ايليوس جاللوس فضل أن يبدأ رحلته من الساحل الشرقي للبحر الأحمر ومن ميناء نبطي يبعد ما يقرب من (٨٢٣ كيلو متر تقريبا) من أرض سبأ ، بدلا من أن يبدأها من ميناء بيرينكي على الساحل المصري التابع للرومان في الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وذلك لإرهاب الأنباط والسبئين معا ، لأن مخطط الحملة هو أن تسير أكبر قدر ممكن عبر أراضي الأنباط والعرب الجنوبيين حيث

---

(١) لا يتفق ديودور الصقلي الذي كتب عام ٦٠ ق. م ، مع سترابون (٢٥ق.م) في وصفه للعرب بأنهم قوم يجهلون الحرب على البر وفي البحر بل يصرح بأن بلاد العرب كانت زاخرة بالرجال الشجعان ، وبأن العرب قوم يعشقون الحرية ولا يقبلون الخضوع تحت أي ظرف من الظروف لحاكم أجنبي وفي مكان آخر أن العرب كانوا يحاربون من على ظهور جمالهم وكل جمل كان يحمل فوق ظهره رجلين يجلسان ظهر إلى ظهر لمحاربة الأعداء القادمين من الأمام والمهاجمين من الخلف ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١٢ -٥١٣ (٢٨).

(٢) معجم البلدان ، ٥٢٦/٨ ، وكذا فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ١٩٦٨م، ص٤٦،٧٢،٧٣، ٩٥،

(3)Strabo , X V 1 , 4 . 24 .

أجبرت الحملة على البقاء طوال فصل الصيف الشديد الحرارة وفصل الشتاء في الميناء في انتظار أن يتماثلوا للشفاء من المرض[١] .

ثم استأنفت الحملة سيرها إلى قلب شبه الجزيرة العربية في بداية فصل الربيع عام ٢٤ق.م ، وسلك دروب الصحراء مستخدما الجمال لنقل المياه والمؤونة والعتاد[٢] ، وكان مرشدهم في هذا السير هو الوزير النبطي سيلايوس (Syllais) [٣] بعد اتصال أيليوس جاللوس بملك الأنباط عباده[٤] ، الذي لم يمد الحملة بأي معونات ومساعدات سوى الحبوب والبلح والزبد . وبعد مشقات كبيرة وصلت الحملة إلى مارسيابا Marsiaba عاصمة الريمانيين[٥] ، ولما كان جاللوس قد وصل إلى مرحلة كبيرة من الفشل لحاجة قواته إلى الإمدادات بالإضافة إلى ما أصابهم من أمراض ، وقيل ، أيضا،

---

(١) إبراهيم يوسف الشتلة : المرجع السابق ، ص١٠٥ ، وكذا من الملاحظ أن سترابون جغرافي مدقق يتحدث عن فصلي الصيف والشتاء ولم يذكر فصل الخريف ، الذي يتوسطهما ، هل فطن إلى ملاحظة أن منطقة البحر الأحمر لا تعرف الفصول الأربعة ، كما هو الحال في المناطق المعتدلة ، بل إن= =المنطقة المذكورة لا تشهد غير فصل صيفي طويل ، وفصل شتوي قصير وهذا يعتقد أن سترابون قصده ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١٧ (٣٧) .

(2) Forsterc , op . cit , p . 281 .

(٣) نظرا لأعجمية الإغريق وعدم قدرتهم على نطق الأسماء العربية نطقا صحيحا فهناك من يقرأ شولا Shyllay أنظر : Grimal , p . and Others , Hellenism and The Rise of Rome , Weidenfeld and Nicolson , London , 1968 , p . 295

ونطقه ثاني باسم " الصلاء " ، " شلاء " أنظر : لطفي عبد الوهاب يحي : العرب في العصور القديمة ، ص٣٦٤ ، بينما يذكر آخر بأنه " الصوله " أو شلويح " أو " صويلح " أو " الصل " وأنها أسماء عربية موجودة في البلاد العربية أنظر : محمد عبود إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١١ (٢٤) وسيلايوس له عدة ألقاب هي " الأخ " و " الوزير " و" أخو الملك " ، ويمكن أن يكون من خلال اللقب الأخير ، إنه كان نائبا للملك في حال غيابه ، وممثلا دبلوماسيا له في البلاطات الأخرى ، ومبعوثه في المهمات الخاصة ، وربما قائدا عسكريا أيضا ، فقد كان الجنود الأنباط الألف المرافقون لحملة ايليوس جاللوس تحت قيادة سيلايوس ، أنظر : هتون أجواد الفاسي : " الوظائف الحكومية والعسكرية في مملكة الأنباط " ، العصور ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني ، ١٩٩٣م ، ص٣١١-٣١٢ وكذا .

Jameson, Sh . , " Chronology of the Compaigns of Aelius Gallus And C . Petronius " , J R S , Vol . 58 , 1968 , p . 77 .

(4) Ibid .

(٥) الريمانيون : ريمان قبيلة عربية ورد اسمها في عدد من كتابات المسند ، وقيل من اقيال هذه القبيلة كان هو الدافع عن مأرب وظن الرومان أنهم أهل مأرب ، أنظر : جواد علي : ٥٦/٢ ، وكذا . إبراهيم يوسف الشتلة : المرجع السابق : ص١٠٥ ، وكذا . . Strabo . 16 . 14 . 22

أن الحملة قد استغرقت ستة أشهر داخل الجزيرة ، حيث تعرضت الحملة خلالها لغدر الأنباط من خلال مرشدهم سيلايوس للسير في طرق دائرية ، وأحيانا سلكوا طرقا وعره عبر الأقاليم الصحراوية بالإضافة إلى مقاومة السكان ، وكان هدف سيلايوس من السير بالحملة في هذه الطرق ليس الإرشاد ، ولكن من أجل الاتصال برؤساء المدن والقبائل الواقعة بها لكسب ولائهم إلى مملكته وليكون سيدا عليها[١] .

ويواصل سترابون وصفه لمسار الحملة داخل شبه الجزيرة العربية ، حيث يقول[٢] : " ومرة أخرى حرك جاللوس جيشه من الحوراء وزحف عبر مناطق معينة حتى أن الماء كان يلزم نقله بالجمال بسبب سفاله الادلاء[٣] لهذا السبب استغرق السير أياما كثيرة للوصول إلى أرض (الملك) الحارث (Aretas) وهو من أقارب الملك عباده ، في هذا المكان استقبله الحارث استقبالا وديا وقدم إليه الهدايا ، لكن غدر الوزير سيلايوس جعل الرحلة عبر ذلك الإقليم الصعبة كذلك ، وعلى أية حال ، ثم اجتاز المنطقة في ثلاثين يوما ، وهذه المنطقة لا تنتج سوى الذرة (Zeia) فقط ، وينمو فيها القليل من نخيل البلح ، وتنتج الزبدة الحيوانية بدلا عن الزيت ، (أو السبب في طول الوقت الذي استغرقته الرحلة عبر هذا الإقليم) ، لأنهم مروا عبر أصقاع تخلو من الطرق الممهدة " .

وعلى أية حال فهناك عدة ملاحظات نستنبطها من النص السابق ، منها :

أولا : جهل سترابون بالمنطقة التي مرت بها الحملة الرومانية بعد مغادرتها لويكي كومي ، فهو لا يذكر أي مدينة من المدن ، بل اكتفى بالقول أن المنطقة يحكمها الملك الحارث وهو قريب[٤] عبادة ملك الأنباط ، وهذا يفسر الاستقبال الودي

---

(١) جواد علي : ٤٦/٢ ، وكذا . إبراهيم يوسف الشتلة : المرجع السابق ، ص١٠٧ .

(2)Strabo , X V I , 4 , 24 .

(٣) مرة أخرى يشير إلى الوزير سيلايوس ورجاله ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١٨.

(٤) من غير المعروف ما هي مهمة الحارث هذا بالتحديد ، لكن الأرجح ، أن يكون نائب الملك أو حاكم المنطقة، ذلك أن سترابون ينعت تلك المنطقة بـ أرض " Aretas " أي الحارث ، أنظر : هتون أجواد الفاسي : المرجع السابق ، ص٣١٢ .

الذي قوبل به جاللوس وصحبه من قبل هذا الملك ، الذي يحكم منطقة كانت إما مستقلة أو أنها تشكل جزءا من مملكة الأنباط ، حلفاء الرومان وأصدقائهم .

ثانيا : استمرار سترابون في هجومه على الوزير سيلايوس متهما إياه بالغدر والخيانة المتعمدة ضد أهداف الرومان ، الذين وثقوا به واعتمدوا عليه . وهذا التحامل من جهة سترابون على سيلايوس منطقي وطبيعي ، لأنه صديق لقائد الحملة ويحمل المواطنة الرومانية ، فإن وجهة نظره هي موقف متحيز ، حيث يبدو هذا التحيز في تجاهله للوجه الآخر من القضية ، وهو ما اعترف به سترابون قبل ذلك عندما صرح بأن سيلايوس كان يريد توحيد قبائل العرب ومدنهم وقراهم تحت إمرته بعد أن يكون قد تخلص من القسم الأكبر من هذا الجيش بتضليله عبر الطرق الصحراوية الوعرة والخالية من الماء وكل أسباب الحياة .

ثالثا : إنه من الصعب تكوين فكرة واضحة عن منطقة الحارث ، ربما كانت هي الحجاز ، حيث يثرب أو مكة المكرمة ، حيث يقع وادي فاطمة على مقربة منها، ولكنها مناطق تجود ببعض المحاصيل الزراعية ونخيل البلح وبقدر معقول من الثروة الحيوانية ، التي يحصل منها السكان على حاجتهم من الزبدة واستخدامها بدلا من الزيوت النباتية ، كما يشير إلى ذلك سترابون[1] .

وهكذا ، بعد خمسين يوما أخرى في أرض أرارنية (Araarene) ، التي يحكمها الملك صعب Sabos (سابوس) ، أحد ملوك البدو في نجد ، حتى بلغوا سهل نجران ، حيث تمكنوا من الاستيلاء على بعض المدن الصغيرة ، وبعد أن تزودوا بالماء استأنفوا السير نحو ماريابا Mariaba (مأرب) عاصمة السبئيين ومقر ملكهم ، الذي كان يدعى في ذلك الوقت الأعصر أو الأعسر أو العسيرى ، Ilias , aros ، الذي يعتقد البعض أنه ال شرح يحصب (٥٠-٢٠ق.م) ملك سبأ وذي زيدان ، الذي ورد ذكره في

---

(١) محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١٨ - ٥٢٠ .

نقوش السبئيين[١] ، حيث ضرب ايليوس جاللوس الحصار حول مأرب ، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها بسبب نفاذ الماء والمؤونة ، فاضطر إلى فك الحصار عنها ، وبعد ذلك عرف ايليوس جاللوس إنه على بعد مسيرة يومين من أرض أروما (سهل حضرموت)[٢] .

ومن ثم فقد قرر ايليوس جاللوس الانسحاب عائدا إلى نجران ، حيث وصلها في اليوم التاسع ، حيث نشبت هناك معركة بين العرب والرومان وهي أول معركة يخوضها الرومان ضد العرب ، والتي سقط ملكها ، ثم غادرها ايليوس جاللوس بعد مسيرة أحد عشر يوما فوصل موضعا عرف بـ " الأبار السبع " العيون السبعة ، وهي الحصبة وهي موضع يقع على مسافة ١٦٤ كم إلى الغرب من نجران ومنها إلى موضع ضلا وهو خولان في بلد خولان ، ومنه إلى مالوثا وهو مدينة تقع على نهر وادي ضنكان ، وهو واد في أسفل السراة يصب في البحر وهو من مخاليف اليمن ، ثم اخترق الصحراء والحضر حتى وصل إلى ميناء Egra على البحر الأحمر[٣] .

وفي طريق عودته هذه أكمل ايليوس جاللوس رحلته كلها في ستين يوما ، في حين قضى ستة شهور في طريق الذهاب ، فقد دمر ايليوس جاللوس عددا من المدن وهي نجران وانسيستوس ، نيسيا ماجنوسا ، تاماكوس ، لابيشيا ، ماريابا وكذلك كاربيتيا[٤] .

ومن الملاحظ في رحلة العودة لهذه الحملة أن ايليوس جاللوس سلك في طريق الانسحاب طريقا غير تلك التي سلكها في ذهابه لدرجة أنه اختصر وقت العودة إلى الثلث هذا على الرغم من أنه تجاوز نقطة البدء من ميناء لويكي كومي ، حيث وصل إلى ميناء إجرا شمالا . ولم يواجه أية مقاومة في طريق العودة . حيث دمر عددا من

---

(1)Miller , J , The Spice Trade of the Roman Empire 29 B.C. to A . D . 261, Oxford the Clarendan press , 1969, p.14 .

(٢) سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٢٥ ، وكذا . . Forster , C , op . cit . , p .312

(٣) إبراهيم يوسف الشتلة : المرجع السابق ، ص١٠٩ ، وكذا ، سيد أحمد علي الناصري : " الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة " ، ص٤١٣ ، وكذا . محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١٦.

(4) Foster , C . op . cit . , p . 309 .

المدن كما لأنه لم يجر أي اتصال بالملك الحارث ولا بغيره ، فلربما يكون قد تلافى أن يمر على مدن معادية ، وإنه بسبب ما لاقاه من صعوبة في الملاحة في القسم الشمالي من البحر الأحمر وفي خليج السويس ، لذلك نراه يعبر البحر الأحمر من الشرق حيث ميناء (إجرا) إلى ميناء ميوس هرموس على الساحل المصري ، وإن اختياره لميناء إجرا وذلك بسبب خوفه من خطورة الأمراض المنتشرة في ميناء لويكي كومي في بداية الحملة[١] .

وأخيرا عاد إيليوس برجاله عبر البحر إلى مصر ، فبلغ ميوس هورموس [٢] (Myos Hormos) وقطع المسافة في أحد عشر يوما هو ومن بقي معه من رجال على قيد الحياة يحملون ثياب الهزيمة ، ثم عبر طريق القوافل حتى مدينة قفط (Coptous) ومنها ركب النيل إلى الإسكندرية[٣] .

ويؤخذ على سترابون أنه لم يذكر من أسماء المواضع التي مر بها الرومان ، أو من أسماء القبائل التي اتصلوا بها ، أو اصطدموا بها ، إلا الشيء القليل وهذا أمر مؤسف لقلة المعلومات التي أوردها بشكل لا يتناسب مع أهمية تلك الحملة التي قضت أشهرا في بلاد العرب ، خاصة أنه كان سائحا وكاتبا وجغرافيا و مؤرخا ، وكان صديقا لقائد الحملة ، ومدافعا عنه ، كان هو نفسه مشاركا فيها ، في رأي بعض الباحثين ، وأن ما ذكره في الحملة عن بلاد العرب ، يدل على أن معارفه عن جزيرة

---

(١) محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥٢٦ -٥٢٧ .

(٢) هو في الأصل ميناء أمروديتيس ، والذي يقع على بعد ٥٠ كيلو متر جنوب المدخل إلى خليج السويس بالقرب من بير أبو شعر القبلي (Fons Tadnos) ، التي تقع على بعد أربعة كيلوا مترات ، وقد أسس بطليموس الثاني هذا الميناء لكي يكون قاعدة بحرية لعملياته ضد قراصنة البحر الأحمر لنشر نفوذه فيه ، ولما دخل الرومان مصر عام ٣٠ق.م غيروا اسم هذا الميناء إلى ميوس هورموس ، أي " ميناء بلح البحر " ويعكس هذا التغير حرص الرومان على محو كل شيء يذكرهم بحكم البطالمة لمصر ، ومن بين ذلك تغيير أسماء المواني هذا ولا تزال هذه الرخويات تعيش في أعماق مينائه ، وقد حرص البطالمة على ربط هذا الميناء بطريق بري يسير شمالا بحذاء خليج السويس وبطريق آخر يخترق الصحراء الشرقية جنوبا بغرب حتى قفط ، أنظر : سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٤١٣ ، ٤٢٥ (٥٠) .

(٣) جواد علي : ٥٧/٢ .

العـــرب محدودة ، وليس هناك من شاهد يثبت اشتراكه في هذه الحملة ، ولعله نقل مـا قصه عن الحملة من تقرير قدمه إليه صديقه ايليوس جاللوس أو أحد الذيـــن اشـــتركوا فيها [١].

ومن ثم فقد ترتب على قلة أسماء المواضع التي ذكرها سترابون في خبر هـــذه الحملة صعوبـــة إدراك الطرق التي سار عليها إيليوس جاللوس إلى موضع وصولـــه إلى Marsiaba ، وهو أخر ما وصل إليه ثم الطرق التي سلكها في طريق العوده حتى موضع ابحاره إلى مصر ، وأبرز اسم بين هذه الأسماء التي ذكرهـــا ســـترابون هـــي Nagrani Negrana أي (نجران) في رأي أكثر الباحثين ، وبين لويكي كومي ونجران مواضع كثيرة ، وأراضي واسعة ، لم يذكرها ، وكل ما ذكره هو أن الجيش دخل بعـــد تركه ميناء لويكي كومي أرض ملـــك يعرف بـــ الحارث Aretas ، ثم أرضا يقطنـــها الأعراب ، وهي صحراوية في الأكثر تعرف باسم (أراريـــــن) Ararene [٢] ، فـــأي أرض قصدها صاحب خبر هذه الحملة التي تعود إلـــى الحـــارث ؟ وأي أرض هـــي Ararene ؟ فلقد ورد في الكتب الإسلامية اسم قبيلة تعرف بـــ بني الحارث بن كعـــب وذكرها الهمداني وذكر مواضعها[٣] ، ولا ندري هل أرض الحارث كان المقصود بـــها القبيلة ؟ ، ويعتقد أن الحارث Aretas هو اسم ملك كان يحكم منطقة نزل فيها الرومان، وأنه رجل كان حقا من ذوي قرابة (عبادة) ملك النبط ، وأن الرومان عرفوا اســـمه ولم يعرفوا اسم أرضه الواسعة فنسبوها إليه ، فقالوا : أرض Aretas [٤]، وذهب أخر[٥] إلى أن المراد بأرض Aretas هي مملكة لحيان ، وقد كانت هذه المملكـــة لا تـــزال – على رأيه – قائمة في هذا العهد ، فجاء إليها الرومان وذهبوا منها نحو الجنـــوب فـــي اتجاه اليمن .

---

(١) جواد علي : ٤٩/٢ .

(2) Strabo , X V I , 24 , V ol , III P . 212 .

(٣) نقلا عن جواد علي : ٤٩/٢ .

(٤) جواد علي : ٥٠/٢ .

(5)Caskel , W , op , cit , S , II – 12 .

وعلى أية حال ، فلقد بدأ سترابون يتلمس الأعذار – بحكم صداقته للقائد – في فشل تلك الحملة إلى حنث وخيانة سيلايوس (صالح) بوعده الذي قطعه على نفسه بحسن إرشاد الحملة وتلبية احتياجاتها والتعاون مع قائدها ، وإنه لم يرشد الحملة عبر طرق بحرية ولا برية آمنة ، بل ضللها عبر أماكن ليس بها طرق ومساراتها ملتوية وتمر عبر مناطق خاوية من كل شيء[1] أو عبر سواحل صخرية لا تحتوي على مرافئ .

كما أنه من المستحيل الاعتقاد بأن الانباط يرحبون بنفوذ الرومان في بلادهم ، وليس من مصلحتهم نجاح الحملة ، حيث ستكون نهاية لسيطرتهم على طرق التجارة . وبلا شك أثرت هذه الحملة في نفوس العرب الذين لم يعرفوا الغزو لبلادهم من قبل[2] .

غير أن سترابون يعلل نجاح خطة الوزير سيلايوس في الإيقاع بالقائد أيليوس جاللوس بتضليله وخداعه لسببين :

أولاهما : هو أن الملك النبطي عبادة ترك زمام أمور الدولة بما فيها المسائل العسكرية في يد وزيره سيلايوس .

وثانيهما : نتج عن دهاء سيلايوس وتفوقه على ايليوس جاللوس في النواحي الاستراتيجية والعسكرية ، وفي هذا الصدد يقول سترابون "[3] مر هذا الأمر (أي خداع سيلايوس لجاللوس) لأن الملك عبادة لم يكن يولي اهتماماً كثيراً للشئون العامة ، خصوصاً للنواحي العسكرية (وهذا مسلك عام لجميع

---

(١) يشير سترابون إلى استخدام هذا الطريق في مكان آخر ، (Strabo, (24 , 4 , 16 ، كما يشير القرآن الكريم إلى هذا الطريق في سورة قريش ورقمها ١٠٦ ، وكان النبي –ﷺ – ، يسافر إلى بلاد الشام سالكاً نفس الطريق إبان عمله في التجارة ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١٤ (٣١) .

(٢) إبراهيم يوسف الشتلة : المرجع السابق ، ص١١٠-١١١ .

(3) Strabo , 16 , 4 , 24 .

ملوك العرب)[1] ولأنه ترك كل شيء في يدي سولايوس ، ولأن سولايوس تغلب بوسيله غادرة على جاللوس في الناحية الاستراتيجية في كل شيء " .

على أن Anderson [2] يستبعد خدعة سيلايوس ، ويعتقد أن سترابون[3] اعتمد على التقرير الرسمي للحملة ، الذي يبدو من سياق الحديث أنه يعتقد أنه مختلف عن الواقع ، ربما بهدف تبرير فشل الحملة ، ويعتقد أن الأنباط ، وإن كانوا لا يرحبون بالحملة ، لابد أنهم أدركوا مدى تأثيرها على احتكارهم للطرق التجارية في المنطقة ، إلا أنه بدون معاونتهم فإن الرومان ما كانوا يستطيعون عبور شبه الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب ، وهو يضيف إلى ذلك أن الأرض الواقعة إلى جنوب منطقة الأنباط ، ربما كانت أرضاً غير معروفة بالنسبة لهؤلاء للأنباط أنفسهم ، كما يؤيد ما ذكره Glaser [4] من أن سيلايوس ، ربما تفادى الطريق الرئيسية المباشرة حتى لا يتعرض لمتاعب كبيرة من غارات القبائل البدوية ، أي أنه من المستبعد عدم معرفة الأنباط بالأرض الموجودة إلى جنوبهم حيث يعتمدون أساساً على الطريق التجاري الجنوبي للحصول على السلع الرئيسية لتجارتهم وهي الطيوب والتوابل ؛ فمن الطبيعي أن يكونوا على علم بالمنطقة ومسالكها ، كذلك أن الخوف من هجمات القبائل البدوية احتمال غير وارد بشكل قوي أمام الجيش الروماني ، الذي لم يهزم في الواقع أمام القبائل العربية ، وإنما فشل في مهمته بسبب سوء تدبير خط سيره ، كما أن التقرير

---

(١) يحق التساؤل عما يعنيه سترابون من ذلك ، أيعني هذا القول أن هؤلاء الملوك كانوا يهتمون فقط بمصالحهم الخاصة وأمور حياتهم الذاتية تاركين شئون الدولة لوزرائهم وعمالهم ؟ أم أنهم كانوا ملوكاً دستوريين يملكون ولا يحكمون ويبدوا الاحتمال الثاني هو الأرجح ، خصوصاً أن سترابون يمتدح ملوك الأنباط، ويثني على روحهم الديمقراطية وتواضعهم الجم ، وخضوعهم للمحاسبة أمام مجالسهم وجمعياتهم الشعبية ، أنظر : محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥١٥ .

(2) Anderson , J . G , C., Combridge Ancient History , VOL . X, P . 252 and ,n 1 .

(3) Strabo , Goraphica , X V I , 4 : 23 – 4 .

(4) Glaser , E . , op. cit , S . 432 .

الرسمي للحملة وأسباب فشلها عسكرياً يكتبه ايليوس جاللوس قائد الحملة ، ومن ثم فليس من الضروري أن يبرز هذا الفشل الجزئي بخدعه سيلايوس إذ لم تكن هناك خديعة فعلاً ، فمثل هذه الخدعة ستكون معروفة للقواد الصغار الذين يعملون تحت إمرة جاللوس إذا كانت قد حدثت فعلاً ، وإذا لم تكن قد حدثت فستكون الأسباب الحقيقية لفشل الحملة معروفة لهم كذلك ، أما عن عدم ظهور الخدعة ضمن الاتهامات التي وجهتها روما إلى سيلايوس في أثناء محاكمته ، التي انتهت بإعدامه[1]، فمن الوارد أن ذلك يرجع إلى عدم رغبة الرومان في أن يعترفوا أمام الولايات الرومانية بأن الجيش الروماني من الممكن أن يخدعه شخص من دولة صغيرة والتي أصبحت ولاية رومانية فيما بعد . وهو أمر يعتقد أنه منطقي ومقبول ، إذا عُرف أن روما ، آنذاك كانت تفتح عهداً جديداً تحت حكم أغسطس ترسخ فيه حدود إمبراطوريتها والأمن اللازم لهذا الترسيخ ، وأخيراً فإن ذكر ايليوس جاللوس في تقريره الرسمي لخديعة سيلايوس ليس فيه ما يلقي ظلاً داكناً عليه ، فهو ليس مسئولاً عن اختياره ، وإنما المسئول عن ذلك هو الإمبراطورية الرومانية ذاتها[2] .

وأخيراً يتضح مما سبق أن فشل حملة ايليوس جاللوس يرجع إلى أسباب وعوامل عديدة لعل من أبرزها [3] :

أولاً : سوء تخطيط الحملة ، حيث يتمثل في بناء السفن الكبيرة الحجم وبإعداد ضخمة ، حيث لم تكن ضرورية لأن الصراع بري وليس بحري .

ثانياً : إقلاع الأسطول الروماني من عمق خليج السويس في الشمال ، وإبحاره بشمال البحر الأحمر ، المعروف بصعوبة الملاحة فيه إلى حد كبير . وكان بالإمكان جعل السفن عن طريق النيل جنوباً وحتى قفط في صعيد مصر ومن هناك عبر

---

(١) هتون أجواد الفاسي : المرجع السابق ، ص٣١١ (٢) .

(٢) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٧٠ (٤٠) .

(٣) محمد عبودي إبراهيم : المرجع السابق ، ص٥٢٩-٥٣٢ .

الصحراء إلى ميناء ميوس هرموس ، ثم الإبحار منها إلى سواحل شبه الجزيرة العربية .

ثالثاً : نزول الجيش الروماني في ميناء لويكي كومي الموبوء بالأمراض المتوطنة ، التي فتكت بجنود الحملة .

رابعاً : اعتماد الرومان في تعزيز قوتهم على عرب الأنباط واليهود ، وعلى قيادة وإرشاد الوزير العربي النبطي سيلايوس ، الذي على حد زعم سترابون - غرر بهم في مسالك ودروب وعرة وغير أمنه ، لأنه كان يضمر لهم الهلاك والهزيمة وفي نفس الوقت أراد الاستفادة لنفسه من هذه الحملة فقد أراد - سيلايوس - بعد هلاك الرومان - أن يقيم لنفسه ملكاً على حساب الرومان الذين وضعوا ثقتهم الكاملة فيه واعتمدوا عليه ، فخطط لتوحيد العرب الذين كانوا متفرقين في دويلات وقبائل متناحرة ، كما هو واضح من وصف سترابون لهم .

خامساً : فبالرغم من أن حملة الرومان لم تجد مقاومة كافية في المناطق التي جاست خلالها ، إلا أنها في المرحلة الأخيرة ، واجهت بأشد المقاومة وأعنفها بدءاً من نجران وانتهاء بمدينة مأرب التي صمدت لحصار الرومان ، مما اضطرهم لفك الحصار والعودة من حيث أتوا ، يجرون أذيال الخيبة والفشل الذريع ، وبذلك لم يتحقق هدفهم ، الذي جردوا حملتهم من أجله .

إذاً يمكن القول بأن حملة ايليوس جاللوس والتي لم تحقق أهدافها العسكرية ، كانت هي الحملة الرومانية الجادة على ممالك الجنوب العربي خلال عصر أغسطس ، بل وربما بعد فترة ليس بالقصيرة كما ذكر بليني ، ولكن يبدوا أنه رغم أن هذه الحملة لم تحقق أهدافها العسكرية في البقاء طويلاً في جنوب الجزيرة العربية أو تحويلها إلى منطقة عميلة للرومان ، إلا أنها لابد وأن تكون قد تركت آثارها النفسية على أقوام

المنطقة ، الذين شاهدوا القوة الرومانية عن كثب ، وهي قوة يمكن أن تكيل لهم في المستقبل ضربات ناجحة[١] .

ومن ثم كانت نتيجة ذلك اتفاقية بين روما ومملكة السبئيين والحميريين حصل الرومان بمقتضاها على تسهيلات في المرور من المضايق في استخدام الموانئ ، وربما كانت الصداقة التي ربطت شرحبيل (٤٠-٧٠م) الملك الشرعي للحميريين والسبئيين بالاباطرة الرومان – كما ورد في كتاب " الطواف " من خلال مبعوثيه وسفاراته المتصلة وهداياه[٢] .

ولعل هذه الاتصالات العربية الرومانية هدفت – ضمن أهدافها – أيضاً إلى تسهيل وتنشيط التبادل التجاري بين الطرفين وفتح الأسواق العربية أمام التجار الرومان ومن ولايات الإمبراطورية الرومانية وعدم اعتراض السفن التجارية الرومانية المبحرة في المحيط الهندي من مختلف الإمبراطورية – ولا سيما مصر – والهند وما وراءها ، أي سيلان والصين (اللتان كانت سلعها تنقل إلى الغرب عبر الهند) . إذ كانت هذه هي النتائج الدبلوماسية و السياسية والتجارية ، التي ترتبت عليها حملة ايليوس جاللوس فلاغور أن يباهي بها الإمبراطور أغسطس في نقش أنقره ويعتبرها ضمن إنجازاته[٣] ، ومن نتائج هذه الحملة أيضاً ، أنها مزقت الحجب والغموض ، اللذان كانا يحيطان بشبه الجزيرة العربية ، وبدأ الإغريق والرومان يعرفون ويكتبون عن سكان شبه الجزيرة العربية ، ويقول " بليني الأكبر " أننا بفضل هذه الحملة عرفنا شيئاً عن المعنيين والسبئيين والحميريين[٤] .

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٦٤ ، وكذا ، محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ص١٤٣-١٤٤ .

(2) Casson , L , op . cit , p . 23 .

(٣) لطفي عبد الوهاب يحي :المرجع السابق ، ص٦٤ ، وكذا ، محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ص١٤٤ ، وكذا . نيقولا زيادة : المرجع السابق ، ص٢٩٦ .

(4) Pliny , Historia Naturalis , VI , 31 .

كما أنه من خلال وصف سترابون نستطيع أن نتخيل أن الحملة قد تدفقت وسط هضبة نجد والهجر إلى حدود حضرموت واليمن ، وكما يقول أغسطس نفسه في أثر أنقره أنه وصل إلى حدود السبئيين وسد مأرب . كما أن سكان الجنوب العربي رأوا الرومان لأول مرة وجها لوجه وأعجبوا بهم وبقوتهم وبدأ عهد جديد من الصداقة الوطيدة بين الاباطرة وأمراء المشايخ العرب تبادلوا فيها الهدايا والوفود ، وعقدت اتفاقيات الصداقة[1] وكان من نتائج الحملة أيضا محاولة السيطرة على تجارة البحر الأحمر عبر الطرق البرية من اليمن الى البتراء ، للبتراء ، التي ظل الرومان – مثل السلوقيين قبلهم – يتحينون الفرص للاستيلاء عليها حتى تم لهم ذلك في أيام الإمبراطور الروماني تراجان (٩٨-١١٧م) ولكن بتجارتها استمرت إلى أواخر القرن الثاني للميلاد[2] .

وهكذا وقد ينظر إلى أن حملة ايليوس جاللوس قد تفهم على أنها عقاب موجه من الرومان ضد أصدقاء (كيلوباترا) السابعة أخر ملوك الأسرة البطلمية التي كانت قد جمعت أسطولها البحري عند ميناء كيلوباتريس قرب السويس استعدادا للهروب إلى النوبة وقيادة مقاومة ضد الرومان من هناك ، وربما بمساعدة ملوك حمير، وأخيرا فبالرغم من أن الحملة الرومانية فشلت تماما إلا أنها نجحت في إنزال ضربة مؤلمة بأحوال الحميريين الاقتصادية[3] .

وأخيرا هل أعقب حملة ايليوس جاللوس حملات أخرى رومانية لتدعيم أهداف هذه الحملة ؟، لعل الخبرات التي نالها الرومان بعد فشل ايليوس جاللوس قد وضعت نهاية للفكرة، التي كانت تراود أباطرة روما في غزو بلاد شبه الجزيرة العربية، ولكن بالرغم من ذلك هناك إشارة في كتاب الطواف حول البحر الاريتري ، ما يلي:"..

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص١٣٤ .

(٢) نيقولا زياده : المرجع السابق ، ص٢٦٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص٤٢١ .

تقع العربية اليوديمونية [١] ، وهي قرية ساحلية تابعة لنفس مملكة شرحبيل وكانت من قبل مدينة بمعنى الكلمة ،.. أما الآن فإن قيصر[٢] قد دمرها قبل وقت ليس ببعيد عن أيامنا هذه " [٣].

فهل كان هذا المؤلف – الذي ربما كان من المعمرين – يشير إلى حملة ايليوس جاللوس ، التي ربما سمع بها من الجيل السابق له فعلقت ذكرياتها بذهنه بصورة مشوشة إلى حد ما إذْ خلط بين هجوم الوالي الروماني على بلاد العرب السعيدة إجمالاً تَصَوُرَه هجوماً على مدينة العرب السعيدة (عدن) تحديداً ، مما ينجم عنه تهديد هذه المدينة وتقليص دورها . بحيث أصبحت مجرد قرية ؟ وهل أشاع الرومان في مصر أن حملتهم على جنوب الجزيرة العربية ، كانت ناجحة فتأثر صاحب كتاب الطواف بهذه الإشاعات ، أم أنه كان يشير بعباراته هذه إلى حملة رومانية لاحقة لحملة جاللوس دمرت المدينة ؟ أم أن ميناء عدن قد تقلص دوره التجاري في زمن كتابة " الطواف" لأسباب اقتصادية بحته[٤]، وهو ما نميل إلى الأخذ به.

ولكن هناك إشارة عند بليني الأكبر إلى حملة قام بها جايوس قيصر حفيد الإمبراطور أغسطس من ابنته جوليا وزوجها أجريبا – ضد البارثيين والعرب إنطلاقاً من أرمينيا[٥] حوالي العام الأول للميلاد .

وهناك إشارة أخرى في موضع آخر لنفس الكاتب عن العثور على تماثيل من مقدمة السفن من حطام السفن الأسبانية في (الخليج العربي) عندما كان جايوس بن قيصر أغسطس يقوم بشن الحرب هناك[٦] .

---

(١) العربية اليوديمونية : هي عدن وقد كانت الميناء الرئيسي في أيام معين وسبأ ، لكن دولة حمير لم تعن بها العناية الكافية فتأخرت ، أنظر : نقولا زيادة : المرجع السابق ، ص٢٦٦ ، ٢٧١ .

(٢) قيصر هنا إذا ذكرت وحدها ، صفة تطلق على الإمبراطور الروماني أنظر : لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٦٣ .

(3)Casson L . the Periplus Maris Erythraei . Princeton , 1989 , p . 26 .

(٤) محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ص١٤٢ .

(5) Pliny , Naturalis Historia 6 . 31 . 141 .

(6) Pliny , Naturalis , Historia . op , cit , p 2 . 67 . 168 .

لكن هناك من تصدى لهذا الاستنتاج – بأن تدمير عدن على يدي جايوس قيصر حفيد أغسطس[١] ، واعتبر ذلك الافتراض محض اختلاف إذ يرى Wellesley [٢] ، أن تلك الحملة إن كانت قد حدثت ليتفاخر بها أغسطس في سجل إنجازته في نقش أنقره – وهو ما لم يحدث – رغم أنه تفاخر بالحملتين اللتين أمر بهما على اثيوبيا ، والعربية ربما قصد بها حملة بنزونيس ، والي مصر عليها في عام ٢٤/٢٥ق.م ، أي حملة ايليوس جاللوس رغم عدم نجاحها .

وتحسم المسألة بالقول بأن بليني نفسه قد أورد صراحة أن حملة ايليوس كانت هي الحملة الوحيدة – حتى عصره – التي اشهر الرومان فيها سلاحهم ضد العرب ، وأن جايوس قيصر ابن أغسطس قد أطل إطلالة سريعة على بلاد العرب[٣] ، ويستبعد هذا العالم أن يكون جاللوس قيصر قد أبحر حتى مياه البحر الأحمر لأن أولوياته كانت تتركز على البارثين ، وأن ما نعرفه عن خط سيره – وهو قليل – يشير إلى أنه ذهب عبر ساموس إلى سوريا وأرمينا – وفي عودته توفي في كيليكيا ، ورغم أن بليني أورد – في هذا الصدد – حملة لجايوس قيصر على البارثيين والعرب ، فإن مصطلح " بلاد العرب " مصطلح واسع ومرن جغرافياً ويمتد من جبل أرمانوس شمالاً (في سوريه)، حتى أقصى جنوب الجزيرة العربية[٤] .

ومن هنا يبدو أن جايوس قيصر ربما احتك بأقصى الأطراف الشمالية لبلاد العرب في الصحراء الواقعة بين سوريا وما بين النهرين كما يستبعد قصة حطام السفن الأسبانية في الخليج العربي (البحر الأحمر) التي أوردها بليني في سياق حديثه عن

---

(١) هناك من عزا هذه الحملة إلى عصر كلوديوس (٤١–٤٥ ق.م) ، أنظر :

CF : Rostovzew , M . " Zur Geschichte des ost – und Sudhanndels im ptolemaischromis chen Agyptien " , Archiv Fur Poryras Forschung , 4, 1908 , p . 309 .

أو عصر نيورون (٥٤–٦٨م) أنظر :

Schur , W . Die Orient Politik des Kaisers Nero (Klio, Beihef. 15 , Neue Folges) , Leipzig , 1923 , p . 46.

(2) Wellesley , K . " The Fable of Roman Attack on Aden " , Laparola de Passato , 9 , 1954 , p p . 401 – 405 .

(3) Pliny , Naturalis Historia 6 . 32 . 160 .

(٤) محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ص١٤٣ .

حملة جايوس قيصر ، ويعتبران قصة حطام السفن الأسبانية قصة قديمة أوردها سترابون نقلاً عن يوسيد ونيوس (من حوالي سنة ١٠٠ ق.م) التي سمعها الأخير في قادس جنوب أسبانيا – وذلك بعد رحلة يود وكسوس الكندي الثانية من الإسكندرية إلى الهند حوالي عام ١١٥ق.م[١] .

هناك من يرى أن تدمير عدن تم داخل الصراعات المحلية في اليمن ، وأن موقع عدن الاستراتيجي الهام المتحكم في مداخل البحر الأحمر – والساحل الصومالي – الحبشي المواجه ، وكذلك الطريق الساحلي الطويل المتجه صوب عمان والخليج – وهو الذي جر عليها حقد الموانئ اليمنية الأخرى فتأثرت عليها ودمرتها . ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن حكام ميناء " موزا " لهم يد في ذلك ، فضلاً عن حقد الحميريين من عدن وغيرتهم منها . ويقترح شوف Schoff في نهاية تعليقه على هذه الفقرة من دليل الملاحة أن كلمة قيصر في النص اليوناني ترجمة خاطئة للكلمة ملك عند العرب ، وهذا الملك الذي دمر الميناء ربما هو شرحبيل ملك الحميرين ، ويدلل على رأيه بأن أحداث التاريخ الروماني ومصادره لا تعرف ولم تسجل أي هجوم قام به أحد أباطرة هذه الأسرة على عدن[٢] .

وبالتالي فإن المقصود بكلمة قيصر هو ملك الحميريين المذكورة ، غير أن الأدلة والمنطق التاريخي لا يؤيد هذا الرأي ، فليس من المعقول بأن تقوم دولة عرفت بقيام الاتحادات بين أجزاء اليمن بتدمير أجود موانيها ، بل إن الأجدر هو الاستيلاء عليه ، كما أن موانئ اليمن كانت متعاونة فيما بينها من أجل احتكار التجارة . كما أن افتراض أن المؤلف قد أخطأ بتحميل أكثر من اللازم للنص ، وبالتالي فليس من المعقول أن يكون موقع عدن الممتاز السبب في نكبتها على يد الحميريين [٣] بينما هناك

---

(1)Wellesley , K . , op . cit . , p .p 403 – 405 .

(2)Schoff , W . H . op . cit . , p.p . 24 – 26 .

(٣) سيد أحمد علي الناصري : " الرومان والبحر الأحمر " ص٢٧-٢٨ .

من يذهب في التشكيك من حيث تدمير عدن ، إذا أنه لم يكشف عن أية آثـــار لتدمـــير عسكري قام به الرومان ، بالإضافة إلى عدم وجود آثار تدل على احتلالهم للميـنـــاء ، قصد به كسر شوكة العرب التجارية في البحر الأحمر وسيطرة الرومانية على بحريـــة البحر الأحمر ، خصوصاً في مدخله الجنوبي ،وذلك لتسهيل التجارة لصالح عملائـــهم وتجارتهم في مصر ، ولو كان ذلك لأدى إلى وجود إشارات واضحة لدى المؤرخـــون والكتاب والشعراء الرومان ، ومن ثم فإنه أمر بعيد الاحتمـــال أن يغيـــب مثـــل هـــذا الانتصار الروماني الفائق في جنوب غرب شبه الجزيـــرة العربيـــة ، عـــن الدعايـــة الرومانية التي كانت جزءاً من سياستهم العامة ، خاصة إذا كان قد ترتب عليها نتـــائج هامة ، في حين أن حملة ايليوس جاللوس ظلت تتردد في مؤلفاتهم ولـــم تغـــب عـــن أذهانهم أبداً ، وأنه إذا كانت هناك مثل هذه الحملة – حقاً لما ذكـــر بليني الأكـــبر أن ايليوس جاللوس كان الروماني الوحيد الذي قاد جيشاً إلى جنوب غربي شبه الجزيـــرة العربية [1].

ومن ثم يخلص أصحاب هذا الرأي إلى أن مؤلف الطواف قد اختلـــط عليـــه الأمر ، إذ أنه قد سمع بلا ريب عن حملة ايليوس جاللوس إلى شبه الجزيرة العربيـــة ، والتي كان اسمها يطلق – أيضاً – على ميناء عدن فاعتقد خطأ أن الهدف منـــها كـــان الاستيلاء على الميناء وتدميره .

وافترض أصحاب هذا الرأي أن النص يقصد عصر الأســـرة البوليوكلاوديـــة وبالتحديد عصر نيرون (٥٤م–٦٨م) ، ولكن لم يحدث أي غزو روماني خلال حكـــم هذه الأسرة على عدن ، غير أن العبارة التي ذكرها مؤلف الطواف أن ميناء عدن كان قائماً حتى وقت ليس ببعيد عن عصرنا ، فإن الفاصل الزمني المناسب هو ثمـــانون أو خمس وثمانون سنة قبل تاريخ صدور هذا العمل ، أي عصر الإمـــبراطور أغســـطس نفسه . أي أنه من الأحرى أن نعتقد أن النص صادق فعلاً وأن تدمير ميناء عدن قد تـــم

---

(1) Anderson , J . G , C . , op . cit . p . 883 .

بفعل حملة سريعة وحاسمة بهدف " اذهب ودمر ثم عد " وذلك بأوامر صادرة من الأمبراطور أغسطس نفسه وبتوكيل منه إلى شخص وثيق الصلة به ، وأن أقرب المقربين إليه في ذلك الوقت هو ابن ابنته جوليا من جنراله المخلص الراحل أجريبا [١].

وبالتالي فإن كلمة " قيصر " وهي تعني جايوس قيصر أغسطس ، وأنه قد كُلف في العام الأول الميلادي بقيادة حملة سريعة [٢] ، لتدعيم مركزه كوريث مرتقب لأغسطس ، وأن السبب في تدمير عدن يتفق والاستراتيجية العامة لأغسطس بعدم التوسع مع السماح بالحروب المحدودة الدفاعية ، وأن خوف الإمبراطور من خطورة هذا الميناء على مصالح الإمبراطورية الاقتصادية في البحر الأحمر على السلام الروماني ، هي التي دفعته لمثل هذا التصرف قبل أن يستفحل خطره ويدعم هذا الرأي ، الذي نميل إليه أن هناك سوابق تاريخية لأعمال مماثلة قامت بها الإمبراطورية لتدمير موانئ تجارية في البحر المتوسط كانت ازدادت خطورتها على السلام والمصالح الرومانية وأن صيحة كاتو الشهيرة قرطاجة يجب أن تدمر" Delenda est Carthago " ، تحمل هذه الفلسفة وكذلك دمرت الإمبراطورية في عام ١٤٦ق.م ميناء كورنثا بدون سبب في نفس العام الذي دمرت فيه قرطاجه[٣] .

وهناك رأي يذهب إلى أن ظفار وموزا (مخا) في اليمن كانت لهما مصلحة مشتركة في إضعاف عدن ، فلا يستبعد أن يكون الأمر قد وصل إلى الملك كاريبال

---

(1)Pliny , Naturalis Historia , VI , 31 . 141 .

(٢) عن تسجيل أحداث الحملة أنظر : Pliny , Naturalis Historia , VI , 31 . 141

(٣) سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٢٨-٢٩ ، وكذا ، محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق، ص١٤٢ ، وكذا .

Mommsen , Th , The Provinces of The Roman Empire From Caesar to Diocletian , vol , II , London , 1909 , p p . 293 – 294 ,

Charles Worth , M . P . , " Some Notes on the Periplus Maris Erythraei " , Classical Quarterly , 22 , 1928 , p.p 92 – 100 .

المقيم في ظفار الملك الشرعي لقبيلتي الهومريين والسبئيين المتجاورتين ، وهو حليف للأباطرة على مهاجمة عدن وتدميرها ، ليخلو الجو لأهل موزا[١] .

بل نجد هناك من يرى[٢] أنه يمكن فعلاً ألا يكون الرومان قد استولوا عسكرياً على ميناء عدن ، فأسم يوديايمون ، الذي كانت تعرف به عدن عند اليونان والرومان ، كان يطلق كذلك على كل المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية ، وربما كان ما يعنيه الكاتب ، حين يتحدث عن فكرة الخضوع لا يتعدى علاقة اتفاق بين منطقة صغيرة مثل الدولة السبئية الحميرية وبين قوة كبيرة مثل الإمبراطورية الرومانية ، تفترض بالضرورة قدراً من السيطرة من القوة الكبيرة بقدر ما تنطوي على شيء من التبعية من جانب القوة الصغيرة ، وهو أمر تؤيده إشارة تفيد هذا المعنى في موضع آخر مما كتبه الكاتب نفسه[٣] كما تؤيده إشارة عند سترابون تذكر أن السبئين على أيامه قد أصبحوا من رعايا رومه[٤] .

كما أن هناك دليلاً آخر يؤكد أن ميناء عدن قد دمر فعلاً ، وأن الذي قام بذلك هو الحفيد جايوس وهو ما ذكره بليني[٥] في كتابه الثاني عشر أثناء الحديث عن شبه الجزيرة العربية وأهم النباتات التي تنمو فيها خاصة الكندر حيث ذكر أن جايوس كان أول روماني شاهد بنفسه شجر الكندر ودرسه عن قرب وأنه نقل المعلومات التي جمعها عن هذه النباتات إلى ملك موريتانيا العالم جوبا (٥٠ق.م – ٢٣ ق.م) ، كما ضمنها في كتابه عن شبه الجزيرة العربية [٦] وإذا كان ذلك كذلك فكيف يتأتى

---

(١) نقولا زياده : المرجع السابق ، ص٢٧١ .

(٢) لطفي عبد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٧١ .

(3) Casson , L : P 23 , 31 .

(4) Strabo Geographica , X V I , 4 , 21 .

(5)Pliny , Historia Noturalis , X 11 , 56 .

(٦) يذكر بليني (Historia Naturalis , X 11 , 56) لقد تحدث العالم جوبا في كتابه هذا عن وصف شجرة الكندر، بينما ذكر في مكان آخر (Historia Naturali , X 11 , 51-2) أن الكندر بالذات لا يوجد إلا في حضرموت ، إحدى مناطق السبئيين ، في مكان على بعد رحلة ثمانية أيام من=

لجايوس أن يدرس عن قرب شجرة الكندر ما لم يكن قد ذهب إلى سهل حضرمـــوت ، حيث تقع في مجاوراتها عدن ، وهي منطقة لم يسبق لأحد من الرومان الوصول إليها .

وهذا يؤكد بلا شك أن جايوس الحفيد هو الذي نفذ أوامر جده أغسطس بحـــرق ميناء عدن ومرافقه ، لأنه كان يشكل خطراً على مصالح الإمبراطورية الرومانية فـــي البحر الأحمر.

ولقد حققت هذه الحملة هدفها في ذلك الوقت ، بل وأصبح منذ تلك الحملة لروما نفوذ ووجود مباشر على البحر الأحمر ، وحققت السيادة الكاملة عليه ، بل وبدأت فـــي فرض مكوس على الموانى التجارية الهامة فيه كدخل جديـــد لخزانـــة الإمبراطوريـــة الرومانية[1] والدليل على ذلك ما رواه بليني عن حكاية أحد عتقاء ثرى شـــهير اســـمه أنيوس بلوكاموس Aunius Plocamys ، الذي كان موكولاً إليه جمع المكوس من موانئ

=سابوتا Sabota (شبوه) ، حيث توجد منطقة تنتج اللبان اسمها سريبة Sariba ، ومـــن هنـــا مـــن الصعب الاتفاق مع ما ذهب إليه دسو ، Dessau من أن الحملة يبدو أنها كانت موجهـــة إلـــى بـــلاد العرب الصخرية أو الحجرية (القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية) وليس إلى العربيـــة السعيدة (جنوب شبه الجزيرة العربية) وليس يميل إليه اندرسون Anderson أنظـــر : لطفـــي عبـــد الوهاب يحي : المرجع السابق ، ص٧١ (٥٣) .

(1) Meredith , D . , " Two Inscriptions From The Berenike Road " , Journal of Roman Studies , X L 111 , 1953 , P . 38 – 4 .

البحر الأحمر لحساب الإمبراطورية الرومانية[١] ، ولم يذكر بليني اسم ذلك المعتق الذي روى أن إعصاراً حمله وألقى به وبسفينته إلى جزيرة سيلان ، وهذا يبين إلى أي حد ذهب هذا المعتق في طلب المكوس من موانئ البحر الأحمر[٢] .

إذا تبين أن حملة جايوس في العام الأول الميلادي وتاريخ وصول عامل أينوس بلوكاموس لجمع المكوس في السادس من يوليو في العام السادس الميلادي ، خمس سنوات ، أي أن هذه الحملة حققت الوجود الفعلي للرومان في البحر الأحمر لدرجة فرضهم المكوس ، وهذه إحدى النتائج الأساسية التي حققها الإمبراطور العجوز قبل وفاته في شهر أغسطس في العام الرابع عشر بعد الميلاد[٣] .

هذا عن النتيجة العسكرية للحملة ، أما عن النتائج الأخرى الدبلوماسية والاقتصادية ، التي أسفرت عنها هذه الحملة على المدى القريب المنظور والمدى البعيد فبلا شك قد أثرت هذه الحملة في نفوس العرب ، الذين لم يعرفوا الغزو لبلادهم من قبل[٤] .

---

(1) Schoff , W . H , op , cit . , p . 290 .

(٢) سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٣٠ .

(٣) سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق ، ص٣٠-٣١ .

(٤) إبراهيم يوسف الشتلة : المرجع السابق ، ص١١٠ - ١١١ .

الفصل الرابع

النشاط التجاري وأثره على المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية

أولا : معرفة الكتابة .

ثانيا : الإيلاف .

ثالثا : المعاملات التجارية .

أولاً : معرفة الكتابة .

معرفة الكتابة :

ظلت شبه الجزيرة العربية مسرحا تتنازعها القوى المختلفة ومجالا تتواجه فيه المصالح وتحتدم في زواياه أوجه الصراع ، وإن أوجه الصراع هذه لم تقف عند حدود التسلط والاستحواذ ولم تقف عند حدود الاستيطان والسيطرة السياسية وإنما كانت تمتد إلى الجانب الثقافي الذي يحاول استبعاد الفكر ، وإمتلاك أدائه المتمثلة في الكتابة ، وما يصاحبها من تعليم أو تعلم ، وما يتفرع عنها من ثقافات وحضارة ووسائل حياة .

والمعروف أن العرب أمة عريقة يمتد تاريخها إلى أعماق بعيدة ، وأن النقوش والآثار والمعالم التي عثر عليها تؤكد وجودهم ، وأن الهجرات العربية التي انطلقت من شبه الجزيرة لمناطق الهلال الخصيب ومصر ، كانت سببا من أسباب ازدهار أقدم الحضارات في التاريخ[١] .

فلم تكن الكتابة غريبة عن العرب القدامى فالحكم على العرب بأنهم أمه أميه لا تقرأ ولا تكتب هو حكم على مجموعهم لا على جميعهم ، فقد تعلم القرشيون الكتابة منذ القديم ، ونرى من أحداث عكاظ أن عمرو بن الشريد دعا فيها بصحيفة وكاتب وسجل على نفسه صكا أشبه بسند التمليك ، الذي نألفه اليوم ، فكان هناك صحف وكتاب وصكوك عند العرب[٢] .

فقد عرف العرب الكتابة قبل الميلاد ببضع مئات من السنين فقد عثر في مواضع من شبه جزيرة العرب على كتابات دونت باليونانية ، ولغات أخرى ، وتبين من دراسة النصوص القديمة أن العرب كانوا يدونون قبل الإسلام بقلم ظهر في اليمن بصورة خاصة هو القلم الذي أطلق عليه أهل الأخبار (المسند) أو قلم حمير[٣] .

---

(١) نوري حمودي علي القيسي : " الكتابة العربية وأدواتها ومجالات استخدامها في العصر الجاهلي " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢٧ ، نيسان ١٩٧٩، ص١١- ١٢ .

(٢) سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص٤٢ .

(٣) جواد علي : ١٥٢/٨ .

ويذكر أحد الباحثين[1] أنه ليس صحيحا ما يقال أن الخط العربي إنما اشتق من الخط المسند وذلك لأسباب منها :

أولا : أن الخط المسند يخلو من الأربطة التي تميز الخط العربي ، أي أن حروفه منفصلة ، وليست متصلة .

ثانيا : أن الخط العربي يخلو من الفواصل ، أو الخطوط الرأسية التي تفصل بين كلمات الخط المسند وتعتبر من أهم مميزاته .

ثالثا : أن أبجدية الخط المسند إنما تحتوي على الحروف الثانوية أو المكملة أو ما يسميها الباحثون العرب " الروادف " كحروف مستقلة وهي (الثاء ، والخاء و الذال ، والصاد ، والضاد والغين) بينما يخلوا الخط العربي المبكر منها ، إذ لا يوجد فيه ما يميز الخاء عن الحاء ، والغين عن العين ، وحتى عندما استخدمت النقط لتميز بعض الحروف في أحد النقوش العربية المبكرة ، كنقش سد الطائف، والمؤرخ بعام (٥٨هـ)[2] فإن شكل الحرف لم يتغير ، بينما في الخط المسند نجد أن أشكال الحروف الثانوية ، أو الروادف مختلفة تماما عن الحرف الأصلي.

وهناك من يذهب إلى أن الخط العربي قد آتى من الحيرة[3] ، أي أن الخط النبطي قد تطور وانتقل إلى الكتابة العربية في الحيرة والتي كانت ذات ثقافة سريانية[4] .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : " الأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربي " النادي الأدبي الثقافي " جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٥٧-٢٥٨ .

(٢) صلاح الدين المنجد : دارسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٢م ، ص١٠٢ .

(٣) خليل يحي نامي : " أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام " ، مجلة كلية الآداب – الجامعة المصرية ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، مايو ١٩٣٥م ، ص١٠٢ ، وكذا . محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص٤٠٠ .

(٤) اللغة السريانية هي عبارة عن لهجه آرامية قديمة نشأت في إقليم " الرها " (أديسا عند الرومان ، وأورفا الحالية في جنوب شرق تركيا) وقد بدأت لغة الرها الآرامية هذه تسمى (السريانية) بعد انتشار المسيحية أما سبب استعمال السريانية ، فإن الآراميه هناك أصبح لها مدلول وثني=

كما أن هناك من يذهب إلى أن العربية القديمة ظهرت أول الأمر بعد تطور طويل في الحيرة وأن أول شعر عربي فصيح ظهر وكتب في الحيرة ، وأول من قال هذا الشعر وكتبه زيد بن حماد العبادي والد الشاعر العبادي المشهور عدى بن زيد .

ولكن الكتابة العربية التي ولدت في الحيرة دخلت شبه الجزيرة العربية على أيدي دعاة المسيحية ، وكانت تلك الديانة منتشرة بين أهل الحيرة واللخميين والقضاعيين ، والغساسنة وعرب طئ وأن معظم النصوص المكتوبة وجدت في بلاد انتشرت فيها المسيحية أي في بلاد من تسميهم النصوص بنصارى العرب ، وعدي بن زيد وأبوه زيد بن حماد كانوا نصارى ، وكانت المسيحية تزحف ببطيء في شمال شبه الجزيرة العربية ، ومن تلك النواحي أخذ القرشيون الكتابة العربية وكانوا في أشد الحاجة إليها لشئون تجارتهم ، وقد اهتمت بعض بطون قريش بالكتابة حتى سمي بيت من بيوت مره باسم (القلمس) ومعناه القلم[1] .

وفي رأي أن الكتابة العربية دخلت شبه الجزيرة العربية بعد أن أنشأ العرب الكوفة في عام ١٧هـ ، فانتقل بعض السريان إليها ، ونقلوا خطهم معهم ، وهذا غير صحيح لأن هناك اختلافا كبيرا بين حروف الخط العربي المبكر وبين حروف السرياني ، أو الأرامي [2] .

=غير مستحب بعد انتشار المسيحية هناك ، ومن ثم فقد سمي القوم أنفسهم بالاسم اليوناني " سوريين " بالنسبة للشعب و " سرياني " بالنسبة للغة، تمييزا لها عن الآراميات الوثنية واليهودية ، لاسيما أن لفظ آرامي كان قديما قد اتخذ في أذهان العامة في هذا الإقليم مدلولا يشبه لفظ " جاهلي " عند المسلمين – أي ليس مؤمنا ، وإنما عابدا للأصنام – وهكذا أصبحت السريانية (لغة أديسا) لغة الكنائس في سورية ، ولبنان ، وبلاد الأرامين يعرفون باسم " سورين" تميزا لهم عند بني جنسهم الوثنين ثم سرعان ما استعملت هذه التعابير اليونانية وهي (سوري) بالنسبة للشعب و (سرياني) بالنسبة للغة ، أنظر : فليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمه جورج حداد ، وعبد الكريم رافعه ، بيروت ١٩٥٨م ، ص١٨٤-١٨٥ ، وكذا . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، الإسكندرية ١٩٧١م ، ص١١٨-١١٩ .

(١) حسين مؤنس : تاريخ قريش ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٢٠٩ .

(٢) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٢٥٨ .

وقد يكون الرأي بأن الخط العربي أتى من الحيرة راجعا إلى أن الخط الكوفي قلم القرآن الكريم ، والنقوش العربية الإسلامية – قد نما وازدهر في الكوفة حتى بلغ الذروة وصارت له الغلبة على كل الخطوط العربية الإسلامية الأخرى ، فظن المؤرخون من العرب أنه الأصل الذي تفرعت منه الخطوط العربية وأنه قد نشأ في هذه الأنحاء[1] .

هذا وقد اعتمد من قالوا – خطأ – بأن الخط الكوفي إنما هو أصل الخطوط العربية ، وأن الخط النسخ مشتق منه[2] ، على شيوع الكتابات بالخط الكوفي في طوال القرون الهجرية الخمسة الأولى في المجالات التسجيلية الرسمية كالكتابة على العمائر وعلى شواهد القبور ، وعلى قطع العملة ، فضلا عن استخدامه في كتابة المصحف والمخطوطات المختلفة ، وعندما بدأت منذ القرن السادس الهجري تشيع الكتابة بالخط النسخ في المجالات نفسها ، قالوا باشتقاق خط النسخ من الخط الكوفي ، غير أن هؤلاء الباحثين قد نسوا إن كتابات خط النسخ إنما كانت معروفة ومتداولة طوال هذه القرون الخمسة الأولى للهجرة وإن استعملت في مجالات كانت بطبيعتها مستترة وليس لها صفة الوضوح أو العلانية فقد كانت تستعمل في الكتابات العادية واليومية ، كالرسائل والعقود وما إليها[3] .

كان هناك اعتقاد سائد من أخريات القرن الماضي وأوائل القرن الحالي إن العلامات الأبجدية الخاصة بكتابات البحر الأحمر ، وخليج عدن (العربية الجنوبية بفروعها السبئيين المعينيين والحميرية ، والحضرمية ، والأوسانية ، والعربية الشمالية

---

(١) خليل يحي نامي : المرجع السابق ، ص١٠٣ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، القاهرة ١٩٤١م ، ص٧١٠-٧١١ ، وكذا . جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، القاهرة ١٩٥٤م ، ص٥٤ .

(٣) إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابة الكوفية ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص٢٠-٢٨ ، وكذا حسن الباشا ، الخط : الفن العربي الأصل ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص٢٨ .

بفروعها الثمودية والديدانية واللحيانية) قد أخذت عن الحروف الفينيقية خلال فترة النشاط التجاري للفينقيين والعرب الجنوبيين منذ القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد[١] .

إلا أن الكشف الحديث لـ " بتري " في سرابيط الخادم في سيناء عام ١٩٠٤م ، لعلامات كتابة جديدة عرفت باسم " الكتابة البروتوسينائية " أو كتابة " ما قبل السينائية " (Proto-Sinatic Script) ، قد أثار الاهتمام بين علماء اللغات لا لمجرد البحث عن أصل الكتابة السامية الجنوبية فحسب ، بل للبحث في أصل الكتابة السامية بوجه علم ، والكتابة السامية الشمالية بوجه خاص[٢] .

وقد ذهب أحد الباحثين[٣] إلى إرجاع عصر هذه الكتابة (ما قبل السينائية) إلى حوالي عام ١٥٠٠ق.م (عصر الأسرة ١٨) وأنها نتيجة التأثير المصري الواضح في ثقافة الساميين الذين احتكوا بالمصرين أثناء استغلالهم مناجم الفيروز في سيناء ، وأن هذه الكتابة قد اشتقت من كتابة مصرية قديمة ، لأن علاماتها شديدة الشبه بالعلامات المصرية القديمة ، وإن اشتد الجدل حول هذه الكتابة المصرية هل هي الهيروغليفية أن الهيراطيقية ، أو الديموطيقية ، وكان " السير ألن جاردنر " له فضل السبق في إثبات إشتقاقها من الهيروغليفية[٤] ، وقد انتقلت هذه الكتابة إلى بلاد العرب عن طريق القوافل (طريق المر – البخور – الذهب) المحاذي لساحل البحر الأحمر إلى بلاد العرب ، حيث نشأت الكتابة العربية الجنوبية ثم انتقلت هذه الأخيرة إلى الشمال بالطريق الداخلي الذي يمر بالمراكز الحضارية في العلا ومدائن صالح على

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٩٣ .

(2) Ptrie , F . , Researche in Sinai , London , 1906 , p p . 129 –131 .

(٣) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٩٥ .

(4) Gardiner , A, " The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet " JEA , 3 , 1916 , PP.1 –16;
Cowley , A.E., The Origin of The Semitic Alphabet ", JEA , 3 , 1916 , p p . 17 –21

مبعدة ٢٤ كيلو متراً إلى الشمال من العلا – وغيرها ، وهكذا انتشرت الكتابة السامية في بلاد العرب[١] .

وهناك من يرى أن الكتابة العربية الجنوبية قد تطورت من إحدى الكتابات العربية الشمالية[٢] وهي الثمودية [٣] ، وأشار أحد الباحثين[٤] إلى أوجه الشبه بين الحروف الثمودية وبين الكتابة البروتوسينائية ، فكلاهما ، أفقية ورأسية ولا توجد فواصل في كل منهما ، والأمر غير ذلك في الكتابة المعينية والسبئية ، ثم أشار إلى أن الذين ابتكروا الكتابة الثمودية ، إنما هم المديانيون الذين عاشوا في شبه جزيرة سيناء ، خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق. م ، وكانوا أقرب الجيران إلى أصحاب الكتابة البروتوسينائية [٥] .

---

(1) Martin Spreling , The Alphabet its Rise and Development , From the Sinai Inscriptions, Chicago , 1931 , p . 64 .

(2) Jensen, H. , Sign Symbol and Script , an Account of Man 's Efforts to Wright , London , 1970 , p . 350 .

(٣) اعتمد المهتمون بهذه النوعية من الكتابات تسميتها بالقلم الثمودي استناداً إلى ظهور نطقة (هـ. ث م و) في ستة نصوص ثمودية ، التي فسرت ، رغم أن الباحثة King تشير إلى احتمال تفسيرها – أي اللفظة – بمعنى " البئر " بأنها تعني " الثمودي ، فالهاء هنا هي أداة تعريف ، ورغم صعوبة القبول التام بهذه التسمية إلا أن المهتمين يمثل هذه النوعية من الكتابات درجوا على استخدام هذه الاصطلاحات ، وهو النقوش" الكتابات الثمودية " لتميزها عن بقية النقوش والكتابات ، العوام وكانت هذه التسمية " الثمودية " عاملاً مهما في الخلط لدى العوام بين ثمودي القرآن الكريم وأصحاب هذه الكتابات ، إلا أنه يمكن القول إن أصحاب هذه الخطوط لا علاقة لهم بالثموديين المذكورين في القرآن الكريم لسببين :

الأول : أن الثموديين المذكورين في القرآن الكريم يعودون إلى فترة موغلة في القدم ، بينما لا ترقى هذه الخطوط– حسب الدراسات الحديثة– إلا إلى القرنين الثامن أوالسابع قبل الميلاد.

الثاني : أن الصورة التي صور القرآن الكريم الثموديين فيها تختلف كلياً عن الصورة التي تعكسها نصوصهم أو مخلفاتهم المادية الأولى ، أنظر : سليمان بن عبد الرحمن الذبيب : نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص٣ .

(4) Jensen H. , op . cit , p . 350 .

(٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٩٥ .

وقد خرج أحد الباحثين ، بعد دراسة حاول فيها أن يربط بين الكتابة الواردة على الحجر الذي عثر عليه من وادي عينونة ، وهي كتابة شبيه بالكتابة السامية ، وربط بينها وبين الكتابة البروتوسينائية ثم بينها وبين كتابات الصخور في الصحراء الشرقية في مصر والنوبة ، وجد أن الكتابة السامية الجنوبية ترجع في أصولها إلى كتابة (مدين) التي اشتقت أو ارتبطت بالكتابة البروتوسينائية التي اشتقت بدورها من الهيروغليفية المصرية ، ثم يرى بعد ذلك أن هناك شبهاً بين علامات كتابة حجر مدين ، وبين علامات الكتابة الثمودية والكتابة العربية الجنوبية ، ثم يخلص من ذلك كله إلى أن الكتابة البروتوسنائية قد انتقلت عبر مدين إلى الجنوب في بلاد العرب كلها ، وأنها أصل الكتابة السامية الجنوبية[1] .

ونتيجة لذلك كله إن الكتابة السامية الجنوبية قد اشتقت من الكتابة المصرية الهيروغليفية عن طريق الكتابة البروتوسينائية وقد حدث هذا الاشتقاق ، أما بطريقة مباشرة على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى اليمن ، حيث نشأت الكتابة العربية الجنوبية (السبئية و المعينية ، والحضرمية ، وغيرها) ثم انتقلت نحو الشمال خلال طريق القوافل الداخلية التي كانت تمر بالمراكز الحضارية القديمه في العلا ومدائن صالح وتيماء وغيرها[2] .

بينما أن هناك من يرى أنه لا يمكن أن يولد الخط العربي في طور سيناء لأن الخط لا ينمو ولا يزدهر في أرض جدباء كشبه جزيرة سيناء ، إنما ينشأ ويترعرع حيث توجد الحضارة والعمران ، أما الكتابة الموجودة في أوديتها فهي كتابة كتبها عرب القوافل وهم يجتازونها إلى أرض الشام أو بلاد مصر[3] .

---

(1)Burton, R. F. The Gold ' Mines of Midian and the Ruined / Midianite / Cities, London, 1878.

(٢) عبد الرحمن الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب العربية " مجلة الدارة ، العدد الأول ، الرياض ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص٧٩ .

(٣) خليل يحي نامي : المرجع ، ص١٠٣ .

ويبقى بعد ذلك رأي بأن الخط العربي اشتق من الخط النبطي وهذا لاشك هـــو الأقرب إلى الصواب والأدلة لصحة هذا الرأي ما يلي :

أولاً : التشابه الواضح بين الخط العربي المبكر والخط النبطي .

ثانياً : وجود الاربطة التي تميز الخط العربي في الخط النبطي المتأخر .

ثالثاً : عدم وجود تنقيط للحروف في الخط النبطي مثل ما هو موجود في الخط العربـي المبكر .

رابعاً : أن ترتيب الحروف الأبجدية العربية هو نفس ترتيبها في الأبجدية النبطية وهـو الترتيب المعروف بـــ (أبجد هوز)[1] .

أما عن مشكلة تحديد المنطقة التي تطور فيها الخط العربي من الخـــط النبطـــي حتى ظهور الخط العربي المبكر ، فهي تنحصر في الحجاز في تلك الفترة التاريخيـــة ، والتي تتمتع بالسيادة الروحية والأدبية على أنحاء الجزيرة العربية ، فكانت القبائل تحـج إلى مكة لتقوم بمواسم عبادتها ، وفي هذه المواسم المقدسة كانت تقـام أســواق أدبيـــة وتجارية تعرض فيها ضروب الأدب وفنونه بجانب السلع التجارية فنشأت حركة أدبيـــة واسعة المدى شملت الجزيرة العربية وتغلغلت فيها[2] .

وإن هذا الرأي يمثل رأي الذين عُنوا بدراسة تطور الخطوط الســـامية ومنشـــأ الخطوط العربية وقد أكدوا هذه الحقائق من خلال الأدلة التي عثروا عليها وهـــو رأي مطابق لحقيقة المسائل ومؤتلف مع الوقائع المؤكدة[3] .

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص٢٥٨-٢٥٩ .

(٢) خليل يحي نامي : المرجع السابق ، ص١٠٤ .

(٣) جواد علي : ٨/١٧٤-١٧٥ ، وكذا . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٠٣ .

ولعل الكتابة التي عثر عليها في موضع (أم الجمال) [١] وقيل لـــها كتابــة أم الجمال الثانية والتي ترجع للقرن السادس الميلادي [٢] ، وتفريقا لـــها عــن كتابــة أم الجمال الأولى التي ترجع إلى عام ٢٧٠م [٣] ، هي أحدث ما عثر عليه من كتابات بهذا القلم وباللهجة النبطية المــتأثرة بلهجة القرآن ، وهي لا تحمل تاريخا غير أن من عالج أمرها من المستشرقين يرى أنها تعود إلى القرن السادس للميلاد ولغتها قريبة من اللغة العربية المعروفة ، وقد أخذ الخط العربي من الخط النبطي عندما اشتق منه الكثير مــن صور حروفه ، وكانت تجمع بين الهيئة الجامدة المزواه ، والهيئة اللينـــة المــدورة[٤]، وتطورت الهيئة الجامدة إلى صورة الخط الكوفي ، كما تطورت الهيئة اللينة المــدورة إلى صورة الخط النسخ [٥] .

أما عن تحديد المنطقة التي تطور فيها الخط العربي من الخــط النبطــي حتــى ظهور الخط العربي المبكر ، فهي مشكلة أكثر تعقيدا ، وإن كان ذلــك ينحصــر فــي المنطقتين اللتين سادت فيهما حضارة الأنباط ، وهي منطقة الحجاز وخاصـــة مدائــن صالح والعلا ومنطقة حوران في جنوب شرق سوريا[٦] .

ويميل أحد الباحثين إلى أن الخط العربي تطور عن الخط النبطي في قلب البيئــة العربية في الحجاز ، في مدائن صالح والعلا ومنهما انتقل إلى مكة ويثرب حين نشـــأ

---

(١) أم الجمال تقع جنوب حوران أنظر : جواد علي : ١٧٨/٨ .

(2) Jensen , H . , op. Cit . , p . 325 .

(٣) خليل يحي نامي : المرجع السابق ، ص٩٦ .

(٤) تتشابه بعض الكتابات النبطية المتأخرة كنقش حران المؤرخ بعام ٥٦٨ م مع الكتابة العربية المبكــرة كتلــك التي على شاهد قبر باسم " عبد الرحمن بن خير الحجري " والمؤرخ بعام ٣١هـ ، (حوالــي عام ٦٥١م) في جميع الاثنين بين الحروف اللينة إلى جانب الحروف الجامدة ، وفي حـــذف الألف الوسطى من بعض الكلمات ، وفي كتابة حرف العين الوسطى بدون الشرطة العليـــا ، مع اهمال النقط والاعجام ، وعدم كتابة الهمزة . أنظر : إبراهيم جمعة : المرجع الســـابق ، ص٥٢-٥٣ ، وكذا . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٠١ .

(٥) نفس المرجع السابق ، ص٤٠١ .

(٦) عبد المنعم عبد الحليم سيد :المرجع السابق ، ص٢٣٧-٢٣٨ .

الخط العربي المبكر ، وأن العرب المسلمين نقلوا هذا الخط معهم إلى الحيرة عند فتح العراق وتأسيس الكوفة سنة ١٧هـ ، وإن كُتّاب الكوفة طوروه وحسنوه وكتبوا به المصاحف فسمى (بالخط الكوفي) نسبة إلى مدينتهم[١] .

أما المنطقة الأخرى ، التي تطور فيها الخط العربي من الخط النبطي حتى ظهور الخط العربي المبكر ، فهناك من يذهب إلى أن مركزها بُصرى ، والتي أصبحت مركزاً للحضارة النبطية ، في الشام ، بعد انتقال أغلب الأنباط إليها من البتراء ، عاصمة الدولة النبطية والتي اسقطها الرومان عام ١٠٦م ، ونقلوا مركز الحكم إلى بصرى .

وقد تساءل بعض الباحثين[٢] حول إذا كان أهل الحجاز كانوا يعرفون الخط النبطي ويستعملونه في شئونهم التجارية ورأى أنه بالرغم من افتقار الأدلة التاريخية فإن وجود الكتابة النبطية على أبواب الحجاز (مدائن صالح – العلا) في القرن الأول الميلادي يدل على أن بلاد الحجاز كانت تعرف الخط النبطي و تستخدمه في شئونها التجارية ، بل إن أكثر الظن أن النبط عندما قويت شوكتهم توغلوا في الحجاز وبسطوا سلطانهم المادي والروحي على أرضه ، كما أن النبط عندما استولوا على الحجاز فرضوا على أهله حضارتهم وثقافتهم ومن تلك المظاهر الحضارية جانب ديني وهو اتخاذ الحجازيون الألهة النبطية مثل اللات والعزى وهبل ، ومناة ، ومما يؤيد هذا أن استرابون يقسم العرب قسمين القسم الشمالي (Arabia Petraea) أي العرب الصخرية والقسم الجنوبي ويسمى (Arabia Felix) وهذا يدل – على ما

---

(١) خليل يحي يامي : المرجع السابق ، ص١٠٤ .

(٢) عبد الفتاح مصطفى غنيمة : دراسات حول الكتابة العربية ، تاريخها وتطورها ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة، الإسكندرية ١٩٩٥م ، ص١٠٩ ، وكذا . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٠٢ .

نعتقد – أنه القسم الشمالي من بلاد العرب كان للنبط ، أما القسم الجنوبي فكان خاضعاً لليمن وتحت سيطرتهم [١] .

إن الروايات العربية تؤكد تعدد ممارسة الكتابة سواء في مدن الحجاز أو في الحواضر العربية في أطراف الجزيرة العربية ، على الرغم من أن الحياة لم تكن بالغة التحضر بالنسبة لذلك العهد ، ولكن بلدة مثل مكة لها مكانتها المقدسة وبها تجارة وتجار وعاصمة للثقافة والحياة الدينية ، لابد أن يكون بين سكانها جماعة من المثقفين و الباحثين في أمور الدين ومن القراء والكتبة [٢] .

وتؤكد الدراسات أن أهل مكة كانوا يتميزون بخبرة كبيرة في مجال التجارة ، وتعامل واسع مع العالم المعروف في تلك الفترة ، وقد استطاعوا أن يضعوا قواعد ثابتة في طرق التعامل التجاري فكان من الطبيعي أن تتوافر شروط البيع في مثل هذا المجتمع من شهود و كتبه يكتبون شروط البيع ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ وإِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ (سورة البقرة :٢٨٢) وقد جرت العادة في مكة أن يشترك أهلها في مال أو تجارة يرسلونها إلى اليمن أو إلى الشام ويتكاتبون فيما بينهم ويثبتون ما اتفقوا عليه في صحيفة ، وتخط نُسخ منها وتحفظ عند الشركاء ، وكانوا يوكلون الوكلاء عنهم في إجراء العقود والتوقيع على العهود وعلى شروط السلم[٣] .

وتشير الروايات أن ورقة بن نوفل كان يكتب الكتاب العربي و الكتاب العبراني ، وحين قاطعت قريش النبي –ﷺ– والمسلمين في بداية الدعوة كتبوا كتابا

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٠٢ .

(٢) عبد الفتاح مصطفى غنيمة : المرجع السابق ، ص١١٩ .

(٣) نوري حمودي علي القيسي : المرجع السابق ، ص١٧ .

بذلك[١] ، فقال أحد المؤرخين إن قريشا كتبوا قبل الإسلام كتابا وعلقوه في جوف الكعبة توثيقا لأمر كان بينهم[٢] .

وقيل دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب ، وعن الكتابة في المدينة قيل إن الإسلام جاء وفيهم من يكتبون ، وعدد منهم أحد عشر كاتبا[٣] .

فهذه القبيلة القرشية استطاعت بفضل دورها الكبير في التجارة أن تكون صاحبة دور هام في تطور اللغة العربية والخط ، حقا إنها لم تخترع هذه ولا ذاك ولكن مقدرتها التجارية وسيطرة رجالها على طرق التجارة والأسواق مكنتها من جمع ثروات طائلة وتحويل مدينتهم إلى كبريات المدن [٤] .

وقد استطاعت هذه الأمة أن تضع المقاييس الاجتماعية والاقتصادية لذلك المجتمع من خلال التعامل اليومي أو الاتفاقات الثنائية أو الجماعية لتسيير أمور ذلك المجتمع ، ومحاولة جعله قادرا على النهوض إلى المستوى المرموق ، ومن الطبيعي أن يكون الإقبال على تعلمها إقبالا محدودا ، أو الانصراف إليها والوقوف على أساليبها مقتصرا على فئة دون فئة، لأن المعاملات كانت محصورة في مراكز المدن وفي نطاق الفئة التي تمتلك ، زمام النظام ولكن هذا لم يحل دون وجود مراكز لتعلمها ، وإن الذين كانوا يقومون بالتعليم كانوا يطوفون الأماكن ويؤدون رسالتهم بالشكل الذي تحقق لهم المهمة التعليمية سواء أكانت ذلك داخل المدن أو خارجها ، ولها معلمون أو كتاب متخصصون عرفوا الأشكال التي تعاونهم في إيصال الطريقة أولئك المتعلمين وهي طرق ظلت آثارها واضحة .

وإن كانت التجارة وطرقها وأساليبها قد فرضت على الناس استخدام الكتابة وأجبرت بعضهم على تعلمها ، وحددت عليهم استخدامها من أجل وضع الضوابط

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٤٧٧-٤٧٩ .

(٢) المنمق : ص٨٩ .

(٣) تاريخ الطبري : ٣/٣٧٥ .

(٤) حسين مؤنس : تاريخ قريش ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٢١١ .

العامة لتنظيم الحياة الاقتصادية فإن الشعر العربي قد حفظ ذخيرة من الإشارات التي تكشف عن دقائق موضوع الكتابة والنقوش والأشكال والحروف والوسائل المستخدمة فيها ، وتفنن الشعراء في ذلك ، وقفوا عند مسائل كثيرة تؤكد المعرفة الشاملة وتهيئ الأذهان للصورة التي كانت عليها ، وتعاون على توحيد بعض المجالات التي كانت تستخدمها[١] .

ولعل الصورة التي يقدمها القرآن الكريم من خلال تناوله للفعل " كتب " ومشتقاته التي بلغت حوالي ثلاثمائة وعشرين إشارة تكشف عن الصورة الكبيرة التي كان المجتمع يعيشها ، والوضع التعليمي الذي يسود ذلك المجتمع ويضع المؤشرات الثابتة في حركة التعليم والتعلم والكتابة[٢] كما أن الكتابة كانت معروفة وأن شيوعها في أوساط متباينة أصبح حقيقة واضحة وانتشارها في أماكن متباعدة يشكل أساسا من الحركة الحضارية التي كانت تملأ كل مكان وتتوزع في كل جانب ، وإذ قدر للنصوص الأثارية أن تحدد مواقع ، أو تقتصر على بعض الشواهد أو تنقل بعض الكتابات المحدودة فإن ذلك لا يعني أن هذه الأمة ظلت بعيدة عن استخدام الكتابة فالحقيقة التي تواجه الدارسة وهو تجد هذا الاستخدام لمشتقات الكتابة ويتابع المفردات الكثيرة ، ويقف على الطريقة التي كانت تستخدم بها ، تؤكد أن عمر الكتابة يمتد إلى مرحلة موغلة في القدم .

أما الحدود الزمنية فتنبثق من الحدود المعقولة التي ينم عنها استعمال اللفظ ولأبعاد المعقولة التي توحي بالعمر الزماني لا يمكن أن تظل محصورة في نطاق النص وحدة ، دون مراعاة العمر التكويني لاستخدامها وتطورها هذا العمر والمراحل التي قطعها حتى استوى مصطلحا ثابتا ومعنى متفقا عليه ، وصورة تقبل بها كل الجهات ويرتضي باستخدامها المجتمع بكل طبقاته ، إن هذه الحقائق يجب أن تظل واضحة في أية دراسة يمكن تطبيقها على عمر الكتابة ، ويجب أن تأخذ شكلها وإطارها في أية محاولة ترقى إلى وضع التاريخ المناسب لعمرها ، لقد أكدت الوثائق والأخبار أن الكتب الدينية كانت معروفة ومتداولة ، وأنها لم تكن مقتصرة على رجال

---

(١) نوري حمودي علي القيسي : المرجع السابق ، ص١٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص٢٣ .

الدين من اليهود والنصارى وإنما كانت كثيرة ومتداولة ، فيقفون على قصصها وتعاليمها ويلتزمون ببعض أخبارها ، ويعيدون على الآخرين ما يجدونه فيها[١] .

وإن معرفتهم بالصكوك التي تثبت فيها حساباتهم وتجارتهم وحقوقهم تشكل جانبا من جوانب الموضوعات التي كانت تستخدم فيها الكتابة إلى جانب الوسائل التي يتبادلها الأفراد وما تحتويه من شئون وتعالجه من مسائل ، وتتعرض له من أحداث وكتب الرقيق التي تحدد المال الذي يعتق بموجبه الرقيق ليصبح حرا[٢] .

إن هذه المجالات التي كانت تشتمل الأبعاد والتي كانت الكتابة تستخدم فيها ، لابد أن تكون هناك مسائل أخرى ومواضع مختلفة كان الناس يستعملون فيها الكتابة ولكنها لم تكن بهذا الشيوع أو الأهمية لأنها تأخذ الجانب الفردي أو الذاتي الضيق ، ومن أجل أن تتكامل كل الأطراف المتشابكة في هذه المجال فمن المناسب أن تقف عند الأدوات التي استخدمها العرب في كتاباتهم[٣] .

ويتضح لنا من العرض السابق أن المعرفة الدقيقة للكتابة ، والملازمة الصادقة التي عرفها العرب وأدركوا أهميتها بالنسبة إلى حياتهم ، وأن هذا الاهتمام يمتد إلى مرحلة تاريخية عميقة ، ويغور في أصلاب الزمن لفترة سحيقة ، وإن اتصال الكتابة بجذورها الحقيقية في الجزيرة العربية يحدد الصلة الحضارية لطبيعة الحرف العربي الذي ولد عربيا ونشأ عربيا وظل عربيا ، وأن كثيرا من الآراء التي قيلت بشأن استعارته من خطوط أخرى سيبقى ضربا من الحدس ، أو نوعا من التخمين الذي يحتاج إلى الدليل القاطع والبرهان الأكيد وسيظل الحرف العربي عربيا حتى وقوف الباحثين على ما ينفي هذه الأدلة[٤] .

---

(١) إمتاع الإسماع ، ص٣٢٣ ، وكذا ، الأغاني ٣ / ١٢٠ .

(٢) الجاحظ كتاب الحيوان ، الجزء الأول ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، ص٦٩-٧٠ ، وكذا الطبقات الكبرى : ٦٢/٥، ٨٧/٧ .

(٣) نوري حمودي علي القيسي : المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص٣٠ .

ثانيا : الإيلاف .

الإيلاف .

إن المعالم الطبيعية بمكة وما جاورها أحيطت بمنطقة عازلة محرمة على الدول الأجنبية لوعورة المسالك إليها وجفاف الصحراء من حولها ، لذلك كانت ظاهرة الإيلاف وليدة عوامل طبيعية وتاريخية متعددة ، فمكة كانت ولا تزال منطقة صحراوية لا يمكن لأهلها الاعتماد على الزراعة في عيشتهم ، فلابد والحالة هذه الاعتماد على التجارة ، أو أية حرفة أخرى لتأمين معاشهم ، أما ما يتعلق بالعوامل التاريخية فيقصد بها نشوء مكة حول ماء زمزم وتطورها و علاقة الكعبة بذلك ، فموقع مكة على الطرق التجارية وقداستها بإحتضانها أول بيت أقيم للناس ، وما نشأ عنه من تنظيمات جعلها عرضة لأطماع القبائل المتجولة في المنطقة [١] . إلا أن الظروف التي اكتسبها أهل مكة من براعة تجارية – وعقلية اقتصادية متميزة ، جعلها تعتمد على التجارة ، غير أن بعض الباحثين يرون بأن افتقار مكة لمؤهلات المدينة الزراعية أو الرعوية لا يبيح لنا افتراض ظهور مكة ، قبل ظهور الوساطة التجارية ، ويعتقد أن هذا كان حافزاً على امتهان التجارة ، ويرى أن مكة قبل الاتجار ما كان يمكن أن تكون سوى محجّه ومحطة صغيرة ، لقوافل طريق البخور بين اليمن و سورية على الأكثر[٢] .

وبالإضافة إلى العوامل الطبيعية ، فهناك العديد من العوامل السياسية الدولية في تلك الحقبة من الزمن ، والتي توالت في نسق معد إعدادا إلهيا طبيعيا ليعطي لمكة وقبيلتها القرشية ، السيادة التجارية وطرقها في الشرق ، ومنها الحروب الساسانية

---

(١) صالح درادكة : " إيلاف قريش " دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، العددان السابع عشر والثامن عشر ، ١٩٨٤م ، ص٥٣ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص٣٥٦-٢٦١ .

إبراهيم بيضون : الحجاز والدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٣م ، ص٣٤ ، وكذا .

Simon , R ., op. cit., pp 208-209 , XX III (2) 1970 , P P . 208 –209 .

البيزنطية التي عطلت طرق التجارة عبر الخليج والفرات ، ولم يبق من منافس سوى طريق البحر الأحمر المباشر مع سورية ومصر كمنافس للطرق البرية عبر مكة[1] ، كما يتضح ذلك من خلال البحث .

وألإيلاف هو أبرز حادث في تاريخ العرب التجاري ، قبيل الإسلام ، وحول تحديد معنى مصطلح الإيلاف هناك مذاهب متعددة ، اختلف حولها المفسرون واللغويون والمؤرخون فأوردوا في الإيلاف تفسيرات متعددة ، واختلاف المفسرين حول معناه ، لا يعني الشك فيه ، فهؤلاء المفسرون نظروا إلى جذر اللفظ " الف " وعدوا ما يمكن أن يحمله من معاني حقيقية ومجازية ، كما اختلف القراء في قراءة " الإيلاف " فمنهم من قرأها " لألاف" بغير ياء بعد الهمزة ، ومنهم من قرأها بياء ساكنة من غير همزة " ليلاف " ومنهم من قرأها بهمزتين مخففتين بكسر الأولى وتسكين الثانية على وزن " يفعلان " ، وقرأها الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة مثل " أيلاف "[2] . ويرى ابن جرير الطبري أن الصواب في القراء " لأيلاف قريش إيلافهم " بإثبات اليلاء فيهما بعد الهمزة من ألفت الشيء أولفه إيلافا ، لاجتماع الحجة من القراء عليه[3].

فالإيلاف حقيقة تاريخية ، بشهادة القرآن الكريم ، لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لإيلاف قريش ، إيلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف﴾ (سورة قريش) .

---

(١) فكتور سحاب : " إيلاف قريش " رحلة الشتاء والصيف ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٢م ، ص١٩٨ .

Watt, M.G . , Muhammod at Mecca , Oxford University Press , p 12 .

(٢) القرشي (أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن علي الجوزي البغدادي) : زاد المسيرفي علم التفسير ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص٢٤١-٢٤٢ وكذا . صالح دراكة : المرجع السابق ، ص٥٢ .

(٣) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : جامع البيان عن تأويل القرآن المشهور باسم تفسير الطبري ، تحقيق محمد سعيد العربيان ، الجزء الثلاثون ، دار الفكر ، ص١٩٧-١٩٨ .

بدأت السورة الكريمة بموضوعها ، من أول كلمة فيها وهو " الإيلاف " وتكررت كلمة الإيلاف ، ولم يتكرر غيرها ، فلم تتكرر كلمة الرحلة مع أنهما رحلتين مختلفتين في الزمان والمكان .. وتكرر الإيلاف مع أن مفهومه واحد ، وفي هذا سر كامن من أسرار النظم المعجز للقرآن الكريم[١] ، فالإيلاف تخطيط ، والرحلتان تنفيذ لهذا التخطيط ، والإيلاف خصيصة من خصائص قريش لم يعطها أحد سواهما ، وإن كان يشترك أهل زمانهما في نتائج هذا الإيلاف وثمراته ، ولكنهم لا يشتركون معهما في خصيصته الحقيقية ، قال النبي -ﷺ- " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من بني كنانة واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار " [٢] .

وقيل في إيلاف قريش ثلاثة أوجه في القراءة : لإيلاف ولالاف ، ووجه ثالث لإلف قريش ، " وقيل قد قرئ بالوجهين الأولين "[٣] ، ويتبين من مصادر التفسير والمعاجم ، أن الوجهين الأول والثالث ، من معنى واحد ، ولكن الوجه الأول : متعد بمفعولين من قولك : " ألفت فلانا الشيء إذا ألزمته إياه ، أولفه إيلافا " ، والثاني : متعد بمفعول واحد من قولك : " ألفت الشيء وألفت فلانا إذا أنست به "[٤] وإيلاف قريش إلفهم الخروج إلى الشام ، في تجارتهم وكانت لهم خرجتان خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف .

---

(١) أحمد عبد الرحمن عيسى : " من دلالات سورة قريش " دراسات تاريخية وتربوية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد الأول ، الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص٩٣ .

(٢) رواه مسلم والترمذي ، وأنظر :
ابن كثير : السيرة النبوية ١/١٩١ .

(٣) ابن خالويه (الحسين أحمد) : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م ، ص١٩٥ .

(٤) تفسير الطبري ٣٠/١٩٧-١٩٨ .

وتقول العرب ، ألفت الشيء إلفا ، وألفته إيلافا في معنى والإيلاف أيضا : " أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه "[1] ولإسقاط القراءة الثالثة ، سبب واضح فقولك : لإلف قريش ، يعني أن قريشا ألفت رحلة الشتاء والصيف ، دون تلميح إلى من ألفهم هاتين الرحلتين[2] ,

وذهب المفسرون إلى وجود الصلة بين : سورة الفيل ، وسورة قريش ، فقيل ، لإيلاف : أن لام الجر هذه متعلقة بما قبلها وهي آخر آيه في سورة الفيل ، وهي قوله تعالى : ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ ﴿ لإيلاف قريش ﴾ ، فتكون بذلك السورة متصلة بسورة الفيل[3] . أي أن الله تعالى ، أهلك أصحاب الفيل ، الذين جاؤوا بجيوشهم لهدم الكعبة ، أهلكهم بهذه الصيرورة ، ليتسامع بذلك الناس فيهيبوا قريشا زيادة ، تهيب ، حتى ينتظم لهم الإيلاف الذي تعودوه في رحلتهم فلا يجترئ عليهم أحد[4] ، ولذا كان الأحباش بعد عام الفيل يقولون على مكة " أهل الله " أي هم قوم في معية الله .

وقيل أيضا في رأي آخر ، بأن السورة ليست متصلة بسورة الفيل ، وأن هذه اللام متعلقة بقوله تعالى " فليعبدوا " أي فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، التجاريتين في أمان الناس ، يتخطفون من حولهم ، وهذه منه من الله تعالى، على قريش توجب عليهم أن يعبدوا رب هذا البيت ويألفوا عبادته بعقيدة التوحيد[5] .

وتعرض أحد الباحثين في شأن ما كتب ، في هذه الكلمة في المصادر الإسلامية والمراجع الحديثة فيرى إن ما كتب افترض أن الإيلاف هو عبارة فنية استخدمت قبل

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧-٥٩ .

(٢) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص١٩ .

(٣) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص٩٤ .

(٤) النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي) : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ج٣٠ ، بولاق القاهرة ١٣٢٩هـ ، ص١٦٨ -١٧٠ ، وكذا

تفسير النسفي ، دار إحياء الكتب العربية بمصر ، بلا محقق ولا تاريخ ، الجزء الرابع ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت (بدون تاريخ) ص٣٧٨ .

(٥) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص٩٥ .

إلا أن ابن حبيب[١] قال : بأن الإيلاف الوارد ذكره في القرآن الكريم ، يعني الأحلاف والاتفاقات والعهود ، وبالتوسع في المصطلح يعني الميثاق ، وفي رواية تعني العهد والذمة[٢] ، وزاد أصحاب المعجم على ما تقدم القول : إنها الأمان والعهد يؤخذ لتأمين خروج التجار من أرض إلى أرض[٣] . ومن معاني الإيلاف المتعددة ، ألفت : وتعني المؤالفة . ألفت : من الإلف والتأليف أي الجمع والتقريب[٤] .

وقيل أيضاً أنها مشتقة من الإلف أي الاعتياد على الرحلتين أو مؤالفة الإقامة والاجتماع بمكة في جوار الحرم[٥] . وورد من معاني الإيلاف : الإجارة ، فيؤلف يجير، ولذلك سمي أبناء عبد مناف ، بالمجيرين كما سمو بالألاف ، وهم هاشم بن عبد مناف وإخوته [٦]، ويرى البعض من المحدثين أنها تعني الحلف الذي يضمن الأمن[٧] .

والإيلاف تعبير سياسي له جانبان ، جانب يسمى (عهد إيلاف) ، وهو ما كان يعقد مع سادات القبائل ، ورؤساء العرب داخل الجزيرة وجانب آخر يسمى (عهد أمان) ، وهو ما كان يعقد مع الملوك والأباطرة و القياصره ، خارج الجزيرة العربية ، وذلك كله بشأن تجاره قريش[٨] .

---

(١) المبحر ، ص١٦٢ .

(٢) تفسير الطبري (رواية ابن عباس) تفسير سورة قريش ، الجزء الثلاثون ، ص١٩٧ ، وما بعدها . وقارن:
Hamidullah M . , AL – Ilaf , ou les Rapports Economico – Diplomatiques de la Mecque Pre – islamique , (extrait des melanges Louis Massignon , Inst Franc ,ai s de Damas , 1957 , p . 299 .

(٣) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص٩٦ .

(٤) لسان العرب ، المجلد التاسع ، مادة ألف .

(٥) أنظر تفسير سورة قريش في تفاسير الطبري ، وابن كثير واليعقوبي ، والصابوني ، وسيد قطب وبعض التفسير لا تخرج عن ذلك .

(٦) مروج الذهب : ٣٦٩/١ ، وكذا . تاريخ الرسل والملوك ، ٢٥٢/٢.

(٧) اكستر م.ج : الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحي الجبوري ، جامعة بغداد ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص٤٧-٤٨ ، وكذا . Birkeland , H., The Lord Guideth , Oslo , 1956 , p . 106 – 110 وقد اعتمد بيركلاند فيما ذهب إليه على رواية ابن حيان التوحيدي في البحر المحيط ، تفسير سورة قريش ، الجزء الثامن ، ص٥١٥ .

(٨) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١٠١ .

وهكذا ، فإن الإيلاف كان حلفاً وعقداً ثنائياً من صنف جديد تضمن بموجبه القبائل القاطنة على طول الطريق التجارية ، حق المرور ، لقوافل قريش مروراً حراً عبر ديارها ، لقاء حمل قريش منتجات هذه القبائل ، على أن تعيد لهم رؤوس الأموال المستثمرة في هذه البضائع ، والربح المجتنى ، فالإيلاف إذاً كان غرضه اشتراك القبائل وزعمائها في مكاسب التجارة القرشية ، وكانت تلك خير وسيلة لضمان مسالمة القبائل هذه[١] .

يرى صالح درادكه أن هذا التفاوت في معاني الإيلاف إنما يرجع إلى التفاوت في فهم المعنى العام للإيلاف ، كظاهره عملية لقريش ، أو فهم المعاني اللفظية من حيث علاقتها بنعمة الاستقرار والاجتماع في حرم الله ، والاعتياد على القيام بالرحلات التجارية[٢] ، وعلى الرغم من هذا الاختلاف فمعظم كتب التفسير قد التقت عند معنى الأمان ، أو العهد ، أو الخفارة ، أو الحبل (حبل الأمان) ، وهي الحبال أو الإجارة ، ولكنها معان متقاربة يوحي أحدهما بالأخر[٣] .

أما حول التأريخ الزمني لبدء الإيلاف ، هناك من يرى في جعل الإيلاف يبدأ من القرن السادس الميلادي ، وهناك من الباحثين من يرى بدء الإيلاف سنة ٥٠٠م ، أي قبل ظهور الإسلام بنحو مائة سنة ، أو تزداد عشر ، وإن هاشم بن عبد مناف ، سن الإيلاف ، وبالتالي رحلتي الصيف والشتاء كنتيجة طبيعية للإيلاف ، قد ولد سنة ٤٦٤م ، على أقرب التواريخ ، فذهب بناءً على ذلك إلى أن مبدأ الإيلاف مع الروم ، ومع أمير غسان كان حوالي سنة ٥٠٠ ميلادية ، وعمره ٣٦ سنة تقريباً[٤] وليس هنلك

---

(١) الثعالبي (عبد الملك بن محمد) : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، ص٨٩ ، وكذا . . Simon , R . , op . cit . p . 231

(٢) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٢-٥٣ .

(٣) إحسان عباس : " العلاقات التجارية بين مكة والشام حتى بدايات الفتح الإسلامي " ، مجلة الأبحاث ، السنة٣٨، ١٩٩٠ ، ص٧ .

(٤) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١٠١ ، وكذا زنوبة نادى مرسى : " النشاط بمكة التجاري قبل الإسلام ، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، منشورات اتحاد المؤرخين ، حصاد (٨) ، القاهرة ١٤٠١هـ/٢٠٠٠م ، ص٧٦ .

من شك في أن هاشما ، هو منشأ الإيلاف استنادا إلى ما ورد في المصادر العربية والإسلامية إلا أن المصادر العربية لم تعين زمنا دقيقا لنشوء الإيلاف[١] .

والواقع أن تعيين زمن الإيلاف أهم كثيرا من تعيين منشئه ، لأن زمن نشوء الإيلاف لا يعيننا في رسم الصورة الدولية التي أحاطت بهذا المشروع ، الخطير منذ بدايته فقط ، بل يساعدنا كذلك في فهم حوافز الحكام الذين عاصروا هذا المشروع .

فيحاول أحدهم البدء من عمر " عبد المطلب " جد الرسول -ﷺ - ، لدى وفاته ليحاول تقريب تاريخ مولد هاشم ووفاته فقال : إن عبد المطلب بن هاشم توفي نحو سنة ٥٧٨م ، وكان عمر الرسول -ﷺ - حينئذ ثماني سنوات وتشير روايات مختلفة أن عمر عبد المطلب لدى وفاته : ٨٢ سنة ، ١١٠ سنوات ، على أنها الرقم الأوسط بين مختلف التقديرات ، مع الأخذ بالاعتبار أن عبد المطلب عمي مع تقدمه في السن في أواخر عمره ، ولكن استخدام سن ١٤٠ سنة ، وهي بعيدة الإمكان ، لموازنة سن ٨٢سنة وهي معقولة جدا[٢] .

إلا أن هذا أمرا غير مقنع ويفضي إلى نتيجة بعيدة الإمكان أيضا ، وأدى هذا إلى جعل الإيلاف سنة ٤٦٧م[٣] ، أي أن هاشم عقد الإيلاف مع بيزنطه في عهد الإمبراطور ليون الأول (٤٥٧-٤٧٤م) ، الذي سالم الفرس ، واستمرت التجارة في عهده معهم ، على وضع جيد ومستقر ، ولذا لم يكن في حاجة ماسة إلى تجارة قريش ، الدولية ، أما إذا ما قدرنا عمره عند وفاته كان ٨٢ سنة ، وهو رقم مقبول جدا ، ولا يثير أي مقدار من الشك ، فإن ولادته تكون سنة ٤٩٦م تقريبا .

ولما كانت المصادر العربية تشير إلى أن نشوء الإيلاف وولادة عبد المطلب ، ووفاة هاشم كانت قريبة عهد إحداهما من الأخرى ، فإن الإيلاف نشأ بذلك على مقربة من مطلع القرن السادس الميلادي[٤] .

---

(١) المحبر ، ص١٧٤ .

(2) Hamidullah , M , op. cit . , P . 303 .

(٣) المحبر ، ص١٧٤ .

(٤) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢١٠-٢١١ .

وذكر باحث آخر[1] ، أنه لابد وأن تكون الظروف الدولية قد واتت هاشما أو دفعته إلى ذلك ، فلابد إذا أن توقف وصول متاجر الشرق إلى بلاد الدولة البيزنطية ، وقد بدأ أيام سابور الثاني (٣١٠-٣٧٩م) واشتد أيام بهرام الخامس (٤٣٠-٤٣٨م)، ويزدجر الثاني (٤٣٨-٤٧٥م) ، وخلال حكم هذين الملكين الساسانيين المتعاقبين ، امتدت الحروب (١٣٥سنة) ، وهناك لابد أن تكون الحاجة ماسة إلى بضائع الشرق ، وبمعنى آخر إلى من يوصلها إلى بلادهم وظهرت تلك الحاجة بشكل واضح أثناء حكم يزدجر الثاني ، وفي تلك الفترة يمكن القول بأن هاشما وصل إلى بلاد الشام ، وبدأ نشاطه في النهوض بالتجارة المكية ، وهذه الفترة تعد من فترة حكم الإمبراطور ، البيزنطي ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) ، ثم مرسيان أو مرقبلن (٤٥٠-٤٥٧م) حيث كانت بالفعل فترة اشتعال الحروب بين دولتي الروم والفرس .

وقد استمرت هذه الحروب ، حتى قيام حكم هرقل بن هرقل سنة ٦١٠م ، وهي المعروفة بصراعها الطويل مع الإسلام ، فإذن كان الانقطاع الطويل للتجارة الشرقية قد وقع خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي ، وخلال هذه الفترة نضع حياة هاشم بن عبد مناف وعمله .

أن أغلب الظن بأن هذا التحول التجاري الكبير ، قد كان في مطلع القرن السادس الميلادي ، لأن هاشما - على الأغلب - توفي في هذه الفترة ، بدليل تصريح بعض المصادر أن هاشما كان معاصرا (لقباذ الملك الفارسي) على أحد الآراء - (والحارث بن عمرو الكندي) الذين عاشا في مطلع القرن السادس الميلادي[2] .

ومما رجح هذا الرأي ، ما قيل بأن اللقاء التاريخي بين عبد المطلب وأبرهة الحبشي عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه الرسول -ﷺ- وأن هذا الحدث الكبير كان سنة ٥٧٠م ، وتذكر بأن عبد المطلب كان حينذاك شيخا وقورا أي أن عمره ما

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص١٢٣ .

(٢) الأندلسي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد) : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، الجزء الثاني ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٨٢م ، ص٣٢٧ .

بين ٦٠-٨٠ سنة ، فإن هذا يرجح صواب ما ذهب إليه الرأي الذي حدد تاريخ بدأ الإيلاف بمطلع القرن السادس الميلادي [١] .

ولا نستطيع أن نقدر زمنا لعقد الإيلاف ، لأن المصادر لم تذكر نصوص الكتب التي قيل أن الملوك كتبوها " لرئيس المؤلفين " واخوته ، ولم تذكر أسماء هؤلاء الملوك حتى يمكن تقدير زمن عقد الإيلاف ، ولكن أغلب الظن بأن الاتفاق التجاري مع الإدارة البيزنطية ، جرى في زمن غير زمن الاتفاق مع اليمن والحبشة والحيرة[٢] .

كما أن هناك رواية تؤكد أن هاشما أخذ الإيلاف من قيصر ومات بعد زمن قصير يجعلنا نرجح بأن هذا الحدث قد حدث في أوائل القرن السادس الميلادي ، ليس لأن حساب عمر عبد المطلب جد الرسول يحفزنا على هذا فقط ، بل لأن الأوضاع الدولية كانت آنذاك مناسبة تماما لهذا التقدير[٣] .

رأي رواة الأخبار أن يجعلوا الإيلاف بوجه عام ، وللرحلتين بوجه خاص ، بدء يكون لهما كالسبب والعلة ، فإذا ما قرنا (الإيلاف) بمصطلح آخر هو " الاعتقاد " اتضح لنا حافز مباشرا جعل الإيلاف وسيلة إنقاذ لدى المكين ، ويمثل الاعتقاد موقفا انتحاريا سببه الجوع ، بعد هلاك الأموال ، والتعفف مع ذلك عن السؤال ، فكان أهل البيت الواحد إذا هلكت أموالهم خرجوا إلى براز (مرتفع) من الأرض فضربوا على أنفسهم الأخبية ثم تناوبوا فيها حتى يموتوا ، فقام هاشم بن عبد مناف خطيبا في قريش فقال : " إنكم أجدبتم جدبا تقلون فيه وتذلون وأنتم أهل حرم الله وأشراف ولد آدم ، والناس لكم تبع " فقالوا : " نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف "[٤] ، فالاعتقاد يعني حقيقة واحدة وإن تعددت أشكاله ، و اللجوء إليه يشير إلى توالي الجدب واليأس لمن لا

---

(١) حول مقابلة عبد المطلب لأبرهة الحبشي ، ومولد الرسول الكريم ، أنظر : ابن هشام : ٩٤/١ ، أنساب الأشراف ٦٧/١ .

(٢) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢١١ .

(٣) نفس المرجع ، ٢١٢ .

(٤) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٤٩ .

يجدون ، لأنفسهم قوتاً ، ولهذا كان لابد من القيام بمبادرة توقف ذلك العمل الانتحاري ، وكان هاشم هو المبادر إلى ذلك .

وأخذ الإيلاف أيضاً رؤساء القبائل والعشائر لخصلتين : أحدهما : أن ذؤبان العرب ، وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات وطلاب الطوائل كانوا ، لا يُؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ، والخصلة الأخرى : أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً كبني طئ وخثعم وقضاعة ، مع أن سائر العرب يحجون إلى البيت ، ويدينون بالحرّمة له .. فكان الإيلاف صلاحاً للفريقين ، إذ كان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً ، فأخصبت قريش[1] .

هذا وقد أفرد أحد الباحثين سبباً أخراً لخروج هاشم بين عبد مناف (صاحب الإيلاف) ، بالتجارة من مكة إلى بقية العالم وبالأخص بلاد الشام ، لعدد من الأسباب ، فذكر بأن هاشماً هو الذي فكر في الوصول بالتجارة إلى العالمية ، ولابد إنه كان قد ذهب إلى بلاد الشام قبل ذلك ، وعرفها وأحس أن هناك طلباً على بضائع معينة ، يستطيع هو وقومه أن يوفروها لأهل الشام ، وهذه البضائع لا تقتصر على ما يخرج من الجزيرة العربية مثل الأدم والتمور ، والصوف ، فإن هذه الأصناف مهما عزت فإن لها بدائل في بلاد الروم ، فلابد إذن أن تكون الحاجة ماسة إلى أنواع ، من البضائع يحتاج إليها الناس في بلاد الرومان ثم الروم من بعدهم ، ولابد أن تأتيها من بعيد ، وهذه هي التوابل والعطور والمسلك ، والمر واللبان والحرير ، ومما لا تستغني عنه الكنائس في طقوس العبادة ، ولا يستغني عنها الأباطرة وسرات الناس في حياتهم ، وكان بعض هذه الأصناف يصل إلى مكة ، والباقي يمكن جلبه إليها إذا مست إليه الحاجة ، وهذه الحاجة هي التي لمسها هاشم في بلاد الشام ، وعرف أنه يستطيع موافاة التجار أو رجال الدولة البيزنطية في الشام بها ومن ثم فطن بحسه التجاري العملي ، إلى أنه يستطيع أن يوفي بهذه المطالب ، ومن هنا فقد اجتهد في مداخلة كبار

---

(١) أنساب الأشراف : ٥٩/١ ، وكذا . مروج الذهب ، ٥٩/١-٦٠ .

رجال الدولة والتجار ، لكي يعرض عليهم تزويدهم بما يحتاجون إليه ، من بضائع ، فتكلف المظهر العظيم ، حتى اشتهر أمره ، واجتذب أنظار كبار رجال الدولة وكسب احترامهم وثقتهم[١] .

بينما يرى أخر بأن خروج تجارة قريش عن نطاقها المحلي وتجاوزها حدود الجزيرة العربية ، كان أمرا أملاه عليهم تحمسهم في الدين وتركهم الغزو وكراهيتهم للسبي ، واستحلال الأموال فلما زهدوا في المغصوب ، لم يبق مكسبه سوى التجارة ، فضربوا في البلاد إلى قيصر بالشام وبصرى والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر[٢] .

إن ظاهرة الإيلاف ، ابتكار قرشي نقل تجار مكة من تجار محليين إلى وسطاء عالميين ، وبسياسة متوازنة وواضحة في محيط العلاقات الدولية ، وتنظيم نقابي مكي ، مع القبائل العربية في الشمال أولا ، ثم تطورت لتضم معظم القبائل العربية داخل الجزيرة ، وخارجها ، كما أنه لم يكن بالإمكان نجاح هذا النظام لولا التنظيمات التي بدأها قصي بن كلاب ، بعد أن سيطر على مكة ونظم أسسها وتسلم وظائف الحرم ، ومن ثم أنطلق في تنظيم حياتهم الاقتصادية[٣] .

فقريش كانوا تجارا من قبل الإيلاف ، ولكن كانت تجارتهم لا تتجاوز مكة ، فكانوا وسطاء التبادل التجاري في الداخل ، حتى سافر هاشم بن عبد مناف إلى بلاد الشام ، حتى أنه أخذ لقبه من تهشيم الخبز وعمل الثريد لقومه أو للحجيج ومن ثم فقد كان يذبح كل يوم شاة ، ويبسط جفنه من ثريد ويجمع من حوله فيأكلون معه ، ويروون أن هاشما كان من أجمل الناس خلقا وأتمهم حسنا ، فذكر ذلك لقيصر[٤] ، وقد يستغرب

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص١١٥ .

(٢) ثمار القلوب ، ص١٠ .

(٣) إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص٢٨ ، وكذا . صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ٣٧٧/٧-٣٨٧ ، وكذا . ثمار القلوب ، ص٨٩-٩٠ ، وكذا حمدان عبد المجيد الكبيسي : المرجع السابق ، ص٨٣ ، وكذا . ناصر بن سعد الرشيد : " تعامل العرب التجاري وكيفيته=

سبب اهتمام قيصر بهاشم ، إلا أن هذا أمرا ليس بالغريب ، فإن من عادات الـــروم أن يهتمون بمن نزل أرضهم من العرب الغرباء ، وكانت لهم عيون يوافون العمـــال فـــي بلاد الروم بالأخبار والتجار الأجانب .

فدعاه قيصر فلما رآه وكلمه أعجب به ، فكان يبعث إليه كل يوم فيدخـــل عليـــه ويحادثه فلما رأى نفسه تمكن عنده فقال له : " أيها الملك إن قومي تجار العرب ، فـــإن رأيـــت إن تكتب لي كتابا تؤمن تجارتهم فيقدمون عليك تســـتطرف مـــن أدم الحجـــاز وثيابه ، فتباع عندكم فهو أرخص " فكتب له كتاب الأمان لمن يقدم منهم ، فأقبل هاشـــم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من أحياء العرب أخذ من أشرافهم إيلافا وهـــو أمـــان الطريق حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجـــوا بتجـــارة عظيمـــة وخرج هاشم معهم يجوزهم ويوفيهم إيلافهم ، الذي أخذ لهم من العرب حتى أوردهـــم الشام وأحلهم قراها[1] .

وهناك إشارة إلى أن الروم والأحباش كانت لهم مراكز في مكة يرعـــون فيـــها شئون تجارتهم وربما تجسسوا لأقوامهم : يقول أحد الباحثين " ووصل المكيـــون قبـــل الإســـلام عندما كان العداء بين الفرس والروم بالغا منتهاه إلى درجـــة عظيمـــة فـــي التجارة ، وكان على تجارة مكة اعتماد الروم في كثير من شئونهم حتى فيما يترفـــهون به كالحرير ، وحتى استظهر بعض مؤرخي الإفرنج أنه كان في مكة نفســـها بيـــوت تجاريـــة ، رومانية يستخدمها الرومانيون للشئون التجارية والتجســـس علـــى أحـــوال العرب ، وكذلك كان بها أحابيش ينظرون في مصالح قومهم التجارية " [2] ، ومن ثـــم يبدو أن الروم هم الشريك الأول والرئيسي في عقد الإيلاف فيما بين مكة وتجارها .

=في العصر الجاهلي " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني (الجزيرة العربيـــة قبل الإسلام) جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص٢٢٤ .

(١) جواد علي : ٢٩٣/٧ ، وكذا . صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٥ ، وكذا . ناصر بن سعد الرشـــيد : المرجع السابق ، ص٢٢٤ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص١٥ .

أما بالنسبة للعوامل التاريخية فنجد أن العديد من العوامل أدت إلى انتقال التجارة إلى مكة ، وبالذات بعد ما انتقل محور تجارة الشرق إلى غرب جزيرة العرب ولعل من أهم هذه الأسباب هو الصراع بين الفرس والروم ، كما أوضحت سابقاً ، ومن ثم لم يبق من منافسة سوى منافسة طريق البحر الأحمر [١] ، ويرى أحد الباحثين بأن البحر الأحمر خلال القرن السادس لم يعد مطروقاً لأسباب غير واضحة [٢] ، حيث وصف صاحب الكتاب " الطواف حول البحر الأريتري " خطورة الإبحار في البحر الأحمر في العصور القديمة ، فكان معظم تجارة المواد الفاخرة التي تطلبها بيزنطة تعتمد على مكة بخاصة في أثناء الصراع البيزنطي الفارسي [٣] .

وأنكر أحد الباحثين انتقال التجارة إلى مكة ، وذلك بعد أن عجز عن تفسير سبب انتقال التجارة إليها ، فذكر أنه عندما أصبح من غير المألوف أن يقوم اليونان برحلة إلى الشرق ذهاباً وإياباً بأنفسهم ، يحتمل أن يكون العرب الجنوبيون قد شاركوا في نقل البضائع الشرقية من سيلان إلى عدن مع الأحباش ، رغم أن هذا ليس سوى افتراض بحت [٤] .

ونجد أن هذا التفسير قد أخفق في إدراك جدلية العاملين الأساسيين وهما : الظروف الدولية الملائمة والاستعداد الذاتي المناسب لدى القرشيين [٥] .

وهكذا ، فقد أنهار جميع منافسي مكة في المهمة التي كانت تطمح إلى القيام بها في التجارة الدولية ، ولكن تبين إلى أن هذا الانهيار بفعل الحروب كان العامل الخارجيه في توفير أسباب نجاح مكة [٦] ، والأمر الذي حسم المنافسة لصالح مكة ،

---

(١) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص١٩٨ .

(2) Watt, M.G. , op . cit . p . 12 .

(3)Alwi , H . A . , " The Arabian Commercial Background in Pre – Islamic Times", Islamic Culture , vol 17 , 1943 , Nr . 2 . p . 77 .

(4) Crone , H . , " The Book of Old Ships , Garden City Publishing Company, New York 1935 p . 40 , Miller , J. I., op. cit., p.p. 147-190 .

(٥) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٠٠ .

(٦) إبراهيم بيضون : الحجاز والدولة الإسلامية ، ص٦٩-٨١ .

وهو استعدادها الذاتي ، مع توفر الظروف الخارجيه ، وخطوط التجارة بطبيعة الحال التي تتجنب بؤر الحرب ، واستفادة قريش من الحروب المتصلة بين الفرس والروم ، وبل نهجت نحوها سياسة الحياد ، الأمر الذي مكنها من الاتجار مع العراق والشام [١] .

ويميل أحد الباحثين[٢] في رأيه إلى ترجيح ، أن هاشماً لم يتعد في عقد إيلافه بلاد الشام ، إلى غيرها من البلدان ، وذلك يعود إلى أساسيين أولهما حصر رحلتي الشتاء والصيف في الشام دون غيره ، وثانيهما نسبة الإيلاف مع الحبشة ، واليمن والحيرة إلى آخريين من بني عبد مناف جاءوا بعد هاشم ، بالنسبة للأساس الأول ، نجد بعض المفسرين يصرون على أن الرحلتين رحلة الشتاء والصيف إنما كانتا إلى الشام[٣] ، فكانت رحلة الصيف إلى بصرى وأذرعات طلباً لبرودة الجو ، وكانت رحلة الشتاء إلى غزة مع سلوك طريق البحر طلباً للدفء[٤] .

وهناك إمعاناً في حصر المجال الذي كان يتحرك فيه هاشم في بلاد الشام نفسها ، واقتصاره على غزة " وكان متجرهم من الشام غزه ولا يعدونها إلى غيرها " [٥].

إلا أن كل ما حدث من إيلاف مع إقليم آخر غير الشام ، كان بعد وفاة هاشم[٦]، وبواسطة إخوته .

---

(١) المنمق ، ص٣٠-٣٢ .

(٢) إحسان عباس : المرجع السابق ، ص١٢ .

(٣) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر) : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الجزء السادس ، طهران ١٣٧٧هـ ، ص٣٩٧ .

(٤) يذهب بعض المفسرين إلى أن الشتاء يقضى في مكة والصيف في الطائف . أنظر : القرطبي (ابو عبد الله بن أحمد) : الجامع لأحكام القرآن ، الجزء العشرون ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص٢٠١ . وكذا الدر المنثور ، ٣٩٨/٦ .

(٥) الواقدي (محمد بن عمر) : كتاب المغازي ، الجزء الأول ، ط٣ ، تحقيق مارسون جونس ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٢٠٠ .

(٦) المنمق ، ص٣٥-٣٦ .

وبالنسبة للأساس الثاني من أطراف الإيلاف وهو خروج عبد المطلب بن عبد مناف – أخو هاشم – إلى اليمن ، فأخذ من ملوكها عهد الأمان ، وعقد الإيلاف مع سادات القبائل على طول الطريق كما فعل هاشم ، وقد كان من مصلحة اليمن عقد مثل هذا الاتفاق مع قريش ، لتكفي نفسها مؤونة السفر الشاق عبر البحر الأحمر ، بالإضافة إلى خطورة القبائل القاطنة في طريق التجارة البرية ، والمصادر أكدت ، بأن مكة اتجرت مع اليمن ، بتصريح رسمي من حاكمها الحبشي ، فقد كانت حملة أبرهة الفاشلة على مكة في سنة ٥٧٠م دليلا على عدم مقدرتهم على اجتياز الصحراء ، بالإضافة إلى افتقارها إلى العنصر البشري الذي استطاعت مكة أن تستقطبه حول حرمها ، وهناك رواية تقول : أن أبرهة عندما علم بتلطيخ القليس ، قال : " هذا دسيس قريش لغضبهم لبيتهم الذي تحج إليه العرب " ، وكان بصنعاء تجار من قريش فيهم ، هشام بن المغيرة ، فأرسل إليهم أبرهة فأقبلوا عليه حتى دخلوا عليه فقال لهم : " ألم أطلق لكم المتجر في أرضي وأمرت بحفظكم وإكرامكم" [١].

فإذا صح هذا يعني أن أبرهة عقد لقريش إيلافا يجيز لهم الاتجار مع اليمن . وحينما سيطر أبرهة على اليمن وعزز قبضته العسكرية على بعض القبائل العربية في وسط الجزيرة ، لم يفلح في انتزاع أزمة تجارة الشرق من المكيين لأن تنظيم خط تجاري كالذي نظمته مكة لا يحتاج إلى سيطرة عسكرية ، بقدر حاجته إلى رأسمال تجاري ووسائل للنقل ، وعهود كالتي عقدتها قريش مع القبائل العربية ، والملوك ، وهذه جميعها عناصر ذاتية توافرت لمكة ولم تتوافر لغيرها[٢] .

وشكك أحد الباحثين في أن مكة ، عقدت مع الحبشة ، الإيلاف و يذكر من الأسباب التي دفعته لهذا الشك ، هو أن الإبحار في البحر الأحمر ، كان خطراً بسبب

---

(1) Kister , M . J . , : Some Reports Concerning Mecca From Jahiliya to Islam , JESHO, vol , Xv 1972 , p . p . 61 –93 .

(2) CF.: Devreess , R . " Flarbes – perseeet Arabs –Romains , Lakhmiel eset Ghass anides " Revue Bioblique , I I , 1942 , P . 284 .

الشواطئ الصخرية ، والمرجانية والصحراوية وأعمال القراصنة ، فقد كان الإبحار في البحر الأحمر حِكراً للبيزنطيين والأحباش ، ويستنتج من ذلك أن قريشاً لم يكن لهم تجارة منتظمة مع الأحباش ، بل كانوا على الأكثر ينقلون تجارة الحبشة الآتية إليهم " ولذا فلم يكن ثمة إيلاف مع الحبشة " [١] .

إلا أننا نجد من يرد هذا الرأي بقوله إن إشارات القرآن الكثيرة عن الملاحة وركوبهما دليل على معرفة القرشيين الذين خاطبهم الله بلغتهم ، كانوا ملمين بالملاحة وأقرب ملاحتهم كانت قطعاً إلى الحبشة ، كما أن حجة خطورة الملاحة في البحر الأحمر تنطبق على الأحباش وبيزنطة أيضاً ، وقريش معهم ، بل إن الحجة تجوز أكثر على الفريق الأشد اعتماداً على البحر والأقل استخداماً للصحراء .

أما حجة عدم توفر الخشب ، والحديد في جزيرة العرب لبناء السفن ، فإن قريشاً لم تبحر إلى الهند بنفسها لبعدها ، وكانت التجارة تأتيها من الهند بسفن غيرها ، وكان بُعد البحار إلى الحبشة هي مسافة بسيطة ، على الأرجح ، ولم يحل ذلك دون عقدها إيلافاً مع اليمنيين ، وهذا يعني أن قريشاً كان يمكنها أن تستأجر سفن الأحباش لنقل تجارتها مع الحبشة إلى ميناء الشعيبة القريب من جدة [٢] .

وأكد ابن سعد[٣] أنه بقدر ما كانت علاقة قريش التجارية مع الروم فإنها ، كانت كذلك مع الحبشة ، ولعلها بدأت منذ أن كتب قيصر ملك الروم ، كتاباً إلى النجاشي يوصيه بالعرب على حد قول بعض الروايات ، واستمرت حتى أرسل الرسول -ﷺ- المهاجرين من الصحابة إليها ، وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً "[٤] .

---

(1) Simon , R . op . cit . , p p . 223 – 224 .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف المرجع السابق ، ص٢٠٧ .

(٣) الطبقات الكبرى : ص٤٥ .

(٤) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٢٦ ، وكذا . الشامي (محمد يوسف الصالحي) : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٩٤هـ ، الجزء الثاني ، ص١-٤٨٦.

كما أكد الجاحظ بأن قريشا كانوا يستخدمون سفنا لحسابهم الخاص لنقل التجارة بينهم وبين الحبشة[١] .

وهناك رواية[٢] تذكر أن هاشما سار إلى الملوك فأخذ منهم العهود والعقود ، ألا يمنع قومه من التجارة في بلدانهم وأراضيهم ، وكانت أرض الحبشة من أفضل الأماكن التي تتجر فيها قريش ، ويذكر أن هاشم بعد أن عقد العهود مع ملوك الحبشة واليمن ، توجه إلى جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة ، ثم توجه إلى العراق فأخذ من قباذ ملك الفرس العهد .

ومهما تكن قيمة هذا المصدر فمن الملاحظ أنه مصدر متأخر ، فهو يذكر الإيلاف مع العراق والفرس ، بينما تسكت عنه سائر المصادر ، وهو يجعل الإيلاف مع الشام ، بعد أخذ الإيلاف مع اليمن ، وهذا شيء لا تقره الروايات ، بل أن الروايات التي يوردها ابن سعد تقرن بين المجاعة ، في مكة وبين الإيلاف مع الشام ، وفي بعض الروايات أن الإيلاف سابق للمجاعة [٣] .

أما الطرف الرابع من هذه المعاهدات عقد كان مع الفرس ، حيث خرج نوفل بن عبد مناف الأخ الرابع ، وأصغر أخوة هاشم إلى بلاد فارس ، وأخذ عهد الأمان من كسرى ، وعقد إيلافا مع أعراب الطريق إسوة بأخوته [٤] ومما يؤكد وجود علاقة تجارية فيما بين ملوك فارس ومكة ، حتى أن أحد المؤرخين ذكر ، أن من ملوك فارس كانت تحج إلى الكعبة ، وتهدي إليها الأسياف والغزالان اللذان عثر عليهما

---

(١) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني الفقمي البصري) : البيان والتبيين في طبقة السندوبي ، القاهرة ١٩٢٦م ، ص٢٠٧ ، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص١١٠ ،

(٢) الطبقات الكبرى ، ص٧٥-٧٦ .

(٣) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢١٤ .

(٤) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص٢٢٥ .

عبد المطلب عند حفر بئر زمزم ، كان ساسان ملك الفرس قد أهداهما للكعبة وقيل سابور " [1].

وقد يتساءل[2] البعض عن سبب عقد الإيلاف مع بلاد فارس حيث كانت التجارة المكية ذات أهمية كبرى للمصالح البيزنطية ، فما هي مصلحة الفرس فيها ، وهناك لابد أن نفرق فيما بين التجار الفرس الذين كانوا ينقلون تجارة الشرق ، والإدارة الفارسية الرسمية والتي كانت في حرب مستمرة مع بيزنطه ، فكانت تسعى أحيانا إلى وقف الاتجار مع البيزنطيين وتسعى أحيانا أخرى إلى ضبط الجباية وتحسين مداخل تجارتها مع السوق البيزنطي ، في أفضل الأحوال ، وكلا الأمرين لا يتفق تماما مع مصالح التجار ، ولذا قد نشتبه إلى أن جميع القطاعات في المجتمع الفارسي ، لم تكن بالضرورة متفقة على موقف واحد حيال التجارة مع بيزنطة ، وقد نتخيل رغبة التجار الفرس الآتية من الهند في وصول بضائعهم إلى السوق اليمنية ، حيث ينتظرهم التاجر المكي ، فلا يمرون بالرقابة الفارسية ، ولم تكن الفرس على مقدرة لتراقب هذه المصادر وبالتالي تمنع تجارتها مع القوافل المكية ، وأصحابها ، حتى بعد استيلاء الفرس على اليمن .

إن جميع هذه العناصر في الوضع الدولي تؤيد ما يمكن أن يستخلص من المصادر الإسلامية في تقريب زمن نشوء الإيلاف في أوائل القرن السادس الميلادي . فذكر أحد الباحثين ، بأن الحيرة اعتمدت على قبائل قيس عيلان ، وهي التي كانت تسيطر على سوق عكاظ ، لتتخذ حصة من تجارة القوافل ، إلا أن حصة الحيره بدأت تتضائل ، حتى استطاعت قريش أن تستولي عليها تماما على إثر حروب الفجار ، حين لحقت الهزيمة بقبيلة هوازن حلفاء الحيرة ، فذكر أن أبا سفيان بن حرب كان يقود قافلة من تجارة القرشيين والثقفيين إلى الحيره ، فقال لهم أن من مسيرنا هذا لعلى

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص٣٥٣ .

(٢) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢١٣ .

خطـــر ، ما قدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا في القدوم عليـــه وليســـت بـــلاده لنـــا متجرا [١].

إلا أن هذا الرأي يعد تسرعا في استنتاج ذلك ، فقول أبي سفيان الســـابق ، قـــد يكون لاحقا لحروب الفجار ، التي انتصرت فيها إرادة مكة على الحـــيرة . أمـــا أنـــه افترض أن إيلاف مكة مع الحيرة لم ينشأ إلا في أوائل القرن السابع الميـــلادي ، لأن قريشا في ذلك الزمن سيطرة على كل تجارة الحيرة ، فهو لم يدرك معنى الإيـــلاف ، وأخذه على أنه احتكار القرشيين لخطوط التجارة وهذا ليس صحيحا ، إذ أن مكة حتـــى تهادن قبائل العرب ، وتضمن ولائهم وسلام مرورها في أرضهم ، اشركتهم معها فـــي التجارة ، فقد كانت سيطرة القرشيين على التجارة هي سيطرة الشريك الأكبر ، الـــذي يشارك الجميع وليس سيطرة المحتكر[٢] .

وهناك افتراض بأن قريشا لم تعقد إيلافا مع الحيرة ، ويقوي هذا الرأي ، المدى الجغرافي للخفارة التي كانت قريش تستطيع ممارستهـــا ، في تلك الجهـــة ، إذ كـــانت هذه الخفارة القرشية إلى " سوق المشقر " في هجر (قاعدة البحرين) [٣] ، وتقف عنـــد ذلك الحد ، فإذا سلك التجار طريق العراق تخفروا ببني عمرو بن مرثد من بني قيـــس بن ثعلبه ، أي أن ربيعه كلها تستطيع أن تجيز ذلك لأصحاب التجارات وليس لقريـــش في تلك الطريق خفارة [٤]، ولو كانت لها خفارة تتجاوز حدود الجزيرة العربيـــة ، لـــم تحتاج إلى هذه الخفارة للتجارة الداخلية ، ويجب أن نذكر أن ولاء القبائل فـــي الجهـــة الشرقية من الجزيرة العربية لم يكن خالصا لدولة المناذرة أو لدولة فارس ، إذ كثيرا ما كانت القبائل هناك على علاقة متوترة بالدولتين[٥] .

---

(1) Simon , R ., op . cit . , p . 228 .

(٢) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢١٧ -٢١٨ .

(٣) صفة جزيرة العرب ، ص١٨٠ ، وكذا معجم البلدان ٣٩٣/٥ .

(٤) المحبر ، ص٢٦٤ .

(٥) إحسان عباس : المرجع السابق ، ص١٤ .

وبالتالي كانت التجارة الداخلية من الحيرة أو من فارس إلى الجزيرة العربية ، عرضة للتعدي والنهب ، والأخبار عن اللطيمة التي كان يرسلها الفرس إلى اليمن أو يرسلها الحاكم الفارسي في اليمن إلى فارس ، أو يرسلها ملك الحيرة إلى الجزيرة العربية [١]. تؤكد كلها عدم وجود عهود تجارية بين مكة والفرس ، فقد كان تعهد محدود ، ومؤقت قد يقوم فرد ذو نفوذ ثم يظهر آخر يتحدى نفوذه هذا ، ويتعرض للطيمة ، وهي هنا جميع ما تحمله الإبل بقصد التجارة [٢] ، إلى النهب والسلب .

وبهذا يكون صنيع أبناء عبد مناف ذا شقين متكاملين ، الأول هو أخذهم الأمان في الخارج مع رؤساء الدول ، والآخر عقدهم الإيلاف في الداخل مع رؤساء القبائل العربية[٣] ، القاطنة على طول الطريق ، وقد أفرد الباحثون لإيلاف القبائل أهمية أكبر من إيلاف الرؤساء والملوك ، وذلك لأن عملية تأليف القبائل عملية ترويض كبيرة ، تتطلب جهداً كبيراً وخبرة ، فقريش التي خبرت طبائع الناس وبخاصة طبائع البدو من خلال الاحتكاك الدائم في المواسم الدينية ، والاقتصادية ، هي وحدها القادرة على ابتكار الأسلوب الأفضل للتعامل معهم[٤] ، وبالتالي فإن عقد الإيلاف مع سادات الأعراب في الداخل أهم بكثير من الرؤساء والملوك ، إذ كان باستطاعة الأعراب نهب القوافل ، وسلب أموالها ، وهي ذاهبة آيبة ، تحمل أثقالها الضخمة فلا يستطيع أهل مكة رد غائلتهم ، وتصبح حينئذ عقود الأمان الخارجية غير ذات موضع جدوى لها ، لذلك تنافست كل من حكومات اليمن والروم والحيرة وفارس على كسب ودها ، إلا أنها

---

(١) حيث ورد أن بازام والي اليمن أرسل إلى كسرى من اليمن عيرا تحمل ثيابا من ثياب اليمن ومسكا وعنبرا وخرجن منها مناطق محلاة ، وفي المصدر نفسه (ص٢٣٨) أن تجارة كسرى إلى اليمن كانت تبذرق من المدائن حتى تدفع إلى النعمان ويذرقها حتى يخرجها من أرض بني بازام باليمن ، أنظر أيضا : معجم البلدان ٣٦٨/٥ .

(٢) مغازي الواقدي : ٣٢/١ .

(٣) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١٠٢-١٠٣ ، وكذا ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق، ص٢٢٥ .

(٤) صالح درادكة ، المرجع السابق ، ص٥٥ .

لم تستطع أن تصل إلى شيء مثل ما حصلت عليه قريش[١] . ومن الأدلة على أن قريش كانت تعلق على إيلاف القبائل أهمية أكبر مما تعلقه على رؤساء الدول ، ما ذكر من حادثة أبي ذر الغفاري ، يوم اعتدى عليه القرشيون لإعلان إسلامه ، ما يوضح هذه الحقيقة ، فقد صاح العباس بن عبد المطلب بمكة ، قائلاً : " ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام" [٢].

وهكذا ، بعد أن أشركت قريش القبائل العربية في تجارتها أصبحت هذه القبائل عنصر الأمان ، الأساسي في سير التجارة المكية ، بعد أن كانت تنهبها وتسليها ، فأصبحت تجتاز بالقوافل حتى تبلغها مأمنها [٣] ، إلا أن هذا الأمان كان مشروطاً ، كما رأى أحد الباحثين[٤] ، حيث أشركتهم قريش وحملت لرؤسائهم البضائع ، وبذلك أصبح الارتباط بها عنصراً عضوياً ، لدرجة يستحيل معها الفصل بين قريش بشخصيتها المقدسة وبين حياتها الاقتصادية الجديدة ، فكان الإيلاف نموذجاً مبتكراً للممارسة القرشية المفطورة على التجارة [٥] .

أما حول اختصاص قريش بالإيلاف ، وبالأخص – أبناء عبد مناف – دون غيرهم من العرب قال الشاعر وهو يرد على بني أسد فيما يدعون من قرابة لقريش :

زعمتم أن إخوتكم قريش ... لهم إلف وليس لكم إلاف

أولئك أومنوا خوفاً وجوعاً ... وقد جاعت بنو أسد وخافوا[٦]

---

(١) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١٠٣ .

(٢) العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) : الإصابة في تمييز الصحابة ، الجزء الرابع ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٢٨هـ ، ص٦٢ رقم (٣٨٤) .

(٣) صالح درادكة : المرجع السابق ، ص٥٥ .

(٤) ظافر القاسمي : " الإيلاف أو المعونات غير المشروطة " ، مجلة المجمع العربي ، مجلد ٣٤ ، دمشق ١٩٥٩م ، ص٢٥٥ .

(٥) رضوان السيد : " من الشعوب والقبائل إلى الأمة " مجلة الوحدة ، عدد ٤ ، ص٢٦ .

(٦) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص١٥٣ .

وقد رأى أحد الباحثين [1]: بأن هـذه الرواية التي تخص أبنـاء عبـد منـاف بالإيلاف ، هي محاولة من الإخباريين الإسلاميين لتعظيم أسلاف النبي العربي ، وكـلن موضـع شكـه أن نسبـه إنشاء الإيلاف إلى هاشم بن عبد مناف الجد الرابع للرسول -ﷺ-، إنما محاولة منهم ، إلى حصر مفاخر المكيين ومآثرهم في أسرة النبي وحدها. وأضاف بأن الحرم لم يكن وجوده نادرا في جزيرة العرب ، وبين أن كل حـرم كـان يخص جماعة قبيلة ما ، تقوم على حراسته وخدمته والاهتمام بالحجاج إليه ، وكـان أهل الحرم في المعتاد مقاتلين مسلحين ، هم الأشراف ، أما الآخرين من تجار وصنـاع ومزارعين ، يعيشون في جوار الحرم لحمايته ، فكانوا يدعون الضعفاء ، ولا شك فـي أن قريشا كانوا أشرف مكة ولم يكن في ذلك أي تعظيم استثنائي لشأنهم وقد ظلوا علـى هذا الوضع ، حتى ظهور الإسلام ، ولو كان معارضوا النبي -ﷺ- وعلـى رأسـهم زعماء عبد شمس ، يعرفون أن جدهم هو صاحب الفضل الأول في الإيلاف ، لـردوا على النبي بالدعوة إلى عبادة أصنامهم ، ولما كان لسكوتهم في هذا الشأن أي مسـوغ خصوصا إذا ما لاحظنا أن عبد شمس كان أكبر من هاشم سنا [2] .

وهناك من الآراء ما يؤيد بأن أبناء عبد مناف ، لم يعقـدوا الإيـلاف ، لا مـع كسرى ، أو قيصر ، أو النجاشي ، أنفسهم ، بل مع مسئولين آخرين ، في تلك الـدول ، أقل شأنا من رؤسائها العاملين كالموظفين المسئولين عن الحدود ، بأن تعاهدوا معـهم وقدموا لهم الهدايا ، فصاروا يتساهلون معهم في جباية الأعشار ، وفي أخذ المـرور ، فشاع بين قومهم أنهم تعاقدوا مع أولئك الملوك . ولكن لا غرابة في أن يكون هـؤلاء الاخوة ، قد عقدوا العهود مع الملوك والرؤساء أنفسهم ، لأن سادة قريش ، في قومـهم

---

(1) Serjeant , R . Haram and Hawtah , The Sacred Enclavein Arabia , Melarges Taha Hussein, op. cit ., pp . 41 – 58 .

(٢) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٢٠٦ .

كانوا من الناحية العامة ، بمنزلة هؤلاء الملوك في دولهم ، وإن هذه الدول كانت تتنافس على السبق في التفاهم مع العرب لأغراضها الاقتصادية [1] .

وعلى أية حال ، فقد ترتب على ظاهرة الإيلاف ، العديد من الآثار الاقتصادية والاجتماعية ففي ظل الإيلاف ، انتعشت مكة انتعاشا اقتصاديا واجتماعيا قويا منذ أخذ الإيلاف وحتى هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة ، فأخصبت قريش وازدهرت أحوالها وطابت معيشتها [2] ، فأصبحت مكة مركزا من مراكز التجارة العالمية ووسيطها في العالم القديم ، وانتقلت أحوال قريش التجارية من طور إلى طور ، فقد تخلصوا من تحكم التجار الأجانب ، ومارسوا هم بأنفسهم التجارة الخارجية ، وأصبح معظم تجارة الجزيرة مع الأمم المجاورة حكرة لهم ، وقد اعترفت قريش لأولاد عبد مناف بفضلهم وجميل صنعهم ، فسموهم (المجيرين) إذ بهؤلاء النفر الأربعة جيرت قريش وتبحبحت في الخير والغنى ، الجيرين وأصبحت مكة بفضل هذا النشاط التجاري ملتقى التجار الغرباء من جهات متعددة بأكثر من ذي قبل ، يأتي إليها تجار الروم يعشرهم المكيون ، كما كانت الروم تعشر من حل منهم بلادها .

فظاهرة الإيلاف ابتكار قرشي نقلت تجار مكة من تجار محليين إلى وسطاء عالميين ، وبسياسة متوازنة وواضحة في محيط العلاقات الدولية وبتنظيم نقابي مكي ومع القبائل العربية في الشمال أولا ، ثم تطورت لتضم معظم القبائل العربية داخل الجزيرة العربية وخارجها [3] .

ولقد كان عقد الإيلاف مع القبائل العربية القاطنة على طول الطرق التجارية أهم بكثير من عقدها مع رؤساء وملوك الدول – كما أوضحنا سابقا – وتحقق الأمن في الجزيرة العربية بموجب الإيلاف ، وكان تحقيق الأمن مطلبا " عزيزا في منطقة الحجاز وبلاد العرب ، فانطلقت بموجب هذا الأمن السفارات التجارية في كل اتجاه و

---

(١) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١٠٤-١٠٥ .

(٢) ثمار القلوب ، ص١١٦ .

(٣) أنظر : إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص٢٨ .

ازداد حجم القوافل وتنوعت السلع ، فحق لله سبحانه وتعالى أن يمن على قريش بقوله تعالى :﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء﴾[1] ، والدليل على مدى اتساع التجارة المكية ، أن هاشما مات بغزه والمطلب مات بردمان من أرض اليمن ونوفل مات بسلمان من جهات فارس ولم يمت في مكة سوى عبد شمس بن عبد مناف ، وهو إشارة إلى توسع دائرة التجارة في عهد أبناء عبد مناف .

ومن أهم وأبرز آثار الإيلاف الاجتماعية أن قريشا استطاعت أن تقيم مؤسسات اجتماعية مهمة ، وأن تمضي في رعايتها للسقاية ، و الرفادة ، والأحلاف كحلف الفضول الذي تم في المقام الأول لخدمة التجارة ، بإعلان الحماية لكل من يلحقه ظلم في مكة ، بحيث ساد في ظل هذه المؤسسات نوع من التكافل الاجتماعي الذي لا يقضي على النزعة فقط بل يقضي على العوز جملة ، وهذا يحققه إيمان الأغنياء بأن واجبهم الاجتماعي يقضي البذل ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها ما روي عن عبد الله بن جدعان ، وهو من أبرز أثرياء مكة يومئذ ، أنه كان مثلا في الكرم فقد كان يطعم الفقراء ، وكانت له جفان غاية في الضخامة ، ويقال أن قافلته كانت تضم الفي بعير ، وتحمل البر والعسل والسمن من الشام فيلبك فيها لباب البر بالسمن والعسل ويأمر مناديا ينادي بمكة داعيا الناس إليها [2] ، ويرى أحد الباحثين[3] ضرورة انصراف الباحثين في التاريخ الاجتماعي إلى التعمق في آثار الإيلاف حتى يفهم العرب ماضيهم الاجتماعي .

ومن الآثار الاجتماعية للإيلاف ما هو أوضحها ، وهي العلاقات التي استخدمها نظام الحمس بين قريش وبعض القبائل ، وهي آثار تبدو أشبه بما يترتب على الحلف القبلي التقليدي .

---

(١) سورة القصص : آية ٥٧ .

(٢) المنمق ، ص٩٤ .

(٣) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٤٠٠ .

ومادة حمس في اللغة تفيد الشدة والصلابة في الدين والقتال[1] وعن ابن إسحاق في السيرة النبوية قوله : " وقد كانت قريش ، ولا أدري أقبل الفيل أم بعده ، ابتدعت رأي الحمس رأياً رأوه وأداروه ، فقالوا : نحن بنوا إبراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة ، وسكانها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا : قد عظموا الحل فاعظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها – وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم عليه السلام " [2] .

وهم يرون لسائر العرب (غير الحمس) أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، فيتضح لنا أن قريشاً ابتدعت نظام الحماسة لتمييز أهل الحرم عن بقية العرب ، والحُمُس (الجمع من الأحمس) هم في عرفهم : قريش كلها وخزاعة لنزولها مكة ، ومجاورتها قريش ، وكل من ولدت قريش من العرب (من كانت أمه قرشية) ، وكل من نزل مكة من قبائل العرب ، وكان ممن ولدت قريش هم كلاب وكعب وعامر وكلب بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمهم مجد بنت تميم بن غالب بن مهز [3] .

والأحمس هو ابن البلد وابن الحرم المقيم المنتمي إلى الكعبة والحرم ويلاحظ أن قريشاً توسعت في إستتباع الناس من القبائل المحيطة بها وأدخلت في الحمس أصهارها ، وبذا تبع زوج القرشية قومها ، فأعتدُ ذلك شرفاً له[4] .

ويرى أحد الباحثين أن الحماسة ، وإن كانت مؤسسة دينية ، إلا أنها اتبعت بقريش عدداً من القبائل التي كان استتباعها مهماً جداً للتجارة القرشية ، فقد أحاط الحمس بالحرم المكي إحاطة السوار بالمعصم وجعلوه منطقة سلام لا يخرقه إلا من

---

(١) سعيد الأفغاني ، المرجع السابق ، ص٧٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ، ٤٣١/٢ .

(٣) المحبر ، ص١٧٨ ، ١٩٧ ، وكذا . أحمد إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص١٨٩ .

(٤) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص٣٠٠ .

ينتهك العقيدة الدينية[١] ، كما في قوله تعالى : ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما أمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ [٢] ، وهذا إشارة إلى السلام الذي كانت التجارة متعذرة لولاه [٣] .

إلا أن هذا الافتراض يعني أن قريشا أعدت لكل شيء سلفا فأقامت التجارة ونظام الحماسة وعقدت عهود الإيلاف ، وكأنها تنفذ مخططا دقيقا ، وهذا أمر غير مرجح ، بل المرجح أن تجارة مكة توسعت تدريجيا وطالعتها مشكلات ، فأخذ شيوخ مكة يبتكرون الحلول كلما تسنى لهم ذلك ، بمرونة وحس واقعي [٤] .

وقد تناول أحد الباحثين[٥] آثار الإيلاف الاجتماعية من زاوية مختلفة ، تتعلق بسلوك الفرد حيال الجماعة ، بعد تراكم الثروات التجارية ، فرأى إن العيش في الصحراء في المعتاد شديد القسوة ، إذ أن الطعام والماء نادران ومبدأ الندرة يحتم الصراع على الموارد المتوفرة فيصح الغزو والقتال سلوكا يوميا ضروريا ولا يعود البقاء ممكنا إلا إذا تمتعت زعامات القبيلة بصفات الامتياز البشرى في الحرب والقيادة وسياسة الرجال في مواجهة الصعاب ، ولكن في المقابل الحرص الشديد على أبناء القبيلة ، في نظام العصبية والثأر لضمان نوع من الدفاع المشترك ، كأبناء القبائل الأخرى بمثابة أشياء في أحسن حال ، ولذا كانت عصبية القبيلة ، أي تضامن القوم على أساس النسب ، هو مبدأ الضمان الاجتماعي والأمن العام ، وقد تبدل هذا مع تعاظم مساهمة التجارة في المجتمع البدوي ، فالتجارة أحدثت وفرة في الثروات الشخصية ، وحفزت الأفراد على امتلاك الأراضي والبيوت ، وفي هذه الظروف يجنح الناس إلى السلوك الفردي وتتهافت مشاعر التضامن الجماعي والعصبية القبلية في بحث كل عن مصلحته الخاصة .

---

(1) Simon , R ., op . cit . p p . 230 –231 .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٦٧ .

(3)Ibid : , p p . 216 –217 .

(٤) عرفان محمد حمور : أسواق العرب ، دار الشورى ، بيروت ١٩٧٩م ، ص٦٤ .

(5)Montgomery,W.,“ Economic and Social Aspects of the Origin of Islam ,“ Islamic Quarterly , I , 1954 , P P . 91 –93 .

وقد لاحظ آخر[1] أن وحدة الثقافة والمجتمع كانت في الحقيقة أشد وأقوى مما توحيه المصادر ، والفضل في نشوء هذه الوحدة لسكان مدن الحجاز الذين وحدوا نسبيا شمال غرب الجزيرة العربية في منطقة اقتصادية ، فساهمت هذه بدورها في تجميع القبائل ضمن إطار ثقافي موحد .

أفرد أحد الباحثين[2] مجموعة من المفاهيم والعادات والتقاليد التي انبثقت عن الإيلاف والرحلتين (الشتاء والصيف) ، وإن كان بعض منها ذا أصل سابق ، فإنه قد نما وقوي واكتسب صفة العموم من الإيلاف والرحلتين ومنها :

- الإيلاف خصيصة من خصائص قريش لم يعرف به أحد سواهم ، نعم اشترك أهل زمانهم في نتائج الإيلاف وثمراته ، ولكن لم يشتركوا في خصيصته الأصلية .
- قبول الناس لهذا الإيلاف أولا ، والتزامهم به ثانيا حتى أصبح نظاما عاما معمولا به في الداخل والخارج ، نبع هذا من كونهم أصحاب هذا البيت بيت الله .
- ممارسة العلاقات الدولية مع داخل الجزيرة ممثلة في مكة وكان الأمر مثل ذلك معروفا في أطرافها فقط كجنوب الجزيرة وشمالها الغربي .
- شعار قريش الذي كانوا يعطون به الإيلاف لبعض القبائل تسعى به كما تسعى قريش ، وقد سبق أن حاول الفرس والروم أن يأخذوا إيلافا مع الأعراب فلم يستطيعوا .
- قسمة أرباح الرحلتين بين غنيهم وفقيرهم .
- ترك قريش للغزو وكراهيتهم للسبي واستحلال الأموال واتجاههم للتجارة .
- وثيقة حلف الفضول وآثاره الطيبة في مكة وخارجها ، وقد شهده النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة .

---

(1) Van Grunebaum, G . E . , " The Nature of the Arab Unity Before Islam " , Arabica , X , 1963 , p.p. 6-7 , 16-17 , 20-23 .

(٢) أحمد عبد المحسن عيسى : المرجع السابق ، ص١٢١-١٢٢ .

- كون مكة أصبحت هي مركز التجارة العالمية ووسيطها في العالم القديم وارتياح الفرس والروم إلى هذا الوسيط المنيع المحايد .
- خبرة أهل مكة في أصول تنمية الأموال واستثمارها .
- الطريقة التي يتكون بها رأسمال القافلة الجماعية في كل من الرحلتين وأنهم أصبحوا تجارا خلطاء .
- منصب رئاسة القافلة ، وما تقرر له من شروط معينة .
- ثقافة أدلاء الطرف وخبرائها ، وحراسة القافلة .
- العيد الشعبي في مكة عند خروج القافلة وعند عودتها .
- طواف رؤساء القافلة حول الكعبة عند خروج القافلة وعودتها .
- بدء مسيرة القافلة من دار الندوة .
- تضخم طبقة العبيد والموالي والتعامل بالربا الفاحش .
- حرمة الأسواق وتحويلها إلى مجتمع سياسي أدبي وقضائي وحل للأحوال الشخصية ونشوء للآراء والاتجاهات .
- حماة الأسواق .
- توقيت أسواق العرب الثلاث خاصة (وهي عكاظ ومجنه وذو المجاز) لكي تنتهي بالحج وتفضي إلى أسواق مكة .
- ظهور طبقة من كبار الأغنياء وأصحاب الثروات الضخمة .

ثالثا : المعاملات التجارية :

- البيوع .
- الرهن .
- التسليف ورد الدين .
- القراض والمضاربة .
- الربا .

ثالثاً : التعامل التجاري .

حظيت التجارة باهتمام بالغ في المجتمعات العربية ، فأقبل القوم عليها إقبالا شديدا ، فهناك من يرى أن كل عربي فيها تاجر أو دليل ، والعرب كانوا الرواد الأوائل للتجارة العالمية ، ولم يكن باستطاعة الرومان القدماء الاستغناء عنهم في هذا الميدان .

وبلغ من أهمية التجارة لديهم ، أن الملوك والزعماء كانوا أحيانا تجارا ، فملوك المناذرة كانوا يرسلون اللطائم إلى أسواق الحجاز كل عام ، كما كان ولاة الأمر في تدمر قد مارسوا التجارة ، وكذلك قريش ورؤساؤها[١] .

البيوع :

يعتقد أحد الباحثين[٢] أن البيع والشراء في مكة كان بدائيا ، لكن هذا الاعتقاد غير صحيح ، إذ كان التجار المكيون يستخدمون في تجارتهم الوثائق المكتوبة ، من جراء احتكاكهم الدائم بالبلاد المجاورة بعد نشوء الإيلاف ، واتخذوا عادة تسجيل وتوثيق حساباتهم ، من الأسواق الفارسية والبيزنطية واليمنية ، وقد كانت عادة استحضار شاهدين سابقة للإسلام اتبعها التجار إسوة بما كان متبعا في اليمن .

ويبدو أن رسوخ أساليب التعامل التجاري بأسواق العرب تلك يعود إلى إنه كان يلي أمر الناس والنظر في شئونهم التجارية في بعض هذه الأسواق أمراء يهبطون الأسواق للإشراف عليها وجمع الإتاوة من تجارها واستيفاء نصيبهم من المال الذي عينه لهم ذلك الأمير[٣] .

---

(1) Dermenghem . E . , le Vie de Mahamet , Paris , 1929 , p p . 24-26 .

(2) Alwi , H . A ., - op . cit . , pp . 80 – 83 .

(٣) المرزوقي (أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني) : الأزمنة والأمكنة ، الجزء الثاني ، حيدر آباد، الدكن ١٣٣٢م ، ص١٦١ .

كما تؤكد معظم الدراسات ، أن أهل مكة كانوا يتميزون بخبرة كبيرة في مجال التجارة ، فقد استطاعوا أن يضعوا قواعد ثابتة في طرق التعامل التجاري ، فكانت لهم خبراتهم في زيادة الثروة ، وأساليبهم في المراسلات ، وطرقهم في الاستيراد والتصدير، وإقامة الأسواق في المواسم المعروفة ، ومن الطبيعي أن تتوافر شروط البيع في مثل هذا المجتمع من شهود يشهدون على صحة المعاملات وكتبة يكتبونها[١] .

ومما حفظ لنا من هذه الصكوك ما ذكره ابن النديم : بأنه كان في خزانة المأمون كتاب خط في جلد أدم ذكر فيه : " حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على حميري من أهل صنعاء ، بألف درهم فضة كيلا بالحديده ، وحتى دعاه بها أجابه"[٢].

وكانت النقود في حقيقة الأمر رائجة عند المكيين ، لذلك كانوا كثيراً ما يمتهنون الصيرفة ، ويستثمرون أموالاً في تنظيم القوافل الكبيرة ، وبخاصة إلى الشام واليمن ، وقد تداول التجار المكيون الدينار الذهب البيزنطي ، والدرهم الفضه الفارسي ، والحميري ، واحضروا معهم هذه النقود إلى مكة ، وكان دينار الذهب هو العملة المعتمدة عند سكان الشام ومصر البيزنطيين ، والذين يسميهم القرشيون أهل الذهب ، وكما يسمون أهل العراق أهل الورق (أي الدراهم الفضة المضروبة) . وكانت في مكة بيوتات مال ومؤسسات مكوس . وكان الصرافون يعدون بمكسب يبلغ خمسين في المائة من رأس المال ، وذلك لترغيب التجار في الاقتراض منهم[٣] ، وكان البلاذري يرى أن بلوغ الكسب مائة في المائة أمراً اعتيادياً إذ يقول : " وكانوا يربحون للدينار ديناراً " [٤] .

---

(١) نوري حمودي علي القيسي : المرجع السابق ، ص١٧ .

(٢) أبو الفرج محمد النديم : الفهرست ، طبعة رضا ، تجدد ، طهران ، ١٩٧١م ، ص٨ ، وكذا . عرفان محمد حمور ، المرجع السابق ، ص٤٢ .

(3) Rodinson , M ., Mohammed , Penguin Books , Suffolk , Great Bri-taine , 1977 , p . 35 .

(٤) أنساب الأشراف ، ٣١٢/١ .

وقد عرف العرب في جاهليتهم أنماطا من البيع ، بل ألفوها وكانوا يتخذونها في أسواقهم ، وأكثر هذه البيوع مما يغبن فيه البائع أو المبتاع ، فضلا عن عادات ضارة تتصل بهذه البيوع ، إلا أن هذه البيوع تصور لنا ما كان عليه تفكير فريق منهم[١] ، بينما يرى أحد الباحثين[٢] ، بأن هذه البيوع لم تكن تتخذ في جميع الأسواق بل إن منها ما تميزت به سوق عن سوق أخرى ، وجماعة عن جماعة ، وسنورد أهم هذه البيوع ومنها .

ومن هذه البيوع[٣] :

أولا : (الرمي بالحصاة) : وتسمى أحيانا (إلقاء الحجارة) وقد ذكروا لهذا البيع صورا كثيرة ، ومنها أن يقول أحد المتبايعين للآخر " أرم هذه الحصاة فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم " .

أو أن يقول البائع : " إذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو بيع " منك بكذا " فجعل الرمي بالحصاة نفسه بيعا " ، أو يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول : " أي شاة أصبتها فهي لك بكذا " [٤] .

كما أن يقول بعتك من السلع ما تقع عليه حصاتك ، أو بعتك من الأرض إلى حيث تنتهي حصاتك[٥] ، أو أن يقبض المشتري على كف من حصى ويقول : لي بعدد ما خرج في القبضة من الشيء المبيع " . أو أن يبيعه سلعة ويقبض على كف من حصى ويقول : " لي بكل حصاة درهم " . أو أن يقول للمشتري : بعتك على أنك بالخيار إلي أن أرمي بهذه الحصاة ، فإذا نبذتها وجب البيع " .

ومنها أن يجتمع النفر منهم على السلعة يساومون بها صاحبها فأيهم رضي ألقي

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٨٧ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٤٦ .

(٣) الألوسي (السيد محمود شكري) : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٤٣هـ، ص٢٦٤ -٢٧٠ .

(٤) لسان العرب : ١٤/٣٣٥-٣٣٨ .

(٥) لسان العرب : ١٤/٣٣٨ .

حجره " [1] ، وربما اتفقت في السلعة الرهط ، فلا يجدون بداً من أن يشتركوا وهم كارهون وربما (اتفقوا) فألقوا الحجارة جميعاً إذا كانوا عدداً على أمر بينهم فيكسبون صاحب السلعة إذا تظاهروا عليه ، انفرد بهذه الصورة الأخيرة ، المرزوقي في كتابه (الأزمنة والأمكنة ، ٢ :٦٢) نقلاً عن محمد حبيب وسماها إلقاء الحجارة بدلاً من رمي الحصاة [2] .

ثانياً : (المنابذة)[3] : ولهم في هذا النوع من البيوع ثلاث صور :

١ - أن تقول " انبذ إلي الثوب أو أنبذه إليك وقد وجب البيع بكذا أو كذا[4] فيكون النبذ إيذاناً بالبيع وقطعاً للخيار .

٢ - أن يرمي الرجل إلى الرجل بثوبه ، وينبذ الأخر إليه ثوبه ولم ينظر أحد منهما إلى ثوب صاحبه فيكون ذلك بيعهما عن غير نظر ولا تراضي[5] .

٣ - ونبذ الحصاة وهو ما تقدم .

ثالثا : (الملامسة) : وهي أيضا على ثلاثة أوجه :

أ - أن يأتي البائع بثوب مطوي ، أو ظلمة فيلمسه المشتري فيقول له صاحب الثوب "بعتكه بكذا بشرط أن يقوم المسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته " [6] فلا يقلب المشتري الثوب لا ليلا ولا نهارا .

ب - الصورة الثانية من صور الملامسة : أن يجعل المتبايعان اللمس نفسه بيعا بغير صيغة ، كما تقدم في المنابذة ورمي الحصاة .

ج - أن يجعلا اللمس شرطا في قطع خيار المجلس وغيره .

---

(١) بلوغ الأرب : ١/٢٦٤-٢٦٥ .

(٢) المحبر : ص٢٦٤ . ولا شك أن المرزوقي قد نقل عبارته .

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٤٨ ،وكذا . ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٤) القاموس المحيط : مادة (نبذ) .

(٥) شرح النووي على مسلم : الجزء العاشر ، ص١٥٤-١٥٥ .

(٦) نفس المصدر السابق ، ص١٥٥ .

وقد ألحق الإسلام هذه الصورة بسابقتها وأبطلها ، ونهى عنها ، فقد جاء في صحيح مسلم : " نهى رسول الله -ﷺ- عن بيعتين الملامسة والمنابذة " [١] . وقد قيل عن سوق المشقر : وكان بيعهم فيها الملامسة والهمهمة أم الملامسة (فهي) الإيماء : يومئ بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون ، حتى يتراضوا، إيماء ، أما الهمهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب أن زعم المشتري أنه قد بدله [٢].

رابعاً : (المعاومة) : أو بيع السنين وهو أن يبيع تمر الشجرة عامين أو ثلاثة أو أكثر ، وقد أبطله الإسلام لأنه من الغرر فهو بيع معدوم ومجهول ، وغير مقدور على تسليمه وغير مملوك [٣].

خامساً : (المزابنة) : هو بيع الرطب وهو على رؤوس النخل بالتمر كيلاً ، وكذا كل تمر بيع على شجرة بتمر كيلاً . وسمي هذا البيع مزابنة لأن أحد المبتاعين إذا ندم زبن صاحبه عما عقد عليه ، وقد نهي الإسلام عنه لما فيه من الغرر [٤] .

سادساً : المحاقلة (أو المحاقلة) [٥] : وهي في الزرع على نحو المزابنة في التمر فيباع الزرع القائم بالحب كيلاً ، وقد نهى رسول الله -ﷺ- عن المحاقلة كما نهى عن المزابنة .

سابعاً : (المخابرة[٦]) : وهي وإن كانت بالزراعة ألصقت لأنها معاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع ، كالثلث ونحوه ، من الأجزاء المعلومة ، وهي تتعلق بموضوعنا لأن أحد أعلام العربية فسرها تفسيراً يجعلها بهذا

---

(١) شرح النووي على مسلم : الجزء العاشر ، ص١٥٥ .

(٢) المحبر ، ص٢٦٥ .

(٣) شرح النووي على مسلم : الجزء العاشر ، ص١٧٧-١٧٨ .

(٤) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٥٠ ، وكذا ، ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٥) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٥١ ، وكذا . ناصر بن سعد الرشيد :المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٦) سعيد الأفغاني المرجع السابق ، ص٥١ ،وكذا ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

الباب أشبه ، فقد جاء في شرح مسلم للنووي قيل إن المخابرة مشتقة من الخبرة وهي النصيب وقال أبو عبيدة هي النصيب من سمك أو لحم ، يقال : تخبروا وأخبره إذا اشتروا شاة فذبحوها ، وتقاسموا لحمها . وقال ابن الأعرابي : هي مأخوذة من (خيبر) لأن أول هذه المعاملة كان فيها ، الذي يظهران ابن الأعرابي يشير إلى الزراعة لا إلى الاشتراك بالشاة الذي فسر المخابرة به أبو عبيدة لأهل خيبر أرضين وعلما بالزراعة [1] .

ثامنا : (حبل الحبلة[2]) : كان بيعا يتبايعه أهل الجاهلية : فكان الرجل منهم يبتاع الجزور إلى أن تنتج الناقة ، وأحيانا إلى أن تنتج التي في بطنها فإذا نتجت حملها ، فالحبل يراد به ما في بطن النوق من الحمل ، والثاني حبل الذي في بطون النوق ، ونهى رسول الله -ﷺ- عن هذا البيع ، " وإنما نهي عنه لقصدين (أحدهما) أنه غرور وبيع شيء لم يخلق بعد ، وهو أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة ، على تعذير أن تكون أنثى فهو بيع النتاج ، و(الثاني) : أن يبيعه إلى أجل ينتج فيه الحمل الذي في بطن الناقة وهو أجل مجهول ولا يصح[3] " .

تاسعا : (التصرية[4]) : كان من عادة بعض العرب إذا أراد بيع الشاة أو ناقة أمتنع من حلبها أياما فيحتفل اللبن في ضرعها فيعظم ، فإذا كان ذلك فيها عرضها للبيع ، فيظن المشتري أن كثرة لبنها واحتفال ضرعها عادة مستمرة ، لها ، فلا يلبث أنها يتبين خطأه بعد شرائها ، والتصرية الجمع ، يقال صرى الماء في الحوض إذا جمعه ، جاء في الصحيحين عن رسول الله - ﷺ- لا تصر الإبل

---

(١) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٥١ ، وكذا . ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٢) سعيد الأفغاني المرجع السابق ، ص٥١ ، وكذا ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٣) أنظر شرح النووي على مسلم : الجزء العاشر ، ١٥٧-١٥٨ .

(٤) سعيد الأفغاني المرجع السابق ، ص٥٣ ، وكذا ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

والغنم ، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظر بين بعدان يحلبها ، فإذا رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعا من تمر[١] .

عاشرا : (السرار) : وكان بيعهم بعكاظ السرار ، فإذا وجب البيع وعند التاجر ألف رجل فمن يريد الشراء ، ولا يريده فله الشركة في الربح [٢] ، وقيل أن المتعاملين كانا يتفقان على ثمن للبيع فإن اختلفا يفرض الثمن الذي يحدده أحدهما شريطة أن يخرج خاتمه قبل الأخر " إن أخرجت خاتمي قبلك فهو بيع بكذا . وإن أخرجت خاتمك قبلي فبكذا " ، فإن أخرجاه معا عادا في الإخراج [٣] .

الحادي عشر : (الناجز[٤]) : وهو البيع العام المعروف لجميع الناس بادين وحاضرين ، وذلك إذا كانت المبادلة يدا بيد وقالوا : بيع السوق ناجزا بناجز أي حاضرا بحاضر .

الثاني عشر : (الجس[٥]) : نص عليه محمد بن حبيب في كتابة المحبر فقال في الكلام على سوق صنعاء : " وكان بيعهم بها الجس جس الأيدي " ، ولعله نوع من بيع الملامسة المتقدم .

ومن بيوع الجاهلية التي عرفت كذلك هي بيع المخاصرة ، وبيع الطني والمجر ، والعذوي . وبجانب هذه الأنواع من البيوع كانت هناك عادات ضاره لها علاقة بهذه الأنواع من البيوع كالتصرية وبيع الحاضر للبادي والنجش ، والأعراب والركبان والخلابة ، والاحتكار ، والمكس ونحو ذلك[٦] .

---

(١) شرح النووي على مسلم : الجزء العاشر ، ص١٦٥-١٦٦ .

(٢) سعيد الأفغاني المرجع السابق ، ص٥٣ ، وكذا ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٤٣٤ .

(٣) محمود عرفه : العرب قبل الإسلام ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص٣٦٠ .

(٤) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٤ .

(٥) المحبر : ص٢٦٦ .

(٦) لسان العرب : ٦/٢٢٠ .

الرهن :

عرف العرب " الرهن " وإن كان هناك رهن شاذ ، كرهن الأولاد والنساء ، وإن كان التاريخ لا يسجل إلا حادثاً أو اثنين ، لما يحمله هذا الرهن من العار والتضحية[١] ، وقد طلب اليهود من صديقهم أبي نائلة رهن الأولاد والنساء ، وكان أبو نائلة سلطان بن سلامة قد أتى أحد الأشراف من اليهود وأغنيائهم وهو كعب بن الأشرف ، وكان أخاه من الرضاعة ، فقال له : أني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك " فقال كعب : " أترهنوني نساءكم " قال كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ، قال كعب : أترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك نرهنك من الحلقة ما فيه الوفاء "[٢] . ورغم هذه القصة فإنه لا يعرف من العرب من قبل برهن زوجته أو أحد أولاده لما يحمله هذا من العار والفضيحة[٣] .

أما بالنسبة لرهن الأولاد فهناك حادثة لا تقوم دليلاً أكيداً على أن العرب كانوا يرهنون أولادهم ، ولعل هذه الحادثة كانت فريدة بطلتها امرأة رهنت ابن أخ زوجها ، فقد بعثها زوجها الجشمي وإسمها عبله بنت عبيد بن خالد بن حنظلة- إلى عكاظ بأنخاء سمن تبيعها له فيها ، فباعت السمن والراحلتين ، وشربت بثمنها الخمر فلما نفذ الثمن رهنت ابن أخيه ، وهربت فطلقها ، فقالت في شربها الخمر :

شربت براحلتي محجن ... فيا ويلتي محجن قاتلي

وبابن أخيه علي لذةٍ ... ولم احتفل عذله العاذل

---

(١) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٥/٢ .

(٣) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

وتزوجها عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له أمية الأصغر وعبد أمية ونوفلا ، وهم العبلات[1] ، ولا بد عندهم من إيفاء الرهن أما إذا أغلق (أي لم يوجد له تخلص) فيدخل ضمن الربا ويضاعف ، لذلك فإن رسول الله -ﷺ- تبرأ منه .

التسليف ورد الدين :

وكان التسليف معروفاً بين الجاهليين ، كما كان الدين معروفاً ، وأشهر حوادث التسليف ما كان من العباس بن عبد المطلب ، عندما أخذ شرف السقاية من أخيه ، أبي طالب بسبب عجزه عن سداد سلفه[2] ، أما الدين فإن ابن القيم[3] يقول : " وقد قيل إنه كان في أول الإسلام يسترق الحرفي الدين " ، وهذا بلا شك امتداد لما كانت عليه الجاهلية حتى جاء الإسلام بتعاليمه التي تحكم الدائن والمدين ، وهكذا فإن كلاهما ترتب عليه عند العجز عن الوفاء سلب حق فغصب شرف أو استرقاق[4] .

القراض والمضاربة :

ومن الطرق التي عرفها العرب لتنمية تجارتهم ما عرف " بالقراض أو المضاربة[5] ، وصفة ذلك أن يدفع شخص مالاً إلى شخص آخر يتجر به على جزء

---

(١) نفس المرجع السابق ، ٢٣٧-٢٣٨ . وكذا الأغاني ٨٤/١ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ، الجزء الأول ، ص١٧٣ ، وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٣٨ .

(٣) ابن القيم الجوزيه (شمس الدين محمد بن بكر) زاد المعاد ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٣٧٩هـ ، ص٢

(٤) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٨ .

(٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٨٨-٢٨٩ .

يأخذه ، من ربح المال ، وكان الربح يوزع في الغالب نصفين أو ثلاثة ، لرب المال الثلثان ، وللعامل بحق عمله الثلث ، أو حسب ما تعاقدا عليه [١] .

وروت كتب التاريخ أن السيدة خديجة بنت خويلد ، رضي الله عنها ، كانت في الجاهلية امرأة تاجره ذات شرف ومال كثير وتجارة " تبعث بها إلى الشام ، فيكون عيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم الأموال مضاربة "[٢] وأخرج أيضاً عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أن عثمان بن عفان دفع إليه مالاً مضاربة على النصف .

ومن عادات العرب التي عرفت في بيوعهم (المكسْ) [٣]، وهي دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق الجاهلية ، ويقال للعشّار أيضاً صاحب المكسْ ، ولعل ذلك يكون بعد الإتفاق على ثمن معين .

الربا :

ومن أهم وأشهر أنواع البيوع معرفة وتداولا عند العرب كان البيع بالربا ، ويرجح أن الذي أشاعه في جزيرة العرب هم اليهود[٤] ، الطارئون عليها الذين اتخذوا من بعض قراها و مدنها مستعمرات عالجوا فيها الزراعة ، فأصابوا منها الغنى وبالتالي انتشر البيع بالربا في المدن التي كان يسكنها اليهود كالطائف والمدينة[٥] .

وروي أن وفد ثقيف عندما جاء لمفاوضة النبي -ﷺ- في أمر دخولهم في الإسلام ، قال عبد ليل : أرأيت الزنا ، فإنا قوم عزاب لابد لنا منه ، ولا يصبر أحدنا على العزبة ، قال : هو مما حرم الله ، قال : أرأيت الربا ؟ قال : الربا حرام ، قال :

---

(١) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء التاسع ، ص٩ .

(٢) الطبقات الكبرى : ١٦/٨ .

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٥٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٦٠ .

(٥) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٥ .

فإن أموالنا كلها ربا ، قال : لكم رؤوس أموالكم ، قال : أرأيت الخمر ؟ فإنها عصير أعنابنا ولابد لنا منها ، قال : فإن الله حرمها "[1] ، ويعتبر الربا هو الصورة الأخرى للوجه القبيح في الحياة العملية عند العرب في العصر الجاهلي ، ومن الإنصاف أن يقال إن الربا كان ظاهرة اجتماعية عامة وخطيرة في أنحاء العالم القديم .

ولم يكن الربا هكذا عند أصحاب المال فقط ، بل أيضاً عند سدنة المعابد الذين إستغلوا النذور والقرابين في الربا . ومن ثم فإن عملية الربا إذلال ، وهو في هذه الناحية ينتظم مع الرق في غرض السيطرة والتحكم فالمدين الذي يقع في قبضة مرتاب أزرق الدم ، يذله كما يذل الرقيق سيده الغليظ القلب[2] .

فكان العربي إذا أعوزه المال اقترض ، ورهن عند دائنه فيرهن ولده – كما ذكرنا سابقاً – ولم يقتصر الربا على اليهود بل انتشر بين السكان في مكة والطائف وخيبر[3] ، وكذلك كان أهل نجران – وأكثر تجارهم يهود – يتعاملون بالربا ، وقد أسقطه سيدنا محمد رسول الله –ﷺ–[4] .

وهكذا تسرب الربا إلى أهل مكة وتعاملوا به واعتبروه نوعاً من الاتجار في المال ، وعرف رجال منهم ، من أهل الشرف والرئاسة بممارسه كالعباس بن عبد المطلب ،وخالد بن الوليد ، وعثمان بن عفان[5] وغيرهم وكانت من عادة العرب إذا ما انتشرت عادة قبيحة استشرفوها ، فلم يترفع عنها أحد ، وكانت الضرورة والحاجة شرٌ معاون على تعاطيه ، وبذلك انحصر الغنى في طائفة معينة وعم الفقر من عداهم[6] .

---

(١) زاد المعاد : ٣/٣١-٣٢ .

(٢) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١١٩ .

(٣) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٦٠-٦١ ، وكذا . أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١١٩.

(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٨٨ .

(٥) خزانة الأدب : ٣/٣٣٧ .

(٦) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٦٣ .

وقد بالغ أهل مكة في سطوة الربا ، فكان المدين إذا عجز عن الأداء في موعده ، أدخلوا الربا المستحق في رأس المال ، واعتبروا الاثنين رأس مال جديد يحسب الربا الجديد على أساسه نظير مهلة أخرى ، وبذلك يأخذون ربا المال ربا الربا[1] .

هذا وبلغ اليهود في هذا الميدان شوطاً لم يلحقهم فيه لاحق قط ، لما تركز فيهم من ثراء وما حذقوا من حسن التأتي في تثمير أموالهم ، واستغلال الفقر والسذاجة في العرب ، وقد أقتنوا الأرضين وبنوا الحصون ثم دأبوا في جمع المال وتنميته وإدانته حتى كثرت الرهائن عندهم ، واشتطوا في طلبها ، وتفننوا في تنويعها ، اقتناعاً شائناً ولا يرعون في سبيل المادة حلفاً [2] .

وكان الربا في يثرب أكثر إنتشاراً ، بين اليهود ، وبين غيرهم من تجار الأوس والخزرج ، فهذا أتيحه بن الجلاح ، البخيل المشهور ، يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى يحيط بأموالهم وكان له تسع وتسعون بئراً كلها ينضح عليها [3] ، وكذلك كان أهل المدينة يقترضون المال والطعام من اليهود مقابل ربا فاحش ، وذكر بعض المفسرين أن القرآن الكريم وبخهم لأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل ، قال تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ....﴾ [4] (سورة النساء ١٦٠ ، ١٧٠) .

إلا أن بعض القرشيين كان يرى أن الربا كسب رديء فينبغي ألا يتقرب منه ، ويتضح هذا من خلال بناء قريش للكعبة المشرفة ، التي أوردها ابن إسحاق : من أن قريشا لما اجمعوا أمرهم لهدمها وبنايتها ، قام أبو وهب عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا معشر قريش

---

(١) أحمد عبد الرحمن عيسى : المرجع السابق ، ص١١٩ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٦٣ .

(٣) خزانة الأدب : ٣٣٧/٣ .

(٤) تفسير الطبري : ١٧/٦ .

لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس[1] ,

وكان هناك ربا خاصاً يعد من أثقل الأعباء على المعسرين وهو بالأضعاف التي أشار إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ..﴾ (سورة آل عمران آية ١٣٠) . وذلك أن الرجل منهم في الجاهلية ، يكون له على الرجل مال إلى أجل فإذا حل الأجل وكان الذي عليه الدين ضائقاً ، لا يجد ما يؤدي به دينه قال لصاحب المال : زدني في المال حتى أزيدك في الأجل " فيقول الآخر أخر عني دينك وأزيدك على مالك كذا " فيفعلان ويكون الدين مئة فيصير مئتين مثلاً ، وربما فعلوا ذلك مِراراً حتى تصير المئة بعد سنين مئات[2] .

والربا على نوعين : ربا النسيئة ، وربا الفضل ، وأكثرهم شهرة في الجاهلية هو ربا النسيئة ، وهو أن ينسئ المدين في الدفع مقابل زيادة ، فالواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل ، على أن يأخذ منه كل شهر قدراً معيناً ، على أن يكون رأس مال باق بحالة ، فإذا حل الأجل طالب برأس المال [3] .

أما النوع الثاني وهو ربا الفضل ، هو بيع العينات التي اشتمل عليها حديث رسول – ﷺ – " الذهب بالذهب ، ربا إلا هاء وهاء ، والبر بالبر ، ربا إلا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ، ربا إلا هاء وهاء " [4] .

---

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ، ٢٧٧/١ .

(٢) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ٦٧ .

(٣) ابن حجر الهيثمي : الفتاوى الكبرى الفقهية ، الجزء الثاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ ، ص١٢٠ – ١٢٥ .

(٤) صحيح البخاري : ١٦/٢

كما أن هناك صور أخرى للربا وهي :

أولا : تضعيف النقود : ومن ذلك تضعيفهم أولا في العين (النقود)[١] : وهو ما كان في ربا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وفي ربا عثمان بن عفان رضي الله عنه أنهما : " كان قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ ، قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي إذا أنتما أخذتما حظكما كله ، فهل لكما أن تأخذ النصف وأضعف لكما ففعلا ، فلما حل الأجل طلبا الزيادة ، فبلغ ذلك رسول الله -ﷺ- فنهاهم فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما "[٢] .

وكذلك ما روي أن المرابين في الجاهلية كان إذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق : " زدني في الأجل وأزيدك في مالك "[٣] .

ثانيا : في تضعيف السن[٤] : وهذا يتأتى في الإبل والماشية و صفته أن يكون للرجل فضل دين فيأتيه ، إذا حل الأجل فيقول له : تقضي أو تزيديني فإن كان عنده شيء يقضيه ، وإلا حوله إلى السن التي فوق ذلك ، فإن كانت ابنه مخاض يجعلها ابنه لبنون في السنة الثانية، ثم حقه في جذعه ثم رباعيا هكذا إلى فوق "[٥] .

ثالثا : في تضعيف الطعام : وهذا النوع من الربا " كان شائعا بين أهل الحواضر والبوادي بصورة خاصة إذ ليس عندهم دراهم ولا دنانير فكانوا يأخذون الصاع الواجد مقابل، صاع وزيادة ، والزيادة ربا حتى يكون قفزانا كثيرا وعده ابن القيم ربا مثل ربا النقد[٦] .

---

(١) سعيد الأفغاني : المرجع السابق ، ص٦٨ ، وكذا ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٦ .

(٢) الواحدي (علي بن أحمد) أسباب النزول ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ ، ص٥١ ، وكذا . البغوي (الحسين بن مسعود) : معالم التنزيل ، الجزء الأول ، على هامش تفسير الخازن ، القاهرة ١٣٧٥هـ ، ص٣٠١ .

(٣) الطبري : تفسير الطبري ٣/٧٩-٨٠ .

(٤) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

(٥) تفسير الطبري : ٣/٧٩-٨٠ .

(٦) جواد علي : ٧/٤٢٤ .

رابعاً : التضعيف في الذهب والفضة[1] : وصرة ذلك أن يأخذ الذهب والفضه وزناً فإذاً أعادوه زادوا عليه وزن الربا ، وقد ورد في الحديث : لا تبيعوا الورق إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ، ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا منها غائباً بناجز " [2] .

بدأت العلائق التي نشأت عن تعامل الجاهلية ، تضمحل بقاياها مع الزمن ، وقد تشدد الإسلام بما يرتبط منها بالربا تشدداً حازماً ، وورد فيها من الوعيد والتهديد ما لا مجال لبسطه هنا . وكان خاتمها ما جهر به رسول الله -ﷺ- ، في حجة الوداع إلا وإن كل ربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا ابتدئ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب و لكم رؤوس أموالكم لا تَظْلِمُون ولا تُظلَمون " .

وأخيراً فهناك سُنة الجاهلية يتبعها أهل الغلو في دينهم وهو تجنب التجارة أيام المواسم، خاصة موسم الحج ، لأنهم يرون أن من يتجر في هذا الموسم فهو داج وليس بحاج، وهؤلاء الحمس من قريش وأحلافها[3] ، يقول الزمخشري ، " كان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج ، وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ، ويسمون من يخرج بالتجارة الراج ويقولون هؤلاء الداج وليس بالحجاج "[4].

---

(١) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

(٢) صحيح البخاري ٢١/٢ .

(٣) ناصر بن سعد الرشيد : المرجع السابق ، ص٢٣٩ .

(٤) الزمخشري (أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر) : الكشاف من حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص٢٦٤ .

الخاتمة

إن كثيراً من مضمون هذه الرسالة يوحي وكأن ما فيها لا يزيد علـــى تجميـــع تفاصيل يعرفها الباحثون في التاريخ العربي قبل الإسلام ، وهـــذا صحيح في ظـــاهره فقط ، ذلك أن الرسالة هذه لم تكشف سراً كان مكنوناً ، ولا إهتدت إلى واقعات تاريخية لم يسبقها إليها أحد من قبل ، غير أنه ، ربما ، تفسير هذه الواقعات هو الجديد ، فكأنمـا هي حبات من هنا وهناك ، ، شوهدت من قبل ، لكنهم لم تجمع في سلك لتشكل عقـداً ، ولا جُمعت في إطار نظرة كهذه لتعطيها معنى جديداً ، وتفسرها تفسيراً خاصاً ضمـــن سياق تاريخ العرب قبل الإسلام .

وعلى أية حال فقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن النشاط التجاري في شـــمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ممتد في جذوره إلى فترات تاريخية ، إلى الألـــف الأول قبل الميلاد ، في عصر ما قبل الإسلام ، في تاريخ المنطقة على امتداد زمن كبـــير ، وخص المائة السنـــة التي سبقت الإسلام ببحث مســـتفيض ، حيـــث ســـاعد الموقـــع الجغرافي ، والقبائل العربية القاطنة في شمال غرب شبه الجزيرة العربيـــة ، والتـــي اتضح كأنها ولايات ترتبط بشيء من المركزية مع مكة المكرمة من خـــلال مواثيـــق ومعاهدات تجارية وأمنية ، التي كانت تعبيراً ملماً عن الحاجة المتبادلة بين الطرفيـــن ، فجميع هذه المؤشرات حيث دون ريب في أهمية الدور الذي مثلتـــه القبـــائل البدويـــة وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث استطاعت في خضم الصراع الدولي علـــى شبه الجزيرة العربية ، أن تجمع كلمتها ، وتلزم الحياد وتتفق على اقتسام فوائد استثمار الخطوط التجارية .

لقد نالت حرفة التجارة مكانة مرموقة عند العرب القدامى ، فنظروا إليها نظـــرة كريمة ، حتى كانت الحرفة الرئيسية لنشاطاتهم .

كما عرضت لأنواع المنتجات العربية ، والتي كانت تمثل تجارة عصر ما قبـــل الإسلام ، فقمت بدراسة تفصيلية للبخور ، بالإضافة إلى دراســـات مبســـطة للطيـــوب والتوابل والأدم والأصباغ والأحجار الكريمة والذهب والفضة والزيوت والمنســـوجات بأنواعها المتعددة . ومن ثم خلصت إلى أن منتجات جنوب غربي شبه الجزيرة العربية كانت الأشهر والأكثر رواجاً في الأسواق التجارية الداخلية والخارجية .

لقد لعبت الطرق والقوافل التجارية دوراً بارزاً في النشاط التجـــاري والتفـــاعل الحضاري بين مراكز الحضارات القديمة ، مثلما عملت على توسيع الاتصالات بيـــن الشرق والغرب .

كما كانت الطرق التجارية التي سيطر عليها العرب وقبائلهم من أهم المحـــاور لنشاطهم التجاري وعلاقاتهم مع المناطق المجاورة لهم .

لقد احتلت مكة المكرمة موقعا على إحدى أهم الطرق التجارية بشبه الجزيـــرة العربية لتجارة الشرق ، وتنبه لها التجار وقادة القوافل ، وفطنت إلى خطورة موقعـــها الدول منذ أزمنة قديمة . ولم يكن مرور التجارة ممكنا لولا موافقة المكيين ، الذين كان كبراؤهم يطوفون في البلاد ويقيمون الاتصال السياسي والتجـــاري بمســـؤولي البـــلاد المجاورة ، والذي عرف بالإيلاف ، الذي نظم رحلة الشتاء والصيف ، وحشدت لـــــها وسائل النقل اللازمة ، ورصدت لها المال التجاري الضروري وسخر لـــــها العنصـــر البشري المنظم وعقدت لها العهود مع القبائل لضمان المرور الحر الآمن ، ووثقت لـــها المواثيق مع ملوك الأطراف لتيسير التجارة الحرة .

كما رجحت الرأي حول الهجرة الحقيقية لليهود إلى يثرب وغيرها فـــي شـــمال غرب شبه الجزيرة العربية ، إلى أنها كانت بعد أن قام الرومان مرتان الأولـــى عـــام ٧٠م على يد تيتوس والثانية في عام ١٣٥م ، حيث قام هادريان بمذبحة ختمت مصـــير اليهود في فلسطين . ومن ثم اتجه اليهود إلى أعالي الحجاز إلـــى يـــثرب وغيرهـــا ، ويرجع ذلك إلى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد .

كما توصلت إلى أكثرية الآراء التي تثبت الأصل العربي البدوي للأحابيش ، مع ما لا يمنع أن يكون لدى عدد من تجار مكة وأثريائها عبيد من أصل أفريقي وحبشـــي بالذات ، ولكنهم لم يصلوا ليكونوا قوة عسكرية .

وبعد عرض الآراء التي تحدد موقع سوق عكاظ خرجت برأي عبد الله خميـــس في تحديد موقعه .

كما قمت بدراسة لموانئ شمال غرب شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمـــر وناقشت بمحاولة تحديد ميناء لويكي كومي ، الذي جاء ذكره عند استرابون في معرض حديثه عن حملة ايليوس جاللوس ، فتوصلت إلى الرأي الأرجح ، الذي يرى أن مينـــاء

الوجه الحالي هو في الغالب الميناء المسمى لويكي كومي . كما أن البحر الأحمر كان وما زال شريانا مائيا هاما ، ومحط أنظار العالم ، فكل ما دار ويدور حوله من صراع ، إنما هو صراع تاريخي ودولي الغرض منه الهيمنة وفرض النفوذ ، وإن اختلفت وسائله وأشكاله .

أما المعينيون والسبئيون ، فقد كانت لهم علاقات وجه الخصوص ، مع العراق القديم ابتداء من أواخر النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد ، والتي تمثلت على خصائص تجارية ومصالح مشتركة ، حيث نجد رغبة لدى العراق القديم في الحصول على احتياجاتها من تجارة سبأ وإيجاد مورد للدخل لديها والمتمثل في الجزية أحياناً والهدايا أحياناً أخرى ، وذلك مقابل الحماية للثانية ، والتي ترى ذلك ضرورة لحماية تجارتها وتأمينا لطرق التجارة .

كما توصلت إلى أن التأثيرات الحضارية فتنتقل عن طريق الاتصالات التجارية وخاصة بين اللحيانيين وفلسطين .

لقد سيطر الأنباط على الطرق التجارية والنشاط التجاري وذلك من خلال الآثار النبطية على طول المنطقة الممتدة من ينبع البحر وحتى خليج العقبة وفي غيرها . كما كان للغساسنة بحكم موقع دولتهم ، وأنهم كانوا أصحاب حضارة راقية جاءت وليدة الازدهار الاقتصادي في دولتهم .

ومن عرض حملة ايليوس جاللوس وتقريره الرسمي لخديعة سلايوس ، فهو ليس مسئولا عن ذلك ، وإنما المسئول عن ذلك هو الإمبراطورية الرومانية ذاتها .

أما عن المعرفة الدقيقة للكتابة ، والملازمة الصادقة التي عرفها العرب ، وأدركوا أهميتها بالنسبة إلى حياتهم وأن هذا الاهتمام يمتد إلى مرحلة تاريخية عميقة ولكن برزت أخيراً من خلال النشاط التجاري .

وبعد الدراسة المستفيضة للإيلاف وخلصت إلى الآثار الاجتماعية والسياسية .

وأخيراً أكدت معظم الدراسات أن تجارة شمال غرب شبه الجزيرة العربية وخصوصاً بمكة المكرمة كانوا يتميزون بخبرة كبيرة في مجال التعامل التجاري ، حيث وضعوا قواعد ثابتة في طرق التعامل التجاري .

وبالإضافة إلى ما سبق ، تأمل الدارسة بأن تكشف الآثار مستقبلا وتلقى الضوء، عن مدى طبيعة وحجم النشاط التجاري لشعوب شبه الجزيرة العربية القديم ، وخاصة شمالها الغربي ، والتي من شأنها تساعد على استنباط نتائج أخرى إضافية تؤكد على أهمية وحتمية التوسع في البحث والدراسة لتلك المنطقة ، والتي تعتقد الدارسة بأنها بمثابة همزة وصل حضارية هامة بين شعوب الشرق الأدنى القديم .

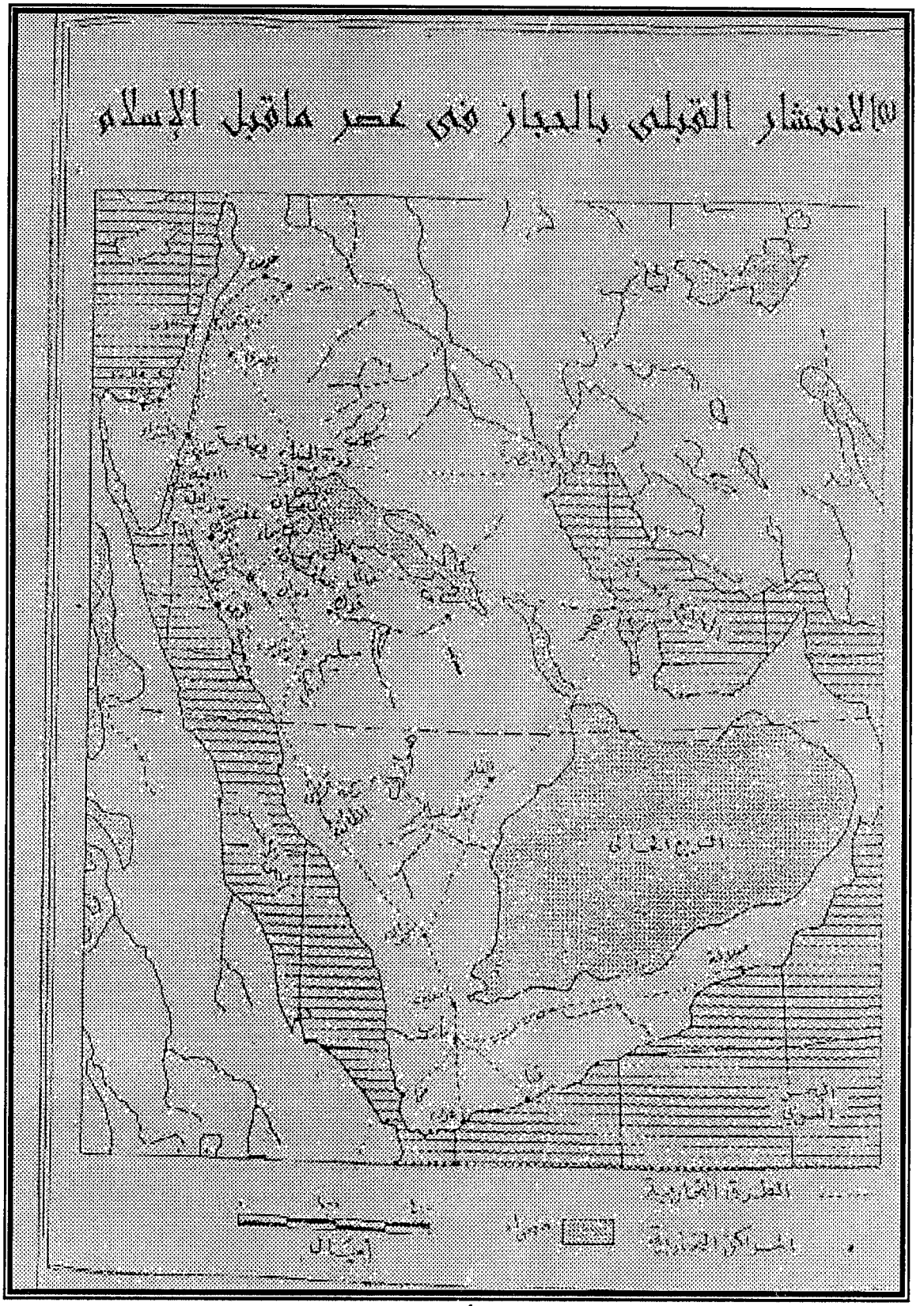

المصدر : رشاد محمود بغدادي : " أثر الطرق التجارية على الانتشار القبلي بالحجاز في عصر ما قبل الإسلام " ، ص١٤٩ .

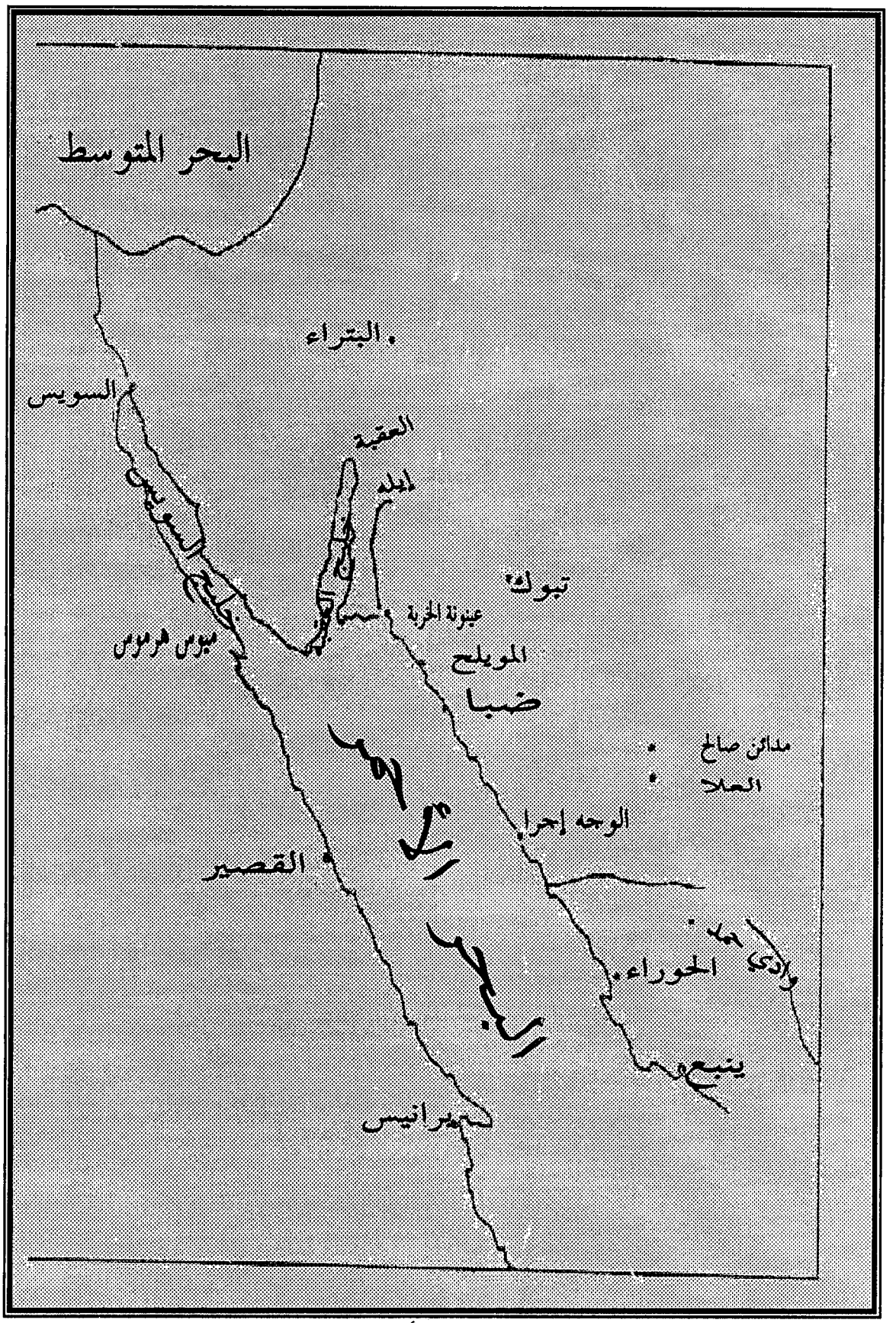

(٢) خريطة تبين موانئ الجزء الشمالي من البحر الأحمر :

المصدر : Kirwan , L, P., " Where To Search for the Ancient Port of Leuke Kome " . Mop . 7 , p . 58

ABBREVIATIONS

قائمة الاختصارات

AAA = Annals of Archaeology and Anthropology , Liverpool .

ANET = Prichard , J .B , (eds .) Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testament , New Jersey , 1969 .

AOF = Afrique Occidentale Francaise (French West Africa) : Ancient Order of Foresters .

ASOR = American School of Oriental Research .

B E O = Bulletin d'Etudies Orientales , Damas .

BIFAO = Bulletin de L'Institue Francais d'Archeologie Orentale, Le Caire.

CAH = Cambridge Ancient History , Cambridge .

JEA = Journal of Egyptian Archaeology , London .

JESHO = Journal of the Economic and Social History of Orient , Leiden .

JNES = Journal of Near Eastern Studies, Chicago .

J R S = Journal of Roman Studies .

M E J = The Middle East Journal .

RI = Revue Internationale .

PSBA = Proceeding of the Society of Biblical Archaeology .

R B = Revue Biblique .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع

أولاً : العربية

١) القرآن الكريم .

٢) التوراة .

٣) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي الشيباني) : النهاية في غريب الحديث والأثير ، الجزء الثاني ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

٤) ـــــــ : الكامل في التاريخ ، الجزء الثاني ، بيروت ، ١٩٦٥م .

٥) ابن إسحاق (محمد بن إسحاق) : دراسة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تحقيق عبد العزيز الدوري ، مطبعة العلي ، بغداد ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

٦) ابن الأزرق (محمد بن علي) : بدائع السالك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق علي سامي النشار ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٧) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) : تلبيس إبليس ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٠هـ .

٨) ابن الفقيه (أحمد بن محمد) : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٨٥م .

٩) ابن القيم الجوزية (شمس الدين محمد بن بكر) : زاد المعاد ، الجزء الثالث ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ .

١٠) ابن المجاور (يوسف بن يعقوب) : تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ، الجزء الأول ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٩٥١م .

١١) ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي) : كتاب المحبر ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٢م .

١٢) ـــــــ : المنمق ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

١٣) ابن حجر الهيثمي : الفتاوى الكبرى الفقهية ، الجزء الثاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٤) ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) : جمهرة أنساب العرب ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

١٥) ابن حنبل (الإمام أحمد) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الجزء الثالث ، المكتب الإسلامي ، بيروت (بدون) .

١٦) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٧) ابن خالويه (الحسن أحمد) : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م .

١٨) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٩) ـــــــ : تاريخ ابن خلدون ، المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢٠) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسين) : جمهرة اللغة ، الجزء الثالث ، حيدر آباد ، ١٣٤٥هـ .

٢١) ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الأعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩٢م .

٢٢) ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري) : الطبقات الكبرى ، الجزءان الأول والثالث ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

٢٣) ابن سيده (علي بن إسماعيل) : المحكم والمحيط والأعظم ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفى السقا ، وحسين نصار ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

٢٤) ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد بن محمد المرواني الأندلسي) : العقد الفريد ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .

٢٥) ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن) : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، الجزء الرابع ، اعتنى بترتيبه وتصحيحه عبد القادر بدران ، مطبعة روضة الشام ، دمشق ، ١٣٢٩هـ .

٢٦) ابن قتيبه (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوي) : المعارف ، حققه وقدم له د . ثروت عكاشه ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٢٧) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) : السيرة النبوية ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ .

٢٨) ـــــــ : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، والجزء الرابع ، القاهرة ١٩٧٤م .

٢٩) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، الجزء الثامن ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥م .

٣٠) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري) : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٣١) أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس) : الامتاع والمؤانسة ، الجزء الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٣٩هـ / ١٩٤٤م .

٣٢) أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل) : تقويم البلدان ، إعتنى بتصحيحه ماك كوكين دسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٩٠م .

٣٣) ـــــــ : المختصر في أخبار البشر ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .

٣٤) أبو الفرج محمد النديم : الفهرست ، طبعة رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١م .

٣٥) الإدريسي (أبو الفضل عبد الله بن الحسين) : جزيرة العرب من نزهة المشتاق ، بغداد ، ١٩٧١م .

٣٦) الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله) : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح محسن ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

٣٧) الأصفهاني (أبو الفرج الأصفهاني على بن الحسين) : كتاب الأغاني ، الجزء الثالث، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت (بدون) .

٣٨) الأصفهاني (الحسن بن عبد الله) : بلاد العرب ، الجزء الأول ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٨٨/١٩٦٨م.

٣٩) الألوسي (السيد محمود شكري) : بلوغ الأرب في معرفة الأحوال العرب ، الجزءان الأول والثالث ، القاهرة ١٣٤٣هـ .

٤٠) الأندلسي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد) : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، الجزء الثاني ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٨٢م .

٤١) البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) : الجامع الصحيح ، الجزء الثاني ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٦٤م .

٤٢) البغدادي (ابو بكر أحمد بن علي) : خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٥١م .

٤٣) البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق) : مراصد الإطلاع على الأسماء للأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

٤٤) البغوي (الحسين بن مسعود) : معالم التنزيل ، الجزء الأول ، على هامش تفسير الخازن ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ .

٤٥) البكري (أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، الجزء الأول ، حققه مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٤٦) البلاذري (أحمد بن يحي) : فتوح البلدان ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٤٧) ـــــــ : أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م .

٤٨) البيهقي (إبراهيم بن محمد) : المحاسن و المساوئ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .

٤٩) الثعالبي (عبد الملك بن محمد) : ثمار القلوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٨٤م .

٥٠) ـــــــ : لطائف المعارف ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

٥١) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان والتبيين في طبقة السندوبي ، القاهرة ، ١٩٢٦م .

٥٢) ـــــــ : البخلاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٥٣) ـــــــ : رسائل الجاحظ ، مطبعة التقدم ، مصر ١٣٢٤هـ .

٥٤) ـــــــ : كتاب الحيوان ، الجزءان الأول والثالث ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

٥٥) الحربي (إبراهيم بن إسحاق) : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٥٦) الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، الجزء الأول ، تحقيق عبد الله درويش ، بغداد ، ١٣٨٦م .

٥٧) الديار بكري (حسين بن محمد الحسن) : تاريخ الخميس في أنفس نفيس ، القاهرة ، ١٣٠٢هـ .

٥٨) الزبيدي (أبو الفيض مرتضى بن محمد) : تاج العروس ، الجزء الأول ، الكويت (بدون) .

٥٩) الزرقاني (محمد بن عبد الباقي) : شرح محمد بن عبد الباقي الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، بالأوفست ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ .

٦٠) الزمخشري (أبو القاسم جاد الله حمود بن عمر) : أساس البلاغة ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٦١) ـــــــ : الكشاف من حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٦٢) السمهودي (نور الدين علي) : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ .

٦٣) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر) : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الجزء السادس ، طهران ، ١٣٧٧هـ .

٦٤) الشامي (محمد بن يوسف الصالحي) : سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، الجزءان الأول والثاني ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهر ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٦٥) الشريف الإدريسي : " جزيرة العرب من نزهة المشتاق " ، تحقيق إبراهيم شوكه ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي والعشرين ، ١٣٩١هـ .

٦٦) الصالحي (محمد بن يوسف) : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، الجزء الثاني ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ .

٦٧) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الأول ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٦٨) ـــــــــ : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الجزء التاسع ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

٦٩) العامري (عماد الدين يحيي بن أبي بكر) : بهجة المحافل ، وبغية الآماثل ، الجزء الثاني، القاهرة ، ١٣٠٣هـ .

٧٠) العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) : الإصابة في تمييز الصحابة ، الجزء الرابع ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٢٨هـ .

٧١) ـــــــــ : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، المجلد السادس ، تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز ، وحمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ .

٧٢) العيني (بدر الدين أبو أحمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد) : عمدة القارئ لشرح صحيح البخاري ، طبعة دار الطباعة العامرة ، القاهرة ، ١٠٣٨هـ .

٧٣) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد أحمد) : إحياء علوم الدين ، الجزء الثاني ، مصر ، ١٣٠٩هـ .

٧٤) الفاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، الجزء الثاني ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٧٥) القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم) : الأمالي ، الجزء الثالث ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ .

٧٦) القرشي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن علي الجوزي البغدادي) : زاد المسير في علم التفسير ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

٧٧) القرطبي (أبو عبد الله بن أحمد) : الجامع لأحكام القرآن ، الجزء العشرون ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٧٨) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

٧٩) ـــــــــ : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩١٣م .

٨٠) الكلاعي الأندلسي (الإمام أبو الربيع سليمان بن موسى) : الاكتفاء في مغازي رسول الله الثلاثة ، الجزء الثاني ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨٩م .

٨١) الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب) : كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

٨٢) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد) : الأحكام السلطانية ، مطبعة آداب المستنصرية ، بغداد ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٨٣) المرزوقي (أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني) : الأزمنة والأمكنة ، الجزء الثاني ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٢هـ .

٨٤) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .

٨٥) المعجم الوسيط ، الجزء الثاني ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

٨٦) المقدسي (المطهر بن طاهر) : كتاب البدء والتأريخ ، الجزءان الثالث والرابع ، باريس ، ١٩٠٣م – ١٩٠٧م .

٨٧) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) : إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ، الجزء الأول ، تصحيح وشرح محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤١م .

٨٨) ـــــــــ : الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٨٩) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزءان التاسع والخامس عشر ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ .

٩٠) النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي) : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، الجزء ٣٠ ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ .

٩١) الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الإكليل ، الجزء الأول ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٩٢) ـــــــ : الإكليل ، الجزء الثامن ، تحقي استانس ماري الكرملي ، بغداد ، ١٩٣١م .

٩٣) ـــــــ : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، الطبعة الثالثة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٩٤) الواحدي (علي بن أحمد) : أسباب النزول ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ .

٩٥) الواقدي (محمد بن عمر) : كتاب المغازي ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، تحقيق مارسون جونس ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٩٦) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر) : تاريخ اليعقوبي ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٦٠م .

٩٧) إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابة الكوفية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

٩٨) إبراهيم بيضون : " الإيلاف القرشي " ، الحلقة الأولى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٤٢ ، ١٩٨٢م .

٩٩) ـــــــ : " الإيلاف القرشي " ، الحلقة الثانية ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٤٣ ، آيار ١٩٨٣م .

١٠٠) ـــــــ : الحجاز الدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٠١) إبراهيم يوسف الشتلة : " حملات الرومان على الجزيرة العربية " ، الدارة ، العدد الثالث ، السنة التاسعة ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٠٢) إحسان عباس : " العلاقات التجارية بين مكة والشام حتى بدايات الفتح الإسلامي " ، مجلة الأبحاث ، السنة ٣٨ ، ١٩٩٠م .

١٠٣) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٥م .

١٠٤) أحمد أرحيم هبو : تاريخ العرب القديم ، حلب ، ١٩٩١م .

١٠٥) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٠٦) أحمد أمين : فجر الإسلام ، بيروت ، ١٩٦٩م .

١٠٧) أحمد أمين : " عكاظ والمربد " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، السنة ١٩٣٣م .

١٠٨) أحمد جاد المولى وآخرون : أيام العرب في الجاهلية ، القاهرة ، ١٩٤٢م .

١٠٩) أحمد حسين شرف الدين : اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

١١٠) ـــــــ : " مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها " دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١١١) أحمد رضا : معجم متن اللغة ، المجلد الأول ، بيروت ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

١١٢) أحمد طعمة يوسف الشقاح : " انتعاش الملاحة في البحر في القرنين الأول والثاني الميلادية " ، مجلة اليمن ، السنة العاشرة ، العدد ٩ ، مايو ١٩٩٩م .

١١٣) أحمد عبد الرحمن عيسى : " من دلالات سورة قريش ، دراسات تاريخية تربوية " ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الأول ، الرياض ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

١١٤) أحمد بن عبد الحميد : عمدة الأخبار ، مطبعة ليدن (بدون) .

١١٥) أحمد فخري : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١م .

١١٦) أحمد محمود صابون : " حول تأريخ دخول اليهود بلاد الحجاز " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الثاني والأربعين ، العام الجامعي ، ١٩٩٥/٩٤م .

١١٧) ـــــــ : " مكة المكرمة ، أسماؤها وتأريخها " ، الإسكندرية ١٩٩٥م .

١١٨) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، القاهرة ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م .

١١٩) ـــــــ : تاريخ اللغات السامية ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

١٢٠) السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل الإسلام ، الإسكندرية ، ١٩٦٧م .

١٢١) أدمز ، روبرت ، البراهيم ، محمد ، بار ، بيتر ، المغنم ، علي : " الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦م ، تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل " ، الأطلال ، العدد الأول ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

١٢٢) برهان الدين دلو : جزيرة العرب قبل الإسلام ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٨٩م .

١٢٣) بطرس البستاني : كتاب محيط المحيط ، الجزء الأول ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٢٨٦هـ / ١٨٧٠م .

١٢٤) بهجة خليل إسماعيل : " نصوص نيونورتا – كودوري – أوصر ، حاكم سوخي وماري" ، سومر ، الجزء الأول والثاني ، المجلد الثاني والأربعون ، بغداد ، ١٩٨٦م .

١٢٥) توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، دمشق ، ١٩٨٨م .

١٢٦) جبرا إبراهيم جبرا : " بلاد العرب من جغرافية سترابون " ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني ، ١٣٧١هـ ، ١٩٥١م .

١٢٧) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

١٢٨) ـــــــ : العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ١٩٦٨م .

١٢٩) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الأجزاء الأول والثاني والثالث والرابع والسابع ، بيروت ، ١٩٦٨م .

١٣٠) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، القاهرة ، ١٩٤١م .

١٣١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

١٣٢) حامد إبراهيم أبو درك : مقدمة عن آثار تيماء ، الإدارة العامة للآثار والمناطق ، الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٣٣) حسن الباشا : الخط : الفن العربي الأصيل ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

١٣٤) حسن ظاظا / الساميون ولغاتهم ، الإسكندرية ، ١٩٧١م .

١٣٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٣٦) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في الجاهلية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٩م .

١٣٧) حسين مؤنس : تاريخ قريش ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٣٨) حسين مروه : النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٨١م .

١٣٩) حمد الجاسر : " المواضع الأثرية في جزيرة العرب " ، مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، المجلد ٢٦ ، دمشق (كانون الثاني سنة ١٩٥١م / ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٠هـ) .

١٤٠) ـــــــ : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، شمال المملكة ، القسم الأول ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٧هـ .

١٤١) ـــــــ : في شمال غرب الجزيرة ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠١هـ / ١٩٧٠م .

١٤٢) حمدان عبد المجيد الكبيسي : " أسواق العرب قبل الإسلام " ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٤٣) خالد طه الدسوقي : " قوم ثمود بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش " ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس ، الرياض ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

١٤٤) خالد طه الهاشمي : " خالد بن الوليد " ، مجلة الرسالة ، العدد ٦٦ ، ١٣٣٤م .

١٤٥) خليل إسماعيل محمد : " تطور الفكر الجغرافي عند المسلمين " ، مجلة البلاغ ، العدد السادس ، ١٩٦٦م .

١٤٦) خليل عبد الكريم : " قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

١٤٧) خليل يحي نامي : " أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام " ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، مايو ١٩٣٥م .

١٤٨) دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية محمد ثابت الأفندي ، أحمد الشناوي ، وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، المجلد الحادي عشر ، طهران ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .

١٤٩) رشاد محمود بغدادي : " حول تحديد موقع الجرهاء " ، إقليم الخليج علي مر عصور التاريخ – منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

١٥٠) ـــــــ : " أثر الطرق التجارية على الانتشار القبلي بالحجاز في عصر ما قبل الإسلام " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد السابع والأربعون ، العام الجامعي ، ١٩٩٨/٩٧م .

١٥١) رشدي الصالح ملحس : " الأسواق التاريخية– عكاظ – ذو المجن – ذو المجاز " ، مجلة المنهل ، المجلد العاشر ، الجزء الثامن ، السنة العاشرة ، شعبان ، ١٣٦٩هـ / مايو ١٩٥٠م .

١٥٢) رضا جواد الهاشمي : " العرب في ضوء المصادر المسمارية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثاني والعشرين ، ١٩٧٨م .

١٥٣) ـــــــــ : " التجارة " حضارة العراق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٥م .

١٥٤) ـــــــــ : " آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، بغداد ، ١٩٨٤م .

١٥٥) ـــــــــ : " تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٥٦) رضوان السيد : الأمة والجماعة والسلطة ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، ١٩٨٤م .

١٥٧) زكريا محمد القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، تصنيف زكريا محمد القزويني ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

١٥٨) زكي عابدين غريب : الحياة الأدبية في مكة في القرن الأول الهجري ، الجزء الأول ، من العصر الجاهلي حتى صدر الإسلام ، الإسكندرية ، ١٩٨٣م .

١٥٩) زنوبة نادي مرسي : " نشاط مكة التجاري قبل الإسلام " ، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، منشورات اتحاد المؤرخين ، حصاد (٨) ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

١٦٠) سامي سعيد الأحمد : " سلالة بابل الحديثة ٥٢٦-٥٣٩ق.م " ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م .

١٦١) سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ١٩٧٦م .

١٦٢) سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٦٣) سليمان بن عبد الرحمن الذييب : نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٦٤) ـــــــــ : " الموطن الأصلي للأنباط " ، الدارة ، العدد الثاني ، السنة الحادية والعشرون ، ١٤١٦هـ .

١٦٥) سيد أحمد علي الناصري : " الرومان والبحر الأحمر " ، الدارة ، السنة السادسة ، العدد الثاني ، ربيع الأول ١٤٠١هـ / يناير ، ١٩٨١م .

١٦٦) ـــــــــ : " الصراع على البحر في عصر البطالمة " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني - (الجزيرة العربية قبل الإسلام) ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

١٦٧) صالح أحمد العلي : " محاضرات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٥٩م .

١٦٨) ـــــــــ : " تنظيمات مكة والمدينة عند ظهور الإسلام " مجلة الاجتهاد ، العدد السابع ، السنة الثانية ، بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

١٦٩) صالح درادكة : " إيلاف قريش ، ملاحظات حول عوامل السيادة المكية قبل الإسلام " ، دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، العددان السابع عشر والثامن عشر ، ١٩٨٤م .

١٧٠) ـــــــــ : " لمحات من تاريخ آيله (العقبة) في العصر الإسلامي " ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، بجامعة دمشق ، العددان ، الخامس عشر والسادس عشر ، كانون الثاني ، آيار / ١٩٨٤م .

١٧١) صبحي أنور رشيد : " دراسة تحليلية ، للتأثير البابلي في آثار تيماء " ، مجلة سومر ، الجزءان الأول والثاني ، المجلد التاسع والعشرين ، بغداد ، ١٩٧٣م .

١٧٢) ـــــــــ : " العلاقات بين وادي الرافدين وتيماء " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

١٧٣) صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٢م .

١٧٤) طه باقر : " علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب " ، سومر ، المجلد الخامس ، بغداد ، ١٩٤٩م .

١٧٥) ـــــــــ : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الطبعة الثانية ، دار الشئون العامة ، بغداد ١٩٨٦م .

١٧٦) ظافر القاسمي : " الإيلاف والمعونات غير المشروطة " ، مجلة المجمع العربي ، مجلد ٣٤ ، دمشق ، نيسان ١٩٥٩م .

١٧٧) عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، الجزءان الثالث والسابع ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٧٨) ـــــــــ : رحلات في بلاد العرب (في شمال الحجاز والأردن) ، دار مكة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٧٩) عارف أحمد إسماعيل غالب : " صلات العراق بشبه جزيرة العرب ، من سنة ١٠٠٠ق.م حتى سنة ٥٣٩ ق.م " ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

١٨٠) عاطف عوض الله : " موقع بلاد " بنت " وتجارة اللبان في ظفار " ، دراسات في علم الآثار والتراث ، والعدد الأول ، الرياض ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

١٨١) عباس محمود العقاد : مطلع النور – أو طوالع البعثة المحمدية ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

١٨٢) عبد الجبار منسي العبيدي : " حروب الفجار : أسبابها ونتائجها " ، المؤرخ العربي ، العدد العاشر ، بغداد ، ١٩٧٩م .

١٨٣) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٨٤) عبد الحميد الكتاني : التراتيب الإدارية ، الجزء الثاني ، بيروت (بدون) .

١٨٥) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية " ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، الرياض ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

١٨٦) ـــــــــ : قرية الفاو ، جامعة الرياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

١٨٧) ـــــــــ : " دولة لحيان ، وجه نظر جديدة " ، التاريخ العربي ، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة ، العدد الحادي عشر ، صيف ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٨٨) عبد الصاحب الهر : مدينة خندأنو الأثرية (الجابرية العنقاء) ، بغداد ، ١٩٨٠م .

١٨٩) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

١٩٠) ـــــــــ : " شبه الجزيرة العربية في المصادر القديمة " ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول ، ١٩٨٤م .

١٩١) ـــــــــ : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

١٩٢) عبد العزيز مزروع الأزهري : قصص عكاظ ، تحقيقات تاريخية وأدبية ، نادي دار العلوم ، القاهرة ، ١٩٥١م .

١٩٣) عبد الفتاح مصطفى غنيمة ، دراسات حول الكتابة العربية ، تاريخها وتطورها ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م .

١٩٤) عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ، الجزء الربع ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١هـ.

١٩٥) عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، المطبعة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

١٩٦) ـــــــــ : بين التاريخ والآثار ، جدة ، ١٣٩٧م .

١٩٧) عبد الكريم بن محب الدين القطبي : إعلام العلماء والإعلام ببناء المسجد الحرام ، علق عليه محمد أحمد جمال وعبد العزيز أحمد الرفاعي ، و د . عبد الله الجبوري ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٩٨) عبد اللطيف أحمد علي : مصر والإمبراطورية الرومانية ، في ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

١٩٩) عبد الله أحمد محمد الثور : هذه هي اليمن ، صنعاء ١٩٦٩م .

٢٠٠) عبد الله خميس : " سوق عكاظ " ، العرب ، الجزء السادس ، السنة الخامسة ، ذو الحجة ، ١٣٩٠هـ / شباط (فبراير) ١٩٧١م .

٢٠١) عبد الله مسعود السعود : " استئناس الجمال وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية " ، الأطلال ، العدد الرابع عشر ، الرياض ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٢٠٢) عبد الله يوسف الغنيم : " إقليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة " ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢٠٣) عبد المحسن الحسيني : " الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب كما تصورها المصادر العربية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلدان السادس والسابع ، ١٩٥٢/ ١٩٥٣م .

٢٠٤) عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم : " العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين خلال النصف الأول من الألف الأول ق. م ، دراسة تاريخية " ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ / ١٤٢٠هـ.

٢٠٥) عبد المنعم عبد الحليم سيد : الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشر الفرعونية في منطقة وادي جواسيس على ساحل البحر الأحمر (تقرير عن حفائر بعثة قسم التاريخ ، لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية في ١٩٧٦م – ١٩٧٧م) ، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٧٨م .

٢٠٦) ـــــــ : " صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، المجلد الأول ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢٠٧) ـــــــ : " الأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربي " ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٢٠٨) ـــــــــ : " البخور عصب تجارة البحر الحمر في العصور القديمة " ، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣م .

٢٠٩) ـــــــــ : " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر " ، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م .

٢١٠) ـــــــــ : " جغرافية منطقة البحر الأحمر الطبيعية والبشرية وأثرها في تشكيل نوع الصلات الحضارية بين شعوب هذا البحر " ، البحر الأحمر وظيهره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، يناير ، ١٩٩٣م .

٢١١) ـــــــــ : " قناة النيل – البحر الأحمر المسماة قناة " سيزوستريس " وأدلة عدم وجودها في العصر الفرعوني " ، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣م .

٢١٢) ـــــــــ : " التقاويم السبئية في ضوء نقش حميري جديد " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، المجلد الأول ، مارس ١٩٩٩م .

٢١٣) ـــــــــ : " النشاط التجاري للعرب القدماء خارج الجزيرة العربية من خلال النقوش العربية القديمة وروايات الكتاب الكلاسيكيين " ، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، حصاد (٨) ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٢١٤) عرام بن الأصبغ السلمي : أسماء جبال تهامة ، ضمن نوادر المخطوطات ، الجزء الثاني ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ .

٢١٥) عرفان محمد حمور : أسواق العرب ، دار الشورى ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٢١٦) علي بن إبراهيم بن حامد غبان : " الآبار السلطانية بوادي الزريب الوجه " ، العصور ، المجلد الخامس ، الجزء الثاني ، ١٩٩٠م .

٢١٧) ـــــــــ : " اكتشاف ميناء مدائن صالح جنوب الوجه " ، رسالة الجامعة ، جامعة الملك سعود ، العدد ٤٨٠ ، الرياض (٢٣ ذو القعدة ، ١٤١٢هـ) .

٢١٨) ـــــــــ : " التقرير الأول عن : ميناء أكرا مجسات موقع القصير الواقع جنوب الوجه " ، الدارة ، العدد الرابع ، السنة التاسعة عشرة ، ١٤١٤هـ .

٢١٩) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤م .

٢٢٠) عواطف أديب سلامة : قريش قبل الإسلام ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٢٢١) عيد مرعي : " يخدون – ليم ملك ماري ، (وثيقة تأسيس معبد إله الشمس (شماس) في ماري " ، دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، العددان ، ٢٧ ، ٢٨ ، سنة ١٩٨٧م .

٢٢٢) فكتور سحاب : إيلاف قريش ، رحلة الشتاء والصيف ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، آيار / مايو ١٩٩٢م .

٢٢٣) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ، ١٩٦٨م .

٢٢٤) فيصل الوائلي : " تاريخ العرب القديم في النصوص الآشورية (٨٥٣-٦٣٠ق.م) " ، أبحاث تاريخية مهداة من أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ – الذكرى والتاريخ ، إلى جامعة الكويت بمناسبة عيدها العاشر ، إشراف الدكتور / شاكر مصطفى ، الكويت ، ١٩٧٨م .

٢٢٥) كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٣٤م .

٢٢٦) لطفي عبد الوهاب يحي : مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٢٢٧) ـــــــــ : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٢٢٨) ـــــــــ : الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٢٢٩) محب الدين الخطيب : العواصم من القواصم ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ .

٢٣٠) محمد السيد عبد الغني : " الجرهاء ودورها في الحضارة العربية " ، إقليم الخليج على مر عصور التاريخ ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٢٣١) ـــــــ : شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م .

٢٣٢) محمد السيد غلاب : " التجارة في عصر ما قبل الإسلام " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية " الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٣٣) محمد الطيب النجار : " أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام " ، مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين ، المركز العام لجمعيات الشباب المسلمين العالمية ، القاهرة ، ٢٣-٢٥ ، ربيع الأول ، ١٤٠٨هـ / ١٥-١٧ نوفمبر ، ١٩٨٧م .

٢٣٤) محمد بن بلهيد : " اكتشاف موضع عكاظ بعد اندراسها في أوائل القرن الثاني الهجري" ، المنهل ، المجلد ١٠ ، الجزء الحادي عشر ، الرياض ، ذو القعدة ـ ذو الحجة ، ١٣٦٩ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٥٠م .

٢٣٥) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢٣٦) ـــــــ : " قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة " ، مجلة كلية اللغة العربية ، العدد الخامس ، الرياض ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٢٣٧) ـــــــ : " إسرائيل ، الكتاب الأول ، التاريخ ، الإسكندرية ، ١٩٧٨م .

٢٣٨) ـــــــ : إسرائيل ، الكتاب الثاني ، التاريخ ، الإسكندرية ، ١٩٧٨م .

٢٣٩) ـــــــ : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) في بلاد العرب ، الرياض ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢٤٠) ـــــــــ : " العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة " ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس ، الرياض ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

٢٤١) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ .

٢٤٢) محمد رشدي العقيلي : اليهود في شبه الجزيرة العربية ، عمان ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .

٢٤٣) محمد سيد طنطاوي : " حديث القرآن من المسجد الحرام " ، مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين ، المركز العام لجمعيات الشباب المسلمين العالمية ، القاهرة ، ٢٣-٢٥ ربيع الأول ، ١٤٠٨هـ / ١٥-١٧ نوفمبر ١٩٨٧م .

٢٤٤) محمد عبد الحميد مراد : مدائن صالح ، أروع البلدان السياحية في المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول (بدون ناشر ومكان) ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٢٤٥) محمد عبد الغني سعودي : الجغرافية والمشكلات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت (بدون) .

٢٤٦) محمد عبودي إبراهيم : " استرابون يتحدث عن حملة أيلوس جاللوس على بلاد العرب " ، مجلة كلية الآداب ، المجلد التاسع والثلاثون ، الإسكندرية ، العام الجامعي ، ١٩٩٢/٩١م .

٢٤٧) محمد عزه دروزه : تاريخ بني إسرائيل في أسفارهم ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

٢٤٨) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ .

٢٤٩) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب – عصر ما قبل الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

٢٥٠) محمود الشرقاوي : مكة المكرمة ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٢٥١) محمود عرفة : العرب قبل الإسلام ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٢٥٢) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٦م.

٢٥٣) مصطفى العبادي : مصر والإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٢٥٤) مصطفى كمال عبد العليم : " تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٥٥) مصطفى محمد مسعد : " بعض مظاهر العلاقات بين الجزيرة العربية وأوطان البجة شرق السودان قبل الإسلام " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٥٦) مصطفى مراد الدباغ : الجزيرة العربية مواطن العرب ومهد الإسلام ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

٢٥٧) مطهر علي الإرياني : في تاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٢٥٨) مفيد رائف العابد : " حول مصادر تاريخ العرب " ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد السادس ، دمشق ، ١٩٨١م .

٢٥٩) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، إدارة الآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٢٦٠) منذر البكر : " بحث تأريخي في جغرافية شبه جزيرة العرب " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد التاسع ، السنة السابعة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٢٦١) ناصر بن سعد الرشيد : سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٢٦٢) ـــــــ : " تعامل العرب التجاري ، وكيفيته في العصر الجاهلي " ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٦٣) نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية ، ١٩٦٦م .

٢٦٤) نوره عبد الله العلي النعيم : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق. م وحتى القرن الثالث الميلادي ، الرياض ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٢م .

٢٦٥) نوري حمودي علي القيسي : " اكتابة العربية وأدواتها ومجالاتها واستخدامها في العصر الجاهلي " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢٧ ، ١٩٧٩م .

٢٦٦) نيقولا زيادة : " تطور الطرق البحرية والتجارية بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي " ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، يناير ، ١٩٧٥م .

٢٦٧) ـــــــ : " دليل البحر الأريتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٢٦٨) هتون أجواد الفاسي : " الوظائف الحكومية والعسكرية في مملكة الأنباط " ، العصور ، المجلد الثامن ، الجزء الثاني ، ١٩٩٣م .

٢٦٩) وهب بن منيه : كتاب التيجان في ملوك حمير ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٧هـ .

٢٧٠) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) : معجم البلدان ، الجزء الثاني ، بيروت ، ١٩٥٥م .

٢٧١) يحي وهيب الجبوري : " المنسوجات العربية في الشعر الجاهلي " ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد السابع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٧٢) يوسف محمد عبد الله : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ، بحوث ومقالات ، بيروت ، ١٩٩٠م .

ثانياً : المترجمة إلى العربية :

٢٧٣) اكستر م . ج : الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحي الجبوري ، جامعة بغداد ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

٢٧٤) ألفريد لوكاس : المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكي إسكندر ومحمد زكريا غنيم ، ومراجعة عبد الحميد أحمد القاهرة ، ١٩٤٥م .

٢٧٥) إليزابيث مونرو : " الجزيرة العربية بين البخور والبترول " ، ترجمة محمود محمود ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الثانية ، ربيع الأول ، ١٣٩٦هـ / مارس ١٩٧٦م.

٢٧٦) باوير ، ج . م ولونديين : تاريخ اليمن القديم ، جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور ، ترجمة أسامة أحمد ، سلسلة آفاق المعرفة ، رقم (١٣) عدن ، ١٩٨٤م .

٢٧٧) بليا ييف ، ي . أ : العرب والإسلام والخلافة العربية ، ترجمة أنيس فريجة ، الباسر المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٢٧٨) جورج رو : العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين ، ومراجعة فاضل عبد الواحد على ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٢٧٩) جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٢٨٠) جون هيلي : " الأنباط ومدائن صالح " ، الأطلال ، العدد العاشر ، الرياض ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٢٨١) ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربي القديم ، ترجمه وزاد عليه ، د . فؤاد حسنين علي ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٢٨٢) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٢٨٣) فيلبي ، سنت جون : أرض الأنبياء مدائن صالح ، تعريب عمر الدبراوي ، الطبعة الثانية ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٦٥م .

٢٨٤) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ، بيروت ، ١٩٥٨م .

٢٨٥) ـــــــــ : تاريخ العرب ، الجزء الأول (مطول) ، ترجمة إدورد جرجي وجبرائيل جبور ، بيروت ، ١٩٦٥م .

٢٨٦) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الجزء الأول ، ترجمة أمين فارس ومنير البعليكي ، بيروت ، ١٩٤٨م .

٢٨٧) لويس أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ومراجعة محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٢٨٨) الويس موسل : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ، ١٩٥٢م .

ثالثا : الأجنبية :

289) Abrcrombie, Thomas J . , "Arabia's Frankincense Trail ", National Geagraphic , vol . 168 , Nr . 4 1985 .

290) Albright,W. F ., The Archaeology of Palestine, London, 1949.

291) ---------- ., The Bible and the Ancient Near East, London, 1961 .

292) Altheim , F . und Stiehl , R . , Die Araber in de Alten Welt , I , Berlin , 1964 .

293) Alwi , H . , A , " The Arabian Commercial Background in pre Islamic Times " , Islamic Culture , vol. 17 , 1943 .

294) Van Beek , G . , Ancient Frankincense – Producing Areas " , in Bowen R . - le Baron and Albright , F . P . , Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore , 1958 .

295) ---------- , The Rise and Fall of Arabia Felix " Scientific American , December , 1969.

296) Birkland , H. , The Lord Guideth , Oslo , 1956 .

297) Bowen , R . , " Ancient Trade Routes in South Arabia ", Archaeological Discoveries in the South Arabia , London , 1958.

298) Bowersock . G . W . , Roman Arabia (Cambridge , M A : Harvard University press) , 1983 .

299) Van Branden , A ., Les Texts Thamoudeens de Philby , vol . II, Inscriptions du Nord , Louvain : Bibliotheque du Museon , vol . 41 , 1956 .

300) ---------- A ., Histoire de Thamoud , Beyrouth : Pablication de L'Universite Libanaise , vi , 1966.

301) Breasted , J . H , Ancient Records of Egypt , Historical Documents , I, Chicago 1906 .

302) Brian , D . , Southern Arabia , London . 1977 .

303) Burn , A . R . , Persia and the Greek . New York , 1962 .

304) Burton , R . F . , The Gold Mines of Midian and the Ruined Midianite Cities , London . 1878 .

305) Cary , M . , History of Rome , London , 1965 .

306) Caskel , W . , Lihyan – und Lihyanisch :Arabeitsgmeinse haft Fur Forschung des Landes Nordrhier- West Falen , Gestes – Wissens Chaften , Heft 4 . Koln , 1954 .

307) Casson , L . , Ships and Seamanship in the Ancient World , Princeton , 1971.

308) ---------- L . , Periplus , Mari . Erytheaei , Princeton , 1989.

309) Champhell Thompson , R .A. and Mallowon , M . E . L , " The British Museum Excavations at Nineveh , 1931 –32 " , AAA , 20 , 1933.

310) Cooke , G . A ., " Palmyra " , Encyclopaedia Biblica .

311) Cowley , A . E . " The Origin of the Semitic Alphabet " , J EA , 3 , 1916 .

312) Crichton , A . , History of Arabia : Ancient and Modern , Vol , I , Edinburgh ,, 1833 .

313) Crone , H . , " The Book of Old Ships, Garden City , Publishing Company , New York , 1935 .

314) ---------- P . , Meccan Trade and the Rise of Islam , Princeton University Press , 1987 .

315) Dermenghem , E ., le Vie de Mahamet , Paris , 1929.

316) Devress , R . , " Flarbes – Perses et Arabs- Romains Lkhmieles et Ghassanides " , RB , 11 1942 .

317) Diodorus Siculus , I , Translated by Oldfather , C . H ., The Loeb Classical Library – London and Combridge , 1935 .

318) Donner , F . M . , " Mecca's Food Supplies and Mouhammad's Boycott " , J ESHO , VOL XX , Part III , 1977 .

319) Dougherty , R. P ., Nabonidus and Belshazzar, New Haven , 1929 .

320) Doughty, Ch . M , Travels in Arabia Deserta , I , New York , 1946 .

321) Dozy , R . , Die Israeliten zu Mekka , 1864 .

322) Dussaud, R., La Penetration des Arabes en Syrie avant l, Islam, paris, 1955.

323) Erskine , B . , " The Hebrew Kingdom " , in CAH , II , Part 2 , Cambridge . , 1975 .

324) Forster, C., The Historical Geography of Arabia , vol. I, London , 1844.

325) Frame , G . , Rulers of Babylonia , II , Toronto , 1995 .

326) Gadd , C . J , " The Harran Inscription of Nabonidus " , Anatolian Studies , vol . III , 1958 .

327) Gardiner , A., " The Egyption Origin of the Semitic Alphabet , " JEA 3 , 1916 .

328) Gartier , P . L ., and Salles , J. F. " Frontiers Meridimales du Domaine Nabateen " , in Salles , J , F . , L' Arabia et ses Mers Bordieres Lyon : G .S Maison de L'Orient , 1988 .

329) Gerald de Goury , Rulers of Mecca , London , 1951 .

330) Glueck , N . , The Other Side of Jordan , New Haven , 1940 .

331) Graf , D . , " The Saracans and the Defense of the Arabian Forontir ", ASOR , vol. 229 , 1978 .

332) Van Granebaum , G . E . , " The Nature of the Arab Unity Before Islam " , Arabica , X , 1963 .

333) Greatez , H . , The History of the Jews , III , Philadelphia , 1956 .

334) Green , F . W. , " Notes on Some Inscriptions in The ETBAI District", PSBA , 26 , 1959 .

335) Grohmann , A ., Arabien , Munchen , 1963 .

336) Groom , N . , Frankincense and Myrrh , London and New York, 1981.

337) Hamidullah , M. , " Les " Ahabish " de La Mecque ", Studia Orientalist, I , 1956 .

338) ---------- , " Les Voyages du Prophete avant L ' Islam . "B EO, XXIX , 1979 .

339) Hastings , M . J . Dictionary of the Bible , Edinburgh , 1956 .

340) Heaton , E . W . , The Old Testament Prophets , London , 1969 .

341) Hepper , F . , Nigel , Arabian and Frankincnse Trees “, JEA, vol . 55, 1969 .

342) Herodotus : The Histories; Translated by Aubreyde Selincourt , The Penguing Classsics Edinburgh , 1963 .

343) Huntingford , G . W . B . , The Periplus of The Erythraean Sea, London , 1980 .

344) Husein , R . T . A . , “ The Early Arabian Trade And Marketing “ , Islamic Quarterly , vol . 30 , 1986 .

345) Kister , M . J . “ Some Reports Concerning Mecca From Jahiliya to Islam “ , JESHO . vol. xv , 1972 .

346) Huzayyin , S. A . , Arabia and The Far East , 2 nd , ed. , Cairo , 1982 .

347) Jameson , Sh . , “ Chronology of the Compaigns of Aelius Gallus and C. Petronius “ , JRS , vol. 58 , 1968 .

348) Jensen , H. , Sign Sumbol and Script , an Account of Man’s Eforts to Wright , London , 1970 .

349) Kammerer , A . , Petra of La Nabatene , (Texts) , Paris , 1929 .

350) Kirwan ,Sir L.P., “ Where to Look for the Ancient Port of leuke Kome”, Studies in the History of Arabia , Vol , I . Riyadh University Press , 1979 .

351) Kitchen , K . A ., , Documentation of Ancient Arabia , Part I , Liverpool , University Press , 1994 .

352) Lammens , H . , “ L’ Ancienne Frontiere Entre La Syria et le Hidjaz” BIFAO , vol. xv , 1902 .

353) ---------- , H . , La Republique Marchande De La Mecque , Beyrouth , 1910 .

354) ---------- , " Les "AHABIS " et L'Organistion Militaire de la Mecque an Sieele se L' Hegire ' , Journal Asiatique , Tome Viii , 1916.

355) ---------- , H . , La Ville Arabe de Taif 'a la Veille de' Hegire , Beyrouth , 1922 .

356) ---------- , L' Arabie Occidentale avant L' Hegire, Beyrouth , 1928 .

357) ---------- , La Mecque 'a La Veille de L' Hegire , Beyrouth , 1928.

358) O'Leary , de Lacy , D.D. , Arabia Before Muhammad , London , 1927.

359) Luckenbill , D . D . , Ancient Records of Assyria and Babylonia , Vol . I, Chicago , 1927 .

360) Marogoliouth , D , S ., The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam , London , 1924 .

361) Martin Spreling , The Alphabet its Rise and Development Form the Sinai Inscriptions , Chicago , 1931 .

362) Mile , J . I .I ., The Spice Trade of the Roman Empire , Oxford University Press , 1939 .

363) Miller ,J . I . , The Spice Trade of the Roman Empire 29 B .C. to A . D 641 , Oxford Clarendon Press , 1969 .

364) Mommsen , Th . , The Provinces of the Roman Empire form Caesar to Diocletian , Vol . II , London , 1909 .

365) Montgomery , J .A . , Arabia and the Bible , Philadephia , 1934 .

366) Motgomery , W . , "Economic and Social Aspect of the Origin of Islam ", Islamic Quarterly , I , 1954 .

367) Muller , W . , " Arabian Frankincense in Antiquity According to Classical Sources ",First International Symposium on Studies in The History of Arabia , University of Riyadh, 1977.

368) Mullero , A. Carolo , Georphaphi Gaeci Minores . Parisis , 1855.

369) Musil , A., The Northern Hegaz , New York . 1926 .

370) ---------- , In the Arabian Desert , New York , 1930 .

371) Naville , E . , The Temple of Dier El – Bahari , vol . II . London , 1898.

372) Olmested , A.I . , History of Assyria , Chicago , 1933 .

373) Oppenhiem, A. L . , Babylonia and Assyrian , Historical Texts ", ANET.

374) Orchard , J . , " Finding The Ancient Sites in Southern Yemen " , JNES, Vol 41 , I , 1982 .

375) Osaman , R. , Rock Inscriptions in the Hijaz , Cairo , 1948 .

376) Parr , P. , L' Arabie Preislamique et son Environnement Historical et Culturel , 1989.

377) Philby, J.B. , The Background of Islam, Alexandria, 1947.

378) Philby , J. B . , The Land of Midian " , MEJ, q , 1935 .

379) Philip , H . K . , History of The Arabs , London , 1960 .

380) Phillips , W . , Unknown Oman , New York , 1966 .

381) Pirenne´ , J . , Le Royaume , Sud-Arabe de Qataban et Sadatation, Louvain, 1961 .

382) Pirenne, J., " Deax Pyrees Cubiques 'a Pleds du l'Universite de Pennsylvania ", Antiquites Sud-Arabes , Tame I , Section 2 , Louvain , 1977 .

383) Pierre , G .and Others , Hellenism and the Rise of Rome , London , 1968.

384) Pliny : Natural History VI , Tranlated by H . , Rackham , London and Cambridge . 1969 .

385) Potts , D . , "Tayma and The Assyrian Empire," AAE , Compenhagen: Carsten Niebuhr . Institute of Ancient Near Easten Studies , University of Compenhagen , 1991 .

386) Procopiuse , History of the Wars, Translated by Bewing , H . B . Cambridge and London , 1979 .

387) Ptrie , F., Research in Sinai, London , 1906 .

388) Rhodokanakis , N., Zeitschrift , fur Semitik und Verwandte Gebiete, Bondse , 1924 .

389) Rodinson, M., Mohammed, Penguin Books,Suffolk, Great Britaine, 1977.

390) Rostovzew , M., " Zur Geschchte des ost – und Sudhanndels im Ptolemaischromis chen Agyptien ", Archiv fur Poryas Forschunng , 4, 1908 .

391) Saggs , H .W., The Greatness That Was Babylon , London , 1962 .

392) ---------- , Assyria , London , 1984 .

393) Sarton , G . , A History of Science , 1955 .

394) Sauer , J . , Blakely , J . , " Archaeology along the Spice Route of Yemen ",in Araby the Blest, Study in Arabian Archaeology , ed., by Potts , D. , The Carsten Niebuhr Institute of Ancient Near East Studies, 1988.

395) Sayed , Abdel Monem , A . H . , " The Recently Discovered Port the Red Sea Shore ", JEA , vol . 64 , 1978 .

396) ---------- " Observations on the Gawasis Discoveries ", JEA , vol , 66 , 1980 .

397) Schoff , W . H . The Periplus of the Erythrean Sea, Translated from The Greek , New York and London , 1912 .

398) Schrader, E., Die Keilin Chrften und des Alte Testament, Berlin , 1903.

399) Schur , W. , Die Orient Politik des Kaisers Nero (klio , Beihef , 15 , Neue Folges) , Leipzig, 1923 .

400) Serjeant , R. B . , Haram and Hawtah , The Sacred Enclavein Arabia , Melarges Taha Hussein , 1962 .

401) Shahid , I . , Two Quranic Suras : Al Fil and Qurays , Studia Arabia: ca et Islamic Festschrift for Ibn Abbas , Edited by Wadad al Qiadi , American University of Beirut , Beirut 1981 .

402) Sidebotham , S . , Roman Economic Policy in the Erythra . Thalassa Leiden , 1986.

403) Simon, R . , " Hume et Ilaf , ou Commerce Sans Guerre (Sur La Genese et le Caractere du Commerce de la Mecque)", Acta Orientalia . Academiate Scientiarum Hungaricae , XX III (2) , 1970 .

404) Sprenger , A ., Die Alt Geographie Arabiens , Berne , 1875 .

405) Starcky , J . , " Une Inscriptions Nabateene Provenent du Djof, " RB , 64 , 1957 .

406) Steindroff , G , and Seele , K . C . , When Egypt Ruled the East, Chicago , 1963 .

407) Strabo , Geegraphica , XVI ,

408) Torrey , C . C , The Jewish Foundations of Islam , New York , 1968 .

409) Watt , W . M ., Muhammed at Mecca , Oxford , 1953 .

410) ---------- , Muhammed at Medina, Oxford , 1956 .

411) Weigall , A . , E . P . , Traveles in the Upper Egyptian Deserts, London , 1909 .

412) Wellesley , K . , " The Fable Of Roman Attack on Aden ", Loparolo dei Passato , 9 , 1954 .

413) Winckler , H . , " Zur Alten Geschichte Yemen's und Abessiniens " , AOF , IV , 1896 .

414) ---------- , Rock – Drawings of Southern Upper Egypt , vol. I , London , 1938 .

415) Winnett , F. and Reed , W , L . , Ancient Records form North Arabia, Toronto : University of Toronto Press , 1970 .

416) von Wissman , H . , " Himyar Ancient History ", Le Museon , 77 , 3-4, 1964 .

الفهارس

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير.....	أ
المقدمة.....	ج
عرض لأهم المصادر والمراجع.....	ط
التمهيد	١
أولاً : جغرافية شمال غرب شبه الجزيرة العربية.....	٢
تهامة.....	٥
الحجاز.....	٨
ثانياً : القبائل العربية القاطنة في شمال غـــرب شـــبه الجزيـــرة العربية.....	١٣
ثالثاً : نظرة العرب للتجارة.....	٣٨
رابعاً : المنتجات العربية.....	٤٦
البخور.....	٤٨
الطيوب والتوابل.....	٥٩
الأدم	٦١
الأصباغ.....	٦٣
الأحجار الكريمة.....	٦٣
الذهب والفضة.....	٦٥
الزيوت.....	٦٧
المنسوجات.....	٦٧
الفصل الأول : النشاط التجاري البري	٧٤
أولاً : الطرق التجارية.....	٧٥
طرق القوافل البرية.....	٨٢
ثانياً : المراكز التجارية.....	٩٤

الموضوع	الصفحة
مكة المكرمة.....	٩٥
يثرب.....	١١٠
خيبر.....	١١٩
فدك.....	١٢٣
ديدان / دادان / ددن / (العلا).....	١٢٥
الحجر.....	١٢٩
تيماء	١٣٣
ثالثاً : القوافل التجارية	١٤٢
الأحابيش.....	١٤٩
رابعاً : أسواق المنطقة	١٦٤
سوق عكاظ.....	١٦٨
سوق مجنة.....	١٨٩
سوق ذي المجاز.....	١٩٢
الفصل الثاني : النشاط التجاري البحري	١٩٧
أولاً : موانئ البحر الأحمر على ساحل شمال غرب شبه الجزيرة العربية.....	١٩٨
ميناء إيله.....	١٩٩
ميناء العينونة (الخريبة ..).....	٢٠٤
ميناء المويلح.....	٢٠٤
ميناء ضبا.....	٢٠٥
ميناء إجرا Egra	٢٠٥
ميناء الحوراء Auara	٢٠٨
ميناء لويكي كومي.....	٢٠٩
ميناء ينبع البحر.....	٢١٥

الموضوع	الصفحة
ميناء الشعيبة.....	٢١٥
ثانيا : مدى أهمية تجارة البحر الأحمر والصراع حوله.....	٢١٩
الفصل الثالث : النشاط التجاري في شمال غرب شبه الجزيرة العربية والتجارة الدولية	٢٢٨
أولا : قبيلة قريش ونشاطها التجاري.....	٢٢٩
ثانيا : النشاط التجاري لدول شمال غرب شبه الجزيرة العربية...	٢٤٥
المعينيون والسبئيون ونشاطهم التجاري بين الجزيرة العربية وفلسطين.....	٢٤٦
الأنباط ونشاطهم التجاري.....	٢٦٢
اللحيانيون ونشاطهم التجاري.....	٢٦٦
الغساسنة ونشاطهم التجاري	٢٦٩
ثالثا : ايليوس جاللوس عام ٢٤ ق. م	٢٧٣
الفصل الرابع : النشاط التجاري وأثره على المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية	٣٠٢
أولا : معرفة الكتابة.....	٣٠٣
ثانيا : الإيلاف.....	٣١٩
ثالثا : المعاملات التجارية.....	٣٤٩
البيوع.....	٣٥٠
التسليف ورد الدين.....	٣٥٨
القراض والمضاربة.....	٣٥٨
الربا.....	٣٥٩
الخاتمة.....	٣٦٥
الخرائط.....	٣٧٠
قائمة الاختصارات ABBREVIATIONS	٣٧٢

الموضوع	الصفحة
قائمة المصادر والمراجع.....	٣٧٣
أولا : العربية.....	٣٧٤
ثانيا : المترجمة إلى العربية.....	٣٩٨
ثالثا : الأجنبية.....	٤٠٠
الفهارس	٤١١